كنز الدرر وجامع الغرر

الدر الفاخر

في

سيرة الملك الناصر

تأليف

أبو بكر عبد الله بن أيبك الدواداري

المجلد التاسع

Bibliotheca Alexandrina
0136854

الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر

مَصادِر تأريخ مِصر الإسلاميّة

يُصدِرُها

قسم الدّراساتِ الإسلاميّة

بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة

جزء ١ قسم ٩

كنز الدُّرَر وجامع الغُرَر

الجُزْءُ التاسِعُ وَهُوَ

الدُّرّ الفاخِر في سيرة الملك النّاصر

تأليف

أبي بكر بن عبد الله بن أيبك الدّواداري

تحقيق

هانس رُوبرت رويمر

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

تصدير

فى الفترة التى أعقبت افتتاح المعهد الألمانى للآثار بالقاهرة انجز وعد قطع منذ نحو ثلاثين سنة ، فكان أن أنشئ فى هذا المعهد قسم للدراسات الإسلامية فى أواخر سنة ١٩٥٦ ، ومن ذلك الحين تكونت مكتبة خاصة بتلك الدراسات وصحّ العزم على القيام بنشر الأسفار العلمية الدائرة فى فلك هذا القسم المنشأ ، وفى العام الذى سلف بدئ فى نشر سلسلة من الرسالات العلمية الإسلامية باللغة الألمانية ، ثم رؤى الاهتمام بإخراج سلسلة أخرى خاصة بنصوص عربية ، فكان استهلالها هذا الكتاب الذى نصدر له

وإنها لمناسبة طيبة نزجى فيها آيات المحبة والثناء والشكر إلى أصدقائنا العلماء العرب ، فللدكتور حسين الهمدانى والأستاذ رشاد عبد المطلب والأستاذ فؤاد سيد على ما أسدوا من نصح وما قدموا من عون بروح عالية وقلب شفوق ، وللأستاذ محمد أبى الفضل إبراهيم لقراءته معنا البروفة الأخيرة للكتاب ، وللأستاذ محمود محمد الطناحى لما بذله من جهد طيب مشكور فى قراءة الأصل وفى ملازمته لنا عند مراجعة البروفات كلها ، وللدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية — بصفة خاصة — لتوجيهه نظرنا إلى تأريخ ابن الدوادارى وتقديمه لنا نسخة مصورة عن مخطوطة الكتاب الموجودة فى استانبول والمأخوذ على فيلم محفوظ بالمعهد المذكور . وإلى جانب ذلك نسدى عميق الشكر إلى زملائنا العلماء الألمان ، فللدكتور ألبرت ديتريش والدكتورة سوزانه ديوالد لقيامهما — مشكورين — بالبحث لنا عما نريد فى مكتبات استانبول ، وللدكتور

هانس إيرنست لمساعدته فى إعداد الفهارس ، وخاصة للمدير الأول للمعهد الألمانى للآثار بالقاهرة الدكتور هانس شتوك لتهيئته لنا الجو الذى يسر لنا العمل فى القاهرة وساعد بالتالى على إخراج الكتاب ، ثم لجمعية المستشرقين الألمانية ووكيلها العام الدكتور هانس ڤير اللذين أتاحا لنا الفرصة منذ سنة لاستمرار العمل فى القاهرة بالاشتراك مع إدارة الثقافة بوزارة الداخلية الاتحادية وجمعية البحوث الألمانية وهيأ لنا من الإمكانيات والمساعدات ما ساعد على ظهور هذا الكتاب

القاهرة فى أول يناير سنة ١٩٦٠

هانس روبرت روبمر

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر

وهو الجزء التاسع من كتاب

كنز الدرر وجامع الغرر

بسم الله الرحمن الرحيم ربّ اختم بخير

الحمد لله الملك الناصر لمولانا السلطان الملك الناصر

مستحقّ فرايض الفرض بتقبيل مرابض الأرض
مالك الأرض وأقطارها حيث صبّت أنهارها
وقطّرت أمطارها وأنورت أزهارها

بما حوت من الأشقصات المناصر لمولانا السلطان الملك الناصر

مالك نواصى ملوكها وغنيّها وصعلوكها
بمشارقها ومغاربها ومسالمها ومحاربها
مسلمها وكافرها وباديها وحاضرها

ولا مدرك ولا حاصر لملك مولانا السلطان الملك الناصر

الذى ملأت هيبته الأوهام وحيّرت صفاته الأفهام
وتشرّفت بأيّامه الأيّام والجُمَع والشهور والأعوام
وعلت همّته على الأفلاك وخضعت له ملوك الأملاك

من الأكاسرة والقياصر بجلال مولانا السلطان الملك الناصر

المؤيّد بالملايكة والقرآن الذى ليس فى طالع سعده قِران
فلو كان لبشرٍ فى الفُلك مكان لـكان ظهر جواده السماكان
والمجرّة له ميدان وكيوان له إيوان

وكلّ ذلك واللهِ قاصر فى حقّ مولانا السلطان الملك الناصر

سيّد ملوك الإسلام وسميّ النبيّ عليه السلام
مروّع الكفرة فى الأحلام من عبدة الصلبان والأصنام
حتى عادوا لملكه خدّام وافدين على الرءوس لا على الأقدام

كلّ عن رأسه حاسر طاعةً لمولانا السلطان الملك الناصر

ناظم أشتات العلا فالعادى من الأرض خلا
والموالى بها ملا واسمه الشريف على
ساير منابرها علا فإن رُمت خلوًّا فلا

حتى نطق البادى والحاضر بملك مولانا السلطان الملك الناصر

لا زالت الأرض التى تملكها عزايمه المنيفة منقلة
والأرض التى بين يدى مواقفه الشريفة مقبلة
والأرض التى تلقى فيها أعدايه المكسورة مقتلة
والأرض التى يجرّ عليها عساكره المنصورة مثقلة
حتى تعود الشمس مكحولة الطّرْف بإثمد غبار الطِّرْف

تحت كلّ أسدٍ كاسر من أرقّاه مولانا السلطان الملك الناصر

وزاد دولته الشريفة فى علاء السعد شباباً ونموا
٣ كما زاده فى شرف الملك بقاءٍ وارتقاءٍ وعلوّاً
حتى تكون السعادات عادات وفد أبوابه المنيفة
وساير البشاير قِرى مسامعه الشريفة

٦ **ومن جميع ذلك يكون وافر حظّ مولانا السلطان الملك الناصر**

ويتراءى أمامه الإقبال والسعود بنيل الأمانى والمقصود
إلى حيث لا يدركه أمل ولا يقطعه أجل
٩ ليعُمّ بجوده الوجود وقد عمّ ويتمّ له الإقبال غاية الآمال وما تمّ

إنّه ولىّ ذلك وعليه قادر لدوام أيّام مولانا السلطان الملك الناصر

آمين يا ربّ العالمين وصلى الله على محمّد وآله

وبعد : فإنّ الألفاظ مخلوقة ، والمعانى مسبوق إليها ومسروقة ،والإنسان، فقصير اللسان ، عن بديع البيان ، والاعتراف بالعجز إنصاف ، ويقوم مقام الإدراك بلا خلاف . فالواجب على الأديب الحرّ أن يقبل العذر ، ويسامح بالسقطات ، ولا يؤاخذ بالغلطات . فالعاقل مَن عُدّت زلاّته ، والفاضل مَن أحصيت هفواته . وليعلم أنّ الإنسان — وإن كان بفصاحة قُسّ وسَحْبان ، وبلاغة قدامة بن حطّان ، أو بديع الزمان — فلا بدّ أن يُنظر فى أحواله ، ويؤخذ عليه فى أقواله . وهذه حالة لم ينجُ منها مَن فُتح عليه باب ، وعرّض نفسه لتأليف كتاب . وقد قيل : مَن صنّف ، فقد استهدف . والعبد، فقد استعذر إلى الله وإلى كلّ واقفٍ عليه . وتشفّعتُ بفضله إليه أن يسامحنى بما اجترحتُ ، ولا يؤاخذنى بما شرحتُ ، ويُسبِلَ ذيل الفتوّة فى الإغضاء ، على ما يقع عليه من أخطاء ، أقال الله عثرته ، بمحمد وآله وعترته ! وقد أجمع الناس أنّه ليس ببيتٍ واحدٍ سالمٍ من الطعن فيه فى الإسلام ، إلا بيت واحد والسلام . وهو قول بعضهم < من الطويل > :

وما حملَت مِن ناقة فوق رَحْلها ... أبرّ وأوفى ذمّةً من محمّد

صلى الله عليه وسلّم !

ثمّ إنّ هذا هو الجزء الأكيس ، من قسمة الفَلَك الأطلس، وهو الجزء التاسع التابع الثامن ، القادح من زند القريحة ما كان كامن ، المسمّى بـ « الدرّ الفاخر ، فى سيرة الملك الناصر » التالى لبشاير النصر ، لسيّد ملوك العصر ، وذلك لمّا

---

(١١) أقال : اقل

لم يسع الجزء الثامن الاشتراك ، لذكر مناقب سيّد ملوك الأتراك ، التى تضيق عن حصر جملتها الخواطر . فكيف تحصرها الأقلام والدفاتر؟ فاخترنا الله تعالى ، وأنشأنا هذا الجزء اللطيف المعان ، يشتمل على بقيّة ذكر بعض مناقبه الحسان ، التى جُمْلتها كعدد نجوم الآفاق ، وكضياء الشمس بهجةً وإشراق . فكيف يسعها دفاتر وأوراق ؟ وإنّما لمّا وفّقنا الله تعالى أن ننبّه على هذه المآثر، التى هى فرض واجب على كلّ أديب وفاضل وشاعر وناثر، لتقتدى بها الملوك الأكابر ، ونستملى ذلك من ألسنة الأقلام وأفواه المحابر . وإن وُفّقوا لتتبّع هذه الآثار ، فكيف لهم بمساعدة الأقدار ؛ وخدمة الفلك الدوّار؟ فهو كما قلت <من الكامل> :

حلَفَ الزمان بأنّه فى طوعه ... لا شكّ فى ذاك اليمين ولا ميرا
يا دهر ، ما أهناك فى أيّامه ... يا عمر، طُل فى عصره لن تقصُرا

وهذان البيتان من جملة القصيدة التى تضمّنَتها أوّل الجزء السابع . وقد تقدّمَت بكمالها وأشرقَت أنوارها بذكر محاسن سلطانها . ففاق جمالها . ونستفتح الآن بذكر ما كان فى بقيّة سنة ثمان وتسعين وستّ مایة

ذكر حلول ركاب مولانا السلطان الأعظم الملك الناصر عزّ نصره من الكرك وهى الملكة الثانية

كان يوم الأحد خامس جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وستّ مایة وتشرّفَت الديار المصريّة والممالك الإسلامية بحُلول ركاب ملك الأرض .

---

(١٦) عزّ نصره من الكرك : من الكرك عز نصره

فى طولها والعرض . ورجع الحقّ إلى نصابه ، وعاد الأسد إلى غابه ، واستقرّ المهنّد فى قرابه ، واطمأنّت النفوس ، واستقرّت الأرواح وزالت العكوس ، واستمرت الأفراح . وجلس مولانا السلطان الأعظم الملك الناصر — ناصر الدنيا والدين محمد بن مولانا السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الألفى النجمىّ الصالحىّ — على تخت الملك بالديار المصريّة وما معها من الممالك الإسلاميّة ، نشر الله أعلامها فى الآفاق ، وأدام أيام سلطانها إلى يوم العرض والتلاق ، يوم الاثنين سادس الشهر المذكور ، وأخلع على الأمير سيف الدين سـلّار خلعة النيابة بالديار المصريّة ، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير أستاداراً ، والأمير حسام الدين أستادار أتابكاً ، والأمير بدر الدين أمير سلاح رأس َمشُورٍ ، والأمير شمس الدين سنقر الكمالىّ حاجباً ، والأمير سيف الدين بكتمر أمير جانداراً ، والأمير جمال الدين آقوش الأفرم نايباً بالشأم المحروس بدمشق المحروسة ، والأمير سيف الدين بلبان الطبّاخىّ نايباً بحلب المحروسة ، والأمير سيف الدين أسندمر نايباً بطرابلس المحروسة ، والأمير شمس الدين سنقر شاه المنصورىّ بعد الآلدكزىّ نايباً بصفد ، والأمير آقجبا المنصورىّ نايباً بغزّة ، ونقل الأمير زين الدين كتبغا من صرخد إلى نيابة حماة المحروسة بعد وفاة صاحبها الملك المظفّر بن الملك المنصور فى هذه السنة رحمه الله تعالى ، وأخلع مولانا السلطان فى ذلك اليوم على جميع الأمرا من أرباب الوظايف أو غيرهم . وفى ثامن عشر الشهر المذكور ركب نصره الله تعالى بأهبّة الملك المبارك ، وقبّل الجيش جميعه الأرض بين يديه الشريفتين

---

(١٤) بعد الالدكزى : بالهامش ‖ بصفد : بحلب ، مصحح بالهامش (١٨) الوظايف : الوضايف

ثمّ توجّه الأمير جمال الدين الأفرم إلى دمشق المحروسة ، فكان دخوله إليها يوم الأربعا ثانى وعشرين جمادى الأولى ، وأصبح يوم الخميس ركب فى دست النيابة ، واستقرّ الحال على ذلك

فلمّا كان العشر الآخر من شهر رجب الفرد من هذه السنة المذكورة وصل الشيخ شهاب الدين أحمد القصّاص المعروف بابن العماد من البيرة . وكان بها نايباً سيف الدين طوغان ، وبقلعة الروم فخر الدين أياز ، وبالرحبة الغُتُمى . وأخبر ابن العماد المذكور أنّ غازان بن أرغون بن أبغا بن هلاوون ملك التتار كان قد عزم على قصد الشأم فى تشارين فى سبعين ألفاً من المغل . فسيّر سلامش بن باكبوا بن باجوا فى خمسة وعشرين ألف فارس إلى الروم ، على أنّه يأخذ جيوش الروم ويتوجّه إلى الشأم من جهة بلاد سيس ، ويكون مجى غازان فى بقيّة المغل من ناحية دياربكر ، وينزلوا الفراة ، ويغاروا على البلاد ، بنواحى البيرة وقلعة الروم والرحبة . ثمّ يكون اجتماعهم على حلب ، فإن التقاهم أحد التقوه ، وإلّا دخلوا البلاد الشأميّة . هذا ما كان استقرّ عليه عزمهم ، وكان أمر الله تعالى غير ذلك

فاتّفق عند عبور سلامش إلى الروم أطمعته نفسُه بالملك ، فإنّه أقربُ إلى عَظْم جكزخان من غازان . فتملّك الروم وأخلع على أمرايها ، وخلع طاعة غازان واستخدم ونفق ، وسيّر كُتُباً إلى أولاد قرمان ، وكانوا قد أطاعوه ، ونزلوا فى خدمته فى عشرة آلاف فارس . ثمّ إنّه كاتب إلى مصر يطلب النجدة والمساعدة على غازان . فوصلوا رُسله إلى دمشق فى العشر الأوسط من شهر رجب ، فسُيّروا إلى الديار المصريّة

---

(١٣) أحد : احدا (١٧) كتباً : كتب

قلت : وهذا الخُلف الذى كان وقع بين التتار فى ذلك الوقت ممّا يُعْتَدّ به من جملة بركات تملُّك مولانا السلطان الملك الناصر عزّ نصره، وبركة أوّل حلول ركابه الشريف . وإلّا لو كان تهيّأ لهم ذلك العزم بغير خُلفٍ وقع بينهم ، كان الأمر بخلاف ما اتّفق لِما كانوا عليــه من الكثرة والقوّة فى ذلك الوقت

ثمّ إنّ غازان وصل إلى بغداد . فذكروا له نوّاب بغداد أنّ أهل السيب بواسط قد نهبوا التجّار القادمين من البحر وقطعوا السابلة فى البحر، فتوجّه نحوهم بالعساكر وقتلهم قتلاً ذريعاً ونهبهم، وأقام بأرض دقوقا حتى ثبت عنده فعل سلامش

ذكر الوقعـة التى كانت بين التتـار ودخول سلامش الديار المصريّة

فلمّا ثبت عند غازان خلْع سلامش طاعتَه وطلبُ الأمر لنفسه ، انثنى عزمه عن طلب الشأم ، وشرع فى تجهيز العساكر إلى بلاد الروم لملتقى سلامش . فجهّز فى أوّل شهر جمادى الآخرة ثلاثة مقدّمين من المغل الكبار فى عدّة خمسة وثلاثين ألف فارس ، وهم سُوتاى وقيل اسمه سُنتاى ، مقدّم عشرة آلاف ، وهِندوُغاق مقدّم عشرة آلاف ، وخمسة عشر ألف مع بولاى ، وهو المقدّم على الجميع . ثمّ أمرهم بالتوجّه إلى الروم وملتقى سلامش . ورحل غازان طالباً نحو توريز ، وصحبته الأمرا الإسلاميّة قبجق ورفقته . وتوجّهوا العساكر المجرّدين طالبين الروم[٣] . فنزلوا سنجار مع رأس العين وماردين . فأنزل إليهم صاحب ماردين الإقامات والعلوفات

بالهمل ، وقدّم لهم تقادم عظيمةً وجهّز عسكره معهم ولم ينزل إليهم خوفاً منهم لا يكون نَبَّهَ عليه قبجق ورفقته أنّه مكاتب صاحب مصر . واعتذر أنّه ضعيف عاجز عن الحركة ، فقبلوا عذره بسبب ما ملأ أعينهم به من التقادم والتحف. وكان ادّخر عنده قبل وصول العسكر إليه موؤنة سنتين بماردين لأجل الحصار . فسهّل الله تعالى أنّهم تعدّوه ولم يتعرضوا له بأذيّةٍ . ونزلوا مستهلّ رجب على آمد ، وهم متوجّهون إلى الروم . فلمّا كان يوم السبت الخامس والعشرين منه التقى الجيشان ، وكان سلامش قد عصوا عليه أهل سيواس ، وهم محصورين معه . فلمّا وصل عسكر بولاى ورفقته إلى قربه ، كان عسكر سلامش ستّين ألف فارس . فخامروا عليه وقفزوا إلى جهة بولاى عند ما وقعت العين فى العين وتخلّوْا عن سلامش . وأمّا التركمان فتعلّقوا بالجبال كعادتهم . ولم يبق مع سلامش إلّا نفر يسير من خواصّه ، تقدير خمس مائة فارس ، فولّى هارباً ، وطلب نحو بلاد سيس ووصل إلى باهسنا سلخ رجب

وكان قد ورد من مصر مرسوم شريف أن يجرَّد من دمشق خمسة أمرا ومن جميع العساكر خمسة عشر ألف فارس ويسيّروهم نجدةً لسلامش . فلمّا كان يوم الخميس خامس شعبان ورد الخبر إلى دمشق أنّ سلامش وصل إلى باهسنا مكسوراً ، فتوقّف أمر التجريدة . فلمّا كان يوم الخميس دخل سلامش بن باجوا بن هلاوون إلى دمشق المحروسة . وكان لدخوله همّة كبيرة ، وتلقّوه الأمرا بالعساكر ووصل صحبته نايب بهاسنا وهو بدر الدين

---

(٢) يكون : يكن (١٧) مكسوراً : مكسور (١٨) باجوا : باكبوا ، مصحح بالهامش (١٩) نايب : النايب

الزردكاش . ودخل إلى دمشق فى موكبٍ عظيم ، ونزّلوه فى خانقاه النجيبىّ على الميدان ورتّبوا له راتباً كبيراً . ولمّا كان ليلة النصف من شعبان أنزلوه جامع بنى أمّية ، وكذلك صلّى به يوم الجمعة ، ولمّا فرغ من الصلاة أخذه شمس الدين محمد المهمندار مع مشارف الجامع وصلّوا به فى جميع المزارات المباركة . وفى يوم الأحد توجّه إلى الديار المصريّة على البريد المنصور ، واجتمع بمولانا السلطان عزّ نصره فى يوم الاثنين خامس عشر رمضان المعظّم . وأقام بالديار المصريّة ثمانية أيّام . ثمّ عاد إلى دمشق . فدخلها ثالث عشرين رمضان . وصحبته بدر الدين الزردكاش نايب باهسنا . وعلى يده مراسم أن يجرّد صحبته عسكراً يدخل معه إلى الروم ليُحضر أهله . فوصل إلى حلب ، وبها يومئذٍ الأمرا المصريّين المجرّدين يقدُمهم الأمير سيف الدين بلبان الحبيشىّ . فاجتمع الأمرا فى دار السعادة بحلب ، وقُرئ ذلك المرسوم عليهم . فقال الأمير سيف الدين الطبّاخىّ للأمير سيف الدين الحبيشى : هذا مرسوم السلطان أن يُجرِّد مع سلامش جيش يُحضر أهله فأيش تقول ؟ — فقال الحبيشىّ : أنت نايب البلاد وخبير بطرقها وتأكل منافعها ، فأحقّ ما تُوجّه معه عسكرك . — ونهض . خرج من عنده . وركب من وقته وتوجّه إلى نحو عين تاب . فاحتاج الطبّاخىّ أن جرّد صحبته أميرين من أمرا حلب وهما ابن جاجا أمير ماية مقدّم ألف وبكتمر الجلمىّ . فلمّا دخلوا مع سلامش خرجت عليهم التتار . فقُتِل أحدهما وسلم الآخر وهو ابن جاجا . وذلك عند خروجهم برأس الدربند . وقُتل أيضاً سلامش وانقطع خبره

---

(٢) راتبا كبيرا : راتب كبير (١٩) وهو ابن جاجا : بالهامش

وفيها أفرج الله تعالى عن الأمير شمس الدين سنقر الأعسر فى يوم الاثنين تاسع وعشرين شوّال ، وولى الوزارة بالديار المصريّة وهى الوزارة الثانية

وفيها فى العشر الأوّل من شعبان وصل إلى بيروت مراكب كثيرة بطشَ تقدير ثلاثين بطشةً فى كلّ بطشة سبعماية نفرٍ من الفرنج قاصدين السواحل وأن يغاروا على المسلمين . وقربَ دخولهم إلى الساحل أرسل الله عزّ وجلّ عليهم ريحاً مختلفةً ، ففرّقت جموعهم وغرق بعضهم ورجعوا خائبين ﴿ وَرَدَّ ٱللهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى ٱللهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ﴾ وكان قد جرّدوا من دمشق عسكراً لأجلهم . فورد الخبر بتفرّقهم ، فاستقرّ الأمر على ذلك

وفيها فى شهر رمضان وصلوا تجّار من سُوداق ، وخبّروا أنّ الملك أنغاى الذى على تخت مملكة بركة فى هذه السنة ، وصل فى شهر ربيع الأوّل إلى سوداق ومعه عسكر ثقيل ، وأنّه أمر لأهل سوداق أنّ كلّ من كان من جهته فليطلع إلى ظاهرها بجميع أهله وولده وماله . فطلع جميع من كان متعلّقاً به وهم أكثر من الثلثَيْ . ثمّ أمر العساكر أن يحتاطوا بها وعاد يطلب واحداً واحداً ، فيعاقبه ويأخذ جميع ماله . ثمّ يقتله إلى أن قتل جميع من كان تبقّى فى البلد ، وبعد ذلك ألقى فيها النار حتى تركها دكّاً كأن لم تكن شيئاً . وسبب ذلك أنّ سوداق كان حقوقها يُقسّم بين أربعة ملوك من التتار ،أحدهم أنغاى هذا وهو بيت باتوا فى الأصل ، فذكروا أن الملوك

---

(٦) ريحاً : ريح (٧) بغيظهم : بغيضهم (٧ – ٨) السورة ٣٣ الآية ٢٥
(١٤) متعلقاً : متعلق (١٥) واحداً واحداً : واحد واحد

شركته تعدّوا على نوّابه فى الحقوق المختصّة به ، فحمله الغيظ منهم على ما فعل

وفيها ترادفت الأخبار فى شهر ذى الحجّة بحركة التتار ، وتوجّه غازان إلى نحو الشأم . ووصلت القصّاد وأخبروا بذلك وصحّ الأمر فجرّد مولانا السلطان عزّ نصره بعض الجيوش المصريّة رديفاً للمجرّدين بالشأم وهما مقدّمان : الأمير سيف الدين قطلبك الحاجب والأمير سيف الدين نوكاى فى ألفى فارس ، وتقدّموا قبل حركة الركاب الشريف

وفيها توفّى الأمير عزّ الدين أيبك الموصلىّ نايب طرابلس ، وتولّى أسندمر حسبما ذكرناه ، وتوفّى الأمير بدر الدين بَيْسَرِىّ رحمهما الله تعالى

ذكر سنة تسع وتسعين وستّ ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم

ما يخصّ من الحوادث

الخليفة : الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر سلطان الإسلام ، وسمىّ النبىّ عليه السلام ، أعزّ الله أنصاره ، وضاعف اقتداره

والملوك فى هـذه السنة والنوّاب حسبما نذكره : صاحب مكّة شرّفها الله تعالى : أبو نُمَىّ محمد بن إدريس بن قتادة بن حسن المقدّم

(١٨) محمد بن إدريس : بالهامش

ذكره بحاله، صاحب المدينة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام : جمّاز بن شيحة بحاله ، صاحب اليمن : الملك المؤيّد هزبْر الدين داود بعد وفاة أخيه الملك الأشرف ممهّد الدين عمر بن الملك المظفّر شمس الدين يوسف بن الملك المنصور نور الدين عمر بن علىّ بن رسول المقدّم ذكر جدّهم فى هذا التأريخ ، صاحب الهند : إيتمش الملقّب بالغازى مملوك الغورىّ المقدّم ذكره ، صاحب الصين : قآن الكبير من عظم جكزخان أصل التتار المقدّم ذكره ، صاحب بلاد بركة : فى هذه السنة أنغاى المقدّم ذكر فعله فى سُوداق ، صاحب الشرق بكماله مع خراسان إلى بلاد تمرقابوا : غازان محمود ، صاحب ماردين : يومئذٍ الملك المنصور شمس الدين داود بن الملك المظفّر المقدّم ذكره ، صاحب الروم : السلطان غياث الدين كيكاوس بن فرامرز ابن كَيْقُباد السلجوقىّ

وحماة : لم يكن بها فى هذه السنة أحد من ملوكها بحكم وفاة صاحبها الملك المظفّر رحمه الله تقىّ الدين محمود بن الملك المنصور ناصر الدين محمد بن المظفّر محمود بن المنصور محمّد بن المظفّر تقىّ الدين عمر بن شاهنشاه بن أيّوب. ولمّا توفّى الملك المظفّر آخرهم نفذ إليها الأمير سيف الدين بهادر آص . فأقام بها أياماً حتى قدم عليه الأمير شمس الدين قرا سنقر المنصورىّ نايباً . فأقام بها إلى بعد الكسرة لا أعادها الله ، فتوجّه إلى حلب . وانتقل الأمير زين الدين كتبغا من صرخد إلى حماة، فاستقرّ بها إلى أن توفّى إلى رحمة الله تعالى حسبما يأتى من تأريخ وفاته إنشا الله تعالى

---

(١) جماز بن شيحة : شيحة ابن جماز ، مصحح بالهامش (٦) قآن : قآن الا جكزخان : سنكزخان (١٤) بن المظفر تقى الدين عمر : بالهامش (١٦) أياما : ايام

النوّاب فى هذه السنة حسبما سقناه من ذكرهم فى السنة الخالية بمصر والشأم إلى حين دخول التتار البلاد — لا أعادهم الله تعالى — حسبما يأتى من ذكرهم فى تأريخهم مفصلاً إنشا الله تعالى

ولمّا صحّت أخبار التتار وقصدهم الشأم المحروس توجّه الركاب الشريف السلطانىّ من الديار المصريّة بجميع الجيوش المنصورة إلى نحو الشأم ، ونزل بمنزلة تلّ العُجول . فاتّفقت الأوراتيّة ، وهم طايفة من التتار الذين كانوا دخلوا الديار المصريّة فى أيّام كتبغا وقد تقدّم ذكرهم ، على قتل الأمير سيف الدين سلاّر والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، فاطّلعوا على أمرهم ، فمسكوهم وشنقوهم واعتقلوا بقيّتهم . وقتل برنطاى لكندغدى النقيبَ ومُسلك برنطاى ووُسّط فى فرقته . ثم رحل الركاب الشريف من منزلة تلّ العجول ونزل عسقلان ، وذلك فى شهر المحرّم إلى ثامن شهر ربيع الأوّل

فتواترت الأخبار ، بوصول التتار ، فتوجّه الركاب الشريف إلى دمشق المحروسة ، ونفق فى الجيوش المنصورة

ذكر وقعة نوبة غازان بوادى الخزندار

ولمّا وردت الأخبار ، وصحّت أنّ التتار ، عدّوا الفراة إلى ناحية الشأم خرج الركاب الشريف من دمشق المحروسة نهار الأحد سابع عشر شهر ربيع الأوّل . ولم يكن عند المسلمين فى تلك النوبة اكتراث بالتتار ، ولا كأنّهم عندهم عدوّ ، بل مُشّمّرين الذيول ، كانحدار السيول ، لملتقى العدوّ

(٩ — ١٠) وقتل ... فى فرقته : بالهامش (١٢) فتواترت : تواترت (١٧) اكتراث : اكتراثاً

المخذول ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللهِ قَدَراً مَقْدُوراً ﴾، ولبس الجيش قبل الملتقى بثلاثة أيّام ، ولم يزالوا على ظهور الخيل فى تلك المدّة ليلاً ونهاراً ، وحصل التعب والملال ،للخيل والرجال . ثمّ وردت الأخبار أنّ التتار ولّوا هاربين ، وإلى وراهم راجعين ، وبأنفسهم ناجعين ، وذلك لِما بلغهم من كثرة الجيوش الإسلاميّة ،والعساكر المحمّديّة ، وما هم عليه من العُدّة والسلاح ،وقوّة عزمهم على طلب الكفاح ،وكان هذا كلّه مكراً منهم وخديعةً للإسلام ، وغشاً لأمّة محمد عليه السلام . فظنّ المسلمون أنّ ذلك حقّا ،وأنّ التتار قد عجزوا عن الملتقى

فلمّا كان نهار الأربعا تاسع وعشرين ربيع الأوّل التقى الجيشان ، والتحم الضرب والطعان ، وذلك أنّ المسلمين ركبوا بعد صلاة الصبح من ذلك اليوم بالحدّ والحديد ، والجدّ الأكيد ، ركضاً بالمِقرعة والمِهماز ، وعاد الأمر حقيقةً لا مجاز . وكان الطالع فى ذلك اليوم أنّ الطالب مغلوب ، دون المطلوب ، لكن عُمِّيَت للأمر المقدّر القلوب ، ليكون ما كان كامناً من المقدور فى الغيوب . ولم يزل المسلمون على ذلك المشوار ، إلى الخامسة من ذلك النهار . فأشرفوا على جموع التتار ، وهم نزول على مواقد النار ، مستريحون الخيول والأبدان . ولا يُشكّ أنّ الراحة والتعب ضدّان ، وبَوْنٌ بين المستريح والتعبان ، وكلّ ذلك للأمور المقدّرة والأحكام المدبّرة . وحملت مَيْمنة المسلمين على ميسرة التتار فأفنَوْهم

---

(١) السورة ٣٣ الآية ٣٨ (٢) ليلا ونهاراً : ليل ونهار (٧) غشاً : غش (١٠) المسلمين : المسلمون (١٤) ولم يزل : ولم تزال (١٨) المسلمين : المسلمون

بالصارم البتّار، وركَنوا إلى الفرار، ولم يُعدم من ميسرة المسلمين إلاّ النادر القليل، وكذلك القلب من المسلمين، فإنّه فعل فعلاً جميل. ثمّ حصل تخاذل من الله عزّ وجلّ، فهربت ميمنة المسلمين وتبعها من كان ورا السناجق السلطانيّة، فصاروا من المنهزمين، وانتصرت الطغاة الباغون فـ ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ وذلك بعد العصر، وحصل للمسلمين حصر، وأيّما حصر! وساق مولانا السلطان فى طايفة يسيرة نحو بعلبكّ، والجيش بأمره قد اشتبك، وعادت الغنايم والأموال، والعُدد والأثقال، ملقاة ملو الأرض، فى طولها والعرض، ورمَوا الجند ساير عُدَدهم ليخفّوا عن خيولهم. وقد تحيّرت لتلك النازلة عقولهم، وتفرّقوا ثلاث فرَق، وتمزّقوا كلّ ممزّق. فأمّا الفرقة التى سلكت البرّيّة هلكت بأسرها، وكذلك التى طلبت السواحل بالمالح لم ينجو منهم إلاّ مَن كان فى أجَله تأخير، وذلك النادر. ونفذ فيهم مقدور القادر. ولم يسلم من هذه الطايفة التى سلكت الساحل إلاّ من رافق الأمير سيف الدين بلبان الطبّاخىّ. فإنّه جمع مماليكه وثقله وعبر فى تلك الطريق على حَميّة فى فارس وسبع ماية، والتأم به خلق كثير من الجند، فسلم من شرور الجبليّة. وأمّا الفرقة التى سلكت الجادّة فإنّها سلمت، ولم يُعدم منها إلاّ القليل. وكان الجبليّة والعربان على الناس أشدّ من التتار، حتى كأن كان لهم على الإسلام تار

ثم إنّ التتار ظنّوا أنّ تلك الهزيمة مكيدة من المسلمين، وكان ذلك لطفاً من ربّ العالمين. فإنّهم لم يتبعوا تلك الليلة للإسلام، إلى أن انقضى

---

(١) ميسرة: كان أصلها «ميمنة» وصححها الناسخ (٢) فعلا: فعل (٣) ميمنة: كان أصلها «ميسرة» وصححها الناسخ (٥) السورة ٢ الآية ١٥٦

حكم الظلام . هنالك تحقّقوا أنّ الهزيمة حقّاً ، فتبعوا هنالك المسلمين غرباً وشرقاً

وكان وصول الركاب الشريف السلطانىّ عزّ نصره وطلوعه إلى قلعة الجبل المحروسة ثالث عشر شهر ربيع الآخر كما يأتى ذكر أخباره السارّة بعد ذلك ، إنشا الله تعالى

ذكر ما جرى لدمشق من الأحوال النا كدة

ولمّا تحقّق الأمر عند أهل دمشق اشتدّ خوفهم وكثرت الأراجيف واختلفت الأقوال . فنهم من قال إنّ غازان مسلم ، وإنّ غالب جيوشه كذلك ، وإنّهم لم يتبعوا المسلمين من المنهزمين ، وبعد انفصال الوقعة لم يقتلوا أحداً . وكثرت الأقاويل فى ذلك . فلمّا كان يوم السبت رابع اليوم من الوقعة وقعت صيحة عظيمة بالبلد ، وخرجت النسا مهتّكات لمّا بلغهم أنّ التتار دخلوا البلد . ولم يكن لذلك ضجّة ، وانفرجت فى ساعة ، لكن بعد ما مات فى ذلك اليوم على أبواب دمشق جماعة نحو من عشرين نفر ، منهم شخص يسمّى النجم المحدّث البغدادىّ . وذلك لعظم الازدحام بالأبواب . وكان ليلة السبت قد خرج من البلد جماعة من أعيان الناس وكبار البلد وهم قاضى القضاة إمام الدين ، والقاضى جمال الدين المالكىّ ، وتاج الدين بن الشيرازىّ ، ووالى البلد ووالى البرّ والمحتسب مع جماعة كبيرة من بياض الناس ، وتوجّهوا إلى الديار المصريّة . وفى ليلة الخميس ، أحرقوا المحابيس ، باب سجن باب الصغير ، وخرجوا منه فى عدّة مايتى

(٥) إنشا الله تعالى : بالهامش (١٠) أحداً : احد

وخمسين نفر ، وتوجّهوا إلى باب الجابية وكسروا الأقفال وفتحوا الباب وخرجوا . وأصبح الناس يوم الأحد لا يدرون ما هم فيه ، ولا ماذا يفعلون

واجتمع الناس فى ذلك اليوم فى مشهد علىّ، وتشاوروا فى أمر الخروج إلى غازان . فكان ممّن اجتمع ذلك اليوم مَن يُذكر وهم : القاضى بدر الدين ابن جماعة، والشيخ زين الدين الفارقىّ، والشيخ تقىّ الدين بن التيميّة، وقاضى القضاة نجم الدين بن صصرى، والصاحب فخر الدين بن الشيرجىّ، والقاضى عزّ الدين بن الزكىّ ، والشيخ وجيه الدين بن منجى ، والصدر عزّ الدين بن القلانسىّ ، وأمين الدين بن شقير الحرّانىّ ، والشريف زين الدين بن عدنان، والشيخ نجم الدين < بن > أبى الطيّب ، وناصر الدين عبد السلام، والصاحب شهاب الدين بن الحنفىّ ، والقاضى شمس الدين بن الحريرىّ ، والشيخ الصالح شمس الدين قوام النابلسىّ ، وجماعة كبيرة من القُرّا والفقها والعدول ، وأجمعوا رأيهم على الخروج إلى غازان . فلمّا كان نهار الاثنين صلّوا صلاة الظهر وتوجّهوا إلى الله عزّ وجلّ وخرجوا ليُتقنوا أمر صلاح البلد

وعقيب خروجهم من البلد نادى منادٍ بدمشق من قبل أرجواش نايب القلعة المحروسة : بأمره ألاّ يُباع شىء من عُدّة الجند ، فسلطانكم صاحب مصر . وأبيعت الخيل بدمشق بخمسين وستّين درهم الفرس ، وبلغ الجوشن الذى قيمته مايتى درهم عشرين درهم . ولم يبق للناس سوق معروف ، بل يُنادون حيث شاؤا، ولا عاد فى البلد حاكم يُرجع إلى حُكمه ، وعاد الناس يأكلون بعضهم بعضاً ، ومن كان فى نفسه من أحدٍ شىء وقوى عليه أتلفه . فلمّا كان يوم الجمعة لم يُفتح للبلد باب ، فعند وقت الصلاة كسرت أقفال باب تُوما ، تولّى ذلك نوّاب الولاة . ثمّ أقيمت الصلاة ولم يُعيّن فى الخطبة اسم سلطانٍ

وبعد صلاة الجمعة وصل إلى ظاهر دمشق جماعة من التتار ، ويقدمهم منهم شخص يسمّى إسمعيل ، وقيل إنّه قرابة غازان . ونزلوا بستان الظاهر من طريق القابون ، وعلى يدهم فرمان غازان بالأمان ، وسيّروه إلى المدرسة البادرائيّة ، وحُمل وطيف به على الأعيان ، وهو فى كيس جلدٍ . واجتمع الناس ليُقرأ ، فلم تتهيأ ذلك اليوم له قراية بالمدرسة المذكورة . ثمّ قيل للناس : اجتمعوا بالجامع ! — فاجتمع الناس حتى امتلأ الجامع . ثمّ خرجوا ولم يقرأ . ثمّ وصلوا تلك الأعيان المذكورون الذين كانوا توجّهوا إلى غازان بعد غيبة أربعة أيّام . وذكروا أنّهم التقوا غازان فى الليل وهو ساير بجيوشه . فنزلوا بين يديه ، وقبّل بعضُهم الأرض ، فوقف لهم وترجّل جماعة من المغل بين يديه ووقف الترجمان وتكلّم بينهم بما مضمونُه : إنّ الذى طلبتوه من الأمان قد أرسلناه إليكم قبل حضوركم ومن قبل سؤالكم . — وكان المتكلّم من الجماعة الصاحب نجم الدين الشيرجىّ . ثمّ إنّ غازان نزل المرج . وذكروا أنّه لا يدخل البلد إلاّ يوم الجمعة ، ولا يُفتح إلاّ باب واحد لأجل منع من يتعبّث من التتار . ثمّ لمّا كان يوم الجمعة لم يدخل غازان البلد . وحضر الأمير إسمعيل ورفيقه الأمير محمد ، ومعهم جماعة من التتار ، إلى مقصورة الخطابة وصلّوا الجمعة . واجتمع تلك الأعيان المذكورون ، وأخرج الفرمان ، وتولّى قرايته رجل من الواصلين مع التتار ، وكان يُبلّغ عنه المجاهد المؤذّن وهذه نسخته :

بقوّة الله تعالى وإقبال دولة السلطان محمود غازان

ليعلم أمرا التوامين والآلاف والمئين مع عموم العساكر المنصورة من المغل

---

(٤) البادرائية : البادريه (١٣) إلا يوم : إلى يوم (١٧) قرايته : قرآنه (٢٠) الآلاف : والاف

والتتار والأرمن والكرج وغيرهم ممّن داخل تحت ربقة طاعتنا : أنّ الله لمّا نوّر قلوبنا بنور الإسلام، وهدانا إلى ملّة النبيّ عليه السلام ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ ٱللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ ٱللهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ولمّا أن سمعنا أنّ حكّام مصر والشأم ، خارجون عن طريق الدين ، غير متمسّكين بأحكام الإسلام ، ناقضون لعهودهم ، حالفون بالأيمان الفاجرة ، ليس لديهم وفا ولا ذمام ، ولا لأمورهم التيام، ولا انتظام، وكأنّ أحدهم ﴿ إِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ وشاع شعارهم بالحيف على الرعيّة ، وأضاعوا الحقوق المرعيّة ، ومدّوا أيديهم العادية إلى حريمهم وأموالهم وأولادهم وعيالهم ، والتخطّى عن جادّة العدل والإنصاف، وارتكابهم الجور والإعساف، حملتْنا الحميّة الدينيّة والحفيظة الإسلامية على أن توجّهنا إلى هذه البلاد، لإزالة هذا العدوان، وإماطة هذا العصيان ، مستصحبين الجمّ الغفير من العساكر التى ضاق بهم الفضاء ونسلّطهم على العصاة لله من الله قضاء ، ونذرْنا على أنفسنا إنْ وفّقَنا الله تعالى لفتح البلاد، أزلنا الفساد، عن العباد، ممتثلين للأمر الإلاهىّ ﴿ إِنَّ ٱللهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ ﴾ فللّه علينا بذلك الامتنان ، وإجابةً لما ندب إليه الرسول صلّى الله عليه وسلّم (إنّ المقسطين عندالله على منابر من نورٍ عن يمين الرحمن وكِلْتا يديه يمين الذين يعدِلون فى حكمهم) وحيث كانت طَويّتُنا مشتملةً على هذه المقاصد الحميدة والنذور الأكيدة ، مَنّ الله علينا بتبلّج

(٢ – ٤) السورة ٣٩ الآية ٢٢ (٧ – ٩) السورة ٢ الآية ٢٠٥ (١٥) ممتثلين : ممتثلا
ء الإلاهى : الاهى (١٥–١٦) السورة ١٦ الآية ٩٠ (١٧–١٨) الجامع الصغير ١ : ١٤٥

تباشير النصر المبين والفتح المستبين ، وأتمّ علينا نعمته ، وأنزل علينا سكينته ، قهرنا العدوّ الطاغية والجيوش الباغية ، وفرّقناهم أيدى سبا ﴿ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ حتى ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾ فازدادت صدورنا انشراحاً للإسلام ، وقويت نفوسنا بحقيقة الأحكام ، منخرطين فى زمرة من حبّب إليهم الإيمان وزيّنه فى قلوبهم وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان أوليك هم الراشدون فضلاً من الله ونعمةً ، فوجب علينا رعاية تلك العهود الموثّقة والنذور المؤكّدة

فصدرت مراسمنا العالية ألاّ يتعرّض أحد من العساكر المذكورة على اختلاف طبقاتها ، وتباين أجناسها واختلاف لغاتها ، لدمشق وأعمالها وساير البلاد الشأميّة الإسلاميّة ، وأن يكفّوا أظفار المتعدّى عن أنفسهم وأموالهم وحريمهم ، ولا يجولوا حولَ حماه بوجهٍ من الوجوه ، حتى يشتغلوا بصدورٍ مشروحةٍ ، وآمالٍ مفسوحةٍ ، لعمارة البلاد ، وتطهير الفساد ، وتطمين العباد ، بما هو كلّ واحدٍ بصدده من تجارةٍ وزراعةٍ وغير ذلك من كلّ صناعةٍ . وكان هذا الهوج العظيم وكثرة هذه العساكر ، وتزاحم هذه الدساكر ، تعرّض بعض نفرٍ يسير إلى نهب بعض الرعايا وأسرهم ، فأمرنا بقتلهم كيف رمَوْهم بشرّهم ، ليعتبر الباقون ويقطعوا أطماعهم عن النهب والأسر وغير ذلك من جميع الفساد . وليعلموا أنّا لا نسامح بعد هذا الأمر البليغ البتّة فى أذيّة أحدٍ من العباد ، ولا يتعرّضوا لأحدٍ من أهل الأديان على اختلاف أديانهم من اليهود والنصارى والصابئة ، فكلٌّ منهم قد عاد منّا

(٢ – ٣) السورة ٣٤ الآية ١٩ (٣ – ٤) السورة ١٧ الآية ٨١ (٥ – ٧) قارن السورة ٤٩ الآية ٧ و ٨ (٧) المؤكدة : الماكده (٨) أحد : احدا (١٩) والصابئة : والصابة

فى أمانٍ . فإنّهم إنّما يُؤدّون الجزية . ليكون لهم أمانٌ فى أموالهم ودماهم ، والسلاطين مُوصون على أهل الذمّة ، كما هم مُوصون على المسلمين من أهل هذه الأمّة . فإنهم من جملة الرعايا ، قال صلّى الله عليه وسلّم (كُلُّكم راعٍ وكلّ راعٍ مسئولٌ عن رعيّته)

فسبيل القضاة والخطباء والمشايخ والعلما ، والأكابر والشرفا والمشاهير وعامّة الرعايا ، الاستبشارُ بهذا النصر الهنىّ ، والفتح السنىّ ، وأخذ الحظ الوافر من السرور ، والنصيب الأكبر من البهجة والحبور ، مقبلين على الدعاء لهذه الدولة القاهرة والمملكة الطاهرة ، آناء الليل وأطراف النهار

وكتب خامس ربيع الأوّل سنة تسع وتسعين وستّ مايه

وكان قرايته على السدّة بالجامع المعمور بذكر الله تعالى ، المعروف بجامع بنى أميّة بدمشق المحروسة . فلمّا قرئ هذا الفرمان صاحت العوامّ ورعاع الناس ودعَوا للملك ، وأكثروا الضجيج كعادتهم فى ذلك . وحصل للناس بذلك سكون وطمأنينة . ثمّ استمرّ أوليك النفر من التتار بالمقصورة إلى صلاة العصر فصلّوا . ثمّ توجّهوا إلى منازلهم . وفى يوم الأحد تاسعه أهانوا جماعة الدماشقة بمدرسة القيمريّة بسبب تحصيل الخيل

ولمّا كان يوم الاثنين عاشره تقرّبوا من البلد وأحدقوا بدمشق واحتاطوا بالغوطة من كلّ مكانٍ . وكثر العبث والنهب والفساد . وأخذت ذخاير الناس ، وقُتلوا جماعة من أهل القرى والضياع ، وعمّ الأذى . ولم يعود

---

(١) يؤدون : يدون ‖ أمان : أماناً (٣ – ٤) الجامع الصغير ٢ : ١٥٨
(٥) والمشاهير : بالهامش (١٠) قرايته : قرآته (١٣) طمأنينة : اطمانينه

أحد يطيق الخروج من البلد ؛ وعاد الناس ينظرون من أسوار البلد إلى ما حلّ بالحواضر البرّانيّة مثل العُقَيبة والشاغور وقصر حجّاج وحِكر السمّاق من النهب وكسر الأبواب . وفى هذا اليوم اشتهر أن كثيراً منهم يمرّون بظاهر البلد ، ويتوجّهون إلى ناحية الكسوة ، فظنّ الناس أنّهم مأمورون بالتوجّه إلى مصر

وفى آخر هذا اليوم المذكور وصل الأمير سيف الدين قبجق والأمير سيف الدين بكتمر السلحدار إلى البلد ونزلوا فى الميدان . وتكلّموا فى طريقهم مع الأمير علم الدين أرجواش نايب القلعة ، وأشاروا عليه بتسليمها : «وإنّ دماء المسلمين فى عنقك . — فأجابهم : إنّ دماء المسلمين فى أعناقكم أنتم لأنّكم كنتم السبب فى مجى التتار . — ولم يُجيبهم إلى التسليم . وجرى بينهم كلام كثير ، هذا ملخّصه . وفى بكرة يوم الثلاثا خامس عشره ورد مثال من إسمعيل النايب ، مضمونه أنّ الجماعة الأعيان يجتمعون ويقفون لأرجواش ويحسّنون له تسليم القلعة ، ففعلوا ذلك فلم يجبهم إلى شى . وجرى بينهم كلام كثير

ولمّا كان يوم الجمعة خطب الخطيب بما صورته حسبما رُسم له به من الدعاء فى الخطبة للسلطان الأعظم سلطان الإسلام والمسلمين ، مظفّر الدنيا والدين محمود غازان ، وصلّى فى المقصورة جماعةٌ من المغل . فلمّا كان عقيب الصلاة حضر المقصورة الأمير سيف الدين قبجق . ثمّ إنّه صعد وصحبته الأمير إسمعيل إلى السدّة . واجتمع جماعة كبيرة من العالم تحت قبّة

---

(١) أحد : احداً (١ — ٢) الى ما حل بالحواضر : مكرر فى الأصل (٣) كثيرا : كثير

النسر . وذكر عبد الغنىّ إنعام الملك غازان . ثمّ دعا له . ثم قرئ عليهم مكتوب بتولية قبجق نيابة الشأم، بكماله وما معه وما هو مضاف إليه ، فكان ما هذا نسخته :

بقوّة الله تعالى وميثاق الملّة المحمّديّة

فرمان السلطان محمود غازان

الحمد لله الذى أيّدنا بالنصر العزيز ، والفتح المبين ، ونصرّنا بالملايكة المقرّبين ، وجعلّنا من جنده الغالبين ، نحمده على الهداية إلى سبيل المهتدين والإرشاد إلى إحيا معالم رسوم الدين ، حمداً يوجب المزيدَ من فضله كما وعد الحامدين ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، شهادةً ننصّها فى سلك المجاهدين ، وأن محمداً عبده ورسوله ، سيّد الأنبيا والمرسلين ، صلّى الله عليه وعلى آله ، صلاة تصله إلى يوم الدين

أمّا بعد : فإن الله تعالى لمّا ملّكنّا البلاد ، وفوّض إلينا بلطفه أمور العباد ، وجب علينا أن ننظر فى مصالحهم ، ونهتمّ بنصايحهم ، وأن نقيم عليهم نايباً ، يتخلّق بأخلاقنا فى كرم السجايا ، ويبلّغنا الأعراض من مصالح الرعايا . فأعملّنا الفكر فيمن نقلّده هذه الأمور ، ويكون آمراً على جميع هذه الممالك الإسلاميّة لا مأمور ، وأنعمنا النظر فيمن نفوّض إليه مصالح الجمهور ، واخترنا لها مَن يحفظ نظامها المستقيم ، ويقيم ما هوى من قِوامها القويم ، يقول فيُسمع مقاله ، ويفعل فتُتّقَى أفعاله ، يكون أمره من أمرنا ، وحكمه من حكمنا ، وطاعته من طاعتنا ، ومحبّته هى الغرَض إلى محبّتنا . فرأينا أنّ الجناب العالى الأوحدى المؤيّدى العضُدى

---

(٢) مكتوب : مكتوبا || مضاف مضافاً (١٧) نظامها نصامها (١٨) قوامها : قومها

النصيريّ العالميّ العادليّ الذخريّ الكفيليّ الممهّديّ المشيّديّ المجاهديّ المشيريّ الأثيريّ العاميّ النظاميّ السيفيّ سيف الدين ملك الأمرا فى العالمين ، ظهير الملوك والسلاطين قبجق . وهو المخصوص بهذه الأوصاف الجميلة ، والمحتوى لهذه السمات الجليلة ، فإنّه أذْخرَتْه المهاجرة إلى أبوابنا . ووصله القصد إلى ركابنا ، فرعَيْنا له هذه الحرمة ، وقابلناه بهذه النعمة . ورأينا أنّه لهذا المنصب حفيظ مكين ، وخاطَبنا لسان الاختيار أنّ نعم ﴿مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ وعلمنا أنّه يبلغ الغرض من صون الرعايا ، ويقوم مقامنا فى ساير القضايا . فلذلك رسمنا أن نفوّض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالممالك الشأميّة والحلبيّة والحمويّة والحمصيّة . وشيزر وبغراس وأنطاكية ، مع ساير الممالك الطرابلسيّة . وجميع الحصون والأعمال الفراتيّة ، وقلعة الروم ، والبيرة وباهسنا . وما أضيف إليها من الأعمال والثغور والقلاع والحصون ، نيابةً تامةً عامةً كاملةً شاملةً . يؤتمر فيها بأمره ، ويُطاع فيها نهيه . ولا يخرج أحد عن حكمه . له الأمر التامّ . والحكم العامّ . وحسن التدبير . وجميل التأثير . بالإحسان لأهل البلاد . واستجلاب الولاء والوداد ، ومؤمّن مرتبطين الآمال ناظراً . إلى من دخل تحت الطاعة بالامتنان . مشفقاً فى الاستخدام والتأمين ، مع ملك الأمرا والوزرا ناصر الدين . فإنّ اجتماع الأمر بركة . والهمم تُؤثّر إذا كانت مشتركة . فليبقَ كلّ من يؤمّناه بأمانهما . فإنّه أماننا أجْرَيْناه على قلبهما ولسانهما . وقد أنعمنا عليه بالسيف والسنجق الشريف والكوس والبايزة الذهب رأس السبع

---

(٧) السورة ٢٨ الآية ٢٦ (٩) بالممالك : بالمالك (١٦) مؤمن . ما من

وسبيل الأمرا والمقدّمين وأمرا العربان والتركمان والأكراد والدواوين والصدور ، بالأعمال والجمهور ، أن يتحقّقوا أنّه نايبنا الذى فوّضنا إليه النيابة الشريفة والمنزلة المنيفة ، أن يطيعونه سراً وجهراً، ولا يعصون له أمراً، وأنّ أمرهم إليه وقربهم لديه ، ممّا يحصل لهم به رضاه عنهم وقربه منهم ؛ وليلزموا عنده من الأدب والخدمة ما يجب . وليكونوا معـــه فى الطاعة والموافقة على المصالح كما يجب

وعلى ملك الأمرا سيف الدين ، تقوى الله تعالى فى أحكامه ، ونقضه وإبرامه ، وتقوية يد قضاته للشرع وحكّامه، وتنفيذ قضيّة كلّ قاضٍ على قول إمامه . وليتعاهد الجلوس للعدل فى ساير أيّامه، بطريقة العدل والإنصاف ، وأخذ الحقّ للمشروف من الأشراف ، وليقيم الحدود والقصاص على كلّ من وجب عليه ، وليكفف الكفّ العادية على كلّ من يرِد إليه ، والله تعالى يعجّل له إلى الخيرات سبيلاً ، ويوضّح له إلى مرضاة الله تعالى ومراضينا دليلاً ، إنشا الله

وكتب فى عاشر جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وستّ ماية

ولمّا فرغوا من قراية الفرمان نثروا عليه الذهب والفضّة ، وفرح الناس بولاية قبجق عليهم ظنّاً منهم أنّه يرفُق بهم . وذكر القاضى جلال الدين أنّه اجتمع به . فشكا إليه ما هو فيه من التعب ومُداراة التتار ، وأنّه يريد لأجل هذا التقليد ألفى دينار معجّلة سرعةً . فقال له القاضى جلال الدين : عندى فرس وبغلة ، أحملهما إليك تسعّر بهم . فقال : الخيل والبغال لهم ، ليس لكم فيها موئنة ؛ وإنما يطلبون الذهب الذهب

ثمّ نزل شيخ الشيوخ بالمدرسة العادليّة فى يوم الجمعة المذكور ، وأحضر إليه ضيافة . فأظهر العتب على أهل البلد لكون أنّهم لم يتردّدوا إليه . وادّعى

---

(١٩) مؤنة : مأنة

أنّه يُصلح أمرهم ، ويتّفق معهم على ما يعود نفعه عليهم فى أمر القلعة . فقال بعض الجماعة : إنّ قبجق هو يخبر أمر القلعة . — فكان جوابه : إنّ خمس ماية من قبجق ما يكونون فى فصّ خاتمى . — وظهر منه تعظيم كبير لنفسه

ثمّ إنّ التتار طلعوا إلى جبل الصالحيّة ، وفعلوا فيه من الأفعال القبيحة ما يطول شرحه ممّا تقشعرّ لهول سماعه الأبدان . فخرج الشيخ تقىّ الدين بن التيميّة إلى عند شيخ الشيوخ وصحبته جماعة من أهل البلد، وشكوا إليه الحال . فخرج إليهم فى يوم الثلثا وسط النهار . فلمّا بلغ التتار الذين كانوا بجبل الصالحيّة مجى شيخ الشيوخ هربوا بعد أن أخربوا جميع مساكنه ونهبوا ساير أمواله وسبوا حريم أهله وأولادهم وبناتهم ، وجرت عليهم أمور عظام لا يُطاق سماعها ، أضربْتُ عن ذكر جميع ذلك

ثمّ إنّهم أحرقوا فى دمشق نفسها عدّة أماكن التى بجوار القلعة بسبب الحصار . ونزلوا التتار بباب البريد والجامع الأموىّ ، وشربوا فيه الخمور وفجروا بحريم المسلمين ،وفعلوا كلّ فاحشة من العظايم ، فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلىّ العظيم

قلتُ : الناس يستعظموا ما جرى على دمشق وأهلها من فعل التتار الكفّار الذين ليس لهم دين ولا مذهب يرجعون إليه ، فقد جرى على دمشق وأهلها من المغاربة ، أصحاب المعزّ ، أوّل الخلفا الفاطميّين ، بزعمهم بمصر ، ما إذا قابل به القارئ له فى الجزء السادس من هذا التأريخ ، وهو الجزء المختصّ بذكر الخلفا العبيديّين من المصريّين ، استقلّ عنده فعل التتار هذا واستصغره ،

(٣ - ٤) تعظيم كبير : تعظيما كبيرا

هذا وهم مسلمون وخلفاهم يدّعون أنّهم علويّون وفاطميون، فـ ﴿ إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾

ثمّ إنّ التتار أخذوا من دمشق تقدير عشرة آلاف فرس . ثمّ قرّروا على أهلها الأموال ، فكان المقرّر على أسواق دمشق ما يُذكر : سوق الخوّاصين مايه ألف وثلاثين ألف درهم ، وعلى الرمّاحين مايه ألف درهم ، سوق عليّ مايه ألف درهم ، سوق النحّاسين ستّين ألف درهم ، قيساريّة الشرب مايه ألف درهم ، حتى وصل التقرير على سوق الذهبيّين مع صِغَره وقلّة أهله وقرّر عليه ألف وخمس مايه درهم . ثمّ لم يقنعوا بذلك حتى قرّروا على جميع أسواق دمشق مع أعيان سعدايها وأكابرها ، تتمّة ثلاث مايه ألف دينار ، وجُبيت على حساب أربع مايه ألف دينار . ورسم على أهل البلد طايفة من شرار المغل ، وألزموهم بالمَبيت فى المشهد الجديد بالجامع ، وفيه كان الاستخلاص ، ومنعوا من يدخل إليهم ، وأمروا بعصر ابن شقير ، ووُعد بذلك ابن منجّى وابن القلانسيّ وغيرهم من كبار البلد ، وعادوا يضربوهم على ظهورهم ويمسكون أكمامهم ، وكذلك جرى على قاضى القضاة نجم الدين بن صصرى . هذا وقد كثر النهب فى البلد وزاد البلاء على الناس وعظُم الأمر . وعادوا يتسوّرون على الناس من الأسطحة وكسروا الأبواب ، وكان ذلك فى يوم الجمعة ثامن وعشرين الشهر ، لا سيّما وقت الصلاة ، وتهاربت الناس من سطح إلى سطح ، ووقع من الناس جماعة ، وكسرت أرجلهم وأضلاعهم . ثمّ جُبى على الرءوس وكان المطلوب شيئاً كثيراً لا تحمّله البلد ولا تقاربه ، فعسر الأمر على الناس : وكان متولّى الطلب الصفيّ السنجاريّ وعلاء الدين أستادار قبجق وأبناء الشيخ

(١ – ٢) السورة ٢ الآية ١٥٦ (٨) ألف وخمس مايه : الفو خمس مايه (١٩) شيئا كثيراً : شى كثير (٢٠) وأبناء : وآبناى

الحريرىّ . وعملوا الشعراء فى هذه النازلة أشعاراً كثيرةً ، فمن ذلك للقاضى كمال الدين بن الزملكانىّ يقول < من البسيط > :

لهفى على جِلّق يا سوء ما لقيت　　من كلّ علجٍ له فى كفره فنّ
بالطمّ والرمّ جاءوا لا عديد لهم　　والجنّ بعضهم والحنّ والبنّ

غيره < من الطويل > :

دهتْنا أمور لا يطاق احتمالها　　فسلّمْنا منها الإله له المنّ
أتتنا تتار كالرمال تخـالهم　　هم الجنّ حتى معْهم الحنّ والبن

الكمال ماجد الشافعىّ < من الطويل > :

أقِم عذرَ جيشٍ طالما قتل العدا　　بدارهمُ قهراً وكم غارةٍ شنّوا
إذا ولّوا الأدبار من كلّ كافرٍ　　كريمه بغض قد حكى وجهَه سنّوا
أتى جيشهم بالمغل والكرج عصبةً　　وأصحاب سيسٍ فيه والحنّ والبنّ

ابن البَيْسانىّ < من الطويل > :

أتى الشام جيش كالرمال عرمرم　　فلم يبقَ أرض من نواحيه ما جنّا
ولازم قوماً فى دمشق بسببه　　ونهبٌ وقتلٌ ثمّ أموالنا جنّا
وقد رجعوا تلك الطموم وخلّفوا　　بقاياهم بولاى والحنّ والبنّا

عبد الغنىّ الحريرىّ < من الطويل > :

بلينا بقوم كالكلاب أخسةٍ　　علينا بغارات المخاوف قد شنّوا
هم الجنّ حقّاً ليس فى ذاك رِيبة　　ومعْ ذا فقد والاهم الحنّ والبنّ

---

(١) أشعاراً : اشعار　(١٠) كريمه بغض قد : بياض فى الأصل ، أضيف من ز ت ٧٢

ابن قاضى صرخد < من الطويل > :

رمتْنا صروف الدهر منها بسبعةٍ   فما أحد منّا من السبع سالم
غَلاء وغازان وغزو وغارة   وغدرٌ وإغبان وغمّ ملازم

ذكر رجوع غازان إلى الشرق

لمّا كان يوم الجمعة ثانى عشر جمادى الأوّل عزم غازان على الرجوع إلى بلاده ، لا ردّه الله . وأنّه يترك نايباً وعسكراً من التتار بالشأم : ثمّ رحل بطغاته وجيوشه وترك عدّة من التتار ، واليزك لم يبرح حول القلعة ، وكان الحصار ظاهر البلد حول القلعة وكذلك من داخلٍ ، ويرمون من القلعة بحجارةٍ كبارٍ ، ويكثرون من رفع الأصوات ، بذكر الله تعالى والصلاة على محمد صلّى الله عليه وسلّم . ولمّا رحل غازان ترك بهاء الدين قطلوشاه نايبه مع جمعٍ كثيرٍ

ورسم يوم السبت بإخلاء المدرسة العادليّة ، ووقف التتار على بابها ، فخرج أهلها وعاد كلّ من خرج فتّشوه وأخذون ما يختارون أخذه . وأحرقوا جامع العقيبة ، وعادت التتار تعمل فيه أيّاماً وسقطت منارته . ولمّا كان يوم الأحد الحادى والعشرين منه أحرقوا المدرسة العادلية ، واحترق بها كتب كثيرة . فلمّا رأوا أهل المدرسة الظاهريّة ذلك انتقلوا منها ، وعادوا يرمون قماشهم من سطح حمام أسد الدين وحمام العقيقىّ ، ولا ينزلون من الباب خوفاً من اليزكيّة . وأمّا باب البريد فما عاد

(١٦) رأوا : راو

يعرف بما حوله من الأماكن لخرابها . وأمّا دار السعادة فخربت جملةً كافيةً . ولم يزل الحال مستمرًّا إلى يوم الثلثا توجّه أيضاً قطلوشاه ، وخرج قبجق إلى وداعه . وفى أثناء هذا اليوم دُقّت البشاير بالقلعة وهربت جماعة من التتار ليلة الأربعا ، وأصبح يوم الأربعا قُطِعت أخشاب المنجنيق . واشتدّ الطلب على من كان يلوذ بالتتار ، وحُمل القمىّ وغيره إلى القلعة ، وطُلب أبناء الشيخ الحريرىّ فاختفيا . وفى ذلك اليوم نودى بالبلد : طيّبوا قلوبكم وافتحوا دكاكينكم وتهيّوا لملتقى سلطان الشأم سيف الدين قبجق ، واخرجوا له بالشموع ! وفى مناداة أيضاً : قد دفع الله عنكم العدوّ المخذول ! — فتعجّب الناس من ذلك .

وحكى الشيخ علم الدين البرزالىّ ، قال : اجتمعتُ يوم الخميس الخامس والعشرين من الشهر بالشيخ تقىّ الدين بن التيمية ، فذكر أنّه اجتمع ببهاء الدين قطلوشاه ، وذكر له أنّه من عظم جكزخان ، ولحية قطلوشاه أجرود ولا شَعرة بوجهه أصلاً ، وأنّه كان له فى ذلك العهد من العمر اثنتين وخمسين سنة ، وأنّه ذكر له أنّ الله عزّ وجلّ ختم الرسالة بمحمد صلّى الله عليه وسلّم ، وأنّ جكزخان جدّه كان مسلماً ، وكلّ من خرج من ذرّيّته مسلمين ، ومن خرج من طاعته فهو خارجىّ ، وذكر أيضاً اجتماعه بالملك غازان ، والوزير سعد الدين ، ورشيد الدولة الوزير المتطبّب ، وكذلك بالشريف قطب الدين ناظر الخزانة ، والكاتب صدر الدين ، والنجيب الكحّال اليهودىّ ، وشيخ الشيوخ نظام الدين محمود ، وأصيل الدين بن النصير الطوسىّ ناظر الأوقاف ، وهؤلاء كانوا أعيان دولة الملك غازان ، وذكر أيضاً أنّه

---

(١٠) البرزالى : البورالى (١٢) ولحية : وحلية (١٥) مسلما : مسلم

رأى عند قطلوشاه صاحب سيس الملعون . وهو أشقر أزرق كثّ اللحية ومعه طايفة من الأرمن عليهم الذلّة والمسكنة . وكان سفرُ قطلوشاه ظُهرَ يوم الثلثا الثالث والعشرين من الشهر . وكان سببَ اجتماع الشيخ تقيّ الدين بهؤلاء الأُسرا ، وقال إنّهم يكتبون فى جميع فرامينهم بقوّة الله وبميثاق الملّة المحمّدية ! وذكر أنّه اجتمع بشخصٍ منهم فيه دين وسكون وصلاة حسنة . فسأله : ما السبب فى خروجك وقتالك المسلمين وأنت كما أرى منك ؟ — فقال : أفتانا شيخنا بتخريب الشأم وأخذ أموالهم . لأنّهم لا يصلّون إلاّ بالأُجرة ولا يؤذّنون إلاّ لذلك ولا يتفقّهون إلاّ بمثل ذلك

وذكر وجيه الدين بن منجّى وابن القطنة أنّه هلك لكلّ منهما ماية وخمسين ألف درهم . وذكر ابن منجّى أنّ الذى حُمل إلى خزانة غازان من المال ثلاثة آلاف ألف وستّ ماية ألف درهم سوى ما لحق ذلك من التراسيم والبراطيل والاستخراج لغيره من الأمراء والوزراء وغير ذلك . وأنّ الصفيّ السنجاريّ الذى كان على مستخرجٍ جبَى لنفسه ثمانى ماية ألف درهم وحصّل لشيخ الشيوخ ستّ ماية ألف درهم . وأصيل الدين مايتى ألف درهم والأمير إسمعيل مايتى ألف درهم والوزير نحو من أربع ماية ألف درهم خارجاً عن جماعة أُخر وعن البراطيل والتراسيم

وفى يوم الخميس عاد الأمير سيف الدين قبجق من توديع قطلوشاه ودخل من باب شرقيّ وخرج من باب الجابية فتحوهما بسببه . ثمّ نزل القصر الأبلق . وفى يوم الجمعة نُودِيَ فى البلد . اخرجوا إلى بلادكم وضياعكم ! وكان قبل ذلك نودى لا يُغَرِّر أحد بنفسه ! — فتعجّب الناس

(٨) يؤدنون بأدنون (٩) ابن القطنة ابن قطينة ر ت

من ذلك . وغلت الأسعار بدمشق ووصل القمح كلّ غرارةٍ بثلاث مائة
درهم وستّين درهمًا ، والشعير إلى ماية وخمسين ، والخبز رطل بدرهمين
٣ ونصفَ ، وما أشبه ذلك من الأصناف المأكولة

وفى تاسع عشرين الشهر دخل قبجق والجماعة الذين معه إلى البلد ونزلوا
تحت مأذنة فيروز بدار بهادر رأس نوبةٍ ودار المطروحىّ وامتلأت تلك
٦ الناحية بهم ، والأمير يحيى بدار طوغان داخل باب توما . ونودى فى
آخر النهار : يا أهل القرى والضياع ، اخرجوا إلى أماكنكم ! رسم بذلك
سلطان الشأم سيف الدين قبجق . — ثمّ استهلّ شهر جمادى الآخرة أوّله الثلثا ،
٩ وهم ينادون كذلك . ثمّ إنّ قبجق أمّر من جهته أُمرا ، منهم علاء الدين
أستاداره ، وولاّه البرّ عوضاً عن ابن الجاكىّ ، وانضاف إليه جماعة
كبيرة من الجند وكثُر الناس على بابه . وفُتحت أبواب البلد خلا الأبواب
١٢ التى بجوار القلعة . وفى يوم الجمعة الرابع منه ضُربت البشاير بقلعة دمشق
وقيل: وضُربت على باب قبجق أيضاً . — وصلّى فى ذلك اليوم الأمير يحيى
بجامع دمشق وتصدّق بشى من المال على الفقرا . وكان قبجق يقوم بوظايف
١٥ السلطنة فى ساير أحواله ، وركب بالعصايب والجاويشيّة . واجتمع عليه
خلق كثير من أجناد دمشق وغيرها ، وكتب التواقيع لأرباب الولايات ،
وعاد سلطاناً مستقلًّا

١٨ وفى العشر الأوسط من هذا الشهر جرت عِدّة أحوال . منها أنّه أمر
ثلاثة نفر وركبوا بالشرابيش

ومنها أنّه نادى فى البلد بإدارة الخمر والفاحشة بدار ابن جرادة
٢١ ظاهر باب تُوما ، وضمن ذلك كلّ يوم بألف درهم نقرةٍ

---

(١٣) وضربت : مكرر فى الأصل (١٤) بوظايف : بوضايف

ومنها أنّه نادى : من كان من غلمان مصر وعنده قماش لأستاذه فليحفظه

ومنها أنّ جماعةً من القلعة ركبوا وساقوا إلى مسجد الذباب ظاهر باب الجابية، ورجعوا وبين أيديهم نفر من التتار . فظنّ العوامّ أنّ المصريّين قد وصلوا والتتار هاربين منهم ، فقاموا على جماعةٍ من التتار فقتلوهم ، ولم يظهر لِما ظنّوه خبر ، فتشوّش البلد أيضاً وغُلّق باب الصغير وأرجف الناس بسبب الطلب بدم التتار المقتولين

ومنها أنّ الأمير سيف الدين قبجق جبى لنفسه أيضاً مبلغاً ، ولم يُعْفَ منها أحد

ومنها أنّه اشتهر رجوع بولاى المقدّم من الأغوار بالعسكر الذين كانوا معه ، وتخوّف الناس منهم

وفى العشر الأخير من الشهر المذكور نزل أيضاً جماعة من القلعة وقتلوا جماعةً من التتار وحصلت خبطة عظيمة ، ومُسك جماعة من الذين كانوا يُنسبون إلى المشى مع التتار ، وجبيت أيضاً جباية أخرى لبولبه مقدم التتار

ودخل الخطيب بدر الدين بن جماعة والشيخ ابن التيميّة إلى القلعة ومشوا فى الصلح بين أرجواش ونوّاب التتار . فلم يوافق أرجواش رحمه الله على ذلك ، ولم يزل الأمر كذلك إلى مستهلّ شهر رجب الفرد

وفى الثانى من الشهر طلب قبجق أعيان البلد وحلّفهم للدولة المحموديّة بالنصح وعدم المداجاة

---

(١٤) أخرى : الاخرى (١٩) بالنصح : بالبفح

وفى يوم الخميس توجّه الشيخ تقىّ الدين بن التيميّة إلى مخيّم بولاى مقدّم التتار يسأل فى المأسورين ، وكانوا خلقاً كثيراً . وتحدّث بولاى فى أمر يزيد بن معاوية مع الشيخ ، وسأله : هل يجوز لعنته أم لا ؟ — ففهم الشيخ أنّ فيه موالاة ، فكلّمه بما لاق بخاطره بغير شيء يكره . فقال : هؤلاء أهل دمشق هم قَتَلة الحسين بن علىّ صلوات الله عليه . فقال له الشيخ : إنّه لم يكن من أهل دمشق مَن حضر قتلة الحسين عليه السلام ، وقُتل عليه السلام بأرض كربلا من العراق . فقال : صحيح . وكانوا بنو أميّة خلفا الدنيا ، وكانوا يحبّون سكنى الشأم . فقال الشيخ : وماذا يلزم من ذلك فى قتلة الحسين ، وهذه الشأم مابرحت أرضاً مباركةً ومحلّ الأوليا والصلحا بعد الأنبيا صلوات الله عليهم . — ولم يزل به حتى سكن غضبه على أهل الشأم . ثمّ ذكر للشيخ أنّ أصله مسلم من أهل خراسان . وجرى بينه وبين الشيخ كلام كثير

وفى عشيّة السبت رابع الشهر صحّ أنّه لم يبقَ بالطرقات ولا فى ضواحى دمشق أحد من التتار . ونودى بذلك ، فاستبشر الناس بذلك . فسافرت الناس يوم الخميس إلى تاسع الشهر حصل تشويش بسبب رجوع طايفةٍ من التتار . وكان الناس قد خرجوا إلى غياض السفرجل ، فرجعوا مسرعين فزعين . ونُهِبَ بعضهم ورَمى بعضهم نفسه فى النهر

وحصل للناس تشويش أيضاً يوم الأربعا خامس عشر الشهر ، وخرج الأمير سيف الدين قبجق وطلب الأبواب الشريفة السلطانيّة والناصريّة أعلاها الله تعالى ، وصحبته الأمير سيف الدين بكتمر السلحدار وبقيّة الأمرا . وعادت دمشق خاليةً بغير من يحكم فيها . فنُودِىَ فى البلد من جهة أرجواش :

---

(٢) خلقاً كثيراً : خلق كثير (٦) السلام : السلم (٩) أرضاً ارض

احفظوا البلد والزموا الأسوار ! — وعادت الناس فى وجلٍ كثيرٍ ، إلى يوم الجمعة أعيدت الخطبة باسم مولانا السلطان الأعظم الملك الناصر عزّ نصره ، وأدامها باسمه آخر الدهور ، وإلى يوم البعث والنشور . وكان قد خُطب باسم غازان بدمشقماية يوم إلى ذلك اليوم المبارك . فحصل للناس من السرور ما لا يمكن شرحه ، فللّه الحمد والشكر والثنا الحسن الجميل

ذكر عودة جيوش الإسلام
بالنصر إلى بلاد الشام

وأمّا ما كان من عودة ركاب مولانا السلطان إلى الديار المصريّة فإنّه عند عودهِ من حمص حسبما ذكرنا ، وطلع إلى القلعة المحروسة يوم الأربعا ثانى عشر ربيع الآخر ، وتبعه الجيوش متفرّقة ، وأحوالهم ممزّقة ، ضِعاف عُراة مُشاة إلاّ القليل منهم . ففتح الخزاين المعمورة ، ونفق فى الجيوش المنصورة لا المكسورة . وسخا بالأموال . واستخدم الرجال ، واستكثر من العدّ والعديد . والحدّ والحديد . ومنّ الله تعالى فى ذلك الوقت بوجود العُدد والخيول . حتى عادوا كالسيول ، لكن تحسّنت العُدد تحسيناً عظيماً بغير قياس ، حتى بلغ الجوشن الذى كانت قيمته فى غير ذلك الوقت عشرة دراهم نقرةٍ فبلغ مايتى درهم وأكثر . وجميع العُدد على هذه النسبة . وبلغ صرف الدينار ثمانى عشرة درهم نقرةٍ . ولقد سمعتُ من إنسان جندىّ كان اسمه سنقرشاه الحسامىّ من مماليك الأمير حسام الدين طرنطاى رحمه الله يحكى للأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير . وهو يومئذٍ نازل بالعبّاسة

---

(١٥) تحسينا عظيما : تحسين عظيم

يرمى بندقاً فى سنة أربع وسبع مايه فى الليل ، وأنا أسمع ، قال عن نفسه: أنا كسبْتُ فى فرد صنفٍ واحدٍ سبع مايه ألف درهم نوبة غازان . اشتريت الذهب سعر ثمانية عشر درهم الدينار ، وأبعتُه بعد ذلك بخمسة وعشرين الدينار ، فشريت مايه ألف دينار ، كسبتُ فيها سبع مايه ألف درهم . — وهذا سنقر شاه المذكور الذى كان سببَ سعادة الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ، فإنّه كان مدّعى أنّه أخوه . فلمّا مات سنقر شاه أوصى بجميع ماله للأمير سيف الدين بكتمر الحاجب . وكان سنقر شاه المذكور يتّجر فى كلّ صنفٍ

ولنعود إلى سياقة الكلام ! واستعدّت الناس وخرجوا فى ركاب مولانا السلطان عزّ نصره ، وقد أباعوا أنفسهم لله تعالى بالجنّة وهى دار الأبد ، وخرجوا وقد خرجوا عن المال والولد . فعرف الله عزّ وجلّ صدق نيّاتهم ، فمحا عنهم سيّئاتهم ، وكشف عنهم تلك النوازل والكُرَب ، وأرمى فى قلوب أعدايهم الرُعب والرّهب ، حتى لم ينجيهم غير الهرب !

وذلك لمّا سمعوا بعود العساكر المنصورة ، فى أحسن زىّ وأليق صورة ، تعجّبوا لذلك كلّ العجب ، وتهيّوا للهرب ، لينجوا من العطب . فإنّ عادة التتار إذا كسروا لم ينجبروا إلاّ بعد مدّةٍ كبيرة ، وأخذتهم لذلك الحيرة ، وأرمى الله تعالى فى قلوبهم الرُعب . فولّوا الأدبار ، وتركوا لأهلها الديار ، ورجعوا إلى بلادهم قاصدين ، وعلى أرضهم واردين . وضُرِب بهزيمتهم عند ذلك المثال ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ﴾

وتوجّهوا الأمرا الذين كانوا مقفرين ، إلى خدمة ركاب مولانا السلطان طايعين ، وفى إحسانه طامعين ، وبجوده إليه متشفّعين . فأحسن إليهم وأقبل

---

(١) بنقاً : بندق (٧) أوصى : وأوصى (١٩) السورة ٣٣ الآية ٢٥

عليهم وجمع شمل الإسلام ، ببركات نبيّه عليه السلام . وكان اجتماعهم بالركاب الشريف السلطانىّ عزّ نصره بمنزلة الصالحيّة ، وأشاروا بالعود إلى الديار المصريّة . فعاد ركابه الشريف إلى قلعة الجبل المحروسة فى يوم السبت خامس شهر شعبان المكرّم . ثمّ توجّه بقيّة الجيش المنصور مع من يُذكر من الأمرا إلى دمشق المحروسة لتطمئنّ بقدومهم النفوس ، وتزول تلك النحوس والعكوس . فأوّل من دخل دمشق الأمير جمال الدين آقوش الأفرم فى جيوش الشأم . وخرج الناس ليرَوْهم ، وشكروا الله عزّ وجل وهو المستحقّ لذلك . ثمّ وصل يوم الأحد الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورىّ فى جيوش حلب . ثمّ الأمير سيف الدين أسندمر فى عسكر طرابلس . ودخل يوم الاثنين ميسرة الجيوش المصريّة يقدُمهم الأمير بدر الدين بكتاش الفخرىّ أمير سلاح . ودخل يوم الثلثا ثالث عشره ميمنة الجيوش المصريّة يقدمهم الأمير حسام الدين الحسام أستادار . ودخل يوم الأربعا القلب المصرىّ ، وفيه الأمير سيف الدين سلاّر ، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، وزين الدين كتبغا ، وسيف الدين الطبّاخىّ . ونزلت الجيوش المنصورة بالمرج بظاهر دمشق المحروسة . ونزل الأمير سيف الدين سلاّر بالميدان بالقصر الأبلق . وجلس يوم السبت وأخلع على عزّ الدين ابن القلانسىّ قريب والده شاهد الخزانة المعمورة . وكان الإقامة بدمشق ثمانية أيّام . وتفرّقت الجيوش إلى بلادها ، مع أمرايها ونوّابها . وعادت الجيوش المصريّة فى خدمة نايب السلطنة المعظّمة الأمير سيف الدين سلاّر رحمه الله إلى الديار المصريّة . وكان دخولهم يوم الثلثا ثالث شهر شوّال

---

(٥) لتطمئن : لتاطمين

وأمّا الأمير جمال الدين نايب الشأم فإنّه توجّه يوم الجمعة العشرين من شوّال بالعسكر الشأمىّ وصحبته من الرجّالة والفلاّحين جمع كثير ، وقصد جبل الكسروان والدرزيّة ، فقتلهم قتلاً ذريعاً بسبب ما كانوا اعتمدوه فى حقّ الجيوش الإسلاميّة حسبما تقدّم من فعلهم الذميم ، وكسّرهم كسرةً شنيعةً ، وذلك فى ثانى شهر ذى القعدة . ودخلوا تحت الطاعة قسراً وقُرّر عليهم مال كثير ، والتزموا بذلك وبجميع ما أخذوه من العساكر ، وأُقطعت أراضيهم وبلادهم . ثمّ عاد الأمير جمال الدين بالعساكر ودخل دمشق يوم الأحد ثالث عشر ذى القعدة . وخرج أهل دمشق والتقوه

وأمّا الذى احترق بدمشق فى أيّام التتار مع ضواحيها : فمن البيمارستان النورىّ إلى الناصريّة ، ومسجد صابون ، ودار الحديث الأشرفيّة ، وتربة الصاحب نور الدين ، ومسجد الأسديّة . وسلّم الله تعالى الجامعَ . وأمّا جبل الصالحيّة ، فلم يبقَ به شى على حاله ، مع شيٍ كثيرٍ فى جميع ضواحى دمشق ، والله أعلم . وهذا آخر ما وصلت إليه القدرة فى ذكر أخبار التتار

وفى هذه السنة توفى الأمير علم الدين الدواداريّ رحمه الله بحصن الأكراد ، وصلّوا عليه بدمشق يوم الجمعة رابع وعشرين شهر رجب ، وكان رحمه الله من الأمرا الكبار الأعيان الفضلاء الحافظين الدايبين الورعين

وقيل فى هذه السنة كان وفاة الملك المظفّر صاحب حماة المقدّم ذكره والله أعلم

---

(١٨) والله أعلم : بالهامش

ذكر سنة سبع ماية هجريّة

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم

الخليفة : الإمام الحاكم بأمر الله أبو العبّاس أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان : الملك الناصر ، عزّ نصره ، سلطان الإسلام من حدود بلاد دُنْقُلة إلى شاطى الفراة ، أدام الله أيّامه

والنوّاب : الأمير سيف الدين سلاّر نايب السلطنة المعظّمة بالأبواب الشريفة ، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير أستادار ومشارك فى الأمور ، والوزير الأمير شمس الدين سنقر الأعسر ، والأمير سيف الدين بكتمر أمير جاندار ، والأمير شمس الدين سنقر الكمالىّ حاجب ، والأمير علاء الدين طيبرس الخزندارىّ أمير نقبا الجيوش المنصورة بالأبواب العالية ، وقاضى القضاة بالديار المصريّة الشيخ تقىّ الدين بن دقيق العيد رحمه الله ، وناظر الجيوش المنصورة القاضى بهاء الدين بن الحلّىّ ، وصاحب الديوان وكتابة المماليك السلطانيّة كرّمها الله تعالى القاضى فخر الدين . وصاحب ديوان الإنشا الشريف القاضى شرف الدين بن فضل الله

والنوّاب بالممالك الإسلاميّة : الأمير جمال الدين أقوش الأفرم ملك الأمرا بدمشق المحروسة ، والأمير شمس الدين قراسنقر المنصورىّ نايب حلب ، والأمير زين الدين كتبغا نايب حماة . والأمير سيف الدين قطلو بك نايب طرابلس ، والأمير جمال الدين آقوش الأشرفىّ نايب الكرك المحروس ، والأمير سيف الدين بلبان طرنا نايب صفد ، والأمير سيف الدين قبجق

---

(٣) أبو : ابى (٧) أستادار مشارك : استاداراً مشاركاً (٨) شمس الدين سنقر الأعسر : عز الدين أيبك البغدادى ، مصحح بالهامش (٩) جاندار : جانداراً ‖ حاجب : حاجباً (١٣) كرمها : كرم

نايب الشوبك ، وبدر الدين الزردكاش نايب باهسنا . وسيف الدين طوغان نايب البيرة ، وفخر الدين أياز نايب قلعة المسلمين ، والغُتْمىّ نايب الرحبة ، وأمير العربان الأمير حسام الدين مهنّا بن عيسى بن مهنّا

وملوك الأقطار ، بالأقاليم والأمصار : صاحب مكّة شرّفها الله تعالى أبو نُمَىّ محمد بن إدريس بن قتادة بن حسن الحسنىّ . صاحب المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام : جمّاز بن شيحة الحسينىّ ، صاحب اليمن : الملك المؤيّد هزبر الدين داود بن الملك المظفّر المقدّم ذكره . صاحب دلى بالهند : الملك المسعود محمود بن سنجر عتيق إيتامش مملوك الغورىّ ، صاحب الصين بتخت مملكة التتار : قآن واسمه قلاصاق شرمون بن منغلاى ابن قبليه بن طلوا بن جكزخان تمرجى صاحب أصل عظم التتار المقدّم ذكره ، صاحب ما ورا النهر من ملوك التتار : جبارا بن قيدوا بن قنجى ابن طلوا بن جكزخان تمرجى المقدّم ذكره وكرسىّ مملكته بأرض صراى . صاحب البلاد الشماليّة من ملوك التتار أيضاً : طقطاى بن منكوتمر بن طغان ابن باتوا ، تملّك بعد أنغاى المقدّم ذكره وكرسىّ مملكته سُوداق وباتوا ابن جكزخان، وهم بيت باتوا الذين كان لهم الخمس من الفتوحات ؛ وصاحب البلاد الشرقيّة من ملوك التتار أيضاً : منغطاى بن قنجى بن أردوا بن دوشى خان بن جكزخان تمرجى ، وهؤلاء كلّهم من عظمه . وقد كانت هذه الممالك جميعها مملكةً واحدةً فى حياته . وكان آباء هؤلاء كالنوّاب له فى هذه النواحى . فلمّا هلك تغلّب كلّ واحد وبنيه على ناحية وتملّك بها ، وعادت الحروب والوقايع بينهم لطفاً من الله عزّ وجلّ ، وإلّا

---

(٦) والسلام : والسلم (٩) قآن : قآان (١٠) طلوا : قطلوا (١٣) بن : ابن (طغان) ، مكرر فى الأصل (١٦) قنجى : صحى ‖ أردوا . اردىوا (٢٠) لطفاً : لطف

والعياذ بالله ! لو كانت كلمتهم مجتمعةً كأوّل حال ، لكان الحال بخلاف هذا الحال ، وصاحب العراقين وخراسان : غازان بن أرغون بن أبغا بن هلاوون ، وهذا البيت عندهم لا يعتدّون به من عظم جكزخان ، وإنّما هؤلاء من التتار المغربة الذين كان وجّههم جكزخان فى طلب السلطان علاء الدين خوارزم شاه حسبما تقدّم من القول فى ذلك ، فتغلّبوا على الملك ، وصاحب ماردين : الملك المنصور إيلغاى بن الملك المظفّر قرا أرسلان بن الملك السعيد

ملوك المغرب : صاحب مرّاكش : أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب من ولد عبد المؤمن المقدّم ذكره فى تأريخه وأصله وسبب ملكه . صاحب المغرب الأقصى : أبو البقا خالد بن يحيى بن أبى زكريا حفص عمر . صاحب تونس وإفريقيّة : أبو الجيوش نصر بن محمّد ابن الأحمر المتغلّب على الملك وليس من بيت ملكٍ ، وهو يومئذٍ محاصر مدينة سجلماسة . صاحب جزيرة الأندلس : موسى بن عثمان بن ربّان المتغلّب أيضاً . وكان جدّ أبيه من نُوّاب بنى أميّة ملاّك الأندلس ، وهو يومئذٍ كرسىّ مملكته غرناطة

قلت : إنّما ذكر العبد فى هذه السنة جملةً من أسماء هؤلاء الملوك الذين اتّصل به أسماهم على هذا المثال فى الأسما والممالك ،كون أنّ هذه السنة آخر قرنٍ ، فأحببتُ أن يُفهم مَن فيها من الملوك المتّصلة أخبارهم بنا والواردة رسلهم إلى أبواب سلطاننا وما عدا ذلك . فإنّ علمهم عند الله عزّ وجلّ ، فإن أرض الله تعالى لا يُدرك لها غاية ،ولا يُحصر لها نهاية ، وكذلك ملوكها لا يُحصيهم إلاّ الذى ملّكهم . بيده الملك وإليه المصير ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾

---

(١٤) أبيه : ابوه (٢١) السورة ٦ الآية ١٠٣ والسورة ٦٧ الآية ١٤

ولنذكر الآن ما يخصّ حوادث الزمان :

فيها كان الاستخراج بدمشق من أرباب الأملاك أربعة أشهر أجرة وكذلك من القُرى والضياع والأملاك . والسنة التى وقع الاتّفاق على استخراج ثُلْث مُغَلّها ، هى سنة تسع وتسعين وستّ مایة ، وكان المُغَل فى تلك السنة مُغَلاً خسيساً لأجل ما كان من التتار وكونهم كانوا فى البلاد . ولم يُحصّل لأحد إلاّ ما فضل عنهم . فحصل على الناس من ذلك شدّة كبيرة وتسحّب أكثر أرباب الأملاك واستحفّوا ، والذى وقع بأيديهم ألزموه حتى قطع الأشجار بثمرها وأباعها حطباً ، بحيث بلغ الحطب كلّ قنطار الدمشقىّ بثلاثة دراهم نقرةٍ ، ولا وجدوا من يشتريه . وكان ذلك على أهل دمشق أشدّ من كلّ شىٍ مرّ بهم من أوّل حالٍ وإلى ذلك التأريخ . ثمّ استُخدم بما جُمع من ذلك المال جماعة من الأكاريد والأجناد البطّالة ونفقوا فيهم كلّ واحدٍ ستّ مایة درهم ولم يقيموا لهم ضماناً لِما كانوا فيه ، لمّا وردت الأخبار أنّ غازان قد طمّعته نفسه الكاذبة وآماله الخايبة بدخوله الشأم . وأنّ الشأم قد عاد فى قبضته . ثم إنّ أكثر أوليك المستخدمين تسحّبوا وأخذوا ما نُفق عليهم ، ولم يقُم منهم إلاّ القليل النادر . ولم يصِل من ذلك المال شىء إلى بيت المال ، وأكثره سرقوه الكتّاب السمرة

قلتُ : هذا جميعه نقلُ الشيخ صدر الدين ابن وكيل بيت المال المعروف بابن المرحّل رحمه الله تعالى ، حكاه للمملوك بالديار المصريّة لمّا كان قد حضر إليها صحبة الركاب الشريف لمّا عاد من الكرك المحروس

---

(٣) والأملاك : املاك (٥) مغلا خسيسا : مغل خسيس (٦) وتسحب : وتستحب

(٩) دراهم : الدراهم ‖ وجدوا : ووجدوا (١٤) تسحبوا : تستحبوا

ذكر عودة غازان خايب الآمال

وذلك لمّا كان ثالث عشر شهر الله المحرّم من هذه السنة المذكورة. وردت الأخبار بقصد التتار إلى الشأم المحروس ، ووقع الجفل فى البلاد . وكثرت الأراجيف بجميع تلك الديار . ووصلت القصّاد إلى الأبواب وأخبروا أنّ غازان حشد حشوداً كثيرةً ، ونادى الغزاة إلى الديار المصريّة . وعند ذلك وقع الجفل العظيم فى ساير الممالك الشأميّة . وتوجهوا إلى الديار المصرية . وكان ذلك من أوّل شهر صفر ،واستمرّ كذلك إلى سلخ جمادى الأولى من الفراة إلى غزّة . فمنهم من قصد الحصون . مثل الصبيبة وعجلون وصرخد وغيرهم . ومنهم من طلب الديار المصريّة وهم الأكثر من الناس . وعادت الأخبار تزيد وتنقص : هذا <ما> جرى بالشأم

وأمّا ما كان بالديار المصرية : فلمّا بلغ ذلك المسامع الشريفة السلطانيّة الناصرية لازالت موفورةً ببشاير النصر ،فى كل حينٍ ووقتٍ وعصر ،برزت المراسم الشريفة بخروج العساكر المنصورة ، وبرز الدهليز المنصور وخيّم بمسجد التبن . وخرجت العساكر كالجراد المنتشر ، وخيّموا حول الدهليز المنصور . كأنّهم القشاعم والنسور . وكان توجّهُ الركاب الشريف طالباً للغزاة المبرورة ورحيله من مسجد التبن طالباً للغزاة بنيّةٍ صادقة ، وقلوبٍ من جيوشه على ذلك موافقة . يوم السبت ثالث عشر صفر ، فوصل إلى منزلة بدعرش . وخيّم بها الدهليز المنصور . فأقام بهذه المنزلة إلى سلخ شهر ربيع الآخر

فحصل للناس فى هذه السنة مشقّة عظيمة من البرد العظيم الزايد عن حدّ القياس ، حتى أقامت تمطر على الناس ، أربعين يوماً ليلاً ونهارًا ،

(٥) حشودا : حشود (٢١) ليلا ونهاراً : ليل ونهار

لا ينظرون الشمس . وانقطع الجالب للأوحال العظيمة بالطرقات . ووقع الغَلاء الزايد حتى بلغ الحمل التبن الذى أكثره تراب لا يُنتفع به أربعين درهماً ، وخمسين درهماً ، ولا كان يُحصَّل إلاّ بالدبابيس وأىّ مَن قوى أخذه . ولم يقدروا على الوصول إلى دمشق البتّة

هذا ما جرى للجيوش الإسلاميّة . وأمّا التتار ، فإنّ غازان لم يزل على طغيانه وسَيْره حتى نزل على مصطبة السلطان بحلب . ووصل يزكيّته إلى قرون حمـــاة وإلى بلاد سرمين والمعرّة . ونفذ أكثر الجيوش إلى بلاد أنطاكيّة وجبال السُماق ، فنهبوا من تلك النواحى شيئاً عظيماً من الأغنام والأبقار ، وسبَوْا عالماً عظيماً من النسا والأطفال . وذلك أنّه فى سنة تسع وتسعين كان قد التجأ إلى هذا الجبل عالم كثير واختفوا فيه ولم يشعروا بهم التتار ولا قصدهم منهم أحد . فلمّا كان هذه السنة طلع إلى هذا الجبل أكثر من تلك العالم بأضعاف ، طمعاً فى السلامة بالنسبة إلى تلك السنة . فلمّا أقام غازن ببلاد حلب سيّر أكثر الجيوش ، ففعلوا ما ذكرناه بحيث أباعوا الأسير بعشرة دراهم . واشترى صاحب سيس منهم خلقاً كثيراً . وأُوسِقوا مراكب ، وسيّروهم إلى بلاد الفرنج بالجزاير . ثمّ أرسل الله تعالى على التتار من الأمطار والثلوج بحيث أقامت عليهم أحداً وأربعين يوماً ليلاً ونهاراً . وذُكر أن وقع عليهم ثلج أحمر لم يعهدوا بمثله . وتلف من جيوش التتار خلق عظيم ، ولحق الدوابّ الذين لهم طابق كثير . ورجعوا إلى بلادهم أنحس

---

(٨) شيئا عظيما : شىء عظيم (٩) عالما عظيما : عالم عظيم (١٠) التجأ : التجا

(١٤) دراهم : الدراهم ‖ خلقا كثيرا : خلق كثير

من مكسورين ، لطفاً من الله عزّ وجلّ وتدبيراً من الحكمة حتى عجزّهم الله عمّا كانوا عليه عازمين ﴿ وَرَدَّ اللهُ < الَّذِينَ > كَفَرُوا < بِغَيْظِهِمْ > لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ < الْمُؤْمِنِينَ > الْقِتَالَ ﴾

ووصل أخبار رجوعهم فى شهر جمادى الأولى . وكان قد أُخليت دمشق بأسرها مع جميع بلاد الشأم من سكّانه وأهله وقطّانه إلاّ مَن عجز عن الحركة ضعفاً . وكان قبل رحيل الركاب الشريف وعوده إلى الديار المصريّة قد جُرّد الأمير سيف الدين بكتمر السلحدار والأمير بهاء الدين يعقوبا بألفى فارس إلى دمشق . فكان دخولهم إليها سابع شهر جمادى الأولى . ثمّ حضرت القصّاد وأخبروا برحيل غازان وعوده إلى بلاده ، وقطع الفراة حادى عشر جمادى الأوّل . وصحّت الأخبار بذلك ، والله أعلم

ذكر لباس النصارى واليهود الأزرق والأصفر

السبب فى ذلك وصول وزير صاحب الغرب يريد الحجّ إلى بيت الله الحرام . فوجد النصارى والبهود بالشاشات البيض السلعانيّة واللبس الحرير والبقايير ، ولا يفرّق بينهم وبين المسلمين إلاّ الزنّار ؛ واليهودى العلامة الصفرا فى عمامته

وقيل : كانت هذه الواقعة أنّه كان رأى الصاحبَ أمين الدين أمين الملك ابن العنّام ، وهو يوم ذاك نصرانىّ وعليه بقيار ولبس حرير . وكان يخدم

(١) تدبيرا : تدبير (٢ – ٣) السورة ٣٣ الآية ٢٥ (٤) الأولى كان أصله « الاخره » ، مصحح بالهامش || أخليت : اخلت (١٢) الحج : الحاج (١٤) واليهودى : واليهود (١٧) العنام : يرد فى الأصل أحياناً « الغنام »

يومئذٍ مستوفى الصحبة الشريفة . ونظر الأمراء والناس من الكبار يبجّلونه ويقفون له قياماً . فسأل عنه < فقيل : > إنّه نصرانى . فصعب عليه ولحقته

الغيرة الإسلاميّة

فتحدّث مع الأمير سيف الدين سلاّر والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير . وأُحضر بين يدى المواقف الشريفة السلطانيّة أعزّ الله أنصارها . واستحضر أحاديث صحيحةً مرويّة عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من «كتاب الوظايف» وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضى الله عنه . أنّ عهد ذمّتهم قد انقضت من سنة ستّ مائة هجريّة . فكان ممّا أورد قال : إنّ أوّل من وضع الديوان فى الإسلام الإمام عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أحضر له أبو هريرة رضى الله عنه مالاً كثيراً من عمل البحرين . فقام إليه رجل من الأنصار وقال : رأيت الأعاجم تُدوّن ديواناً فدوّن أنت أيضاً ديواناً ! — وقال خالد بن الوليد رضى الله عنه : قد كنت بالشأم ورأيت ملوكها دوّنوا ديواناً . فدوّن أنت ديواناً ! — وإنّما سمّى الكتبة ديواناً لأنّ كسرى نوشروان رآهم يحسبون مع أنفسهم . فقال . هؤلاء ديوانه . والديوان باللغة الفارسيّة هى أمّ الشياطين . فسمّى الكتّاب بذلك لحذقهم ووقوفهم على الجلّى والخفىّ . ثمّ سمّى مكانهم باسمهم . فقيل ديوان . ومن شرط من يُنصّب فى الديوان ان يكون مسلماً أميناً ضابطاً سؤساً شفوقاً على الإسلام . قال الله تعالى ﴿ لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقال تعالى ﴿ لَا تَتَّخِذُوا ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ وقال صلّى الله عليه وسلّم : لا تؤمّنوهم وقد خوّفهم الله ولا تقرّبوهم وقد أبعدهم الله

(١٨–١٩) السورة ٣ الآية ٢٨ (١٩–٢٠) السورة ٥ الآية ٥١

وروى أنّ المتوكّل على الله أقصى اليهود والنصارى ولم يستعملهم وأذلّهم وخالف بين زيّهم وزىّ المسلمين . وجعل على أبوابهم علامات بالدِهان مثل الشياطين

ولمّا استقدم عمر بن الخطّاب رضى الله عنه أبا موسى الأشعرىّ من البصرة — وكان عاملاً عليها للحساب — دخل على عمر رضى الله عنه وهو فى المسجد ، فاستأذن عليه لكاتبه وهو نصرانىّ . فقال له عمر رضى الله عنه : قاتلك الله ! وضرب بيده على فخذه ، ولّيتَ ذمّيًّا على المسلمين . أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ ألاّ اتّخذتَ حنيفاً . فقال : يا مير المؤمنين ، لى كفايته وله دينه . فلا أُكبرهم إذ أهانهم الله ، ولا أُعزّهم إذ أذلّهم الله ، ولا أُدنيهم إذ أقصاهم الله !

وقال عمران بن أسد : أتانا كتاب عمر بن عبد العزيز إلى محمد ابن المبشّر ، وهو يقول فيه : أمّا بعد ، فإنّه بلغنى أنّ فى عملك رجلاً يقال له حسّان يروى على غير دين الإسلام ؛ والله تعالى يقول ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا ٱللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ فإذا أتاك كتابى هذا فادْعُ حسّان إلى الإسلام ! فإن أسلم فهو منّا ونحن منه . وإن أبى فلا تستعنْ

(٨ — ١٠) السورة ٥ الآية ٥١ (٩) ومن يتولهم · فمن نتوله (١٦ — ١١) السورة ٥ الآية ٥٧

به ، ولا تأخذ من غير أهل الإسلام على شيء من عمل المسلمين . فقرأ الكتاب على حسّان فأسلم وعلّمه الطهارة والصلاة

ولمّا خرج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى غزاة بدر تبعه رجل من المشركين ، فلحقه عند الحرّة ، فقال : إنّى أريد أن أتبعك وأُصيب معك — . قال : تؤمن بالله ورسوله ؟ — قال : لا . — قال : ارجع ! فان أستعين بمشركٍ . — ثمّ لحقه عند الشجرة ، ففرح به أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وكانت له قوّة وجلد ، فقال : جيت لأتبعك وأُصيب معك . — قال : تؤمن بالله ورسوله ؟ — قال : لا . — قال : ارجع ! فلن أستعين بمشركٍ . — قال : ثمّ لحقه على ظهر البيدا فقال له مثل ذلك . فقال تؤمن بالله ورسوله ؟ — قال : نعم ، — فخرج به . وهذا دليل عظيم فى أنّ الاستعان < بمشركٍ > لا يكون البتّة . هذا وقد خرج معه صلّى الله عليه وسلّم ، يقاتل ويراق دمه . فكيف استعماله على رقاب المسلمين ؟ وحُكى عن علىّ بن حمزة الكسائىّ أنّه كان يقرئ بعض الخلفاء من وراء حجاب ، فوصل إلى قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ﴾ الآية ، فدقّ الكسائىّ بيده على الأرض ، وكانت عادته ألاّ يدقّ بيده إلاّ إذا غلط الخليفة . فأعاد الخليفة الآية صحيحة ، فأعاد الكسائىّ الدقّ ، كذلك ثلاث مرارٍ ، ففهم الخليفة . وكان عنده ذمّىّ قد ولاّه أمور الرعيّة . فقام الخليفة لوقته وأحضر رأس الذمّىّ وأخرجها للكسائىّ من تحت الستارة ، وقرأ فلم يعاود الدقّ

---

(٥) أستعين : استمن (٨) أستعين : استعن (١٤–١٥) السورة ٥ الآية ٥١

وشرح وزير المغرب من هذا التأكيد لعدم الاستعانة بالذمّة فى أمور المسلمين شيئاً كثيراً جداً بروايات صحيحة من عدّة وجوه : فأثّر ذلك عند مولانا السلطان عزّ نصره وعند الأمرا : فأمر أن يلبسوهم الأزرق والأصفر والأحمر للسمرة من اليهود . وأسلم منهم فى تلك النوبة جماعة ، منهم أمين الدين أمين الملك بن العنام . وكان لبسهم ذلك يوم الخميس العشرين من شهر رجب من هذه السنة ،

وفيها فى تاسع ذى القعدة وصل من الشأم المحروس أمير يسمّى أنص، يخبر بحركة غازان وأنّه قد أرسل قدّامه رسولا ، وكان هذه عادتهم من قبل هذا الوقت الذى وضعتُ فيه هذا التأريخ : إذا أرسلوا رسولاً يكونون خلفه . وإنّما فى هذا الوقت المبارك لِما حصل من الصلح معهم لِما دخل فى قلوبهم من الهيبة السلطانيّة الناصريّة عادت لا تكاد رسلهم تنقطع ، بل واصلين إلى الأبواب الشريفة بالتحف والهدايا الحسنة كما يأتى ذكر ذلك فى تأريخ سِنِيه إنشا الله تعالى ولقد أذكر فى وقتٍ . وكان قد وصلت رسل التتار ، وكان الوالد سقى الله عهده فى ذلك التأريخ مهمنداراً بدمشق المحروسة ، وذلك فى سنة عشر وسبع ماية . وكان النايب بدمشق يومئذٍ الأمير سيف الدين كراى المنصورىّ رحمه الله . فحصل من الوالد فى حقّهم خدمة جيّدة فى وقت ورودهم وعند مصدرهم وعودهم من الأبواب الشريفة . وكان قد أعجبهم الوالد رحمه الله واستحسنوا شكله وفعله ، فأوعدوه الإحسان عن عودتهم من الأبواب العالية . فعرّف الوالد للأمير سيف الدين كراى ملك الأمرا ذلك ، حتى عاد فى كلّ

---

(٢) شيئاً كثيراً : شىء كثير (٧) أمير : اميرا (٨) رسولا : رسول
(١١ – ١٢) تنقطع بل : بالهامش

وقتٍ يمازح الوالد ويقول له : يا جمال الدين ، لا تأكل الهديّة وحدك وأشركنا فيما أوعدوك به . فلمّا عادوا وتلقّاهم الوالد من الكسوة وخدمهم أتمّ خدمةٍ ، وهم كثيرين الإعجاب به والثناء عليه ، ولم يزل معهم إلى القابون يشيّعهم . فضربوا بينهم مِشْوراً زماناً طويلاً . ثمّ أخرجوا للوالد ثلاثة طوامير عظم وحلقتين طميا وقالوا له : اشكر إحسان القآن إليك . — فلمّا عاد إلى ملك الأمرا أحضر إليه ذلك الإنعام العظيم . فضحك كراى وقال : يا جمال الدين ، والله لو لا أنت عندهم تشبه تومان ما أعطوك هذا . — فقال : يا خوند ، الهديّة لمن حضر . — فأخذهم منه وأخلع عليه خلعةً كاملةً مصمت . وإنّما ذكرتُ هذه الواقعة لِما كانوا عليه التتار من كِبَر الأنفس فى ذلك الوقت ولِما تهذّبوا فى أيّام مولانا السلطان وعادوا يحضرون بالأموال الجليلة ، والجوارى الحسان الجميلة ، حسبما نذكر من ذلك إنشا الله تعالى

ثمّ وصل بعد أيّامٍ البريد المنصور وأخبر أنّ رسول التتار دخل دمشق ليلة الثلثا الثالث والعشرين من ذى القعدة ، وأنزلوهم بالقلعة وأنّهم فى دون العشرين نفر. فأقاموا بدمشق أيّاماً وتركوا أثقالهم وغلمانهم بدمشق . وأُحضروا على البريد المنصور ، وصحبتهم المعتمد وكانوا ثلاثة نفر وهم القاضى ضيا الدين بن بهاء الدين بن يونس الشافعىّ ، خطيب الموصل وقاضيها ، وصحبته آخَر من المغل . ومعهما غلام لهم . فوصلوا القلعة المحروسة ليلة الاثنين خامس عشر ذى الحجّة ، فأقبل عليهم مولانا السلطان غاية الإقبال وأحسن نُزُلَهم وأوفر رواتبهم . فلمّا كان عصر

---

(٥) طميا : كذا فى الأصل (٩) مصمت : كذا فى الأصل ولعل صوابه « مسمَّطةً » (١٩) ذى الحجة : ذى القعدة ، مصحح بالهامش (٢٠) وأوفر : واوفروا

يوم الثلثا لبسوا الأمراء والمقدّمين وأكابر الحلقة ومماليك مولانا السلطان أفخر الملابس، وأُوقدت الشموع واستُحضروا بعد عشا الآخرة . وحضر القاضى ضيا الدين وعلى رأسه طرحة . وقام وخطب خطبةً بليغةً ، وذكر فى أثنائها آياتٍ كثيرةً من القرآن العظيم تتضمّن معانى الصلح واتّفاق الكلمة ، وأردف ذلك بأحاديث صحيحةٍ . ثمّ إنّه بسط يديه ودعا لمولانا السلطان الملك الناصر عزّ نصره ، ثمّ لغازان من بعده ، ثمّ للأمرا ، ثمّ لكافّة المسلمين . ثمّ أدّى الرسالة ، ومضمونها أنّ ما قصدُهم إلاّ الصلح. ثمّ دفع من يده كتابًا مختومًا بخطٍّ مغليٍّ بغير عنوانٍ ، قطْع نصف البغدادىّ ، فأُخذ منه ، ولم يُقرأ فى تلك الليلة . وعاد الرسول إلى مكانه المهمانخاناه . فلمّا كان ليلة الخميس أحضر مولانا السلطان الموالى الأمرا من أرباب المشْوَر ، وقُرئ الكتاب ، فكان ما هذا نسخته :

بقوّة الله تعالى

وإهداء السلام إليكم ! إنّ الله تعالى جعلنا وإيّاكم من أهل ملّةٍ واحدةٍ ، وشرّفنا بالإسلام وأيّدنا بنصره لإقامة مناره وتكبير شعاره . وما كان بيننا وبينكم إلاّ بقضاء الله وقدره . وما ذاك إلاّ بما كسبت أيديكم ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ وسبب ذلك أنّ عساكركم غاروا على ماردين وبلادها فى شهر رمضان المعظّم الذى يعظّمه الأمم فى ساير الأقطار ، ويغلّل فيه الشيطان وتغلّق فيه أبواب النار . فطرقوا البلاد ﴿ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ وهتكوا محارم الله عزّ وجلّ سرعةً بغير مهلة ، وأكلوا الحرام ، وركبوا الآثام ، وفعلوا ما لا تفعله عُبّاد الأصنام ، فأتَوْنا أهل

(٨) كتابا مختوما : كتاب مختوم (١٠) المهمانخاناه : المهماخاناه (١٦) السورة ٤١ الآية ٤٦ (١٨ – ١٩) السورة ٢٨ الآية ١٥

ماردين ، وبلادها مستصرخين ، مسارعين ملهوفين ، بالأطفال والحريم . وقد استولى عليهم الشقا بعد النعيم ، فوقفوا بأبوابنا ، ولاذوا بجنابنا

فهزّتنا نخوة الكرام ، وحرّكتنا حميّة الإسلام ، فركبنا على الفور بمن كان معنا ، ولم يسَعنا أن نجمع بقية جيوشنا ، وقدّمنا قدّامنا النيّة ، وعاهدنا الله على ما يرضيه عند بلوغ الأُمنيّة ، وعلمنا أنّ الله لا يرضى لعباده أن يسعَوا فى الأرض بالفساد . وأنّه ليغضب لِهتك الحريم والأولاد ، فما كان إلاّ أن لقيناكم بنيّةٍ صادقة ، وقلوبٍ على حميّة الدين موافقة ﴿ فَمَزَّقْنَاكُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ والذى ساقنا إليكم ، هو الذى نصرنا عليكم ، فما مثلكم إلاّ كمثل ﴿ قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً ﴾ فولّيتم الأدبار ، وركنتم إلى الفرار ، واعتصمتم من سيوفنا بالفرار ، فعفَوْنا عنكم بعد الاقتدار ، ورفعنا عنكم السيف البتّار ، وتقدّمْنا إلى جيوشنا أن لا يَسْعَوا فى الأرض كما سعيتم ، وأن ينشروا من العدل ما طوَيْتم . ولو قدرتم ما عَفَيْتم ولا عفّيْتم ، ولا نقلّدكم بذلك مِنّةً ، بل حكم الإسلام فى البغاة كذلك . وكان جميع ما جرى فى سابق القِدَم . ومن قبل كونه جرى به القلم

ثمّ لمّا أن رأينا أنّ الرعيّة قد تضوّروا بمقامنا فى الشام . لكثرة جيوشنا لمشاركتهم فى الشراب والطعام . ولما حصل فى قلوب الرعيّة من الرعب ، عند معاينة جيوشنا التى هى كطبقات السحب . فأردنا أن نسكّن روعهم برحيلنا من أرضهم بالنصر والتأييد ، والعلوّ والمزيد . وتركنا عندهم من جيشنا مَن يُتَونَّس بهم ، ويعود فى أمرها إليهم ، ويحرسهم من التعدّى بعضهم على بعضٍ ، بحيث إنكم ﴿ ضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾

---

(٨) قارن السورة ٣٤ الآية ١٩ (٩) السورة ١٦ الآية ١١٢ (١٥) رأينا : رينا (١٧) فأردنا : فادنا (٢٠) السورة ٩ الآية ٢٥ ‖ عليكم : بكم

إلى أن يستقرّ جأشكم ، وتبصروا أرشادكم ، وتسيروا إلى الشأم تحفظونه من أعدايكم المتقدّمين ، وأكرادكم المتمرّدين ، فقدّمنا أمرنا إلى مقدّمَىْ تومانين من جيوشنا ، أنّهم متى سمعوا بقدوم أحدٍ منكم أن يعودوا إلينا بسلام ، ويلحقوا ركابنا بدار السلام ، فعادوا إلينا بالنصر المبين ، والحمد لله ربّ العالمين.

والآن فإنّا وإيّاكم على كلمة الإسلام مجتمعين . وما كان بيننا ما يفرّق كلمتنا إلاّ من فعلكم فى ماردين . وقد أخذْنا منكم بالقصاص ، وهذا جزا كلّ عاص . فلنرجع الآن إلى إصلاح الرعايا ، ونجتهد نحن وأنتم فى العدل فى ساير القضايا ! فقد انضرّت بيننا وبينكم حال البلاد وسكّانها ، ومنع الرعيّةَ الخوفُ القرارَ فى أوطانها ، وتعذّر سفر التجّار ، وتوقّف حال المعاش لانقطاع البضايع والأسفار . ونحن نعلم أنّا نُسأل عن ذلك ونحاسب عليه . وأنّ الله لا يخفى شى فى الأرض ولا فى السماءِ عليه ، وأنّ كلّ ما كان وما يكون فى كتابٍ مبينٍ ﴿ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاّ أَحْصَاهَا ﴾ وأنت تعلم أيّها الملك الجليل ، أنّنى أنا وأنت مسئولون عن الكثير والقليل . وكذلك فإنّا مسئولون ومطالَبون عمّا جناه ، أقلّ مَن ولّيناه . وإنّ مصيرنا إلى الله . فإنّا معتقدون الإسلام سرّا وعلانية ، عاملون بفروضه فى كلّ وصيّة

وقد حمّلْنا قاضى القضاة حجّة الإسلام بقيّة السلف ضيا الدين أبا عبد الله محمدًا أعزّه الله تعالى شفاهةً يعيدها على سمع الملك ، والعمدةُ

---

(١٢) قارن السورة ١٤ الآية ٣٨ (١٣-١٤) السورة ١٨ الآية ٤٩ (١٩) أبا: ابى || محمداً : محمد

عليها . فإذا عاد من الملك الجواب ، فليسيّر إلينا هدية الديار المصريّة كهدايا الأحباب ، لنعلم أنّ بإرسال الهديّة ، قد حصل منكم فى إجابتنا إلى الصلح نيّة ، ونُهدى من بلادنا ما يليق أن يُهدى إليكم ، والسلام الطيّب منّا عليكم إنشا الله تعالى !

ولمّا حصل الوقوف على هذا الكتاب استشار الموالى الأمرا فى الجواب. فطلبوا قاضى القضاة ضيا الدين الرسول المذكور وقالوا له : أنت من كبار الأئمّة والعلما ومن خيار المسلمين ، وتعلم ما يجب عليك وعلى كلّ مسلمٍ من النصح للإسلام ولهذا الدين ، وتعلم أنّ نحن ما نتعاهد الحرب والقتال إلاّ لقيام دين الإسلام ، فإنّ هذا الأمر قد فعلوه حيلةً ودهاء . فنحن نحلف لك بالله ، الذى ﴿لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ما يطّلع أحد من خلق الله تعالى على نصحك للإسلام : ورغّبوه فيما فيه الرغبة . فحلف أيماناً مؤكّدةً أنّه ما يعلم من غازان وخواصّه غير الصلح وحقن الدماء ورواح التجّار ومجيهم وصلاح الرعيّة . ثمّ قال لهم فى أثناء كلامه : ومن المصلحة أنّكم تتقوّوا وتبقوا على ما أنتم عليه من الاحتراز والاهتمام لعدوّكم ، وأنتم فلكم عادة فى كلّ سنةٍ تُخرجون الجيوش لحفظ أطراف بلادكم تجاريدًا ، فتكونون على عادتكم فى ذلك . فإن كان هذا الأمر صحيحاً أو خديعةً ظهر لكم بعد ذلك . فلمّا سمعوا منه هذا الكلام تحقّقوا أنّه كلام ليس فيه غشّ ولا مكرٌ منه . ثمّ شرعوا فى تجهيز رسول ، وجوابُ غازان على يده ، كما يأتى ذكر ذلك فى سنة إحدى وسبعماية إنشا الله تعالى .

---

(١٠) السورة ٩ الآية ١٢٩ || أحد : احداً (١٢) مؤكدة : ماكده (١٦) صحيحاً : صحيح

ذكر ما جرى فى هذه السنة بين ملوك الهند

وذلك أنّه لمّا كان فى أواخر شهر ذى القعدة من هذه السنة قدم التجّار الكارم من اليمن إلى الديار المصريّة ، فأخبر العدل بهاء الدين محمد بن العدل تاج الدين المعروف بأبى سعد البغدادىّ ، وهو ابن أخى العدل شهاب الدين أحمد بن الكوّيك الكارمىّ التكريتىّ ممّا أخبرنا به نور الدين ابن أخيه أنّ صاحب إقليم دلّى — وهو يومئذٍ الملك المسعود ناصر الدين محمد بن علم الدين سنجر عتيق شمس الدين إيتامش وشمس الدين إيتامش عتيق السلطان شهاب الدين وأخوه السلطان غياث الدين الغورى المقدّم ذكرهما فى هذا التأريخ — كان قد سيّر جيوشه فى سنة تسع وتسعين وستّ ماية إلى نواحى إقليم كنبايت . فلمّا بلغ التتار الذين بجواره — وهم طايفة يقال لهم المنكدمريّة عُرفوا باسم ملكهم منكوتمر — أنّه ليس ببلاد دلّى عساكر طمعوا فى أخذها ، فجمعوا وحشدوا وتوجّهوا نحو مدينة دلّى وأغاروا على أطراف بلادها وأعمالها ، فنهبوا وسبَوْا وأسروا وملكوا منها تقدير نصف أعمالها . ثمّ إنّهم قصدوا المدينة نفسها التى هى كرسىّ المملكة . ولم يكن عند الملك المسعود المذكور يومئذٍ سوى ثلاثين ألف فارس والتتار فى جمعٍ كثيرٍ . فاستشار وزراه فى ما يفعل وكذلك كبار دولته . فاتّفق رأيهم أن يأخذوا الأفيلة التى عندهم جميعها ، وتركب عليها المقاتلة ، ويركب الجيش من ورا الأفيلة . فإن ظهرت التتار على الأفيلة فسوف يشتغلون بها ويُهرّب الملك المسعود وخاصّته إلى مكان عيّنوه بينهم بحيث أنّهم لا يُحصَرون فى قلعةٍ ولا مدينةٍ فيؤخذون . وكانت الأفيلة ثلاث ماية

---

(٤) أخى : اخى (١٠) كنبايت زت : كمات

فيلٍ . وركب الملك مع خواصّه فى جيوشه ورا الأفيلة . فعندما نظرت خيول التتار إلى الفيلة ولّت هاربةً على أدبارها لا يلوون على شىء . فركب جيوش الملك المسعود أقفيتهم قتلاً وأسراً ، وقتلوهم قتلاً ذريعاً ، ونصرهم الله عليهم ، ولم ينجوا منهم إلاّ كلُّ طويل العمر . واتّبعوهم مسافة خمسة عشر يوماً حتى أخرجوهم من ديارهم أنحس خروجٍ

وأمّا ما كان من الجيش الذى سيّره الملك المسعود إلى إقليم كنبايت فإنّهم ساروا والتقوا ملك ذلك الإقليم وكسروه كسرةً صعبةً شنيعةً وأسروه . فلمّا أُحضر بين يدى مقدّم جيوش الملك المسعود أحضر له قيداً حديداً وأراد تصفيده بذلك القيد الحديد . فلمّا رآه ذلك الملك قال له : لمثلى تقيّد بقيدٍ حديدٍ ، فأنا كنتُ صنعتُ لك لو ظفرتُ بك قيد ذهبٍ . فأمر بإحضاره ، فإذا قيد ذهبٍ مرصّعٌ بالجواهر . فقال له القايد : فأنا أقيّدك به ، وأحمد الله تعالى الذى عافانى منه وابتلاك به . فقيّده به . ثمّ طلب منه الأموال ، فدلّ بهم على طميرةٍ فيها ذهب كثير ، فأخذوها . ثم طلب منه أيضاً المال فقال : أوما كفاك الذى أخذتَ ؟ — قال: لا . — فقال : وحقّ معبودى . لا أُظهركم بعدها إلاّ على طميرةٍ أخرى لا غيرها ولو متّ . — ثمّ دلّ بهم على طميرةٍ أخرى، فأخذوا ما كان فيها بعد ما عاهده ألاّ يعود يطلب منه شيئاً آخر . فأقاموا ينقلون منها ثمانية عشر يوماً ، كلّ يومٍ خمسة عشر حملاً . فلمّا فرغوا من ذلك السرب طلبه أيضاً بالمال وقال : افدى نفسك وإلاّ قتلتك ، وأخافه . فقال له : وأنا ممّن أخاف القتل ؟ وحقّ ما أعبده ، لا عُدت أظهرتُك على

---

(٦) كنبايت زت : كمات (٩) قيداً حديداً : قيد حديد (١٧) شيئا : شىء

شىء آخر وافعل ما شيتَ أن تفعل . — فسيّر ذلك القايد يعرّف الملك المسعود بصورة الحال

ومن عجيب الاتّفاق أنّه كان قد حضر للسلطان علم الدين سنجر أبى الملك المسعود سبىٌ من هذه البلاد ، فاتّخذ لنفسه من ذلك السبى جاريةً حسنا هنديّة فتسرّى بها ، فحملَتْ منه بهذا الملك المسعود . فلمّا وصل الخبر من قايد الجيش بما كان من أمر الملك المستأسر ويستأذنه فيما يفعل فى أمره ، فاستشار والدته فيما يفعله فى أمر الملك . فبكت وقالت : يا ولدى ، أو ما تعرف من هو هذا الملك ؟ — فقال : لا والله . — فقالت : هو والله خالك وأنا أخته . — فلمّا ثبت ذلك عنده أمر أن يُكتب إلى مقدّم عساكره أن يطلق الملك ويحسن إليه . وبعث إليه بخِلَعٍ كثيرةٍ ، وكتب إليه بردّ بلاده عليه ، وأن يكون نايباً له بها . فلمّا وصل إلى الملك ذلك علم الأمر الخفىّ فى ذلك ، واطّلع على جليّة الخبر ، وعلم أن الملك المسعود ابن أخته . ففرح فرحاً شديداً . ثمّ إنّه توجّه إلى بعض بلاده وأظهر من مواضع خفيّةٍ عدّة مطامير بها أموال عظيمة مكتنزة من عهد آبايه وجدوده . وأضاف إلى ذلك هدايا جليلةً لايعلم لها قيمة ، وبعث بجميع ذلك للملك المسعود ، وبعث يقول له : إنّ لك عندى عدّة مطامير من عهد آبايى وأجدادى ومهما اعتزت من الأموال والجواهر ، أنا أمدّك به ، فاستخدِم الرجال وانتصر بهم على جميع أعداك وأنا خالك ونايبك ومملوكك . وعندى أربعين سرباً أقلّها مثل الذى أخذه مقدّم جيشك والسلام

(٤) أبى : أبو ‖ سبى : سبيا

وذكر أيضاً نور الدين المذكور بحضور الصدر جمال الدين بن سعادة الكارمىّ ، وكان قدومه من اليمن وصدّقه على جميع ذلك ، وقال : إنّ فى سنة ثمان وتسعين وستّماية قام شخص يقال له الشيخ محمد ويكنى أبا عبد الله بأرض الحبشة ، واجتمعوا إليه عالم عظيم . وقال لهم : إنّ الملايكة تكلّمه وأنّهم قد أمروه بفتح بلاد الحبشة . — فاجتمع عليه مايتى ألف رجل . فعند ذلك جمع الأمحرا ملكُ الحبشة جميع جيوشه ، فكانوا نحو مِن أربع ماية ألف فارس وراجل . وخرج لملتقى الشيخ محمد المذكور . وشرع ملك الحبشة فى الباطن يراسل أصحاب الشيخ محمد ويفسدهم بالمال ، فجاءوا إليه كبار جموعه وقالوا له : نريد منك برهاناً عمّا تدّعيه من كراماتك حتى تطيب قلوبنا ونقاتل معك وبين يديك بقلوبٍ طيّبةٍ ، فقال لهم : أنا أدَعُ الملايكة تكلّمكم من البير الفلانىّ . فلمّا انفضّوا من عنده على ذلك أمر بعض الخصيصين به أن يصنع له فى تلك البير مكاناً فى جانبها ويختفى فيه ، ويجاوب الشيخ بما أوصاه به . فلمّا تهيّأ أمره نفذ الشيخ إلى أعيان القوم المطالبين له بالبرهان فى جمعٍ كثيرٍ من جماعته . فلمّا وصلوا إلى تلك البير تقدّم الشيخ إلى عندها وقال : يا ملايكة ربّى ، أو قال : يا جبريل ، ما أنا على الحقّ ؟ — فجاوبه ذلك الرجل الذى رتّبه فى أسفل البير : نعم ، أنت على الحقّ المبين ، والويل كلّ الويل لمن خالفك أو ناوأك . — ثمّ أمره ونهاه بما قررّ معه من الكلام ساعةً زمانيّةً والناس يسمعون . فلمّا علم أنّهم طابت نفوسهم وصَفَت قلوبهم له قال لهم : ما تقولون ؟ — قالوا : ياسيّدنا ، ظهر لنا صدقك ، ونحن نستغفر الله من تعرّضنا عليك بما طلبناه منك . — فقال :

---

(٩) برهانا : برهان

أتعلموا ما أقول لكم وآمركم به ؟ — قالوا : نعم . — قال : تعلنوا أصواتكم بالتكبير ، وتردموا هذه البير ، فى هذه الساعة ! — وكان قصده بإعلانهم بالتكبير حتى لا يُسمع لذلك الرجل الذى فى البير عياط ولا يجيبوا له نداء إذا رأى ما حلّ به . فلم يكن بأسرع أن طمّوا تلك البير على ذلك الرجل ، وتساوت مع الأرض . وكان لذلك الرجل الذى هلك فى البير وطُمّ عليه أخ ، فطال عليه غيبته ، فأتى إلى الشيخ وسأله عنه . فنكر علمه به . وكان قد سأل قبل ذلك من جماعةٍ من خواصّ الشيخ قبل اجتماعه به . فقالوا له : قد سيّره الشيخ فى مهمٍّ له . فلمّا سأل الشيخ ونكره استراب الرجل ، ولم يزل يبحث عن أمره حتى استصحّ الخبر . فتوجّه مع جماعةٍ كبيرةٍ إلى البير ونبشوها وأخرجوا ذلك الرجل ميّتاً . فعند ذلك توقّفوا عن متابعة الشيخ وتفرّقوا عنه بعد أن كاد يظهر على الأمحرا ملك الحبشة . وكان له مصافّ لملك الحبشة على شاطى النيل ستّة أشهر . فلمّا رأى أمره انحلّ وبَرَمَهُ انتقض ، راسل لملك الحبشة وطلب الصلح . وأعطاه الأمحرا أرضاً تُزرع له ولخاصّته المرتبطين عليه ، وأقطعها لهم إقطاعاً وألاّ يكلّفوا شيئا . وأن يعطيهم ملك الحبشة فى كلّ سنةٍ مالاً غير تلك الأرض ، ويكونون تحت طاعته واتّفق أمرهم على ذلك والله أعلم

وذكر أيضاً أنّ الملك المؤيد هزبر الدين داود صاحب اليمن وقع الخُلف فى سنة تسع وتسعين وستّ ماية بينه وبين الزَيديّة ، وأنّهم تحوّلوا عن طاعته وقالوا : هذا الذى تعطينا ولنا مقرّر لا يكفينا . — وكان لهم فى كلّ سنةٍ مقرّر عشرين ألف دينار عينٍ مصريّة . على أنّهم يحموا الطرقات

---

(٣) عياط : عياطاً (١١) مصاف : مصافف (١٩) مقرر : مقرراً

ويخفروا المسافرين من التجّار وغيرهم ، وألاّ يُؤْذوا أحداً وأن يكونون تحت الطاعة له،متى طُلبوا لحربٍ حضروا . فلمّا كان فى سنة تسع وتسعين وستّ مابة سيّروا يقولون له : لا عُدنا نوافقك حتى تقرّر لنا مابة ألف دينار فى كلّ عام . فإنّ نحن عمارة البلاد ، وبنا الصلاح والفساد . — ثمّ اجتمعوا فى عددٍ كثيرٍ وعزموا على قتاله : وجمع هو أيضاً عساكره وقصدهم . ولم يبق غير الملتقى . فعند ذلك دخلوا مشايخ بلاد اليمن والمتطوّعة والفقها والعلماء وأصلحوا بينهم ، وانفصلوا على غير قتالٍ كان بينهم

وحكى الشيخ الصالح سيف الدين أبو الحسن علىّ الآمُلى ، قال : كنتُ مع الملك المؤيّد صاحب اليمن لمّا أراد الزيديّة ، فكنت فيمن مشى بينهم فى الصلح . وزادهم الملك المؤيّد عشرة آلاف دينار فى كلّ سنةٍ على معلومهم ، ووقع الصلح بينهم ، وانعقدت الأيمان على ذلك . ثمّ توجّهتُ إلى الحجاز بعد ذلك . وقال أيضاً : إنّ جملة الأمر أن كان فى سنة سبع وتسعين وستّه مابة الخُلف واقعاً بين ساير ملوك الدنيا شرقاً وغرباً

وكذلك ذكر الحاجّ إبراهيم بن محمد المسعودىّ التاجر السفّار والحاجّ معتوق الماردانىّ والشمس محمد السنجارىّ ، أجمعوا جميعهم وذكروا بالقاهرة فى سنة سبع مابة أنّ الملك أنغاى وهو ابن أخى بركة المقدّم ذكر فعله فى ســوداق اتّفق مع الملك بختاى وكان بينهما وقعة عظيمة . وأنّ أنغاى انتصر على بختاى واستولى على مملكته ببلاد القفجاق . وهذا بختاى لم يبلغ فى ذلك الوقت من العمر ثلاثين سنة . وكان قد صالح

---

(١٤) واقعاً : واقع (١٨) اتفق : اتفع

غازان وهو مجاور لبلاده . والمتّفق عليه أنّ ساير الملوك الذين اتّصل بنا أخبارهم الواردة رسلهم وتجّارهم إلى الديار المصريّة ، كانوا فى ذلك التأريخ جميعهم شباباً لم يلحقوا فى السنّ ثلاثين سنة ، والله أعلم

وفيها توفّى عزّ الدين ملك الأمرا الذى كان نايباً بدمشق فى الأيّام الظاهريّة . وكذلك الأمير سيف الدين بلبان الطبّاخىّ ، وجمال الدين آقوش الشريفىّ ، والأمير سيف الدين كرجىّ رحمهم الله تعالى وساير أموات المسلمين

وفيها توجّه الأمير سيف الدين سلاّر نايب السلطنة المعظّمة بجماعةٍ كبيرةٍ من الأمرا والمقدّمين ورءوس المدارج من الحلقة المنصورة ، وطلع أرض الصعيد بالديار المصريّة بسبب العربان ونفاقهم . وكان قد تسلّطوا تسلّطاً عظيماً حتى منعوا الجند والأمرا إقطاعاتهم وخراجاتهم بجميع الصعيد . فطلع إليهم الأمير سيف الدين سلاّر بهذه العُدّة ، فنهبوا وسبوا وقتلوا وقطعوا عالماً كثيراً حتى كان إذا أمسك منهم جماعة استنطقهم ، فمَن عقّد فى كلامه القاف أتلفه ومن قالها مستقيماً أطلقه . والذى أُحضر إلى الأبواب الشريفة من المواشى والنَّعم ، خارجاً عمّا ذُبح ونهبوه الجيش وذبحوه فى مدّة إقامتهم بالصعيد . ما جملة عدّته مابة ألف رأس وسبعة وعشرين ألف رأس ومايتى رأس ، تفصيله : المحضر إلى الإصطبلات المعمورة : خيول أربعة آلاف فرس ، والمحضر إلى المناخات المعمورة : جمال اثنا عشر ألف وستّ مابة جمل ، والمحضر إلى المطابخ المعمورة : أغنام مابة ألف وعشرة ألف ومايتى رأس . وقُطع أيدى وأرجل

(١) مجاور : مجاوراً (٣) شباباً شباب (١٣) عالماً كثيراً : عالم كثير ‖ إذا : إذ

خلق لا تُحصى ، وكذلك وُسّط وشنق عالم كثير ومُهّد الصعيد إلى حين تسطير هذا التأريخ لم يسمع فيه ما كان يُعهد من النفاق ومنع الحقوق للمقطعين ، وتوطّد الصعيد بكماله ، ولله الحمد

ذكر سنة إحدى وسبع ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم

ما يخصّ من الحوادث

الخليفة : الإمام الحاكم بأمر الله أبو العبّاس أحمد إلى حين وفاته فى هذه السنة حسبما يأتى من ذكر وفاته فى تأريخ ذلك إنشا الله تعالى ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر سلطان الإسلام أدام الله أيّامه إلى آخر الأبد وكفاه ﴿ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ بمحمدٍ وآل محمد ، وكذلك النوّاب والملوك حسبما تقدّم من ذكرهم فى السنة التى قبلها

فيها وزر الأمير عزّ الدين أيبك البغدادىّ الديار المصريّة عوضًا عن الأمير شمس الدين سنقر الأعسر . وذلك فى يوم الجمعة عاشر المحرّم من هذه السنة . وهو الرابع من الوزرا المُكَلْوَتين بالديار المصريّة من أوّل زمان وإلى ذلك التأريخ . ولم يكن ذلك يُعرف بالديار المصريّة من قبل . وإنّما أوّل من استنّ ذلك مولانا السلطان الشهيد الملك المنصور نوّر الله ضريحه ، فوزر الأمير علم الدين الشجاعىّ وهو أوّل المُكَلْوَتين . ثمّ كان بعده الأمير بدر الدين بَيْدَرا ، ثمّ الأمير شمس الدين الأعسر ، ثمّ فى هذه السنة الأمير عزّ الدين البغدادىّ . هؤلاء المُكَلْوَتين ، خارجًا

---

(٧) أبو : ابى (١٠) السورة ١١٣ الآية ٥

عمّا كان بينهم من الوزرا المتعمّمين . وهذه كان عادة وزرا العراق إن يكونوا أمرا وتضرب على أبوابهم الطبلخاناه ، وكذلك كان فى أيّام الخلفاء : وكان الشجاعىّ قد وزر بعد الصاحب برهان الدين السنجارىّ وعُزل بنجم الدين بن الأصفونىّ . ثمّ عاد تولّى بعده ، ولمّا غضب عليه مولانا السلطان الشهيد الملك المنصور وقبض عليه وعصرَه حسبما سقناه فى تأريخه المتقدّم جلس فى دست الوزارة بيدرا . ثمّ انتقل بيدرا إلى النيابة فى الدولة الأشرفيّة ورجع الشجاعىّ ، فأقام أيّامًا قلايل حتى وصل الصاحب شمس الدين بن السَلْعُوس من الحجاز الشريف ، فاستوزره مولانا الشهيد الملك الأشرف برّد الله ضريحه ، فاستمرّ وزيراً حتى استشهد السلطان الأشرف . فوزر الصاحب فخر الدين بن الخليلىّ الدارىّ . فلمّا تملّك لاجين وزر الأعسر عوضًا عن ابن الخليلىّ . ثمّ قبض عليه وعاد ابن الخليلىّ . ثمّ عاد الأعسر حتى وزر البغدادىّ

وفى يوم الأحد تاسع عشر المحرّم من هذه السنة رُسم لساير الأمرا والمقدّمين والأعيان من الحلقة أن يتوجّهوا إلى الصيد بجهة ناحية العبّاسة من الأعمال الشرقيّة بالديار المصريّة ،وأن يأخذون معهم عليق عشرة أيّام . ثمّ خرج الركاب الشريف السلطانىّ من قلعة الجبل المحروسة يوم الاثنين العشرين منه مبرّزًا إلى بركة الُحجّاج : وطلب الأربعة قضاة الأيمّة إلى البركة واجتمعوا بمولانا السلطان . وضُرب مشور فيمن يسيّر رسولاً إلى غازان صحبة رسله ، فوقع الاختيار من الأمرا على الأمير حسام الدين أزدمر المجيرىّ ومن القضاة القاضى عماد الدين بن السكّرىّ :

---

(٧) أياماً : ايام

ثمّ انتقل الدهليز المنصور إلى منزلة الصالحيّة . ودخل مولانا السلطان عزّ نصره والأمرا فى ركابه إلى البرّيّة بسبب الصيد . فلمّا كان يوم الاثنين ثامن عشرين المحرّم عاد مولانا السلطان إلى الدهليز المنصور بالصالحيّة . وأخلع على ساير الأمرا بحضرة الرسل ، فذُهِلوا لِما عاينوا من ترتيب السلطنة المعظّمة وحسن هيئة الجيوش الإسلاميّة ما لا نظروا إلى شيٍ أحسن منه . ثمّ إنّ مولانا السلطان أخلع على الرسل وأنعم عليهم كلّ منهم بعشرة آلاف درهم وتعابى قماش وغير ذلك . وسفروا صحبة الأمير حسام الدين أزدمر المجيرىّ والقاضى عماد الدين بن السكّرىّ ، وعلى يدهم كتاب ما هذا نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

بقوّة الله وإقبال دولة السلطان الملك الناصر

قد علمنا ما أشار به الملك الجليل وندب إليه ، وما عوّل فى قوله وفعله عليه ؛ فأمّا قول الملك : قد جمعنا وإيّاكم كلمة الإسلام ، وملّة النبىّ عليه أفضل الصلاة والسلام ، وإنّه لم يتطرّق ولا قصد إلاّ لِما سبق به القضاء المحتوم ، فهذا أمر غير مجهول ، بل هو عندنا معلوم

وإنّ السبب فى ذلك إغارة جيوشنا على ماردين ، وأنّهم سبَوا وفسقوا وهتكوا الحريم ، وفعلوا فِعل مَن لا له دين ، فالملك يعلم أنّ ما برحت غاراتُنا فى بلادكم ، من عهد آبايكم وأجدادكم ، وأنّ الذى فعل ما فعل من الفسّاد ، لم يكن برأينا ولا من أمرانا والأجناد ، بل هو من الأطراف الطمّاعة ممّن لا يُؤْبَه إليه ، ولا يعوّل فى قولٍ ولا عملٍ

---

(٦) إلى : إلا (٧) منهم : منهما (١٦) وإن : مكرر فى الأصل

عليه ، وأنّ معظّم جيوشنا كان فى تلك الغارة التى فى تلك الأيّام ، فى الليل قيام ، وفى النهار صيام ، طاوين لمّا لم يجدون ما يشترونه من القوت ، فصاموا وطووا ليلاً يأكلوا ما فيه شُبهةٌ وحرام

ولا يجب على الملك ابن الملك الذى أصله من عظم القآن جكزخان ، أن يقول قولاً ويقع عليه الردّ فيه قريب ، ولا يظن أنّه ساعةً واحدةً عن أعيننا يغيب ، وليعلم أنّه لو تقلّب فى مضجعه من جانبٍ إلى جانب ، أو خرج من منزله راجلاً كان أو راكب ، لكان عندنا علم ذلك على البريد ، ونطّلع من جميع أخباره على ما نحبّ ونريد ، ممّن هو إليه أقرب من حبل الوريد . فإنّ أقرب بطانته إليه ، هو العين لنا عليه ، وإن كبر ذلك لديه ، وقد تحقّقنا أنّ الملك أقام عامَيْن يجمع الجموع ، ويستنصر بالبيعة والطموع ، حتى جمع وحشد ، مِن كلّ أرضٍ وبلد ، واعتضد بالنصارى والكرج والأرمن . واستنجد بكلّ مَن ركب فرساً منْ فصيحٍ وألكن ، وطلب من الموشمات خيولاً وركاب ، وكثّر سواداً وعدّد أطلاب

ثمّ إنّه لمّا علم أنّه ليس له بجيوشنا قِبَلٌ فى معركةٍ ولا نزال ، عاد إلى التلفيق بقول الزور والمُحال . والخديعة والاحتيال ، وأبطن خلاف ذلك ، حتى ظنّ مُعْظَم جيوشنا أنّ الأمر كذلك . فلمّا التقينا كان أكثر جيوشنا يمتنع من قتاله ، ويفنّد عن نزاله ، ويقولوا لا يحلّ قتال المسلمين . ولا يجوز قتل مَن تظاهر بهذا الدين . فلهذا كان منهم ذلك الفشل ، وتأخّروا عن قتالك حتى حصل ما حصل . وأنت تعلم أنّ الدايرة كانت عليك ، وليس مِن أصحابك إلاّ مَن شكا

(٣) طووا : طوو (٨ – ٩) أقرب ... الوريد : قارن السورة ٥٠ الآية ١٦
(١٣) وألكن : واللكن ‖ سوادا : سواد

إليك ، والحرب سجال : فيوم لك ويوم عليك ، وليس هذا ممّا تُعاب به الجيوش ، ولا أشدّ الوحوش ، فإنّ لمَن قهر لا بدّ أن يُقهر ، وهذا كان بالقضاء والقدر

وأمّا قول الملك : إنّه لمّا التقينا معه مزّق جيوشنا كلّ ممزّق ، فهذا مَثَلٌ بكم كان أليق . وإن كان الملك كان غايب الجأش لِعِظَمِ هيئة جيشنا وصَوْلته ، فليسأل من أصحابه وكبار دولته ، كيف لم يحضرهم من جيوشنا إلاّ البعض ، وكيف طرحوا مُعْظَم مغلكم على الأرض ، وليس يُنكَر هذا لوقايع جيوشنا ومواقع سيوفنا من رقاب آبايه وأجداده ، وما مَن حوى بيتكم إلاّ من هو إلى الآن لابسُ حِداده ، وسيوفنا فإلى الآن تقطُر من دمايهم ، وخيولنا فإلى الآن حُفاة من دَوْس جماجمهم ، وإن كان جيشك قد داس أرضنا مرةً ، ودخل بلادنا كرّةً ، فبلادك لغاراتنا مقام ، ولسيوفنا ذمام ، فلا تغترّ بالزمان ، فكما تَدِينُ تُدان

وأمّا قول الملك إنّه ومن معه يعتقدون قولاً سرًّا وعلانيةً : فإنّ الذى جرى بدمشق فى جبل الصالحيّة . فليس يخفى على الملك إن كان مثل هذا يكون من فعل المسلمين بالمسلمين ؛ أو عمل مَن هو متمسّك بهذا الدين ، فأين وكيف وما الحجّة ؟ وحرم بيت الرحمن الهناء يُشرب فيه الخمور ، وتُهتك فيه الستور ، وتُطمث فيه البكور ، وتُقتل فيه المجاورون ، وتؤسر الخطبا والمؤذّنون ، ثمّ على رأس خليل الرحمن ، تُعلّق الصلبان ، وتُهتك النسوان ، ويدخل الكافر نجساً سكران . فإن كان ذلك عن علمك

---

(٧) إلا : الى (١٠) جماجمهم : جمايهم (١٣) قولا : قولاو (١٨) تؤسر : تاسر (١٩) نجساً : نجس

ورضاك ، فيا خَيْبة مسعاك ، فى دنياك وأُخراك ، ويا ويلك فى معادك ، وعن قريبٍ يخرّب عمرانك وبلادك ، وتُقتل أمرايك وأجنادك . وإن كان عن غير رضاك ، ولم يبلغ أذناك ، فقد أعلمناك ، أن ليس مطلوب به سِواك ، فإن كنت فى قولك صحيح الكلام ، وفى عقدك وفىّ النظام ، فاقتل التوامين الذين فعلوا هذا الفعال ، وأوقِـع بهم غاية النكال ، لنعلم أنّك أوضحت الحجّة ، وأنت على طريق المحجّة

وليعلم الملك أنّ عساكرنا لمّا وصلوا إلى الديار المصريّة وقد تحقّقوا ما تظاهرتَ به وما أضمرتَ من النيّة ، وبدّلكم الميلُ عن الإيمان ، وانتصرتم على قتالهم بعَبَدة الصلبان . اجتمعوا وتأهّبوا وخرجوا بعزمات محمديّة ، وهمّات بدريّه . ونخوات إسلاميّة . وقلوب من الشرك بريّة ، وهم عند الله تعالى عالية مرضيّة ، ووجوه بين يديه إنشا الله بيض ضوئية ، ونادوا بلسان الاستغفار ، يا أمّة محمدٍ ، البِدار البدار ، اطلبوا من الكفّار بالثار ، الحقوا أعدايكم ما داموا فى البلاد ، لتشفوا منهم غلل الصدور والأكباد . فما وسِع جيشكم إلّا الفرار . وما كان لهم على الملتقى صبر ولا اقتدار . فاندفعت عساكرنا ، وهى كالموج الزخّار ، يجدّون فى السير الليل والنهار ، إلى أن وصلوا إلى بلاد الشام ، ثمّ قصدوا أن يقصدوكم فى بلادكم ليظفروا بنيل المرام ، فخشينا على رعيّتكم أن تهلك ، ولا تجدون إلى النجاة مسلك . فأمرناهم بالمقام . ولزوم الاهتمام ، حتى ﴿ يَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾

(٢) عمرانك : عمرك (١٩) السورة ٨ الآيتان ٤٢ و ٤٤

< وأمّا > ما تحمّله قاضى القضاة من المشافهة فسمعناه ، وجميعُ ما ذكره فهمناه ، وأقمنا مقامه مَن يكون نسبته بعد ما عذرناه . وهو المشهور بدينه وعلمه ، وسكينته وحلمه ، لكنّه غريب منكم ، بعيد عنكم ، لم يطّلع على بواطنكم ، ولا ما انعقدت عليه ضمايركم . وإن كنتم تريدون الصلح والإصلاح ، وبواطنكم كظواهركم متتابعة الصلاح ، فأنت الطالب لذلك على التحقيق ، ما لم يكن فى قولك تشويه ولا تمليق . فنحن نقلّدك البغى الذى مَن سلّه به قُتل . وبهذا سار المَثَل . وبه أيضاً شهد القرآن العظيم بمثله ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ فترسل إلينا شخصاً من كبار دولتك وحكّام عشـيرتك ، ليكون إذا قطع أمراً أو فصل حكماً ، عوّلتم عليه ، وأنهيتم إليه ، ويكون له فى دولتكم تمكين ، وهو فيما يفعله ويفصله ثقة أمين . لنتكلّم معه بما فيه صلاح ذات البَيْن ، وإن لم يكن كذلك رددناه بخفَّى حُنين

وأمّا طلبُ الملك الهديّة ، من الديار المصريّة ، فليس نبخل عليه وقدره عندنا أجلّ مقدار . وجميع ما يُهدى إليه دون قدره . وإن تَغالَيْنا فى الإكثار . وإنّما الواجب أن يُهدى إلينا من العراق بأصنافها ، لنقابل هديّته إنشا الله بأضعافها . ونتحقّق صدق نيّته ، وما انعقدَتْ عليه طويّتُه ، لنفعل بعد ذلك ما يُرضى الله عزّ وجلّ وإن كنّا فاعلين . ويكون محلّه عندنا أشرفَ محلٍّ ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾

---

(٣) بعيد : بعيداً (٨) السورة ٣٥ الآية ٤٣ (١٢) رددناه : والارددناه
(١٨) السورة ١ الآية ٢ وفى سور أخر

ذكر ما جرى للمجيرى عند حضوره

بين يدى غازان

كان الأمير حسام الدين أزدمر المجيرىّ بينه وبين الوالد سقى الله عهدهما صحبة أكيدة وخشداشيّة من قديم الزمان . فلمّا عاد بعد طول مدّة إقامته عند التتار ، حتى هلك غازان ، وتملّك خدابنداه حسبما يأتى ذكر ذلك فى تأريخه إنشا الله تعالى ، فحضر عنده فى داره الوالد رحمه الله وأنا معه أسمع

قال : لمّا حضرت بين يدى محمود غازان أوقفنى بعيداً منه وكلّمنى من أربعة حجّاب. فكان أوّل كلامه لى : ما اسمك ؟ــ قلتُ : أزدمر . ــ قال : وما لقبك وأيش تُعْرَف ؟ ــ قلتُ : لقبى حسام الدين ، وأُعرف بالمجيرىّ . ــ فقال : أنتم لكم ثلاثة أسما لكلّ واحدٍ حتى تكثروا فى العدّة . ــ قال المجيرىّ : فقبّلت الأرض وقلت : يحفظ الله القآن ، نحن يشترونا التجّار من البلاد صغاراً . ويجلبونا إلى الديار المصريّة ، فيكون لنا اسم واحد . ثمّ ننتسب لاسم التاجر الذى يجلبنا ، فإذا كبرْنا عاد لنا لقب . فالمملوك اسمه أزدمر ، وكان اسم تاجرى مجير الدين ، فعُرف المملوك بالمجيرىّ . فلمّا كبرتُ وصرتُ من الناس معروفاً لقّبت حسام الدين . ــ قال المجيرىّ ، فأسمعه يقول : صدق . ثمّ قلتُ : وإنّما نُنسب للتاجر لكثرة تشابه أسماينا بعضنا ببعض ، فما يُفرّق بيننا إلا النسبة

(١٣) صغاراً : صغار (١٤) يجلبنا : يجلبا (١٨) إلا : الى

لتجّارنا الذين جلبونا . — فقال : أيش جنسك ؟ — قلتُ : قفجق . — قال : صدق

ثمّ أمر بتقريبي إليه وكلّمني من حاجبٍ واحدٍ ، وذلك بعد مسايل كثيرةٍ سألني وأنا أصْدُقه وأخرج له عن أجوبتها بمعونة الله تعالى . فمن جملة ذلك قال لى : ما محلّك عند ملك مصر ؟ — قلت : جندىّ . — قال : جندىّ ؟ — قلتُ : نعم . — قال : فنظر إلى الحاجب مغضباً وقال : قل له : ملك مصر يسيّر إلى مثلى جنديًّا ؟ ما أنت أمير عنده ؟ — قلت : نعم . — قال : على بابك طبلخاناه ؟ — قلتُ : نعم . — قال : فكيف تقول جندىّ ؟ — قال : قبّلت الأرض وقلت : يحفظ الله القآن ! والأمير جندىّ السلطان ، والجندىّ جندىّ السلطان ، ونحن عندنا كلمة تكون جندىّ ، ما هو أمير ، ونحن نفتخر باسم الجنديّة ، وكلّنا جند الله عزّ وجلّ . قال : فأعجبه وعند ذلك الوقت قرّبني . ثمّ قال : أنت مملوك هذا السلطان شراء ماله ؟ — قلت : أنا مملوكه ومملوكُ أبوه وأخوه ، وهو الذى عمل معى خيرًا ، وجعل على بابى طبلخاناه . وإنّما أنا مملوك الملك الظاهر بيبرس البندقدارىّ رحمه الله

ثمّ قال لى فى جملة كلامٍ : كم رأيت مصافًّا ؟ — فقلتُ فى نفسى : ما لسكوتى محلّ ، وأنا فقد بايعتُ الله تعالى ، قال : فقبّلتُ الأرض وقلتُ : يحفظ الله القآن ! أنت تصبى عمّا أقوله — . وإنّما الذى قال للقآن : دعه يكلّمنى حتى أجيبه فأنا كنت مع جدّك نوبة تمر قابوا . —

---

(٧) جنديا : جندى (١٤) خيراً : خير (١٨) وإنما ... أجيبه : إنما الذى قال لك هذا القول يتحدث معك بين يديك ، ز ت

قال المجيرىّ : فأطرق إلى الأرض وتكلّم مع شيخٍ من المغل كان قريباً منه

ثمّ قال : كيف هربتم منّا ؟ — قال ، فقبّلت الأرض وقلت : يحفظ الله القآن ! عسكر التتار لهم ستّين سنة يهربون منّا ونحن هربْنا مرةً واحدةً ، قال . ثمّ استثبتُّ فى كلامى وقلت : بمرسوم القآن أتكلّم . — قال : قول ! — قلتُ : يحفظ الله القآن ! ما هربْنا منكم خوفاً من كثرتكم ولا من عِظَم حزبكم ، ولكن استهْوَنّا بكم . — قال : كيف ؟ — قلتُ : نحن كسرناكم مرّاتٍ عديدةً مدّة ستّين سنة من أيّام جدّك هلاوون وأبغا ومنكوتمر وأرغون وإلى ذلك التأريخ ، فبقى ملتقاكم علينا سهلاً من أهون ما يكون . وإنّ عساكر مولانا السلطان عساكر كثيرة وخلق عظيمة لا يُعلم عِدّتهم ، وأعداه كثيرة من أربع جهات . فإقليم قوص مجاور لبلاد السُودان ، تركْنا فيه عسكراً . ثمّ إقليم آخر يسمّى ثغر الإسكندريّة مجاور لبلاد المغاربة والإفرنج ، تركنا فيه عسكراً كبيرًا . وإقليم آخر يسمّى ثغر دمياط مجاور للإفرنج أيضاً ، تركنا فيه عسكراً . ولم نخرج إليكم فى ربع جيوشنا لقلّة اكتراثنا بكم . وكان سعادة القآن كبيرةً ، فإنّك نِلت ما لا ناله أحد من جدودك و ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾

قال المجيرىّ : كلّ هذا أقوله وهو يسمع ، ولم يكن بينى وبينه غير حاجبٍ واحدٍ ، وهو يسمع كلامى وأعجبه قولى « ونِلْتَ ما لا نالته

---

(٦) خوفا : خوف (١٠) سهلاً : سهل (١٢) مجاور : مجاوراً ‖ إقليم آخر : اقليما اخرا (١٣) مجاور : مجاوراً (١٤) وإقليم آخر : واقليما اخرا ‖ مجاور : مجاوراً (١٦) أحد : احدا (١٦ – ١٧) السورة ١٧ الآية ٥٨ والسورة ٣٣ الآية ٦

جلودك » ولم يحصل له منّى حرج إلاّ فى كلامٍ واحدٍ ، وذلك أنّه قال لى : كيف يتركون أمرايكم الرجالُ < النساء > ويستخدمون الشباب ؟ — يعنى بذلك : المُردان . قال : فعلمت أنّه يريد قتلى وأذيّتى ، إذ لا بدّ لى عن الجواب ، قال ، فقلت فى نفسى : ما من الله إلاّ وإليه ، فقلتُ : يحفظ الله القآن ! إنّ أمرانا ما كانوا يعرفون شيئاً من هذا ، وإنّما هذا استجدّ فى بلادنا لمّا جاء إلينا طرغاى من عندكم ، فإنّه ورد إلينا بشبابٍ من أولاد التتار فاشتغل الناس بهم عن النساء . قال : فلمّا سمع هذا الجواب عظم عليه وأسخطه ، والتفت إلى أعيان المغل الذين من حوله وتحدّث معهم بالمغلىّ . وأنا قد علمتُ أنّى مقتول ، لا محالة ، وأنا واقف بين يديه

ثمّ قال للحاجب : قل لرفيقه : يا قاضى ، تشهد على صاحبك بما قال فى مجلس القآن ؟ — فأعاد الحاجب على عماد الدين بن السكّرىّ ، فقال : نعم ، سمعته يقول . — قال المجيرىّ : والله لم يتكلّم غازان منذ حضرْنا بين يديه مع عماد الدين السكّرىّ غير هذه الكلمة

ثمّ قال غازان للحاجب : قل له : ما تقول فى نساينا ونساكم ؟ — قال : فعلمت أنّه يريد التأكيد فى قتلى . فتشاهدتُ فى نفسى وأخلصت النيّة فى لقاء الله عزّ وجلّ وقلتُ : يحفظ الله القآن ! أنت ملك الشرق ، ويقبح أن تُذْكَر النسا فى هذا المجلس ! إنّ نساءنا يستحيين من الله تعالى ومن الناس ، ويسترن وجوههنّ ، ونساكم ، أنتم أخبر بهنّ وبحالهنّ ، — قال : فأطرق غازان إلى الأرض ساعةً ورفع رأسه وقال للحاجب : أخرجهم ! أرميهم فى المنجنيق !

---

(٥) شيئا : شىء (١٧) يستحيين : يستحيون (١٨) ويسترن وجوههن : يسترون وجوههم

قال المجيرىّ : فسحبونا من بين يديه سحباً عنيفاً ، وخرجْنا . وقالوا لنا : أوصوا بما تختاروه لأهلكم ! — قال المجيرىّ : فقمتُ أتوضّأ للموت ، وقام القاضى عماد الدين أيضاً . فسمعتُ حسّ طقطقة أسنانه وهو يُرْعِد كالقصبة فى الريح البارد ، قال : فتبسّمتُ . — فقال لى : يا حسام الدين ، هذا وقت الضحك ؟ — فقلتُ : يا قاضى ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ ٱللهُ لَنَا ﴾

قال المجيرىّ : وكان من سؤال غازان لنا قبل ذلك : كم يكون فى عسكر مصر مثلك تركىّ ؟ — قلت : نيّف وعشرة آلاف . — قال : فالتفت غازان إلى أمير علىّ بن كرابك بن بركة خان وكان بعيداً منه ، فطلبه وقال : تسمع ما يقول ، صحيح قوله ؟ — وكان قد سمع قولى ، فقال : وحقّ رأس القآن ! ما قال صحيح ، ما فى عسكر مصر مثله خمسة نفر . — فقال لى : اسمع قوله ! — قلتُ : ومن هو ذا ؟ فإنّى لا أعرفه . — فقال : هذا أمير علىّ ابن بركة خان الذى كان عندكم . — فقبّلت الأرض وقلتُ : يحفظ الله القآن ! الذى قال هو غير الصحيح . وهو من جملة الذين ما رضى مولانا السلطان يستخدمه فى عسكر مصر . وأعطاه أربعة آلاف درهم فى حلب . ثمّ تشفّع بالأمرا حتى أنعم عليه بعشرة فى حلب . ولو وجد أربعة آلاف درهم فى مصر ما هرب إليكم . — قال : فالتفت إليه وقال له : يا علىّ ، أنت من عسكر مصر أو من عسكر الشأم ؟ — قال . فسكت . فقال غازان : ما قال لنا إنّه إلاّ من عسكر مصر . — فقال المجيرىّ : وحقّ رأس القآن ، هو أقلّ مَن فى عسكر الشأم بحلب ، لا بدمشق ، وإن كان من مصر يُخرج

(٥ – ٦) السورة ٩ الآية ٥١ (٩) ابن كرابك : بالهامش

منشوره بإمرته ، بيان صدقه من كذبه ، قال :فأمر الحاجب فأُخرج أمير علىّ من قدّامه

قال المجيرىّ : ولمّا خرجْنا على أنّهم يرمونا فى المنجنيق خرج مرسوم ثانٍ بأن يحبسونا فى المدرسة ، ولا يمكّنوا أحدًا من العبور إلينا ، ولا نخرج ولا نعبر . وضيّقوا علينا غاية الضيقة فى طول تلك المدّة ، قال : فعلمْنا أنّ نحن من المغضوب عليهم من جهة غازان

قلتُ : وتمام كلامه يأتى عن ذكر خلاصه ومجيه إلى الديار المصريّة إنشا الله تعالى

وفيها كان فتنة فتح الدين بن البققىّ ، وذلك أنّه كان رجلاً متضرّعاً بعلمٍ جيّدٍ . وكان فيه مقافزة وشمم وتطوُّل على الناس بلسانه . وتسلّط على أعراض الكبار من القضاة وغيرهم . وكان كثيراً ما يلعب بلسانه فى حقّ الشرع المطهّر خلاء وملاء . فلمّا كان نهار الاثنين الرابع والعشرين أُحضر المذكور من السجن ، وهو فتح الدين أحمد بن البققىّ الحموىّ ، إلى بين القصرين ، وأُوقف قدّام شباك دار الحديث ؛ وهى المدرسة الكامليّة ، والموالى القضاة الأربعة جلوس داخل الشباك ، وجماعة العدول والفقها والمشايخ ، وهو يلفظ بالشهادتين . وكانت البيّنة قامت عليه من قبل ذلك بمدّةٍ . وكان يستحرم لتعلّقه بخدمة الأمير شمس الدين سنقر الكمالىّ أمير حاجب . فإنّه كان يلاعبه بالنرد فحصل بينهما ذات يومٍ فى الملاعبة مخالفة ، فشطح ابن البققىّ بكلامه . وكان ربّما أنّ الأمير شمس الدين عُوتِب فى الباطن بسببه وتقريبه ، فجعل ذلك الكلام فى ذلك الوقت سبباً

(٩) رجلا متضرعاً : رجل متضرع (١١) كثيراً : كثير (١٤) وأُوقف : واقف

لإبعاده . وربّما تحدّث مع القاضى زين الدين بن مخلوف المالكىّ بسببه ، وقال : أنا ما أحمى رجلاً كافراً ، — فكان هذا سبب اعتقاله . فلمّا حضر ذلك اليوم من السجن قامت عليه البيّنة بين يدى الموالى القضاة ممّا يوجب إهراق دمه من تنقيصه للقرآن العظيم والوقوع فى حقّ سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والاستهانة بالعلماء وغير ذلك من تحليل المحرّمات . وقد كان قبل ذلك أحضر محضراً فى سنة ستّ وثمانين وستّ ماية يتضمّن أشياء قباح لايليق بنا ذكرها . ثمّ حضروا جماعة أخر ، وشهد كلّ واحدٍ عليه شهادةً بقولٍ قبيحٍ من أنواع الزندقة ، فنعوذ بالله من الخذلان . وكان الشهود فى ذلك الوقت أكثر من ثلاثين نفراً . فعند ذلك حكم القاضى زين الدين المالكىّ رحمه الله بقتله ، وإن أسلم لا يُقْبَل منه ، وعاد يصيح : يا مسلمين ، أنا أشهد أنّ لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله ، البعيد كافر وقد أسلم . — فلم يقبل القاضى توبته ، وأمر بضرب عنقه . فضربه شخص كان يسمّى علاء الدين آقبرس الموصلىّ . وحُمل رأسه على قصبة ، وسُحب بدنه إلى ظاهر باب زويلة ، فعلّق هناك . وكان قبل ذلك قد كتب فتوى وهو فى السجن ، ونفّذها إلى قاضى القضاة الشيخ تقىّ الدين بن دقيق العيد رحمه الله وساير علما المسلمين فكتب عليها ، إن يتوبوا يغفر لهم ما قد سلف . فقالوا المالكيّة : هذه الآية نزلت فى حقّ الكفّار إذا رجعوا ، ثمّ أسلموا ، ثمّ رجعوا ، وقُتل . ولم تفده الفتوى ولا الإسلام فى ذلك الوقت . وكان الأعزازىّ الشاعر قد عمل فيه يقول < من السريع > :

---

(٢) رجلاً كافراً : رجل كافر (٣) ذلك : مكرر فى الأصل (١٦ – ١٧) إن . . . سلف : قارن السورة ٨ الآية ٣٨

قل للإمام المرتضى كاشف الـ مشكل بين النـــاس والمبهم
لا تُمهِل الكافر وآعمــل بما قد جاء فى الكافر عن مســلم
وقُم لذات الدين وآغضب له وآقض بمـا جىء به وآحكُم
وآســفِك دماء البقىّ الذى يُعـرف بالزنديق والمجـرم
فإنّه والله والصـادق الـ مبعوث فى النـاس حلال الدم

وفيها وصلت القصّاد من الشرق فى شهر صفر وخبّروا أنّ غازان قد عزم على الركوب لقصد الشأم ، وأنّ بولاى قد قارب الفُراة . فبرز المرسوم بتجهيز العساكر المنصورة

ثمّ وصــل الأمير علاء الدين الفخرىّ وأخبر عن الأمير زين الدين كتبغا النايب يوم ذاك بحماة المحروسة أنّ فى شهر المحرّم من هذه السنة وقع ما بين حماة وحمص بـَرَد وفيه شىء على صورة بنى آدم إناثٍ وذكورٍ وعلى صورة قرودٍ مع صور مختلفة . وورد مطالعته إلى الأبواب العالية بذلك

وفيها توفّى الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين أحمد إلى رحمة الله تعالى ، وبويع ولده أبو الربيع سليمان

---

(١) كاشف زت : وكاشف ‖ المشكل : المبهم ، مصحح بالهامش ‖ بين الناس زت : — (٣) وافض بما جىء زت : واقضى بما أمر (٤) دماء زت : دم ‖ والمجرم زت : وبالمجرم (٥) فى الناس زت : — (٩) أخبر عن : اخبر ان (١١) برد : برداً

ذكر خلافة الإمام المستكفى بالله

أبى الربيع سليمان بعد وفاة أبيه رحمه الله

توفّى الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى وقت السحر بالكبش المطلّ على بركة الفيل، وخُطب باسمه فى ذلك اليوم صبيحة وفاته، ولم يُعلم بموته، رضى الله عنه. ثمّ بعد ذلك سيّر الأمير سيف الدين سلاّر نايب السلطنة المعظّمة طلب المشايخ والصوفيّة أرباب الخوانق والزوايا بمصر والقاهرة. وتولّى غسله وتكفينه الشيخ كريم الدين شيخ الشيوخ بخانقاه سعيد السعداء، وحُمل من الكبش إلى جامع ابن طولون، ونزل نايب السلطان وجميع الأمرا ومشّوا فى الجنازة. ثمّ حُمل إلى تربته بجوار ضريح الستّ نفيسة رضوان الله عليها

وكان قد أوصى بولاية عهده لولده الإمام المستكفى بالله أبى الربيع سليمان، وكان له من العمر فى ذلك الوقت عشرين سنة. وكان يوم الأربعا سادس عشر الشهر المذكور قد أحضر الإمام الحاكم جماعة الأيمّة القضاة مع عدّةٍ من العدول. وأشهدهم عليه بولاية العهد من بعده لولده المشار إليه، وأشهد عليه أنّه ولّى مولانا السلطان الأعظم الملك الناصر خلّد الله ملكه جميع ما كان أبوه قد ولاّه فى حياته وفوّض إليه جميع ما كان أبوه قد فوّضه إليه. ثمّ لبس خلعة الخلافة وأخلع على إخوته وأولاد أخيه، وكان ذلك بالقلعة المحروسة، ورُتّب له ما كان لأبيه من جميع رواتبه والله أعلم

---

(٢) أبى : ابو (١١) أبى : ابو

وفيها توفّى السيّد الشريف أبو نميّ نجم الدين محمد بن إدريس ابن قتادة بن حسن الحسنيّ صاحب مكّة شرّفها الله تعالى ، وخلّف من الأولاد الذكور أحداً وعشرين ولداً ، ومن الإناث اثنتى عشرة بنتاً . وتولّى مكانه ولداه حميضة ورُميثة

وفيها توفّى الأمير علم الدين أرجواش نايب قلعة دمشق ، رحمه الله تعالى

ذكر سنة اثنتين وسبع ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم

ما يخصّ من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر أدام الله أيّامه . ونشر فى الخافقين أعلامه . سلطان الإسلام ، والملوك حسبما تقدّم من ذكرهم ، وكذلك النوّاب

وفيها فُتح جزيرة أرواد بالسيف عنوةً على يد الأمير سيف الدين كُهُرداش والأمير سيف الدين أسندمر نايب طرابلس . وهذه الجزيرة بالقرب من أنطرطوس فُتحت بتيسير الله تعالى يوم الأربعا ثانى شهر صفر المبارك ، ووصلت البشاير بذلك . وأُسر منها ما يزيد عن ألفى نفر خارجاً عن القتلى . وكان منها مضرّة كبيرة على المسلمين ببلاد الساحل .

وفيها ظهرت دابّة عجيبة من النيل بالديار المصريّة ، يقال إنّها تُعرف بفرس البحر ،وكان ظهورها بالمنوفية يوم الخميس رابع جمادى الآخرة

---

(١٣) أرواد : اروا (١٥) بتيسير : بتيسر

الآخرة بين ثلاث بلادٍ وهم: منية المسرّد واصطبارى والراهب . وصفتها : لون الجاموس ، جلدها بغير شعر ، وآذان كآذان الجمل ، وعيناها وفرجها مثل الناقة ، ولها ذنب يغطّى فرجها طول شبرٍ ونصفٍ ، طرفه شبه ذنب السمك ، ورقبتها غلظ التلّيس المحشى تبن ، وشفتاها شبه الكرbال ، ولها أربعة أنياب ، اثنان من فوق واثنان من أسفل ، طولهم دون الشبر وعرض إصبعان ، وفى فيها ثمانٍ وأربعين ضرسًا وسنًا شبه بيادق الشطرنج الكبير ، وطول يديها من بطنها إلى الأرض شبرين ونصف ، ومن ركبتها إلى حافرها شبه بطن الثعبان أصفر مجعّد ، ودور حافرها قدر السكرجة بأربعة أظافر شبه أظافر الجمل ، وعرض ظهرها ذراعين ونصف ، وطولها من فرطوسها إلى ذنبها خمسة عشر قدمًا ، ووُجد لها لمّا قُتلت وشُقّ جوفها ثلاث كروش ، ولحمها أحمر وزفرته كزفرة السمك . وقالوا إنّ طعمه مثل لحم الجمل . وغِلَظُ جلدها أربعة أصابع ما يعمل فيه السيف شيئا . ولمّا حملوها حُملت على خمسة جمال ، وأحضروها إلى القلعة المحروسة . وجعلوها كالبَوّ وحشَوا جلدها تبنًا ، وأقامت كذلك مدّةً كبيرةً على باب الخزانة المعمورة

وفيها كان المصافّ مع التتار ،والأخذُ منهم بالثار . وهى نوبة شقحب

(٦) ضرسا : طرسا (٨) ركبتها : ركبها

ذكر نصرة الإسلام على التتار اللئام

لمّا كان العشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة برزت المراسم الشريفة السلطانيّة الناصريّة أعلاها الله تعالى ، بتجهيز عشرة آلاف فارس من أعيان الناس بالجيوش المنصورة ، يقدُمهم الأمير حسام الدين أستادار والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، ويتوجّهون لحفظ الشأم المحروس ، وذلك لمّا صحّت الأخبار بقصد التتار إليه ، لتطمئنّ قلوب أهله . فتقدّمت هذه التجريدة فى ذلك التأريخ

ثمّ وردت الأخبار أنّ التتار عدّوا الفراة البعض منهم ، وغاروا على أطراف البلاد . فعند ذلك برز الدهليز المنصور السلطانىّ ، وكان توجّه الركاب الشريف من الديار المصريّة العشرين من شهر رجب الفرد من هذه السنة ، والسعد قدّامه ، والنصر أمامه ، والتوفيق رفيقه ، والرفيق الأعلى قد سهّل طريقه ، والملايكة قد حفّت أعلامه وصناجقه . وقد توكّل على الله خالقه ، وروايح النصر قد عطّرت بشذاها الآفاق ، ولوايح القهر قد ظهرت بقدرة العزيز الخلاّق ، فنزل بالدهليز المنصور ، وقد أحاط به الظفر بأعداه إحاطةً كإحاطة السور . وليس فى الجيش إلاّ مَن هو فى إلفه وحِلفه ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾ فاستقرّ أيّده الله بالملايكة المقرّبين ، وبكتابه المبين . إلى الخامس من شعبان المكرّم ، فركب طالبًا للعدوّ المخذول . وقد جعل

(١٦ – ١٧) السورة ١٣ الآية ١١

النومَ على جفنه الشريف محرّمًا ، إلى أن يبلّغه الله فى أعداه ، غاية قصده ومنتهى مُناه

وكان بيبرس الجاشنكير لم تبرح آرايه معكوسةً ، وأحواله منحوسةً ، لما كان يُضمره ويُخفيه ، من مكره الذى كان فيه ، حتى عاد وكلّ رأيٍ يظنّ أنّه ينجح . يلقى من تلقايه لا أفلح . فكان من عكس رأيه وسوء تدبيره أنّه كان مقيمًا بالتجاريد التى خرجت صحبته بدمشق ، وهو يهدر ويرعد ، ويُرغى ويُزبد ، ويقول : وما هم التتار ؟ أنا ألقاهم وأُبدّد شملهم بهذا الصارم البتّار . — وهو يظنّ أنّهم لا يقدمون على البلاد ، إذا بلغهم أنّه فى تلك العدّة والسواد . فلمّا تحقّق مأتاهم ، وتعيّنَ له لقياهم ، أدركه الزّمَع ، وظهر عليه الهلع ، وتزايد اصفراره . ودخلت فكوكه وطال منقاره . وخرج من دمشق وصناجقه ملفوفة ، وطبوله مكفوفة ، وأهل دمشق يَسبّوه على هذه الفعال ، وكونه منع الجُفّال ، من الجفل فى أوّل حال ، وغرّه لهم بالمحال ، وخرجت فى أثره الأهل والعيال . والنسا والأطفال . مع البنات ربّات الحجال ، فى أنحس الأحوال . لا تعى الرجال على النسا ولا النسا على الرجال . وليس فيهم إلاّ من يدعو عليه ؛ وهو يسمع ذلك منهم بأذنيه . فلم يزل ذلك دابه . وقد غاب صوابه ، ولا يردّ على أحدٍ جوابه

وما برح على هذه الصورة ، حتى ظهرت السناجق المنصورة ، التى عليها آيات النصر بالتلاوة مقصورة ؛ فلمّا عاين الجيوش الناصريّة سكن جأشه بعد الفَرَق . ولمّا شاهد العساكر المحمديّة حمد الله تعالى ربّ الفَلَق ، وزال ما كان قد اعــتراه من القَلَق ، ولم يزل كذلك حتى

(١) محرماً محرم (٧) لقاهم القاهم (١٢) هذه . هذا

وقعت عينه على الأسد المصور ، والليث الكسور ، والعُقاب الجسور ، الملك الناصر المنصور ، وشاهد من وجهه سواطع النور ، وهو كاللبوة إذا فارقت أشبالها ، وجيوشه المنصورة قد طبّقت سهول الأرض مع جبالها ، قد حفّت به الملايكة المقرّبين من كلّ مَلَك كريب ، وقد كُتب بالنور على تاجه ﴿ نَصْرٌ مِنَ ٱللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ فلمّا عاين من قدرة الله تعالى ما لعقله قد حيّر ، وللُبّه قد أبهر ، ونظر ، فإذا مكتوبٌ بقلم النور على علمه الأصفر ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ ثمّ حقّق النظر عن يمينه ، فإذا على طرازه مكتوب : فتح الله ونصر ، وعلى يساره مكتوب : الله أكبر ، هذا الملك المؤيّد بالظفر . هنالك علم أنّ هذا ليس فى قدرة البشر ، وأنّه تأييد إله تعالى فقدّر ، ليحيّر فى لطايف صنعه العقولَ والفكر . ليعتبر بذلك كلّ مَن بغى عليه ولنعمته كفر ، فلم يملك نفسه دون أن رمى بها ، ولثم التراب . ثمّ بعدها قبّل الركاب ، وهو يقرأ فى نفسه ﴿ هَذَا عَطَآؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ والحسد من حينئذ قد داخله . ولم يزل به حتى كان قاتله ، فللّه درّه ما أعدله . بدا بصاحبه فقتله . فلو كان له فى نفسه بصيرة ، لألقى معاذيره . وإنّما أراد الله تعالى أن يقضى مقاديره ، لتكون سيرته الشريفة أعظم من كلّ سيرة . وكان ملتقى العساكر الإسلاميّة بعضهم ببعض ، وامتلأت بهم الأرض ، نهار السبت مستهلّ شهر رمضان المعظّم أوّل النهار المبارك ، وفيه كان النصر للإسلام مشارك

---

(٢) كاللبؤة : كالبوه (٤) من كل ملك كريب : بالهامش ، هكذا بالأصل ولعله كروب (٤ – ٥) السورة ٦١ الآية ١٣ (٦ – ٨) السورة ٤٨ الآيتين ١ و ٢ (١٣ – ١٤) السورة ٣٨ الآية ٣٩ (١٦) نفسه . . . معاذيره : قارن السورة ٧٥ الآيتان ١٤ و ١٥

فلمّا كان بعد صلاة الظهر ظهرت جيوش المغل تتعثّر ، كالجراد الأحمر ، وذلك أنّهم لمّا بلغهم أنّ بيبرس الجاشنكير خرج عن دمشق وأخلاها ، وأنّها لهم خلاّها ، ظنّوا أنّ ذلك منه خدْعة حتى يدخلون إليها ويشتغلون بنهبها . فيعود عليهم سرعة ، وكان هذا ممّا أرماه الله تعالى فى قلوبهم من الهيبة ، حتى يعودوا مكسورين بالخيبة ، وصان دمشق وحماها بلطفه وكلأها

ثمّ التقى الجمعان ، وعمل الضرب والطعان ، وصبر الشجاع وفرّ الجبان ، وعمل الصارم ، ولِمته فى الجماجم ، وخطر الأسمر ، يميس فى لباسه الأحمر ، وغنّى الحسام ، وانقطع الكلام ، لمّا زادت الكِلام ، ورقصت الخيول ، على دقّات الطبول ، وهاجت بلابل الشجعان ، لمّا عاد الجبان ، خرْسان من الخُرسان ، وسِهام الحُداق فى الأحداق . والمهنّد قد ﴿طَفِقَ مَسْحاً بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ وعاد الأسمر بين الصفوف فى الحىّ يميل ، فكم عاد له من حىٍّ قتيل . فلمّا تهيّأت الجزور . بعد فوران تلك القدور ، تقدّمت إلى تلك الدعوة الوحوش والنسور ، فأمعنوا من لحومٍ لا عاد لها نشور ، إلاّ يوم النشور . وكلٌّ من الجنسين عاد للجيشين شكور ، ولهذا اليوم المذكور ذَكور ، مع علمه أنّه فى شكره قاصر ، لِما فعله فى ذلك اليوم السلطان الأعظم الملك الناصر . فلمّا نظر الأسد إلى صبره وثباته ، صغرت عند نفسه وَثَباتُه ، وعلم أنّ ثباته بإقدامه ، أعظم من وثباته وأقدامه . ولمّا عاين الذئب هذه الجسارة ، علم أنّ جسارته بعدها خسارة ، فقال الضبعان : لِسان حالى يقصُر عن وصف شجاعة هذا السلطان ، وإنّما أدعو له إذا مَشيت ، وأنا من وليمة أسيافه

(١٠–١١) خرسان من الخرسان : خرصان من الخرصان (١١ – ١٢) السورة ٣٨ الآية ٣٣ (١٢) فى الحى : بالهامش

شبعان : — فقال النسر للعُقاب : ما آن لنا أن نروّى من دم هذه الرقاب ، وكيف نُلام إذا حلّقنا على صفر الأعلام ؟ وكيف لا يكن كلٌّ منّا لهذا الملك الإمام غلام ؟ — فقال العقاب : أنا من قبلك بهذا البيت أتشرّف ، إذ كنتُ لم أزل غلام أعلام أخيه الأشرف ، فعرف لى هذه الحقوق ، ولم يبرح بارًّا لا عقوق . — فقال لسان الحال ، فهو صاحب هذا المقال < من الكامل > :

ذُو راحةٍ وكفت ندًا وكفت ردى   تقضى بهُلك عِداته وعُداته
كالغيثِ فى إروايه ورِوايه   والليث فى وثباته وثباته

ولم تزل هذه الوليمة بين جيوش بنى يافث ، وهم فى غاية الازدحام ، إلى أن فرّقت بينهم جيوش حام . والجيوش الناصريّة قد أشرفت ، وفى إهراق دما التتار قد أسرفت ، إلى أن التجئوا إلى تلٍّ هناك ، وقد تعيّن لهم عين الهلاك . وأحاطت بهم الجيوش إحاطة مَن آمنَ بمَن كفر ، لا إحاطة الهالة بالقمر . وباتوا بليلةٍ مسودّةٍ شيّبتها بوارق السيوف ، طويلةٍ قصّرها عندهم انتظار الحتوف . وقد يُروى أنّ ليالى الهموم طوال ، وهذه الليلة مع همومهم كانت عليهم أقصر من طيف الخيال . وإن ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ ﴾ وكان صباحهم كثامن يوم عاد ، كأنّهم كانوا وهم على ميعاد ، فأصبحوا جاثمين و﴿ سَاءَ صَبَاحُ ٱلْمُنْذَرِينَ ﴾ فلمّا نظروا إلى ما حلّ بهم من الويل . وقد انحدرت عليهم الجيوش الإسلاميّة انحدار السيل ، تحقّقوا أن لا مناص . ولا مِن الموت خلاص ، لاموا بعضهم بعض ، وقالوا : أما كان لنا معتبر

---

(٤) لم ازل : مكرر بالهامش ‖ أخيه : أخوه   (٥ — ٧) فقال ... وثباته : الهامش   (١٥) السورة ٦٩ الآية ٧   (١٧) السورة ٣٧ الآية ١٧٧   (١٩) معتبر : معتبرا

بما تمّ على أصحابنا بعُرض ؟ وأين غازان ؟ لقد عرّضنا للهوان . فلو كان بهذا المكان ، لطلب الأمان ، من سيّد ملوك الزمان . ولم يبق منهم إلاّ مَن ندم وتاب ، وأقلع وأناب

فلمّا نظر الله تعالى إلى ذُلّهم وكسرهم ، أوحى إلى قلب مولانا السلطان بجبرهم ، فحنى عليهم بقلبٍ رءوف ، وأجارهم من حتوف السيوف ، وعلم أنّ الإيمـــان من الكفر قد اشتفى ، وأنّه قد قدر وعفى < من البسيط >:

شُمس العداوة حتى يُستقاد لهم   وأكثر الناس أحلاماً إذا قدروا

وذلك بعد ما استشار الأمرا الكبار . فلمّا علموا الأمرا أنّه داخلته الرحمة ، وأنّه رأى إطلاقهم شكران هذه النعمة ، أشاروا بإطلاقهم ، وفكّ خناقهم . وذلك عند وقت الهاجرة ، ففتحوا وعتقوا تلك الأمّة الفاجرة . فلمّا علموا أنّهم عادوا عُتقاً ، ومن قبضة بأسه طلقاً ، صرخوا صرخةً عظيمة ، وولّوا الأدبار بالهزيمة ، ولم يلوى منهم الوالد على الولد ، ولم يزل السيف يعمل فيهم إلى آخر يوم الأحد . وعلى الجملة : فإنّه لم يصل إلى بلادهم إلاّ النادر ، والنادر لا حُكم له ، والذى وصل لم يقم إلاّ أيّاماً وهلك بمرضٍ اعتراه كالوله

وكان فى يوم السبت ، وهو أوّل الملتقى ، حملت ميسرة التتار — وكان جمرتهم — على ميمنة المسلمين ، فكُسرت وقُتل من أمرا المسلمين بها وأعيانهم

---

(٨) البيت بالهامش ‖ شمس : شم ، انظر ديوان الأخطل طبع بيروت ١٨٩١ ص ١٠٤ (١٥) إلى بلادهم : الا بلادهم ‖ حكم : حلم

من يذكر ، وهم : الأمير حسام الدين أستادار ، وأولياء بن قرمان ، وأمير علىّ بن دودا ، وسنقر الكافرىّ ، وأيدمر الرفا ، وأيدمر النقيب ، وأيدمر القشّاش ، وآقوش أمير آخور ، ولاجين الموصـــلىّ الخطّابىّ ، والحسام بن ناخل مع جماعة أخر من أمرا الشأميّين ، ختم الله لهم بالسعادة ، وفازوا بالشهادة ، عوّضهم الله الجنّة

ونصر الله تعالى هذه الأمّة المحمّديّة ، والعساكر الناصريّة المحمديّة ، وأيّد الله الإسلام ، واطمأنّت نفوس أهل الشام . ودخل مولانا السلطان خلّد الله ملكه مؤيّداً بالنصر والظفر ، على رغم أنافى التتر ، إلى دمشق يوم الثلثا ثالث يوم الوقعة المباركة بأرض شقحب . وزُيّنت دمشق لدخوله وكان يوم عظيم بدمشق . ثمّ عاد الركاب الشريف إلى الديار المصريّة ، فى جيوشه الناصريّة . وزُيّنت القاهرة زينةً عظيمة ، ما شُهد مثلها فى الأزمنة القديمة . وأقام الفرح والسرور ، والغبطة والحبور ، بالديار المصريّة ، وبالقاهرة المعزّيّة ، ما ينيف عن خمسين يوم ، وكأنّها كانت فى النوم . ولمّا حلّ ركاب مولانا السلطان ، وأيّده الله بالقرآن ، شقّ القاهرة المحروسة ، والقاهرة بزينتها كالعروسة ، والأمرا من التتار بين يديه على خيولهم مجنوبة ، وطبولهم البعض مشقوقة والبعض مقلوبة . وكان يوماً مشهود ، لم يُر مثله مذ كان الوجود . وكان دخول مولانا السلطان عزّ نصره إلى القاهرة المحروسة ، وشقّها وطلوعه إلى قصره واستقرار ركابه الشريف بكرسىّ مملكته وديار مصره < الثالث والعشرين > من شوّال من هذه السنة العظيمة الأمن والبركة ، السعيدة الإقبال والحركة

---

(١٩) الثالث والعشرين : أضيف من ز ت

< من الطويل > :

وألْقتْ عصاها واستقرّ بها النّوَى كما قرّ عينًا بالإياب المسافرُ

< من الكامل > :

وتآنَستْ بالقادمين منازل كانت عليها وحشة مذ بانوا

ونطقت بعد ذلك ألسُن أهل الفضل من الأكابر، الذين لأقدامهم صيغت رءوس المنابر ، فممّا استُحسن واستُجيد ، قصيدة القاضى شرف الدين ابن الوحيد ، ابن عميد الوقت أو عبد الحميد ، التى أوّلها ، يقول < من الطويل > : .

لقد تمّتِ النُعمى وأوضحتِ البُشرى وقد أعبَقَ الفتح المبين لنا نَشْرا
حَبانا إله الخلق بالنصر والهدى على الشرك والإيمانُ قد غلب الكُفْرا
ولمّا غزا غازانُ عُقْرَ ديارنا وأعطاه مَن يعطى ومَن يمنعُ النَصرا
تمرّدَ طغيانًا وتاه تجبُّرًا ولم يرتفق سعيًا ولم يستفق سُكرا
وجاءتْ ملوكُ المغل كالرّمْل عدّةً وقد ملأت سهلَ البسيطة والوعرا
فأنصفتِ الأيّامُ فى الحكم بيننا فكانت له الأولى وكانت لنا الأخرى
وأقبل سلطانُ الزمان مؤيَّدًا يقودُ الجيادَ الجُرد والعسكرَ المجرى
وكان نهارُ السبت بالنصر شاهدًا بصدق وكان الوقت قد قارَبَ العصرا
فللّه دَرُّ الترك كم سفكوا دمًا وكم قطعوا رأسًا وكم جزروا نحرا
فولّت ولاذت بالجبال تحصّنًا ولولا تخافُ القتلَ لاختارتِ الأسرا
فحمدٌ لسلطان الزمان محمد وشكرٌ لمولًى قد أباد العِدَى قَسْرا

(٤) وتآنست ... بانوا : بالهامش || منازل : منازلا (١٣) ملأت : ملكت زت
(١٩) لسلطان الزمان : لسان الزمان || العدى : الاعادى ، مصحح بالهامش

أجلّ ملوك الأرض والناصر الذى   أذاق العِدَى ضِيقًا وأوسعنا صدْرا
فلا زالتِ الأقدار تحت مراده   ولازال يعْلُو فوق هامِ السُّهى قدرا

٣ وقال الآخر < من الخفيف > :

ملكٌ أيْنما توجّه تلقا   هُ سَحابٌ ورحمة ورخاء
فهو غَيْثُ الثّرى وغَوث البرايا   أينما حلّ حلّتِ النَّعماء

٦ وقال الآخر < من الخفيف > :

ما سمِعْنا مِن قبْلهم بملوكٍ   يسبِق الريح وَفْدُهم حين يَسرى
بينما قيل إنّهم فى شآمٍ   فإذا هم يُرَوْنَ فى أرض مصر
٩ كيف راحوا وكيف جاءوا ترانا   حَيْرَةً فى أمورهم ليس ندرى
نحن معهم وليس معْنا حديث   عنهُمُ بالذى من الأمر يَجْرى
أتُراهم ملايكاً أمْ ملوكاً   فى عَفافٍ وفى اختفاء ونصر

١٢ وكقول الآخر < من البسيط > :

بيضُ العوارض طعّانون مَن لحقوا   من الفوارس سلاّلون للنِّعَم
قد بُلِّغُوا بِقَناهم فوق طاقتهم   وليس يُبْلَغُ ما فيهم من الهِمَم
١٥ فى الجاهليّة إلاّ أنّ أنفسهم   مِن طِيبهن به فى الأشهر الحرم

---

(٨) فاذا زت : واذا (١١) ونصر : ونصرى (١٣) للنم : للنعمى (١٤) المم : الممى

ومن ذلك قصيدة نجم الدين بن العينيّ التى منها يقول < من الكامل > :

وإذا نظَرْتَ إلى السهول رأيتَها　　تحت الضّباب فوارساً وجنايبا
فكأنّما كُسِيَ النهار بها دُجًى　　داجٍ وأطلعتِ الرماح كواكبا
خيلٌ فوارسُها الأسُود يقودها　　أُسْدٌ تصير لها الأُسُود ثعالبا

ومن ذلك قصيدة محمد البزّاز المنبجيّ يمدح مولانا السلطان عزّ نصره وهى < من البسيط > :

وافى على قَدْرٍ ما يختارُه القَــدَرَ　　وجاء عمّا جناه الدهر معتذرُ
وإنْ أساءت لياليه التى سلفَتْ　　ظُلْماً فقد أحسنتْ أيّامه الأُخر
وبعد إدراكك الثارات منتصراً　　فكلُّ ذنبٍ جناهُ قبلُ مغتفر
بشايرٌ طار بالإقبــال طايرُها　　لمثلها كانت الأيّام تنتظر
فَتْحٌ على جبهة الإســلام أسعدَه　　بالجدّ والســعد والتأييد منتظر
ما شاهد الناس فتحاً مثله أبداً　　إلاّ فتوحاً تولّى أمرها عُمَر
سارت بأخبارها الرُكبان واقعةٌ　　لم تحوِ أمثالها الأخبارُ والسيرُ
وفى الليالى إذا عُدّت محاسنُها　　أسمارُ فى كلّ نادٍ ذكرها سمرُ
عمّ السرورُ بها كلَّ النفوس فما　　للناس فى لذّةٍ من بعدها وطَر
إنّ البغاة بَنِى خاقان أقدمَهم　　على هلاكهم الطغيانُ والأشَرُ

---

(٢) رأيتها : رئيتها　　(٤) فوارسها : فورسها　　(١١) منتظر : مقتطر
(١٢) أمرها : أمره

راموا، وقد حشدوا، غُلْبًا فما غلبوا وحاولوا النصر تضليلاً فما نُصروا
أتَوا وقد مكر الله العزيز بهم فردَّ طغيانَهم بالغيظ إذ مكروا
٣ وضيّقوا الأرض من سهلٍ ومن جبل كأنّما هم جرادٌ فيــه منتشر
داسوا بلادك لا يثْنِى أعِنَّتَهم عن قصدها جهلُهم والتِّيهُ والبَطَرُ
غرّتْهُمُ فلتةٌ فى الدهر عن غلطٍ منها فخلّت بهم من بعدها العِبَرُ
٦ وأمّلوا أنّها مثلُ التى ذهبَتْ فعوّدوا ودماهم فى الفلا غُدُرُ
قابلتَهم بجيوشٍ ما لهم قِبَلٌ ببأسها فلقد قلّوا وإن كثروا
أفنَيْتَهم بليوثٍ منك باسلةٍ وهل تقاومُ آسادَ الشرى الحُمُرُ
٩ فكَمْ قتيلٍ له من بُعد صولته تحت السنابكِ أمسى وَهْوَ منعفِرُ
عِصابةٌ لم تزل بالحقّ ظاهرةً فى الحرب بالله والأملاك تنتصر
من سيّد الرُّسْل بالتأييد قد وُعِدَت فالنصر يخدمُها ما زال والظفَرُ
١٢ يا وقعةَ المرج مرج الصُفّرِ افتخرَتْ بِكِ الوقايعُ فى الآفاق والعُصُرُ
رفعْتِ بالنصر أعلامَ الهدى ولقد جرّدْت للشرك كسرًا ليس ينجبر
يومٌ تَدارَكَ جمعَ المسلمين به مَن لم يزل فى يديه النفعُ والضَّررُ
١٥ يا مَن أوامرُه والله يعضُدُه بها الليالى مع الأيّام تأتمِرُ
لو لا يُثَبِّتُكَ الله العزيز به لم يبق للناس لا سمعٌ ولا بصَرُ
قرّت به أعينُ الإسلام وابتهجَت به القلوب وكادت قبلُ تنفطِرُ
١٨ يا مخجل السيف عزماً وهْو منصلت والمرعبَ الليث بأساً وهْو منتصر
والثابت الجأش والأقدام فى دحض فيــه التَثَبُّتُ إلاّ أنّه عَسِرُ

---

(٦) التى زت : الذى (٧) لهم زت : لها (١٦) للناس زت : للدين

يا ناصر الدين يا مَن حسن دولته   آمست على دول الماضين تفتخر

أوقدت نيران حربٍ أصبحوا حطباً   للجمر منها لها شوك القنا شرر

دارَتْ عليهم رَحاء الموتِ فانهزموا   فما لهم بعــدها عينٌ ولا أثَرُ

وضاقت الأرض مذ ولّوا بما رحبت   عليهمُ فهُمُ بالخوف قد حُصروا

وأُلبِسوا الذُّلَّ حتى إنّ أشجعهم   يأتى إليك بألفٍ منهُمُ نفروا

وبعدها قد أمِنّا كلَّ حادثةٍ   فما لِنابيــةٍ نابُ ولا ظُفرُ

السيّد الناصرُ المنصورُ جحفَلُه   زَهَتْ برونقه الآصالُ والبُكَرُ

هزّت معاطفَها الدنيا به فرَحاً   وطاب بالأمْنِ فى أيّامه العُمرُ

أزالَ عنّا مخافات النفوس فما   يدور بالخوف أوهامٌ ولا فِكَرُ

يا من به راقت الأوقات وابتسمت   بعد العبوس فما فى صفوها كدرُ

لا زال مُلكُكَ مُلْكاً لا نَفادَ له   ما شقّ شُقّةَ جِلبابِ الدجى سَحَرُ

ومن قصايد البشاير ما نظم القاضى جمال الدين أبو بكر قاضى عجلون، نيّف ومائة وخمسة عشر بيتاً . وقد أثبتُّها هاهنا بكمالها بحول الله وقوّته وهى < من البسيط > :

الله أكبر : جاء النصر والظفر   والحمد لله . هــذا كنتُ أنتظرُ

---

(٣) لهم زت : بجمعهم (٤) وضاقت زت وجافت (٧) برونقه زت . برونقها (٩ - ١١) أزال ... سحر بالهامش (٩) مخافات النفوس رت : مخافات فى النفوس

وأبرزَ القَــدَرَ المحتومَ بارئُه   سبحانه بيــديه النفعُ والضررُ
وهَوَّنَ الصعبَ بالفتح المبين لكم   ربٌّ يَهُونُ عليه المُقفل العَسِرُ
٤ ولم تزل شِرْعَةُ الإسلام ظاهرةً   اِجْزِمْ به فبهذا صُحِّحَ الخَبَر
أين النجوم وتأثير القِران وما   تَخرَّصوا فيه مِن إفْكٍ وما زجروا
قد دبّر الله أمراً غيرَ أمرهمُ   وخاب ما زَخْرَفوا فينا وما هجروا
٦ وأقبل العسكرُ المنصورُ يَقْدُمه   من الملايك جندٌ ليس تنحصر
وقد أحَفّوا به والأرض من زَجَلٍ   تَرْتَجُّ إنْ سبّحوا لله أو ذكروا
كنانة الله مصرٌ جنــدُها ثبَتٌ   لا ريبَ فيــه وجند الله تنتصر
٩ ثاروا سِراعاً إلى إدراك ثأرهمُ   وهجّروا فى طِلاب المجد وابتكَروا
وأسهروا أعيُناً فى الله ما رقَدتْ   أكرِم بقومٍ إذا نامالورى سَهِرُوا
لله كم دُيِّنوا فى نصر دينهم   وأنفَقوا فى سبيل الله ما ادّخروا
١٢ صانوا الجياد وسنّوا كلَّ ذى شطب   وجدَّدت للقسىّ النَّبل والوتَرُ
حماهمُ الله كم حاموا وكم منعوا   وكم أغاثوا وكم آوَوْا وكم نصروا
وخلّفوا خَلْفَهم لَذّاتِ أنفسِهم   وهاجروا ولذيذَ العَيش قد هجروا
١٥ وأوجفوا نفراً بالخيل ملجمةً   وبالركاب ولا ملّوا ولا فتروا
حتى أتَوْا جِلّقاً فى يوم مَلْحَمَةٍ   فيه الأُسود أسُود الغاب تهتصِر

---

(٥) الله أمراً زت : الله (٧) أحفوا زت : حفوا ‖ زجل : رحل ‖ لله زت : الله (٨) تنتصر : تنتصروا (١٣) آووا زت : اوو (١٦) أتوا : اتو

لها السنابك فى الميدان قد حُنِيَتْ   صوالجاً ولها رُوسُ العِدا أُكرُ
وكوثر الحرب قد راقَتْ مَشاربُهُ   تحت العجاجة والأبطالُ تعتكِر
والنَّبلُ ينقُط والأقلام كاتبةٌ   والضربُ يُعرِب والأبدان تستطرُ ٣
حتى إذا عَبَّ مثل البحر جَحفلُنا   ومدَّ فَيضاً على أعدائنا جُزروا
أصْلَوْهُمُ جاحِماً يشوى الوجوهَ وقد   حمى الوطيسُ ونارُ الحرب تستعِرُ
وأحرقَتْهم سِراعًا كلُّ صاعقةٍ   من السيوف بنيرانٍ لها شَرَرُ ٦
لاذو بشُمّ شَماريخ الجبال فما   حمَتْهُمُ قُلَلٌ منها ولا صُورُ
ومُزِّقوا شُرَّدًا بين الزحام فكمْ   شِلْوٍ تَنازَعَ فيه الذئب والنَّمِر
أين المفرُّ وقد حام الحِمام بهم   هَيْهاتَ لا ملجأٌ يُرجى ولا وَزَرُ ٩
نادى بهم صارخٌ أغرى الفَناء بهم   فإنْ سألْتَ فلا خُبْرٌ ولا خَبَرُ
كم قد سَهِرْتم دجىً من خوفهم حذراً   فالآنَ ناموا فلا خوفٌ ولا حذَرُ
قولوا لِغازانَ يا ذا ما لعلّك أن   تَرُوعَ من مِخْلَب الرِيبال يا بَقَرُ ١٢
تلك الجُموعُ التى وافى يُذِلّ بها   تالله ما بلغوا سُؤْلاً ولا نُصِروا
جاءوا وقد حفروا من مكرهم قُلُباً   ألقاهمُ الله قسراً فى الذى حَفَروا

---

(١) لها زت ، - || أكر زت : اكروا || بعد هذا البيت بيتان ذكرا فى زت وهما :

والجو أغبر والأتراك راجفة   مثل الجراد على الدنيا قد انتشروا
وددت لو كنت بين الصف منجدلا   قد ارتوت من دمى الخطية السمر

(٢) تعتكر : تعتكروا (٥) جاحما زت : حاحما

وشكّروا فى أراضينا مباذرةً ... والآن قدحصدوا أضعاف ما بذروا
وافى بهم أجَلٌ يمشى على مَهَلٍ ... حتى محاهم فلا عينٌ ولا أثَرُ
٣ لم ينفِروا خيفةً من كلّ قَسْورةٍ ... وفرّ جمعهُمُ إلاّ وهم حُمُرُ
أمُّوا الفراةَ وقد راموا النجاةَ فكم ... حلَّتْ بهم عِبَرٌ فيها وما اعتَبَرُوا
مرائر القوم من خوفٍ قد انفطرَتْ ... والكلّ من قبل عيد الفطر قد نحروا
٦ جميعهم قُتِلوا صَبْراً وأعظُمهم ... جميعُها بضواحى جِلّقٍ صُبُرُوا
لم يُقْبَرَوا فى نواويسٍ ولا جُدُثٍ ... وإنّما فى بطون الوحش قد قُبِروا
والطير ترعى نهاراً لحمَهم فإذا ... ما الليلُ جنّ ففى أقحافهم تَكِر
٩ فخذ عَزاءك فيهم إنّهم أممٌ ... هم اللعاوِس إن قلّوا وإن كثُروا
كم كابروا الحسنَ فى قصد الشآم وكم ... قد جَرَّبوا حَظَّهم بالشأم واختبروا
هبّوا إلى سيس من أحلام رقدتكم ... وسارِعوا فى طلاب الثأر وابتدروا
١٢ بكلّ غيرانَ أخذُ الروح همّتُه ... فى غير نفس الردّى مالَه وَطَرُ
أيُرْقَدُ الليل فى أمنٍ وفى دَعَةٍ ... عن كيدِ قومٍ لهم فى شأنكم سَهَر
إن تتركوهم فإنّ القوم ما تركوا ... يوماً عليكم ولا أبقَوْا ولم يذَروا
١٥ أما رأيتُمْ وعاينتم وقد فعلوا ... فى الصالحيّة ما لا تفعل التتر

---

(٥) مرائر زت: امرار (٨) لحمهم : ى لحومهم ، مصحح بالهامش « نصفه : لحمهم فإذا » (١٠) بعد هذا البيت بيت ذكر فى زت وهو :

فقاتلوهم جميعاً إنهم تتر ... كم أرسلوا رسلهم تترى وكم مكروا!

(١٣) سهر زت : سهروا

إشْفوا صدورَكمُ إن كنتمُ غُيُراً ... على نسايكمُ يا قوم وادّكِروا

كَم من عَجوزٍ ومن شيخ ومكتهلٍ ... ومن فتاةٍ نماها الحسن والخَفَر

بيضاء خُرْعوبةٍ بكرٍ مُحَجّبةٍ ... لاالشمسُ تنظُرها صوناً ولا القمرُ ٣

وذاتِ بَعْلٍ مُخبّأةٍ مخـدَّرةٍ ... من دونها تضرب الأستار قد أسَروا

ومُطْفِلٍ أثكلوا وجداً بواحدِها ... وحامل أخمصَتْ خوفاً وقد ذُكروا

ومَرْبَعٍ أقفرٍ من بعدِ ساكنِه ... وعِقْدِ شملٍ نظيمٍ جامعٍ نَثَروا ٦

وكم أراقوا وكم ساقوا وكم هتكوا ... وكم تملّوْا بما نالوا وكم فجروا

وحرّقوا فى نواحيها فَوا حربا ... وخرّبوا الشامخَ العالى وكم دَثّروا

وجامعُ التوبة المحروقُ مُهْجَتَهُ ... يُشير : لا توبة للقوم إن ظفِروا ٩

إشـارة تترك الأنفاسَ صاعدةً ... لها الدموعُ من الآماق تنحدِرُ

لهم حزازاتُ فى قلبى مُخَبّأةٌ ... تكاد من حَرِّها الأكبادُ تنفطِرُ

فما قعـادكُم عن أخـذِ ثأرِكُمُ ... هبّوا سِراعاً وخافوا اللوم يا غُيُرُ ١٢

وَفّوهُمُ الحربَ إنصافاً ومَعْدَلةً ... وحَرّروا نُوَبَ الأيّام واعتبروا

لا يَظْلِمَنْ بعضُكم بعضاً بخردلةٍ ... ولا يدَعْ عنده حقاً ولا يذَرُ

وسارِعوا واقتلوهم إنّهم قتلوا ... وبادروا وأسِروهم مثلَما أسَروا ١٥

وخَرِّبوا دارَهم واسبُوا حريمَهم ... وأوقِروا ضِعفَما أوْعَوْا وماوقروا

سجْلاً بسجلٍ فإنّ الدهر ذو نُوَبٍ ... من ذا يغالبُ ما يأتى به القَدَر

بزُّوهمُ الملكَ قهراً عن جواركم ... وخرِّبوا كلَّ ما شادوا وما عمَروا ١٨

---

(٣) بكر زت: بكراً (١١) مخبأة زت: مخبية (١٦) وخربوا دارهم: خربوا ديارهم

وسارعوا واقتلوهم إنّهم قتلوا ... وبادِروا وأسِروهم مثلما أسروا
فما يفكّر في الإدبار عاقبــةً ... ويحزِم الأمرَ إلاّ مَن له نظَر
ولا يعافُ شرابَ الذلّ عن ظَمإٍ ... ويُومِقُ العزَّ إلاّ مَن له خطَر
فمهِّدوا بالظُبا مَجرَى سَوابقكم ... ما يرفَع الذكرَ إلاّ الصارِمُ الذكر
وخلِّدوا في المعالي ما نُعَنْعِنُه ... عنكم وتُرْوَى به الأخبار والسِّيَر
فكلّ ذنبٍ جناه الدهر معتمداً ... في جنْبِ ما أبْقتِ الأيامُ مغتفر
يا أهلَ جِلِّقَ أمناً في مساكنكم ... وعاملوا الله ربَّ العرش وانزَجرُوا
صُوموا وصَلّوا وزكوا وارحموا وصِلوا ... وابغوا النجاة وحجوا البيتَ واعتمروا
دَعُوا التكاثر بالدنيا لمن رُويِت ... في جنبِ ما وعد الرحمنُ تنجبِروا
فالوقْتُ أقربُ والأنفاس سايرةٌ ... والعيش منصَرِمٌ والعمرُ مختصرُ
ولا تخافوا من التتار مَجْلبةً ... من بعدِ ما ارتفعَ التدليسُ والعوَرُ
لم يطلبوا جِلِّقاً بَغْياً بظُلمِهِم ... إلا ورُدّوا على الأعقاب وانكسَروا
حاشا دمشقَ مِنَ الأسواءِ تطرُقُها ... أو أن تُغيِّرها عن وصفها الغِيَرُ
ملايكُ الله تحميهــا وتحرُسُها ... تعاقُباً ولَها من ربِّها خفَر
وفي جوار خليل الله ما برحَت ... وحضرة القدس قل لي: كيف تُحتَقر
بالله عَدْوِي على مَنْ رامها بأذى ... وبالخليفةِ والسـلطانِ أنتصِر
هما مَلاذكُمُ في كلّ نايبةٍ ... بالروح أفديهما والسمع والبصَر
لمّا تأمّلْتُ فَحْوى سرّ حِلْمِهما ... لم أدْرِ أيُّهما في عدلِه عُمَرُ

---

(١) البيت مكرر في الأصل (٦) معتمداً : مغتفر ، مصحح بالهامش
(١٥) الله : الرحمن ‖ تحتقر . تتحقر . مصحح بالهامش (١٨) لما تأملت تأملت ‖
حلمهما : بالهامش عدلها ‖ م أدر . م درى

ولو رأيتَهما يوماً لَخالكَ أنْ   موسى بن عمران قد وافاكَ والخضر
< هما > رضيعا لِبانِ عفّةٍ وتُقى   وحُسْنِ ذكرٍ شذاه فائحٌ عَطِرُ
فذاك ملْكٌ لكم طابَت أرُومتُهُ   وذا أميرٌ بأمرِ الله يأتَمِرُ ٣
أبو الربيع سليمانُ الذى شَهِدَتْ   بفضله المستقامِ البَدْوُ والحَضَرُ
وزمزمٌ والصَّفا والمأزمان معاً   والبيتُ يعرفُه والحِجْرُ والحَجَرُ
خليفة الله فى الدنيا وطاعتُه   فرضٌ عليكم وهذا القول مختصر ٦
ما زال مستكفياً بالله معتصماً   مستنصراً مستعيناً وَهْو منتصر
لولاه فى الأرض قد مادت جوانبها   وما سقاها إذاً غيثٌ ولا مطر
خليفةٌ من بنى العبّاس باقيةٌ   به إلى الله نستسقى فنُمتَطَر ٩
ضاهت يداه عمادَ الغيث فانهملتْ   والغيثُ مندَفِق الشؤبوب مُنْهمِر
لو مسّ عُوداً يبيساً بطنُ راحتِه   أعادَهُ وَهْوَ رطبٌ يانعٌ خَضِرُ
ماذا أقول بمدْحِيه وقد تُلِيَتْ   فى مدح آبايه الآيات والسُوَرُ ١٢
جاءت بنعتِهِمُ التوراةُ مُعْرِبَةً   ومُحكَمُ الذكر والإنجيلُ والزُبُر
به إلى الله ضحّوا فى حوايجكم   وبعده بالمليك الناصِر انتصِروا
ملْكٌ أعِيدَ به عصرُ الشباب لكم   مستَوْرداً صافياً واستُوفِيَ العُمُر ١٥
ترى الملوكَ صُفوفاً حولَه زُمَراً   من فرطِ هَيْبَته لا يرجع البصَر
تذِلّ أعناقُهم صغرى لطاعته   وليس يَعْصونَه أمراً إذا أُمِروا
صُونوا جيادكم اللاتى بكم همِيتْ   فى بارقِ الحرب والرَّمضاء تستعر ١٨
إنّا لَنرجُوه من بغداد ينهلُها   بماء دجلةَ يَرْوِيها فتصطدروا

---

(١) رأيتهما : ريتهما (٢) فائح : فائحا (٣) فذاك : فذا (٨) قد : أضيف لأجل الوزن (١٢) ذا : بالهامش

ويجمعُ الشملَ فى دار السلام بمن … يودّها ويوَدّون الذى نذَروا
يؤمُّها وإمامَ المسلمين معاً … ثِقوا بقولى فهذا منه منتظَر
فالشأم وافاه معْ بغدادَ فى قرنٍ … ومصرُ فى ملكِه والبرُّ والبحرُ
والعُرب والعجم فى ميْمون قبضتِه … ومِن سُطَى بأسِه قد حارَتِ التتر
تنشّروا فى الفلا سُودَ الوجوه وقد … طوى بِأبيضِه البتّار ما نشروا
فدام للدين والدنيـا يسوسُهما … فكن فيـه له حرز ومستتر
وعمرُه الجمّ أعيادا مجـددةً … وأشهُرٌ بعزيز النصر تشتهر
على الدوام ولا زالت مدايحـه … تُفْشَى وغُرُّ القوافى فيه تُبْتَكر
وافاكمُ بعزيزِ النصر فى نفرٍ … وقاهمُ الله ما أوفاهمُ نفَرُ
قد أبطنوا أنّهم جادوا بأنفُسهم … من أجل ذا ظهر الإسلام مذ ظهروا
كم فرّجوا مأزقاً ضَنْكاً بمُعْتَرَكٍ … وكابَدوا فى مجالِ الموت واصطبَروا
فبيّضَ اللهُ منهم أوجُهاً كرُمَت … فإنّهم بالأيادى البيض قد غمَروا
وحاطهم أينما كانوا ولا برِحـوا … فى ذِمّة الله إن غابوا وإن حضَروا

ذكر حدوث الزلزلة فى هذه السنة

لمّا كان يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ذى الحجّة قبل طلوع الشمس زلزلت الأرض زلزالاً شديداً لم يُعهد بمصر مثلها من

---

(٢) يؤمها : يامها (٤) سطى : سطو (٥) البتار : التتار (٦) حرز و : سر ، مكتوب بالأصل فوق سر « حرز » (٧) أعياد . هكذ فى الأصل ولعل صوابه أعياد

قبل . ثمّ امتدّت فى جميع البلاد بالشأم ومصر،وأقامت تهزّ تقدير ربع ساعة فلكيّة . وكان لها دوىٌّ كدوىّ الرعد . ثمّ إنّها هدّمت منابر الجوامع ، منها منارة الجامع الحاكمىّ . وسقطت أكثر جُدرانه وخرّب هذا الجامع خراباً شنيعاً ، لم تكن أثّرت فى شىءٍ أكثرَ منه . وانشقّت المنارة التى للمدرسة المنصوريّة بالقاهرة التى بين القصرين إلى أن احتيج بعد ذلك إلى هدمها وعمرت كأحسن ما يكون . واختصّ بعمارة الجامع الحاكمىّ الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، وأُصرف عليه من ماله شى كثير ، وعاد كأحسن ما كان وأجدّ . وانهدمت أيضاً منارة جامع الفاكهانيّين وهو إنشا الظاهر بن الحاكم الفاطمىّ . وانهدمت أيضاً منارة جامع الصالح ابن رُزيك الذى ظاهر باب زويلة وبعض جدرانه . وتشقّقت جُدُر جامع مصر ،وهو جامع عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وتشعّب فيه شى كثير . وهدمت شيئاً كثيراً من منابر الجوامع والمساجد بمصر والقاهرة ، وأكثر ما أثّرت فى الجوامع والمساجد . وعمروا بعد ذلك كأحسن ما كانوا . واختصّ بعمارة جامع مصر الأمير سيف الدين سلاّر نايب السلطنة المعظّمة

وهدمت منارة إسكندريّة . وخرّبت أكثر دمنهور الوحش بالبحيرة خراباً شنيعا . وكذلك مدينة أبيار بالمنوفيّة ، والجزيرة بالديار المصريّة . وحصل الخراب الشنيع فى ساير إقليم ديار مصر . وطلع البحر المالح إلى مدينة ثغر الإسكندريّة ، فغرق كثير من قُماش القصّارين وغِلال كثيرة

(١٢) شيئاً كثيراً : شىء كثير

كانت على ساحل البحر. وهاج البحر هياجاً عظيماً. وهُدمت أبراج كثيرة عِدّة من الإسكندريّة. وهلك جماعة عدّة من الناس تحت الردم عند حصولها فى أوّل حال. ووصلت حتى عمّت أرض برقة وبلاد تونس من المغرب، وصقلّيّة وقابس ومرّاكش. ووصلت إلى بلاد بنى الأحمر المرينيّين. وعمّت السواحل وخرّبت قبرص إلى الأرض، ولم يبقَ بها كنيسة إلاّ القليل. وذلك جميعه حسبما وردت به الأخبار من جميع هـذه النواحى بعد ذلك. وكذلك عمّت أنطاكية وأعمالها إلى العلاية وأنطالية وبعض بلاد سيس. ووصلت إلى قسطنطينيّة العظمى

ولبعض الأصحاب فى هذه الزلزلة خطبة جيّدة وهى :

الحمد لله الذى حلم علينا فعفا !

وسامحنا فغفر ما ظهر منّا وما خفا، وجمّلنا بلطفه الجميل إذ أشرفْنا على شفا. أحمدُه على نعمه التى لا يُحصى عَدَدُها. ولا يُعدّ مددها، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده، لا شريك له، إلهٌ بلا فأحسن فى بلايه. وقدّر وقضا. فحكمُه نافذٌ فى أرضه وسمايه. وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله الذى بمولده ظهرت الدلايل. صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاةً دايمة البواكر والأصايل. أيّها الناس، إنّ المعاصى قد كثر عُمّالها. حتى تباهيتْم فى أعمالها. وفشتْ فى ساير الأرض وأعمالها ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ فلذلك ﴿زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ ﴿وَقَالَ ٱلْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ ولولا رحمة الله علينا لأخرجت الأرض أثقالها

---

(١) هياجا عظيما : هياج عظيم (١٧-١٨) السورة ٤٧ الآية ٢٤ (١٧) يتدبرون: تدبرون (١٨) السورة ٩٩ الآية ١ (١٩) السورة ٩٩ الآية ٣ ‖ قارن السورة ٩٩ الآية ٢

فيا لها من ساعة يا لها . تالله لقد زهقت النفوس عندها . وطاشت العقول . إلاّ أنّ الله بلطفه ردّها ، لمّا ماجت الأرض بأسرها ، وظُنّ أنّ ذلك يوم حَشْرها ، فلولا ما سبق من آجالها ، لهلكت النفوس عند زلزالها . فالتوبةَ التوبةَ عبادَ الله فى الأيّام الباقية الفانية ! واستحيوا ممّن لا تخفى عليه خافية . واعتبروا بمن هلك تحت ردمها فجأة ، وقد كان فى تلك الساعة فى عافية ، وأصبح منزله بعد التشييد مهدوماً ، ومالُه بيد الورّاث مقسوماً ، وحُمل إلى قبره ، فعاد التراب عليه مردومًا ، ولم تُغْنِ عنه الدنيا وأموالها ، لمّا هلك فى ساعة زلزالها ! فرحم الله امرأ تاب عمّا جنا ، وتقرّب من فعل الخير ودنا . وتزوّد للآخرة . فإنّ الدنيا ليست لحيٍّ وطناً ، ولبس للخير أثواباً ، فلابدّ أن يلبس للقبر كفناً . فنسأل الله السلامة إذا حَميت سلاسلُها وأغلالها و ﴿زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ محرّرًا ، يومَ يفرّ الوالد من الولد . والولد من الوالد . يومَ لا ينفع المال الصامت ، ولا الناطق ولا التالد . يَومَ تُنسف جبالها ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ أعاذنا الله وإيّاكم من عذاب النار ، وأسكننا وإيّاكم دار القرار ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ وصلّى الله على سيّدنا محمد الشفيع فى القيامة عند أهوالها ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ و ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾

---

(١١) السورة ٩٩ الآية ١ (١١ – ١٢) السورة ٣ الآية ٣٠ (١٢ – ١٣) السورة ١٦ الآية ١١١ (١٥) السورة ٩٩ الآية ١ (١٦) السورة ١٣ الآية ٢٤ (١٧) السورة ٩٩ الآية ١ (١٨) السورة ٣ الآية ١٧٣

ذكر ما جاء من القول فى حدوث الزلزلة

قيل: إنّما يعرض للأرض من الزلزلة والخسف ما ذكروه المتفلسفين من ذلك، فزعموا أنّ الأبخرة والأدخنة الكثيرة إذا اجتمعت واحتبست تحت الأرض، ولا يقاومها برودة حتى تصير ماء، وتكون مادّتها كثيرةً لا تقبل التحليل بأدنى حرارة، ويكون وجه الأرض صلباً لا يكون فيه منفذ للبخار، فإذا قصدت الصعود لا تجد لها متنفساً، فعند هيجانها تهتزّ منها الأرض التى احتُبِس تحتها، وتجمع تلك الأبخرة، فتضطرب الأرض، وترعد كما يرعد بدن المحموم عند شدّة الحُمّى بسبب رطوبات عَفِنَة احتُبِست فى خَلَل البدن، فتشتعل فيها الحرارة الغريزيّة، فتُذيبها وتُحلّلها وتصيّرها بخاراً ودخاناً، فتخرج من مسامّ جلد البدن، فيهتزّ من ذلك البدن ويرعد، ولا يزال كذلك إلا أن تخرج تلك الموادّ. فإذا خرجت سكن، وعلى هذا القياس حركات بقاع الأرض بالزلازل. وربّما ينشقّ ظاهر الأرض ويخرج من ذلك الشقّ تلك الموادّ المحتبسة، والله عزّ وجلّ أعلم بحقائق الأمور

ومن كلامهم أيضاً فى صَيْرورة السهل جبلاً والجبل سهلاً والبرّ بحراً والبحر برًّا:

ذكرت أصحاب هذا العلم: أن إذا امتزج الماء بالطين وكان فى الطين لزوجة، وأثّر فيه حرارة الشمس مدّةً طويلةً صار حجراً، كما أنّ النار

---

(٣) من هنا إلى ص ١٠٨ س ١٠ نقلاً من كتاب « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » تأليف زكريا القزوينى. ويلاحظ أن مخطوطة مؤلفنا تختلف فى بعض الأماكن مع نشر وستنفلد (كوتنجن ١٨٤٩) لهذا الكتاب. وقد غيّرنا بعض كلمات من المتن استصوبناها عند وستنفلد ورمزنا له بالحرفين زق (١١) إلى : إلا

توثّر فى الآجرّ وقد كان لبناً، فعاد بحرارة النار آجرًّا، نوعاً من الحجر إلاّ أنّه رخو . وكلّما كان تأثير النار فيه أكثرَ كان أصلبَ وأشبهَ بالحجر . ثمّ زعموا أنّ تولّد الجبال من اجتماع الماء والطين وتأثير الشمس . وأمّا سبب ارتفاعها وشموخها فجاز أن يكون بسبب زلزلةٍ فيها خسف، فيخفض بعض الأرض ويرتفع بعضها . ثمّ المرتفع يصير حجراً بالمثال الأوّل ، ويجوز أن يكون بسبب الرياح : تنقل الرياح التّراب من مكانٍ إلى مكانٍ ، فتصير تِلالاً ووِهاداً ، ثمّ تتحجّر بالمثال المذكور أوّلاً

وذكر صاحب علم المجسطى : أنّ فى كلّ ستّةٍ وثلاثين ألف سنة تنتقل أوجات الكواكب وتدور فى البروج الاثنى عشر دورةً واحدةً ، فإذا انقلبت من الشمال إلى الجنوب تختلف مسامتات الكواكب ومطارح شعاعها على بقاع الأرض ، فيختلف بها الليل والنهار والفصول الأربعة ، وتتغيّر الأرض ، فيصير الخراب من الأرض عمراناً ، ويصير العمران منها خراباً ، والبرارى بحاراً والبحار برارى. والسهول جبالاً والجبال سهولاً . وأمّا صيرورة الجبال سهولاً : فإنّ الجبال من شدّة إشراق الشمس والقمر وساير الكواكب عليها بطول الأزمنة تنشف رطوباتُها ، وتزداد يبساً وجفافاً. وتتكسّر خاصةً عند الصواعق، فتصير صخوراً وحجارةً ورمالاً. ثمّ إنّ السيول تحملها إلى بطون الأنهار والأودية المنخفضة وإلى البحار

---

(١) توثر : تاثر ‖ فى : مكرر فى الأصل (٢) رخو : رخوا (٣) سبب : مكرر فى الأصل (٧) تلالا ووهاداً : تلال ووهاد (١٠) مسامتات زق : مسافات (١٥) تنشف : تنشق ، مصحح بالهامش (١٧) المنخفضة : المنخفظة

المجاورة ، فتنبسط فى قعرها سافاً بعد ساف بعضاً على بعض ، فيحصل فى قعور البحار جبال كما تتربّى الجزاير وكما يتلبّد من هبوب الرياح أدعاص الرمل فى البرّ . وكذلك قد يوجد فى جوف الأحجار إذا كُسرت صدفة وعَظْم وغير ذلك ، ممّا يكون فى أخلاط الطين الذى صار حجراً . وقد يصير البحر يبساً واليبس بحراً . وذلك كلّما انضمّت قطعة من البحار على الوجه المذكور . فالماء يرتفع ويطلب الاتّساع على سواحله ويغطّى بعض البرّ بالماء ، ولايزال كذلك حتى يصير بحراً . ويغطّى ذلك البرّ . ويعود البحر برّاً بما تولّد فيه وتراكم من الأحجار الواردة من الجبال المتكسّرة مع السيول المنصبّة إلى البحار مع ما تجرّ معها من الطين والتراب . فينعقد فيها بالمثال المذكور حتى تساوى الأعلى من الأرض فيعود البحر برّاً والبرّ بحراً . ثمّ يصير فيها الحشيش والعشب والأشجار ، وتصير مسكناً للسباع والوحوش ويقصدهم الناس لطلب المنافع من الصيد ومن الحطب وغير ذلك . ثمّ يصير مسكناً وموضعا صالحاً للزراعات والغروس . فتكون مدناً وقرًى بعد أن كانت بحاراً ، فسبحان المدبّر الحكيم ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

---

(١) سافاً زق : ساف ‖ بعضاً : بعض (٢) يتلبد زق : يتبدل ‖ أدعاص : دعاص (٤) عظم : عظما ‖ مما يكون : فما يكون ذلك (٥) انضمت : انظمت (١٤) السورة ٦ الآية ١٠٢ وفى سور أخر (١٤ – ١٥) السورة ٦٤ الآية ١ والسورة ٦٧ الآية ١

ومن كتاب عجايب المخلوقات وبدايع الموجودات

قوله تعالى جلّ وعزّ ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ فقال بعضهم : لو لم تكن الجبال لكان وجه الأرض مستديراً أملس ، وكانت مياه البحار تغطّيها من جميع جهاتها وتحيط بها إحاطة كرة الهواء بالماء . فبطلت الحكمة المودعة فى المعادن والنبات والحيوانات ، فاقتضت الحكمة الإلهيّة وجود الجبال اوجود ذلك

وقال بعضهم : إنّ الجبال سبب لوجود الماءالعذب السايح على وجه الأرض الذى هو مادّة حياة النبات والحيوان . وذلك لأنّ سبب هذا الماء انعقادُ البخار فى الجوّ ، فيصير سحاباً ، فالجبال الشامخة الطّوال فى الشرق والغرب والجنوب والشمال تمنع الرياح أن تسوق البخار ، بل تجعلها منحصرةً حتى يلحقها البرد . فتصير مطراً أو ثلجاً . فلو فُرضت الجبال مرتفعةً عن وجه الأرض لكانت الأرض كرةً لا غَوْر فيها ولا نتوء . فالبخار المرتفع لا يبقى فى الجوّ منحصراً إلى وقتٍ يضرّ به البرد . بل يتحلّل ويستحيل هواء : ولا يجرى الماء على وجهٍ إلاّ قدر ما ينزل مطراً . ثمّ تنشفه الأرض . فيعرض من دلك أنّ الحيوان والنبات يعدم الماء فى الصيف عند شـدّة الحاجة إليه كما فى البادية البعيدة . فاقتضى التدبير الإلهى وجود الجبال

---

(١) ما ينقل من « كتاب العجائب » يبتدئ من ص ١٠٤ ، راجع الهامش الأول هنالك ‖ الموجودات : الموجدات ‖ وبدايع : فى عنوان كتاب القزوينى « غرائب » (٢ – ٣) السورة ١٦ الآية ١٥ والسورة ٣١ الآية ١٠ (٤) وكانت زق : ولكان (٥) الهواء : الهوى (٧) سبب : + زق (١١) فرضت زق فرصت (١٢) فالبخار زق : فالعال

لتحصر الماء المرتفع من الأرض بين أغوارها وتمنعه من السيلان وتمنع الرياح أن تسوقها ، فيبقى فيها محفوظاً إلى أن يلحقه البرد زمان الشتا فيجمّده ويعصره فيصير ماء . ثمّ ينزل مطراً أو ثلجاً ، والجبال فى أجزايها مغارات وأودية وأوشال وكهوف ، فتقع على قُللها الأمطار والثلوج ، وتنصبّ إلى تلك المغارات والأوشال ، وتبقى فيها مخزونةً وتخرج من أسافلها من أماكن تسترقها من منافذ ضيّقة ، وهى العيون التى تكون فى الجبال وأسفاحها ، فيسيح منها على وجه الأرض ، فينتفع به الحيوان والنبات ، وما فضل منه ينصبّ إلى البحار . فإذا فنى ما استفادته من الأمطار والثلوج لحقتها نوبة الشتا ، فعادت إلى ما كانت عليه ، ولا يزال هذا دأبها إلى أن ﴿ يَبْلُغَ ٱلْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾ والله أعلم

وفيها ظهرت نار عظيمة بأرض الشأم والسواحل ، وعمّت جميع أرض الشأم مع السواحل والأغوار وبلاد حوران وزُرْع وأذْرِعات ، وجفل منها السباع وجميع الوحش . وكانت إذا مرّت بشىءٍ من الزراعات أو من الأشجار المثمرة لا تُؤْذيه . ولقد ذكر لى بعض فلاّحى قرية خسفين الجولان من أرض حوران : أنّهم كانوا يرون هذه النار وهى على رءوس الشجر وأعلى الزرع ويخشون منها على الأثمار وعلى الزروعات فلم يحصل منها أذى ولله الحمد

---

(٤) وأودية : واهويه ، مصحح بالهامش ‖ فتقع زق : وتقع (٥) فيها زق : فيه
(٨) استفادته زق : استفاد (٩) لحقتها زق: لحقها ‖ هذا : + زق (١٠) السورة ٢، الآية ٢٣٥

وكانت هذه سنةً مباركةً كثيرة الخير والخصب . وكانت هذه الضيعة المسّماة بخسفين من إقطاع الوالد رحمه الله لمّا انتقل من مصر إلى الشأم فى سنة عشرة وسبعماية

وفيها توفّى الأمير زين الدين كتبغا الذى كان يلقّب بالملك العادل، وكان يومئذٍ بحماة نايباً بها . وكانت وفاته مستهلّ شهر ذى الحجّة سنة اثنين وسبع ماية . رحمه الله تعالى

ذكر سنة ثلاث وسبع ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم

ما يخصّ من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أمير المؤمنين أبو الربيع سليمان ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر سلطان الإسلام . وإمام الأنام ، المتشرّفة بدوام أيامه الأيّام . مالك نواصى ملوك الزمان . جعله الله من حوادث دهره فى أمان . والنايب بالممالك الشريفة بالديار المصريّة : الأمير سيف الدين سلاّر . وأتابك الجيش : الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير . والوزير : الأمير عزّ الدين أيبك البغدادىّ . وأمير حاجب : الأمير شمس الدين سنقر الكمالىّ . وأمير جاندار : الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار . ونقيب الجيوش المنصورة : الأمير علاء الدين طيبرس الخزندارىّ

والنوّاب بالشأم . دمشق : الأمير جمال الدين آقوش الأفرم . وحلب : الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورىّ . وحماة . الأمير سيف الدين قبجق بعد كتبغا بحكم وفاته . وطرابلس . الأمير سيف الدين أسندمر . وحمص .

الأمير ركن الدين بيبرس العلائى ، والرحبة : الأمير بدر الدين محمد بن الأزكشىّ ، والبيرة : الأمير سيف الدين طوغان ، وقلعة المسلمين : الأمير فخر الدين أياز ، والكرك المحروس : الأمير جمال الدين آقوش الأشرفىّ ، وغزّه : الأمير سيف الدين آقجبا

والملوك بأقطار الأرض حسبما وصل علمنا إليهم فى نقل أسماهم ومعرفة أقاليمهم حسبما تقدّم من ذكرهم فى سنة سبع ماية ، خلا صاحب مكّة شرّفها الله تعالى ، فإنّه توفّى فى تأريخ ما تقدّم ، وولى مكانه ولديه حُميضة ورُميثة ، وهما فى هذه السنة ملاّك الحجاز بمكّة صانها الله تعالى

ذكر دخول العساكر الإسلاميّة سيس

لمّا كان العشرين من شهر رمضان المعظّم من هذه السنة خرج من الديار المصريّة ثلاثة مقدمين وهم : الأمير بدر الدين بكتاش الفخرىّ أمير سلاح ، والأمير ركن الدين الدوادار ، وشمس الدين آلدكز السلحدار ، ومن العساكر الشأميّة ألفى فارس والمقدّم عليها الأمير سيف الدين بهادر آص والأمير سيف الدين كسكلى ، وخرج أيضاً صحبتهم الأمير سيف الدين قبجق بعسكر حماة ، والأمير شمس الدين قراسنقر بعسكر حلب . وأسندمر بعسكر الساحل . فعندما وصلت الجيوش إلى غزّة حصل للأمير بدر الدين أمير سلاح تشويش ، فأقام بغزّة . وتوجّهوا العساكر الشأميّين وافترقوا فرقتين ، إحداهما صحبة الأمير سيف الدين قبجق والأخرى صحبة الأمير شمس الدين قراسنقر .

---

(٦) من : مكرر فى الأصل (١٢) آلدكز : اللدكز (١٥) وأسندمر بعسكر الساحل : بالهامش (١٧) الشأميين : بالهامش ‖ إحداهما : احدهما (١٨) صحبة الأمير : صحبة للأمير

فأمّا التى مع قبجق فتوجّه بهم من جهة قلعة الروم ودخل الدربند ، فغاروا ونهبوا وقتلوا من لقَوْا فى طريقهم . ونازلوا بعد ذلك تلّ حمدون، وحاصروها وضيّقوا عليها ، وفتحوها يوم الخميس ثالث وعشرين ذى القعدة . وكان فتحها بالأمان ، ووقع الاتّفاق مع صاحب سيس على أن يكون للمسلمين من جاهان إلى حلب وله من حدّ النهر ورايح ، ويعجّلوا بحمل جميع ما هو عندهم متأخّر فى تلك السنين المقدّمة . ثمّ أرسلوا إلى القلاع التى بقيت . وهى سبع قلاع منها : نُجَيْمة والنُقَير وغيرهما من قلاع سيس . وكان قد أعطوا للرجّالة الأمان إلى نهر جاهان . فلمّا وصلوا بهم إلى النهر تبعتهم الطمّاعة والنهّابة ، فقتلوهم ونهبوهم ووجدوا فيهم سبعة ملوك من ملوك الأرمن وهم أصحاب القلاع السبع . وكان صاحب سيس قد احتال عليهم وسيّر نايبه إلى تلّ حمدون وصحبته خزانة مال ويقول للملوك : تحضروا إلى تلّ حمدون ، تأخذوا منها نفقةً تنفقوها فى رجّالتكم وتحصّنوا قلاعكم . فقد تحقّقتُ أنّ هذه العساكر غيّارة . — قال . فحضروا الملوك المذكورون إلى تلّ حمدون ، ونفق فيهم يومين وفى اليوم الثالث احتاط بهم العسكر المنصور ، فما بقى لهم سبيل إلى الخروج

فلمّا مُلِكَت تلّ حمدون وأمّنوا مَن بها وتوجّهوا إلى نهر جاهان مسيرة يومين من العسكر وصلت قصّاد صاحب سيس تقول للأمرا الإسلاميّة : هؤلاء هم الملوك أصحاب القلاع وأنتم تعلموا أنّ بلادى قد خربت . وهؤلاء ماكانوا يوافقونى على مصلحة السلطان ويمنعوا الحمل ويقولوا : خلّى . أنت منّا للمسلمين . — فعند ذلك سيّروا الأمرا خلفهم وردّوهم إلى عندهم وضربوا رقاب الباقى من أصحابهم . وكان اسم كبير هؤلاء الملوك السرماق . وهو صاحب قلعة نُجَيْمة . فلمّا تحقّق أنّ صاحب

سيس الذى عمل عليهم وعلى أسرهم ، قال للأمرا : أنا ما بينى وبينكم إلا قول لا إله إلاّ الله؛ محمد رسول‌الله . — وأسلم ، وقال للأمرا : أنا أتوجّه صُحبتكم إلى خدمة السلطان وآخذ معى ألف فارس وأفتح للسطان من نهر جاهان إلى جبال ابن قرمان ، فتكون بلاد سيس والروم بكمالها للمسلمين . — فقالوا : حتى نشاور السلطان على ذلك

وفيها فى خامس عشر ذى القعدة وصل قصّاد من الشرق من سنجار وأخبروا بوفاة غازان فى سابع شهر شوّال ، وجلس أخوه خذابنداه . — وخُطب باسمه بسنجار يوم الجمعة خامس عشر الشهر المذكور

ذكر وفاة غازان وتملك خدابنداه

كان سبب هلاك غازان أنّ زوجته هميا خاتون سمّته . وهذه كانت زوجة بلغاق شاه ، وكانت من قبل زوجة أبيه . وكان قبل موته قد أمر بعمل سفنٍ كثيرةٍ لأجل أنّه ينصب جسراً على الفراة . وكان قصده فى تشارين يقصد الشأم . فأخرم الدهر عليه حسابه ، وعجل الله فى النهاية مصابه ، وفى الآخرة عقابه . وكان قد تغيّر على الأمرا المغل والتوامين من أيّام الكسرة وشرع يهدّدهم ويُعنّفهم . فاتّفقوا مع زوجته على هلاكه . فسمّته فى منديلٍ . فلمّا كان بينهما المجامعة مسحته بذلك المنديل فنزلت أمعاؤه وبطل نصفه . وقيل : إنّهم شقّوا له جوف أربعين بغل وقيل أكثر . — وسُقِيَ جواهر عظيمةً فلم تفده . وقيل : إنّه انصلح قليلاً ، ثمّ نُقِضَ عليه حتى عاد هالك . — وانتقل من ملك العراقين إلى مماكة مالك . ولمّا توفّى حضر إليه

---

(٨) يوم ... المذكور : بالهامش (١١) كانت : كان (١٢) جسرا : جسر
(١٣) فى النهاية : بالهامش (١٦) أمعاؤه : امعاه

عالم عظيم . وكانت وفاته بالقرب من هَمَذان ، وحُمل إلى تربته بظاهر تبريز بمكانٍ كان سمّاه الشأم ودُفن به ، والله أعلم

وفيها كان مهاجرة الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا إلى الأبواب العالية السلطانيّة ، وصحبته جماعة من كبار التتار ، من جملتهم أخو الأمير سيف الدين قطلو بك . وكان منزلة هذا الأمير بدر الدين جنكلى ومقامه عند آمد ، وله مدّة يكاتب الأبواب الشريفة ، وكان جدّه البابا فى زمان الملك أبغا أميراً كبيراً ولقبه جمال الدين . وأبو هذا الأمير بدر الدين يسمّى شمس الدين محمد بن جمال الدين بابا ، له آثار حسنة فى الإسلام ، وهو الذى ردّ التتار عن بلاد الإسلام فى أيّام الملك أرغون بن أبغا ، وكان مقدّم جيوش التتار قد نزل من خراسان يسمّى أرعضون وقصدوا دخول الشأم ، فاحتال هذا الأمير شمس الدين محمد بن البابا وقرّر مع أُناسٍ قصّاد أن قالوا للتتار : إنّ البلاد مملوءة بالعساكر الإسلاميّة ، وأخافهم حتى ردّهم على أعقابهم . — وكان عمّ هذا الأمير بدر الدين أيضاً مسلماً حسناً يسمّى شرف الدين مغلطاى

وفيها يوم الاثنين سابع عشر شوّال تولّى الوزارة بالديار المصريّة ناصر الدين الشيخىّ بعناية الأمير ركن الدين الجاشنكير عوضاً عن البغدادىّ

وفيها يوم الثلثا الخامس والعشرين من رجب توفّى الأمير سيف الدين بكتمر السلحدار الظاهرىّ ، رحمه الله . وفى ثانى جمادى الأولى توفّى الأمير عزّ الدين أيبك الحموىّ ، رحمهما الله تعالى

---

(١٠) أرعضون : كذا فى الأصل ولعل صوابه « أرغون »   (١٢ – ١٣) ان البلاد ... شرف الدين مغلطاى : بالهامش

وفيها كان خروج الوالد — سقى الله تربته — للكشف على عربانٍ بالشرقيّة ، وهم ثعلبة وجذام والعايد . ونُدِب بِصحبته من ديوان الاستيفا القاضى المرجوم مخلص الدين أبو شاكر بن العسّال

وأُعرضَت العربان بصوة العبّاسة بالأسما والحِلَى ، وسبب ذلك أنّ هؤلاء العربان أمرا ولهم أخباز من جهة السلطنة المعظّمة ، وهم عدّة ألف وسبع ماية فارس مستخبزة ، ومن تحت أسماءهم قومٌ يأكلون من غير هذه العدّة يسمّون المحرّمة ، وهؤلاء العربان عليهم إقامة خمس عشرة منزلة بمنازل الرمل بالطريق الشأميّة ، أوّلها من جهة مصر منزلة السعيديّة وآخرها من جهة الشأم كان فى ذلك الوقت منزلة رفح . وإنّما فى هذا الوقت عند الرَّوْك الناصرىّ تضوّروا العربان مِن اتّساع الدرك ، فحمل عنهم السلطنة منزلتين ، وهما رفح والزَّعْقَة ، وصار آخر أدْراكهم منزلةً تُعرف بالخُرُوبة . ويقيمون فى هذه الخمس عشرة منزلة ماية وخمسين فرساً ، فى كلّ منزلةٍ عشرة أروس برسم البريد المنصور . هذا يختصّ بقبيلتى جذام وثعلبة ، وعليهم خفْرساير هذه الطرقات إلى عند دار الضيافة التى تحت القلعة مع جبل المقطّم ، مقرّر عليهم خفر ذلك من تقادم السنين من أوّل وقتٍ ، وعلى قبيلة العايد خفر الطريق البدريّة ، وهى الطريق الفوقانيّة بالبرّيّة ؛ عرضها ثمانية أيّام تسلكها التجار المشوّرين عن الحقوق السلطانيّة المُوجَبة بقَطْيَا . وهذه الطريق كانت المسلك إلى الديار المصريّة من الشأم أيّام كانت الفرنج مُلاّك الساحل . ثمّ لمّا فتح الله تعالى البلاد على يد السلطان المرحوم صلاح الدين الملك الناصر بن أيّوب أوّل ملوك بنى أيّوب ارتجعت الطريق هذه المستقِرّة ودُثِرت هذه الطريق البدريّة . وما برحت الملوك بالديار المصريّة مجتهدين

(١٤) خفر : بالهامش

فى دثور هذه الطريق بالإجماع ومنعِ السالك منها ، فإنّها عادت مضرّةً على الديار المصريّة من عدّة وجوهٍ : من تشوير التجّار عن الحقوق المُوجبة عليهم بالطرق السلطانيّة من الشأم إلى مصر ، ومن تطرُّق القاصد والجاسوس من جهة العدوّ المخذول ، فإنّه يعبر ويخرج من الديار المصريّة ولا يُعلم به

وكان الوالد رحمه الله اجتهد فى حفظ هذه الطريق ومنعِ السالك منها ، وألزم هؤلاء العايد بحفظ أدراكهم فيها . فإنّ السالك فى هذه الطريق لا يقدر يعبر إليها إلاّ بدليلٍ من هؤلاء القبيلة العايد . فإنّها طريق مشقّةٍ ومفاوزَ ، وهى فى التيه ولا لها دربٌ سالك . وإنّما فى النهار يسيرون على رءوس الروابى والآكام ، يعرفوها هؤلاء العرب المذكورون ، وفى الليل يسيرون على النجوم ، ويوردون ماءً ويصدرون عن آخر ، لا يكاد يبيتون إلاّ على ماءٍ ، ولكلّ ماءٍ اسمٌ يُعرف به . ما يزيد عن أربعين ماء فى طول هذه المسافة وعرضها . والذين يشوّرون فى هذه الطريق أكثرهم — إذا كانوا من الديار المصريّة — يشوّرون من الصعيد بالأصناف النافقة بالشأم مثل الكتّان والشقاق الخام وغيره . فيتوجّهون البعض من إطْفيح والبعض من شرونة والبعض من قُبال مدينة أسيوط ، ثمّ من أخميم ، ويخرجون بعد ذلك حيث شاءوا بعد أن يتعدّون قَطْيّا . فمن شا منهم خرج من منزلة الورادة ، ومن شا خرج من منزلة العريش أو الزعقة أو رفح وغيرهم فى طول منازل الرمل . فهذا درك عربِ العايد إلى عقبة الحجّاج الكبيرة . وأمّا درك الطور وهو طور سينا ، فهو على عربٍ يقال لهم بنى سليمان ، ومنهم أدراك بنى عقبة عرب الكرك والشوبك

---

(١٢) والذين : والذى

وهذا الطور فمن عجايب الدنيا . وهو الذى كلّم الله تعالى فيه موسى تكليماً . وله دَرَجٌ إلى أعلاه عدّة سبع ألف وثمانى مائة درجة . وهناك ديرٌ عظيم ما بُنِىَ فى جميع الأديرة له نظير . ومقيم بها نيّف وأربع ماية راهب ، أكثرهم ملوك وأولاد ملوك من الفرنج ، قد خرجوا عن الدنيا وانقطعوا عن العالم ، يعبدون الله عزّ وجلّ على دينهم وأمْرهُم إلى الله تعالى . وهذا الطور على بحر المالح ، ومأكلهم السمك الكثير يعملوه عدّة ألوان . والتمر والعجوة والرطب الكثير . فإنّ ثم هناك نخيلاً كثيرة فى غاية الحسن . وأكثرهم متموّلين وفيهم خير . وعندهم لم تبرح القمصان الخام والطواقى والمشّايات يؤثروا بها الحجّاج التايهين من الرَّكْب . وربّما أنّهم كانوا فى غير هذا الوقت إذا وصل إليهم إنسان وشكى لهم فاقةً وفقراً وعايلةً وتحقّقوا ذلك منه يقولون له : تقترض للآخرة ؟ — فإن قال : نعم ، أعطوه على قدر ما يروه من الألف والألفين وأكثر وأقلّ . هذا كان من قبل هذا الوقت ، وإنّما فى هذا الوقت ما عادوا يعطون إلاّ من يخشوا منه ، والله أعلم

ثمّ إنّ على هؤلاء العربان المذكورين السِياقَ السلطانىَّ : وهو ألف جمل يحملوا عليهم أثقال السلطنة عند توجّه الركاب الشريف السلطانىّ إلى الشأم المحروس . ثمّ إنّ كلّ مَن توفّى من هؤلاء العربان لا ينزل ولده كان أو أخوه أو ابن عمه أو إذا كان مالَه وارث كان من أقرب أقاربه أو من طايفته حتى يَزِنَ ما على ذلك الإقطاع من الرسم المقرّر ، وهو كلّ إقطاعٍ عليه رسمٌ قد قُرّر من قديم الزمان على قدر العبرة ، فمن خمس ماية دينار إلى ثلاثين دينار حبشيّة

(١ — ٢) كلم ... تكليماً : قارن السورة ٤ الآية ١٦٤ (٧) ألوان : اللوان ‖ نخيلاً : نخيل (٩) يؤثروا : ياروا (١١) فقراً : فقر (١٥) المذكورين : المذكورون

فكان مـُوجِب خروج الوالد إلى العربان لوجهين : لانكسار خيل البريد وقلّة اكترائهم بمن يخرج إليهم من الأمرا وغيرهم،ولأجل أنّهم كانوا إذا توفّى منهم أحد دخلوا إلى ديوان العربان وصانعوه بشىءٍ وركّبوا اسماً على اسمٍ بغير الرسم المقرّر. فاطّلع نايب السلطان الأمير سيف الدين سلاّر على ذلك ، وتحقّق أنّ أىّ مَن أخرجه من الأمرا دخلوا عليه وقدّموا له الخيول والجمال والأغنام ، فلا يُظهر السلطان بعد ذلك على شيءٍ . وكان يعرف الوالد من أيّام الشهيد الملك المنصور والشهيد الملك الصالح ، ويتحقّق منه الأمانة والتصميم على حفظ مال السلطان ، فألزمه بذلك صورة كشفٍ وتعوّدٍ . ثمّ درّجه حتى ولاّه الأعمال الشرقيّة مضافةً للعربان بأمره . فاستقرّ إلى حين عودة الركاب الشريف من الكرك المحروس ثالث مملكةٍ . فاعتفى من الولاية؛ فأعفاه مولانا السلطان ، عفى الله عنه فى الدنيا والآخرة ؛ وخيّره بين الإقامة بمصر أو الشأم ، فاختشىَ أن يستدركوا فيه الفارط ، ويعود إلى الولاية . فطلب الشأم فتصدّق عليه بإمرةٍ بالشأم ، ورُتّب مهمانداراً بالشأم المحروس . ثمّ لمّا تولّى الأمير سيف الدين كراى المنصورىّ نيابة الشأم كاتب فيه وأضاف إليه شادّ الدواوين بدمشق اغتصاباً لا اختياراً منه . فأقام إلى أن تولّى الأمير جمال الدين نايب الكرك نيابة الشأم ، فاستعفى ، فأُعفى فى حديثٍ طويلٍ جرى عليه من الدماشقة . وأرادوا قتله ، فسلّمه الله تعالى بنيّته المباركة . وعلى الجملة إنّه أقام فى الأعمال الشرقيّة إحدى عشرة سنة ، وأُضيف إليه بها نظر قَطْيا وأشمون الرمّان . ولمّا توجّه إلى الشأم لم يكن معه ما يصلح به حاله للسفر حتى أباع مِلكه سكنه بثمانية عشر ألف درهم وتجهز بها حتى خرج إلى الشأم . ولمّا توفّى رحمه الله بدمشق

(٣) اسما : اسم (٧) والتصميم : والتصمم

وجدتُ عليه ثلاثة عشر ألف درهم دَيْن ، وكان قد ولى بدمشق أكبر مناصبها بعد النيابة ، فلم يلتمس لأحدٍ من خلق الله تعالى الدرهم الفرد ، ولا أكل لأحدٍ اللقمة الخبز ، والله على ما أقول وكيل

وفيها توجّه إلى الحجاز الشريف الأمير سيف الدين سلاّر وصحبته الأمير عزّ الدين سنقر الكمالىّ أمير حاجب ؛ وفعلا من المعروف فى هذه الحجّة شيئاً كثيراً جدّاً : والله أعلم

ذكر سنة أربع وسبع ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم

ما يخصّ من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر ، زاد الله دولته شباباً ونموًّا ، وارتقاءً وبقاءً وعلوًّا ، سلطان الإسلام ، وإمام ملّة النبىّ عليه السلام . والنوّاب بمصر والشام ؛ حسبما تقدّم من الكلام ، فى ذلك العام ، وكذلك ملوك الأقطار ، فى ساير الأمصار ، ما خلا مملكة العراقين وخراسان بمملكة التتار . فإنّ الملك عليها فى هذا العام خدابنداه ، وهذه لفظة عجميّة معناها عبد الله

وكان قبل هلاك غازان فى السنة الخالية ، قد كتب مولانا السلطان له كتاباً عقيب كسر التتار بشقحب يتضمّن إعلامه بما جرى على جيوشه التى امتلأ من قتلاهم فسيح الفضا ، حتى عفت لحومهم وحوشه . فمن ذلك ما هذا نسخته :

---

(٦) شيئاً كثيرا : شى كثير (١٧) عقب : عقبا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما جدّد لنا من النعمة التامّة ، وسمح به < من > الكرامة العامّة ، حين أعاد البدر إلى كماله ، والسرور إلى أتمّ أحواله ، فاشتاقت النفوس إلى عوايدها ، وارتاحت القلوب إلى ملايذها ، وأضاءت شموس المعالى ، وطلعت بدورها بالسعد المتوالى ، وارتاحت القلوب إلى معجز برهانها التالى . وكانت غلطة من الدهر فاستدركها ، وسقطة خطبٍ غطّته فما ملكها ، فقرّت تلك العيون ، وتحقّقت فى بلوغ الآمال الظنون . فللّه الحمد الجزيل ، ما لاح فى الجوّ بارق ، وعرا فى الليل طارق

وبعدُ : فليعلم الملك محمود غازان جامع الوفود ، وحاشد الحشود ، أنّه قد كان ما جرى وقُدِّر فى القِدَم ، فلا رادّ لِما قُضى وبرم وحكم ، فحملنا ذلك أنّه كان من ربّنا تقدير ، وأنّه ليس لأحدٍ فيما أراد الله تعالى تدبير ، فما لبثتَ إلاّ اليسير من المدّة . حتى أرسلت رسلك إلينا مجدّة : تطلب الصلح وتَحُثُّ عليه . وتذكر السِلْم وتندب إليه ، بعد ما اعتمدتَ الفساد فى الأرضين . وكان من الواجب علينا وعليك إصلاحُ ذات البين . فأكرمنا رسلك إكراماً يليق بجميل فعالنا ، وجاوبناهم بمقتضى حالهم لا حالنا . وأعَدناهم إليك ، وقلّدناك من البغى ما عاد وبالُه عليك . فعُــدتَ وأرسلت تطلب منّا رسلاً تسمع كلامك ، وقد فهمنا مقصدك ومرامك . فأرسلنا إليك ما طلبت ، وركّبناك فرس البغى ، فيابئس ما ركبت !

فما كان إلاّ عند وصول رُسُلِنا ، جهّزْتَ عساكرك وأظهرت الغدر لنا ، وحرّضتَهم بما عاد وبالُه عليهم ، وما رأوه حاضراً لديهم . ثمّ شيّعْتَهم

من هناك ، ورجعت طالباً للسلامة من الهلاك ، فما كان إلاّ أن دخلوا البلاد ، وفعلوا ما أمرتَهم به من الفساد ، ونزلوا بالقرب من حلب ، وشنّوا الغارة وجدّوا فى الطلب . وسيّرتَ مِن جيشك جماعةً إلى القريتين ، فشاهدهم يَزَكُنا المنصور مرأى العين ، فوجدوهم وقد أخذوا أغنام التركمان ، فتلقّوهم يزكنا بأضيق مكان ، فلم يلبث الباغون ﴿ إلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ﴾ وطلبوا الهزيمة والفرار ، فلم يُمهَلوا حتى عجّل الله بأرواحهم إلى النار ، وبقّى أجسادهم ملقاةً بأرض عُرْض ، إلى يوم العرض . ثمّ سارت عساكرك طالبين الغوطة ، ولم يعلموا أنّ بها أُسُودًا مربوطة ، وعساكرنا تتأخّر عنهم قليلاً قليلاً ، وأعينُنا ترقبُها بكرةً وأصيلاً . فلمّا عاينوا دمشق ظنّوا أنّهم يدخلوها ولأهلها يأسرون ، وما علموا أنّهم فى تجارتهم يَخسرون ، فإن سجيّة الغدر للهلاك ، ومصرع البغى ليس منه فَكاك . فلم تغرب الشمس حتى فرّقناهم على أديم الأرض ، وشتّتنا بعضهم عن بعض

والتجأ مَن بقى منهم إلى الجبل ، وباتوا وهم من سيوفنا على وجَل . وأقاموا عليه ليلة الأحد ، وظنّوا أن ليس مقابلهم أحد . فلمّا دقّت نصف الليل كوساتُنا المنصورة ، تحقّقوا أنّهم الفية الباغية المكسورة . فعندما أصبحوا نظروا الأرض ، وقد سالت عليهم خيلاً ورجلاً حتى ضاقت بهم عن المَجال . فعندها ندموا حيث لا ينفعهم الندم ، وأيقنوا بعد السلامة بالعدم . فنادى لسان حالهم — وقد قصّروا فى أعمالهم — أعتِقنا أيّها الملك الرحيم ، وٱعفُ عنّا فإنّك حليم . فأمرنا جيوشنا أن تفتح لهم طريقاً منها يخرجون ، وتركناهم من أمرنا يعجبون ، ففرّوا فرار الشاة من الأسد ، ولم يلتفت منهم الوالد على الولد

---

(٥) بأضيق : باظيق || السورة ٤٦ الآية ٣٥ (٨) أسوداً : أسود (١٧) أيقنوا : ايقتوا

فلو رأيتَ، أيّها الملك، عساكرك — إمّا ذليلاً أسيرًا، أو جريحاً عفيرًا ﴿وَكَانَ يَوْماً عَلَى ٱلْكَافِرِينَ عَسِيراً﴾ يومٌ تضاعفَ فيه المقتول والمأسور، وتصاحب فيه الذباب والنسور، وعادوا أصحابك طعاماً للذباب — لعضّيتَ على يديك وقلتَ ﴿يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا!﴾ فبادر، أيّها الملك، إلى حمد الله العادل، الذى لم يُرِ عينك هذه المحافل، ومرورها على سمعك أهْونُ من العيان، ونظرك إلى عورات أصحابك يُغْنيك عن البيان. فإنّه كان يوماً مشهوداً، وكان الملايكة فيه شُهوداً، ولقد نصحتُك فما ٱرْعَوَيْتَ، وبذلتُ لك القول فما وَعيت، وركبتَ فرس البغى أحمر كُمَيْتْ، فمِن أجل ذلك عاد كلّ حيٍّ من جيشك ميْتْ. وقلنا لك: مَن جرّد سيف البغى فهو به مقتول، فلا تعبأ بالقول ولا تفهم ما تقول، فاستحببت الكفر على الإيمان، فبئس ما سوّل لك الشيطان، فإن شيتَ أن تقف معنا على الكتاب المبين ﴿وَلاَ تَعْثَوْا فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ فنخرج أنا وأنت عن بغداد والعراق، ونتركها لخليفة رسول الله إلى يوم التلاق، وإن سوّلت لك نفسك بخلاف ذلك، فأنت لا محالةَ هالك. وعمّا قليلٍ يخلو منك العراق والعجم، وتندم حيث لا ينفعك الندم، وقد أوضحنا لك الحقّ فلا تميل، وهديناك إلى أقوم سبيل، وتتقدّم بإرسال رسلنا المرسولة إليك، ولا تعوّقهم يكون وَبالاً عليك، وكأن قد خيّلت لك نفسك أنّ جيوشك تعبر الديار المصريّة، صدقتَ، ولكن على غير حالةٍ مرضية، أمّا الخيول فعلى

---

(٢) السورة ٢٥ الآية ٢٦ (٣) طعاما : طعام (٤) السورة ٧٨ الآية ٤٠
(٨) أحمر : احمرا (١٢) السورة ٢ الآية ٦٠ والسورة ٧ الآية ٧٤ والسورة ١١ الآية ٨٥ والسورة ٢٦ الآية ١٨٣ والسورة ٢٩ الآية ٣٦ (١٤) يخلو : يخلوا

أيدى عساكرنا مجنوبة ، والطبول فى أعناقهم مقلوبة ، وأمّا الرجال ، ففى أعناقهم الحبال ، والسلاسل والأغلال ، فعادت مغلك كالكلاب ، فى أيدى أسود الغاب ، فاختر لنفسك إمّا الدخول إلى خراسان سريعاً ، وإمّا الخروج عن الروم والعراق جميعاً

وفى آخر هذه الرسالة هذين البيتين < من المتقارب > :

< و > إن كان أعجبَكم عامكم فعودوا إلى الشأم فى قابل
فإنّ السيوف التى ورّخت مواقعها فى يد القاتل

وفيها كان إصراع العبد المؤلف لهذا التأريخ بالبندق فى شهر ربيعٍ الآخر رابع عشرين منه . وتفضّل المولى المحسن المالك المرحوم شمس الدين بن دانيال الحكيم رحمه الله ، ونظم أبياتاً حساناً تتضمّن قدمة العبد . ونحن نذكرها هاهنا لما فيها من الفوايد فى وصف عِدّة الطير الواجب وأصنافه وحسن صناعة التأليف ، وأيضاً لحفظ تأريخ الإصراع والقدمة ، وهذه الفايدة تختصّ بالعبد دون غيره . فالقارئ يحتمل الإساءة فى إثباتها بشفاعة ما قبلها وبعدها إذا انتهى إلى حدّها وهى < من الكامل > :

عُج بالسدير فإنّ فيه مَرامى فعلى السدير تحيّتى وسلامى
وادٍ به طير الجليل معرّساً وا طول شوقى نحوَه وغرامى
وإذا أتيتَ جنابه مُتَنَزّهاً انزِلْ به لتفوزَ بالإنعام
أشتاقُ هاتيك الوجوه وحسنها وأهوَى مقامات به ومرامى

---

(١٥) بالسدير : بالهامش « السدير : واد حسن بالعباسة وبه كان الإصراع » || تحيتى وسلامى : تحيه وسلام

قالوا أصف طير الجليل معجّلاً … فى واجب الأصناف بالإحكام
فأجبتُهم كركى ووزّ لغلغ … وأنَيْسة عُنارها وتمام
صُوَغٌ وأرنوق ونسر حَبْرَجٌ … وأُكَىّ قاضى نسبة الحكّام
وعقابها ومرازم وشبيطر … يشتاق ملقاها ذوو الأفهام
من بعد ما تَجلى الجليل فنبتدى … بمديح إسراع الجناب السامى
ابن الدويدارى الذى قد شُرِّفت … بجنابه الملعوب فى الأعوام
يا سيف دين الله ما بين الورَى … ومُسامِىَ الصدّيق فى الإسلام
لم أنسَه لمّا استوَى بمقامه … كالبدر فى صحوٍ بغير غمام
شبّهتُه فى حُلّةٍ مُسْودّة … بدرٌ تجلّى فى دُجاءِ ظلام
وكأنّه أسدٌ هزبرٌ كاسرٌ … هِمّاته فاقَتْ لكلّ هُمام
وقد انتضى قَوْساً بكفّ شماله … حلوَ الصياغة صاغة الحَزّام
لا فطرَ فيه ولا مُبَيّضَ كعبه … < و > قد استُخيرَ له قَناً ولِحام
يذرِفْ دُموعاً من محاجر عينه … لمّا تُراهِقُه كُفوفُ الرامى
ولغالِغاً طاروا عليه وأقبلوا … وقد ابتدا بمقامه القدّام
فرمى إليهم بندقاً من كَفّه … فهوَى كَسكرانٍ بغير مُدام
ومُعَفّراً وجهَ الثرى من خدّه … لا يَستطيع لنهضةٍ وقيام
حسن له إبن الخطائى جاره … أحسنْتَ لا شُلَّتْ يمينُ الرامى
وجرى إليه مُحَصّلاً عن نفسه … < لكنه > لا يستطيعُ يُحامى

---

(٢) لغلغ : ولغلغ (٣) حبرج : وحبرج (١١) قوساً : قوس (١٦) من خده : بخده || لنهضة : لنهظه (١٧) الخطائى : كذا فى الأصل

لمّا تقضّى الوجهُ جاء لِحمله ما بين سادات الرُّتوت كِرام
وأتابكى كان الكبير وبعده ابن الشجاع السنتب الضرغام
قد كان ثالثه الكبير مُنَيعَماً والمجد رابعهم بصدق نظام
وجماعةٌ حملوا له مِن بعدِهم سلكوا العدالة مَنْهَجاً وكلام
وقد ادّعَى لِجَنّاب ليثٍ كاسرٍ إنّ المعزّى فخرُ كلّ غلام
ملكٌ أميرٌ حازمٌ متورّعٌ كفوٌ أثيرٌ باسِلٌ كَحُسام
فى سبعِ ماية وأربعٍ إصراعهُ تأريخُه مسطورُ بالأقلام
بربيع الآخر كان أوّل رَمْيِهِ رابعْ وعشرينٍ من الأيّام
ما كان أبركَ وجه بكرة عنده يوم الأحد الضاحك البسام
ها إبن دانالٍ يشرّف نَظْمُه ولسانه من سيآت الفُحْشِ والآثام

وفيها حجّ الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، ومسك حُميضة ورميثة أولاد أبى نُمىّ أصحاب الحجاز الشريف بمكّة ، وأحضرهما إلى الأبواب العالية . وعادا يجلسا مع الأمرا فى الخدمة ، ولبّسوهما كلاوت زركش وأقبية وسيوف وحوايص . وأقام عوضَهما بمكّة أخويهما عماد الدين أبو الغيث وسيف الدين عُطَيْفة

وفيها قُبض على ناصر الدين الشيخىّ الوزير فى غيبة بيبرس فى الحجاز ، باتّفاقٍ كان بينه وبين الأمير سيف الدين سلاّر ، وضُرب بالمقارع حتى مات تحت العقوبة ، لأمورٍ كانت جرت منه . وكان قصدهُ فتنةٌ لما

---

(١) تقضى : انقضى (٢) وأتابكى : والاتابكى || السنتب : الشيته (٣) منيعماً : منيعم (٨) المصراع الأول مضطرب الوزن (٩) المصراع الثانى مضطرب الوزن
(١٠) يشرف : شرف || المصراع الثانى مضطرب الوزن

كان تعلّق به أمله الكاذب ، فرجع وبالاً عليه . وهذا ناصر الدين الشيخىّ كان أقباعيًّا يخيط الأقباع . ثمّ إنّه كان بماردين وحصل منه مكاتبةٌ ومناصحة للأبواب العالية السلطانيّة . ثم وصل إلى مصر وأخذ الإقطاع وعمل شادّ الكيّالة بالقاهرة المحروسة . ثمّ ولى القاهرة . ثم تنقّلتْ به الأحوال حتى وزر وانتهت أيّامه فقُتل حسبما ذكرناه . وكان يُعرف بالغايب ، وأبوه كان هنديًّا وأخوه يعيش إلى حين وضع العبد هذا التأريخ ، يسمى الشيخ علىّ ، رجل فقير ، وما كان يعترف به فى حال سعادته

ووزر بعده سعد الدين بن عَطايا بعناية الأمير علم الدين الجاولى الأستادار . وكان الأمر راجعاً فى ذلك الوقت لتاج الدين بن سعيد الدولة . وكان هذا ابن سعيد الدولة مسلمانيًّا ، وكان فيه دهاء ومكر . فانتهى إلى خدمة الشيخ نصر المنبجىّ؛ قرّبه إليه شخص جندىّ كان يلوذ بالشيخ نصر ، يقال له المعظّمىّ . وكان الشيخ نصر لا يقوم ولا يقعد إلاّ بالمعظّمىّ وجعله حاجب بابه . وبلغنى ممّن أثق به أنّ الشيخ نصر قال فى وقتٍ : أُطْلِعتُ على الجنّة ، فوجدتُ المعظّمىّ قايماً على باب الجنّة مع رضوان يأذن لمن أُحبّ ويمنع من أختار ، فلذلك جعلتُه صاحب الإذن علىّ . — فلمّا قرّب المعظّمىّ لابنَ سعيد الدولة للشيخ دخل على الشيخ بخرده ومكرٍ ودينٍ وخشوعٍ حتى بلغنى أنّه قال عنه : هذا ابن سعيد الدولة يتصرّف فى الجنّة كيف شا ، فلا أقلّ أنّه يكون متصرّفاً فى أمور الدنيا . — وكان الشيخُ الغالبَ على أمر الأمير ركن الدين ، لا يُفعل شىء إلاّ بإذنه وعن إشارته . فأشار بأن يكون ابن سعيد الدولة مدبّر الدولة . فعاد كذلك حتى

---

(٢) أقباعيًّا : أقباعى (٥) فقتل : فقيل (٥ — ٧) وكان يعرف ... حال سعادته بالهامش (٦) هندياً : هندى (٩) راجعاً : راجع (١٠) مسلمانيا : مسلمانى (١٤) قايماً : قايم (١٦) بخرده : كذا فى الأصل

بلغ من أمره إذا كُتب عن مولانا السلطان كتابٌ فى ساير التعلّقات الخاصّة والعامّة يُعرض على ابن سعيد الدولة حتى يكتب عليه : يحتاج إلى الخطّ الشريف ، — ثمّ بعد ذلك يُقدّم للعلامة الشريفة السلطانيّة . ثمّ إن ابن سعيد الدولة عمل له ناموساً عظيماً حتى لا كان أحد يجسر أن يسلّم عليه فى الطريق ولا يمشى أحد قدّامه ولا خلفه غير عبدٍ واحدٍ يحمل دواته ، والويل لمن جهل منه ذلك فسلّم عليه فى الطريق : فما يَتَسلّم من الأخذ والإهانة إلاّ بالجهد العظيم . وكان له بستان قد جُعل فى وسطه مكان خالى من الأشجار تقدير فدّانين ، وفى وسط تلك البقعة تخت جريد يجلس عليه ومن شا من ألزامه الخصيصين به . وكان أكثرهم مجالسةً فى قراية المناحس والتفكّر فى ما يفعلوه شخص من أقاربه كان يسمّى التقىّ الأحول ، وكان يقارب التاج فى المكر والخبث ويفوق عليه ، وربمّا كان التاج ابن سعيد الدولة يغترف من بحره . فكان غالب الأوقات جليسَه فى ذلك المكان . وكان قصده بخلوّ ذلك المكان من الأشجار والخلوة فيه خشية ما سامع يسمع ما هما فيه من الكلام ، فإذا دخل إليه داخلٌ نظره من بعدٍ . كلّ ذلك من حسابه البعيد وغوره فى المناحس . ثمّ إنّ ابن سعيد الدولة حجر على ساير التصرّفات السلطانيّة ومنع أشيا كثيرةً كبيرها وحقيرها . جليلها وقليلها . هذا ومولانا السلطان يلاحظ هذه الأحوال ، صابراً على هذه الأهوال ، قد سلّم أموره إلى الله مولاه ، فهو يلاحظه ويكلاه

وفيها ليلة الثلثا الثامن والعشرين من ربيع الآخر وُلد لمولانا السلطان عزّ نصره ولدٌ ذكر ، ولقّب بالملك المظفّر

---

(١) كتاب : كتابا (٤) أحد : احداً (٥) أحد : احدا (٦) والإهانة : والاهنة (٢٠) ولد ذكر : ولدا ذكرا

وفيها التاسع عشر من ربيع الأوّل وصل الأميرين آقطاي وسلطان أولاد مهنّا ومعهم جماعة كبيرة ، وكان لهم مدّة زمانيّة قد قفزوا إلى التتار ، وكانوا مضرّة على الإسلام خصوصاً على القفول الصادرة والواردة من الشرق . فكان عودهم رحمةً للناس ، فخبّروا أنّ غازان كان قبل موته قد جرّد خمسة عشر توماناً عدّة ماية وخمسين ألف فارس إلى نحو الشأم . فمات بالسبب المذكور قبل خروج التجاريد ، فللّه الحمد والمنّة

وفيها وصل رسول التتار وأخبر أنّ وراه رسلاً أيضا من الملك خدابنداه أخى غازان صاحب تخت مملكة التتار بالعراقين وما معهما ، وأنّ مع الرسل رسول المسلمين : الأمير حسام الدين المجيرىّ وعماد الدين بن السكّرىّ ، وكذلك بدر الدين بن فضل الله . وأخبر أنّ الملك خدابنداه قرّب الرسل الإسلاميّة وأخلع عليهما وأنعم إنعامًا كبيرًا ، وأنّ من جملة ذلك أنّه ناول لعماد الدين بن السكّرىّ من يده هناب قمز فتناوله من يده ، ولم يشربه . فسأله عن امتناعه ، فقيل له : إنّه قاضى ولا يمكنه شربه . — فأخذه منه وناوله رغيف خبز صورة أمان ، فأخذه وضرب له جُوك . فأعجبه كلامه وقال : الملك الناصر آغا أطاسى ، يعنى كبيرى وسميّى ، فإنه محمد وأنا محمد ، ونحن نطلب الصلح خمسين سنة ، وأقلّ ما يكون اثنتا عشرة سنة حتى تعمر البلاد . — ثمّ قال : إنّ أخى غازان ما كان له عقل فى خراب البلاد ، وكان مسلم الظاهر كافر الباطن ، وما دخوله الشأم برضايى ولا برضا أمرا المغل ، فلذلك قتله الله تعالى . وإنّ أمرا المغل يسلّمون على السلطان صاحب مصر ويطلبوا منه الصلح وإخماد هذه الفتن : وكان سبب هذا كلّه منهم أنّه بلغه

(٣) مضرة : مظره (٧) رسلا : رسل (٨) أخى : اخو

أنّ الملك أنغاى قد عزم على غزوهم ، فقصدوا أن يسدّوا الباب من هذه الجهة ويتفرّغوا لوجهٍ واحدٍ

وفيها وصل رسول أنغاى ابن أخى الملك بركة ووصل صحبته جَوارٍ كثيرةٌ ومماليك وهديّة سنيّة لمولانا السلطان عزّ نصره ،وكان عدّة المماليك أربعماية مملوك ومايتى جارية . فأخذ منهم مولانا السلطان ماية وعشرين مملوكاً والباقى شروهم الأمراء . ومضمون الرسالة : إنّنا قد سيّرنا إلى خدابنداه نطلب منه من خراسان إلى توريز ، وقد عزمنا على الركوب إليه . فتجمع عساكرك وتدخل من قِبَلك ونحن من قبلنا ، ونجتمع نحن وأنت على طردهم من البلاد ،ونكون نحن وأنتم يداً واحدةً ، وحيث ما وصلَتْ خيلنا من البلاد فهو لنا ، وحيث ما وصلتْ خيلكم من البلاد فهو لكم . — فلأجل ذلك كان ترقّق خدابنداه فى رسالته وسؤال الصلح

وفيها تاسع شهر جمادى الأولى وصل من التتار مقدّمين ومعهم نحو منْ مايتى نفر بنسايهم وأولادهم . وذكروا أنّ فيهم أربعة من سلحداريّة غازان ومن جملتهم ابن سنقر الأشقر ؛ وأخبروا أخباراً طيّبةً

وفيها وصل بدر الدين محمد بن فضل الله وعلاء الدين بن القلانسىّ وشرف الدين بن الأثير من بلاد التتار ، وكانوا قد أخذوهم نوبة غازان . وكان دخولهم دمشق الثالث والعشرين من جمادى الآخرة

وفيها وصل الأمير حسام الدين المجيرىّ وعماد الدين السكّرىّ وصحبتهما رسل من جهة خدابنداه

---

(٣) أخى : اخو ‖ صحبته : صحبتهم (٩) يداً : يد (١١) سؤال : سآل
(١٤) أخبارا : اخبار

تتمّة كلام المجيرىّ للوالد رحمهما الله تعالى جميعاً

قال الأمير حسام الدين المجيرىّ : لمّا اعتقلنا غازان بالمدرسة ، كما تقدّم السبب فى ذلك ، قال : أقمنا سنتين ونحن ننتظر الموت صباحاً ومساءً ؛ وكان لنا طاقة ضيّقة عالية تُشرف على الطريق . وكان قبالتها دكّانٌ لرجلٍ إسكاف لم يبرح يشير إلينا بإصبعه بالسلام . فبينا ذات يومٍ أنظر الطريق وإذا برجلٍ فى وسط الطريق فى السوق وهو يمشى حافياً ، ومعصّب الرِّجل بخروقٍ وسخةٍ ، عريان الجسد ، ضعيف الحركة ، والناس يسلّمون عليه ويُهنّئونه بالسلامة ، وهو لا يكاد يردّ الجواب ضعفاً : فجعل ذلك الإسكاف الذى فى تلك الدكّان التى قبال الطاق يشير بيده نحوى ويتبسّم ويشير إلى ذلك الشخص ولا أفهم معنى ذلك لبعد المكان وعلوّه . وكان ذلك الرجل من الجيش الذين كُسروا بشقحب ، ورجع فى ذلك الحال ؛ وكان ذلك الإسكاف يشير إلينا ليرينا إيّاه ، وهو كالشامت به . فأقمنا بعد ذلك أربعين يوماً إذ أقبل إلينا الفرج من الله عزّ وجلّ . فأخرجونا ودخلوا بنا الحمّام وألبسونا ثياباً حسنةً . وبعد خمسة أيّام ورد مرسوم خدابنداه بإحضارنا ، قال : فلمّا حضرتُ بين يديه أكرمنى وأجلسنى وقرّبنى وحدّثنى منّى إليه بغير حاجبٍ وقال : يا حسام الدين ، كيف رأيت صنع الله تعالى بغازان الملعون لمّا طغى وزاد ، قال : فقمت وقبّلتُ الأرض وقلت : يحفظ الله القآن ويطول فى عمره ، قال : ثمّ أنعم علىّ ورسم لى بالأموال والخيول والخلع والأنعام ، وأعطانى أشيا لم يعطها ملكٌ مثله لمثلى . وكتب معى إلى ساير

---

(٣) سنتين : سنتان (١٠ – ١٢) وكان ... كالشامت به : بالهامش (١٤) ثيابا : ثياب (١٨) عل : عليه

بلاده والملوك الذين فى طاعته بالوصاة علينا وإكرامنا ، قال المجيرىّ : فوالله ما وصلتُ إلى آخر أقاليمه وأعلم أيش حصل لى من الأموال والخيرات . — انتهى كلامه

ووصل إلى الأبواب العالية فى شهر ذى الحجّة من هذه السنة وصحبته رسلٌ من جهة خدابنداه وعلى يدهم كتاب ما هذا نسخته : . . .

وفيها توفّى السيّد الشريف عزّ الدين جمّاز بن شيحة صاحب المدينة ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وقام بالأمر مكانه ولده ناصر الدين منصور

وفيها توفّى شمس الدين محمد بن التَيْتِى وزير صاحب ماردين ، وكان نايبَ العدل بالأبواب الشريفة

ذكر سنة خمس وسبع ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم

ما يخصّ من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أمير المؤمنين أبو الربيع سليمان ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر سلطان الإسلام والمسلمين ، أدام الله أيّامه إلى يوم الدين ، والنوّاب بمصر والشأم حسبما تقدّم من ذكرهم . والملوك بأقطار الأرض كذلك ، خلا مكّة شرّفها الله والمدينة صانها الله ، فإنّ ملاّك مكّة أبو الغيث وعُطيفة ، وأخويهما حُميضة ورميثة بالأبواب العالية ، وصاحب المدينة ناصر الدين منصور بحكم وفاة أبيه جمّاز ، رحمه الله تعالى

---

(٣) انتهى كلامه : بالهامش (٥) مكان الكتاب المرسل صفحة بيضاء فى الأصل

وفيها خرج الأمير جمال الدين آقوش الأفرم نايب الشأم المحروس من دمشق المحروسة وتوجّه إلى جبل الكسروان ، وتوجّه معه زردخاناه وحجّارين ونقّابين ، وصحبته من الرجّالة ما يزيد عن خمسين ألف راجل ، ولم يزل يحصرهم ويُبيدهم حتى أخلى منهم ، وأراح الله تعالى من فسادهم العباد

ذكر ما كان بين عسكر حلب وأهل سيس

لمّا كان فى شهر المحرّم أوّل هذه السنة دخل عسكر حلب إلى بلاد سيس غيارةً عليهم . وكان المقدّم على الجيش الأمير سيف الدين قشتمر المنصورىّ المعروف بمملوك قراسنقر . وكان ابن قطلوشاه مقدّم التتار فى جماعةٍ من المغل بأطراف الروم فى ثلاثة آلاف فارس . وكانوا قد تبعوا والدة الأمير سـيف الدين سلاّر وإخوته . فلم يدركوهم فسيّر إليهم صاحب سيس يستنجد بهم . فلمّا حضروا إليه نفق فيهم وأعطى كلّ نفرٍ سبع ماية درهم سلطانيّة . وكان عنده أيضاً جماعة كبيرة متجمّعة من مرنده وإفرنج وأرمن . فكان جمعهم تقدير ستّة آلاف فارس . وكانوا المسلمين فى نحوٍ من عشرة آلاف فارس . فلمّا كان ليلة أوّل رأس هذه السنة بلغهم أنّ العدوّ طالبهم فى جمعٍ كثيرٍ . فقال ابن جاجا لقشتمر : المصلحة أن نرحل بهذه الغنايم التى قد حصلت ونخرج قبل أن يُدركنا العـدوّ فى بلاده

---

(١٣) مرندة : كذا فى الأصل

وكان قشتمر رجلاً شجاعاً عَفيًّا ، وكان قوسه سبعين رطلاً دمشقيًّا : هذا أقوله بالمشاهدة ، فإنّه كان جارّنا فى حارة الباطليّة بالقاهرة المحروسة ، وكان له ولد اسمه أميرعمر ، رُبّينا جميعاً فى حارةٍ واحدةٍ : وكان قشتمر له حظٌّ وافر من العفا والقوّة ، وكان يجعل البطّيخة الخضرا فى بِركة الماء ويكمش بيده منها ، فيُخرج منها مِلو كفّه . وكذلك كان يجعل السفرجلة على راحة كفّه ويطعنها بسبّابته يخرقها إلى الجانب الآخر . وله عدّة أشيا من مثل ذلك، لكن إذا أراد الله أمراً بلغه . وكان عيبه أنّه ما كان يكاد يصحى مُدْمن خمرٍ عفا الله عنه . قال الناقل : فقال قشتمر لِما يظنّه من نفسه : أيش هم هؤلاء الخنازير ؟ أنا وحدى ألتقيهم . — فقال له ابن جاجا : هذا قول الملوك المتوكّلين على الله ، وأنت تُحدّثنى فى غير عقلك . — ثمّ ركب ابن جاجا من ساعته وصحبه أكثر من ثلث العسكر ، وساق الليل كلّه وتعلّق فى الجبال فنجا هو ومن كان معه . فلمّا كان بكرة النهار أشرف العدوّ المخذول بالعدّة والعديد . فلمّا وقعت العين فى العين هربوا المسلمين من غير قتال، ولا نزال . فقُتل منهم الأكثر ، وأُسروا الباقى. وأُسر ستّة أمرا من أمرا حلب، من جملتهم فتح الدين بن صبرا ؛ وقُتل قشتمر رحمه الله وعفا عنه ، وكان هذا وهناً عظيماً حصل ، فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلىّ العظيم

وفيها ظهر بمعدن الزمرّد الذى بصعيد مصر قطعة زمرّد مطاولة غشيم : زِنتها مايتى خمسة وأربعين مثقالاً محرّراً ، وهذا شى ما عُهد بمثله من قبل .

---

(١) رجلا شجاعاً عفياً : رجل شجاع عفى (٤) حظ : حظ (٥) بركة : البركة (٧) أمراً : امر (١٠) تحدثنى : تتحدثنى (١٦) وهناً عظيماً : وهن عظيم

وكان جانبها الواحد دبّابى والآخر سلقىّ . وذلك ما نقله كرجىّ البريدىّ فى العشرين من شوّال ، ثمّ تُوجّه فى طلبها . وكانت هذه القطعة المذكورة وقعت لعلم الدين سنجر الزمرّدىّ ضامن الزمرّد فى ذلك الوقت ، أباعها على يد لؤلؤ الحكّاك لشخص يُسمّى ابن عفانة الكارمىّ بتسع ماية دينار . فلمّا شاع خبرها طلبوا ابن عفانة بسببها ، فأنكرها وتوجّه بها إلى اليمن . فجابت له ثلاثة آلاف دينار فلم يبيعها . ثمّ ورد بها إلى مصر وسعى به سنجر الضامن لمّا طالبوه بالحمل ، وذكر أنّها رهنٌ عند ابن عفانة على تسع ماية أو قال : ستّ ماية دينار . فطُلب ابن عفانة وأُخذت منه وحملت إلى الخزاين المعمورة بقلعة الجبل المحروسة بالديار المصريّة . فلم يعيش بعدها ابن عفانة سوى ثمانية أيّام وتوفّى غبناً عليها . قلت : وهذا معدن الزمرّد من أكبر عجايب الدنيا ولا يوجد إلاّ بإقليم مصر بصعيدها . وذكر المسعودىّ صاحب التأريخ أنّ بمكانٍ آخر من بلاد الشمال معدنَ زمرّد ، ولم أجد أحداً ذكر ذلك غيره ، والله أعلم

ذكر واقعة الشيخ تقىّ الدين بن التيميّة رحمه الله

وذلك لمّا كان يوم الاثنين ثامن شهر رجب الفرد من هذه السنة المذكورة ، طُلب القضاة والفقها والشيخ تقىّ الدين بن التيميّة إلى مجلس الأمير جمال الدين الأفرم نايب الشأم المحروس بدمشق ، وكان اجتماعهم بالقصر الأبلق . ثمّ سألوا الشيخ تقىّ الدين بن التيميّة عن عقيدته . فأملى شيئاً منها . ثمّ أحضر عقيدته الواسطة وقُريت فى المجلس المذكور ، وبُحث فيها وتأخّر منها مواضع إلى مجلسٍ آخر . ثمّ اجتمعوا يوم الجمعة ثامن عشر الشهر المذكور . وحضر المجلسَ أيضاً صفىّ الدين الهندىّ . وبحثوا مع

الشيخ تقىّ الدين وسألوه عن مواضــع خارجاً عن العقيدة . وجعل الشيخ صفىّ الدين يتكلّم معه كلاماً كثيراً . ثمّ إنّهم رجعوا عنه واتّفقوا أن كمال الدين بن الزملكانىّ يحاققه من غير مسامحة، ورضوا بذلك الجميع . وانفصل الأمر بينهم أنّه أشهدَ على نفسه الحاضرين أنّه شافعىّ المذهب ، يعتقد ما يعتقده الإمام الشافعىّ رضى الله عنه . ورضوا منه بهذا القول ، وانصرفوا على ذلك

فعند ذلك حصل من أصحاب الشيخ تقىّ الدين كلام كثير وقالوا : ظهر الحقّ مع شيخنا . — فأحضروا واحداً منهم إلى عند القاضى جلال الدين الشافعىّ فى العادليّة ، فصفعه وأمر بتعزيره ، فشفعوا فيه . وكذلك فعل الحنفىّ بآخر وآخر من أصحاب الشيخ تقىّ الدين

ثمّ لمّا كان يوم الاثنين ثانى وعشرين الشهر قرأ الجمال المزّىّ المحدّث فصلاً فى الردّ على الجهميّة من كتاب « أفعال العباد » تصنيف البخارىّ رضى الله عنه ، قرأ ذلك فى مجلس العامّ تحت النسر . فغضب بعض الفقها الحاضرين وقالوا : ما قُرئ هذا الفصل إلاّ ونحن المقصودون بهذا التكفير . — قال : فحملوه إلى قاضى القضاة الشافعىّ ، ورسم بحبسه . فبلغ الشيخَ تقىّ الدين ذلك ، فقام حافياً فى جماعةٍ من أصحابه، وأخرج المذكور من الاعتقال . فعند ذلك اجتمع القاضى بملك الأمرا ، وكذلك الشيخ تقىّ الدين والنقبا عند ملك الأمرا ، واشتطّ تقىّ الدين على القاضى ، وذكر نايبه جلال الدين وأنّه آذى أصحابه بسبب غيبة نايب السلطان فى الصيد . فلمّا حضر نايب السلطان رسم بطلب كلّ من أكثر كلامه من الطايفتين، وأمر

(١) خارجاً : خارج (٢) كلاماً كثيراً : كلام كثير (٨) واحداً : واحد

باعتقالهم ، ونُودِيَ فى البـــلد بمرسومٍ سلطانىّ : مَن تكلّم فى العقايد حلّ ماله ودمه ونُهب داره وهُتكت عياله : — وقصد ناهب السلطان بذلك إخماد الفتنة الثايرة

ثمّ لمّا كان سلخ شهر رجب اجتمع القضاة والفقها وعقدوا مجلساً بالميدان بحضور ملك الأمرا وبحثوا فى العقيدة . فجرى من الشيخ صدر الدين بن الوكيل كلامٌ فى معنى الحروف وغيره . فأنكر عليه كمال الدين ابن الزملكانىّ القول فى ذلك . ثمّ قال للقاضى نجم الدين بن صصْرى قاضى القضاة : أما سمعتَ ما قال ؟ — فكأنّ نجم الدين تغافل عن ذلك طلباً لإخماد الشرّ . فقال كمال الدين بن الزملكانىّ : ما جرى على الشافعيّة قليلٌ كون أن تكون رئيسها ، إشارةً على ما كان ادّعاه صدر الدين بن الوكيل . — فظنّ القاضى نجم الدين أنّ الكلام له ، فقال : اشهدوا علىّ أنّنى قد عزلتُ نفسى ! — وقام من المجلس فلحقه الحاجب الأمير ركن الدين بيبرس العلائى وعلاء الدين أيدغدى بن شقير وأعادوه إلى المجلس . وجرى كلام كثير بعد ذلك يطول شرحه . ثمّ إنّ ملك الأمرا ولاّه الحكم ، وحكم القاضى الحنفىّ بذلك وصحّةِ الولاية ، وأنفذها المالكىّ وقبل الولاية بحضور ملك الأمرا : فلمّا عاد إلى داره لاموه أصحابه . وخشى على نفسه ورأى أنّ الولاية لا تصحّ ، فعاد طلَع إلى تربته بسفح قاسيون ، فأقام بها وصمّم على العزل

فلمّا كان بعد ثلاثة أيّام رسم ملك الأمرا لنوّابه بالمباشرة إلى حيث يرِد جواب مولانا السلطان . فأمّا نايبه جلال الدين فإنّه باشر الحكم ، وأمّا تاج الدين فامتنع

---

(٦) بن الوكيل : بالهامش (١٣) وأعادوه : وعادوه

فلمّا كان ثامن عشرين شهر شعبان المكرّم وصل البريد من الأبواب العالية أعلاها الله تعالى وعلى يده كتابين ، كتاب لملك الأمرا وكتاب للقاضى نجم الدين بعودته إلى الحكم العزيز . ومضمون الكتاب فى فصلٍ منه يقول : قد ف حنا باجتماع رأى العلما على عقيدة الشيخ تقىّ الدين . — فباشر القاضى نجم الدين يوم الخميس مستهلّ شهر رمضان المعظّم ، وسكنت الفتنة

فلمّا كان خامس رمضان ، وصل من الأبواب العالية بريد ، وهو الأمير حسام الدين لاجين العمرىّ بطلب القاضى نجم الدين بن صصْرى والشيخ تقىّ الدين بن التيميّة وكمال الدين بن الزملكانىّ . وفى المرسوم الوارد يقول : وتعرّفونا ما كان وقع فى زمان جاغان فى سنة ثمانٍ وتسعين وستّ مائة بسبب عقيدة ابن التيميّة — وفيه إنكارٌ عظيم عليه — وأنْ تكتبوا صورة العقيدتين : الأولة والثانية . — فعند ذلك طلبوا القاضى جلال الدين الحنفىّ وسألوه عمّا جرى فى أيّامه . فقال : نُقِل إلىّ عنه كلام ، وسألناه فأجاب عنه . وكذلك القاضى جلال الدين الشافعىّ لمّا طُلب أحضر نسخة العقيدة التى كانت أُحضرت فى زمان أخيه . ثمّ إنّهم تحدّثوا مع ملك الأمرا فى أن يكاتب بسببهم ويسدّ هذا الباب ، فأجاب إلى ذلك

فلمّا كان يوم السبت عاشر رمضان المعظّم وصل مملوك ملك الأمرا على البريد المنصور ، وأخبر أنّ الطلب على الشيخ تقىّ الدين حثيث ، وأنّ القاضى زين الدين بن مخلوف المالكىّ قد قام فى هذا الأمر قيامًا عظيمًا ، وأنّ الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير معه فى هذا الأمر ، وأخبر بأشياء كثيرةٍ جرت ممّا وقع بمصر فى حقّ الحنابلة ، وأنّ بعضهم أُهين ، وأنّ

---

(١٨) قياما عظيما : قيام عظيم

القاضى المالكىّ والحنبلىّ جرى بينهما كلام كثير . فلمّا سمع ملك الأمرا ذلك رجع عن المكاتبة بسببهم وأمر بتجهيزهم إلى الأبواب العالية وتوجّهوا . فلمّا كان يوم الجمعة سابع شهر شوّال وصل البريد ، وأخبر أن كان وصول القاضى نجم الدين والشيخ تقىّ الدين إلى الديار المصريّة يوم الخميس ثانى وعشرين رمضان المعظّم من هذه السنة المذكورة

ذكر ما جرى للشيخ تقىّ الدين بمصر المحروسة

وذلك أنّه لمّا وصل فى ذلك التأريخ المذكور ، عُقد له مجلس فى دار النيابة بحضور الأمير سيف الدين سلاّر ، وأُحضروا العلما والأيمّة القضاة الأربعة ، وحضر الأمير ركن الدين بيبرس . فتكلّم القاضى شرف الدين بن عدلان الشافعىّ ، وادّعى على الشيخ تقىّ الدين دعوى شرعيّة فى أمر عقيدته . فعند ذلك قام الشيخ تقىّ الدين وحمد الله تعالى وأثنى عليه وتلجلج . ثمّ أراد أن يذكر الله ويذكر عقيدته فى فصلٍ طويلٍ . فقالوا له : يا شيخ ، الذى بتقوله معلوم ، ولا حاجة إلى الإطالة : وأنت قد ادّعى عليك هذا القاضى بدعوى شرعيّة ، أجيب عنها ! — فأعاد القول فى التحميد وحاد عن الجواب ، فلم يمكّن فى تتمّة تحاميده . فقال : عند مَن هى هذه الدعوى ؟ — فقالوا : عند القاضى زين الدين المالكىّ . — فقال : عدوّى وعدوّ مذهبى . — فكرّروا عليه القول مراراً ، ولم يزدْهم على ذلك شيئاً وطال الأمر . فعند ذلك حكم القاضى المالكىّ باعتقاله على ردّ الجواب . فقال الشيخ ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ فأقاموه من المجلس واعتُقل ، وسُجن أيضاً إخوته فى برجٍ من أبراج القلعة

---

(٣) فلما كان : بالهامش (٧) مجلس : مجلسا (١٠) ادعى : ادعا ‖ دعوى : دعوا

(١٨ — ١٩) السورة ١٢ الآية ٣٣

فبلغ القاضى أنّ جماعةً من الأمرا يتردّدون إليه ويُنفِذون له المآكل الطيّبة . فطلع القاضى واجتمع بالأمير ركن الدين فى قضيّته وقال : هذا يجب عليه التضييق إذا لم يُقتل ، وإلاّ فقد ثبت كفره . — فنقلوه هو وإخوته ليلة عيد الفطر إلى الجبّ بالقلعة

وكان بعد قيام ابن التيميّة من المجلس قد تكلّم قاضى القضاة بدر الدين ابن جماعة رحمه الله فى مسايل القرآن العظيم وشىء من عقيدة الإمام الشافعىّ رضى الله عنه . فقيل لقاضى القضاة الحنفىّ : ما تقول ؟ — قال : كذا أعتقد . — فقيل لقاضى القضاة شرف الدين الحنبلىّ : ما تقول ؟ — فتلجلج ، فقال له الشيخ شمس الدين القروىّ المالكىّ : قم ، جدّد إسلامك ! وإلاّ لحقوك بابن التيميّة وأنا أحبّك وأنصحك . — فخجل . فلقّنه القاضى بدر الدين بن جماعة القول ، فقال مثل قوله ، وانفصل الحال

ثم كُتب إلى دمشق كتاب يتضمّن أنّ مولانا السلطان خلّد الله < ملكه > قد رسم : أىّ مَن اعتقد عقيدة ابن التيميّة حلّ ماله ودمه . — وبعد صلاة الجمعة حضروا القضاة جميعهم بمقصورة الخطابة بجامع دمشق ومعهم الأمير ركن الدين بيبرس العلايى أمير حاجب الشأم يوم ذاك . وجمعوا جميع الحنابلة ، وأُحضر تقليد قاضى القضاة نجم الدين بن صصْرى باستمراره على القضا وقضا العسكر ونظر الأوقاف مع زيادة المعلوم ، وقرأه زين الدين أبو بكر . وقُرئ عقيبه نسخة الكتاب الذى وصل فيما يتعلّق بمخالفة عقيدة الشيخ تقىّ الدين بن التيميّة وإلزام الناس بذلك ، خصوصاً الحنابلة . فكان ما هذا نسخته :

---

(٩) القروى : القونى ، مصحح بالهامش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمــد لله الذى تنزّه عن الشبيه والنظير ، وتعالى عن المثيل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

نحمده على أن ألهمنا العمــل بالسنّة والكتاب ، ورفع فى أيّامنا أسباب الشكّ والارتياب

ونشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، شهادةَ مَن يرجو بإخلاصه حسن العقبى والمصير

وننزّه الخالق عن التحييز فى جهةٍ لقوله تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَٱللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

ونشهد أنّ محمداً عبده ورسوله الذى نَهَجَ سُبُلَ النجاة لمن سلك طريق مرضاته ، وأمر بالتفكّر فى آلاء الله ونهى عن التفكّر فى ذاته

صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين علا بهم منارُ الإيمان وارتفع ، وشيّد الله بهم قواعد الدين الحنيفىّ ما شرع ، فأخمد بهم كلمة مَن حاد عن الحقّ ومال إلى البدع

وبعدُ : فإنّ العقايد الشرعيّة ، وقواعد الإسلام المرعيّة ، وأركان الإسلام العليّة ، ومذاهب الدين المُضيّة ، هى الأساسُ الذى يبنى الإيمان عليه ، والمؤمَّلُ الذى يرجع كلٌّ أحدٍ إليه . والطريق التى مَن سلكها ﴿ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ ومَن زاغ عنها فقد استوجب عذاباً أليماً . فلهذا

---

(٢) الشبيه : التشبيه (٣) السورة ٤٢ الآية ١١ (٦) يرجو : يرجوا
(٨ - ٩) السورة ٥٧ الآية ٤ (١٦) الإيمان : بالهامش (١٨) السورة ٣٣ الآية ٧١

يجب أن تنفّذ أحكامُها ويؤكّد زمامُها ، وتُصانَ عقايدُ هذه الأمّة عن الاختلاف ، وتُزان قواعد الأيمّة بالايتلاف ، وتخمد ثوائر البدع ، ويفرّق من قوّتها ما جُمع

وكان التقىُّ بن التيميّة فى هذه المدّة قد سلّط لسانَ قلمه ، ومدّ عنان كلمه ، وتحدّث فى مسايل الذات والصفات ، ونصّ فى كلامه على أمورٍ مُنكرات ، وتكلّم فيما سكتَ عنه الصحابةُ والتابعون ، وفاه بما يخفيه السلفُ الصالحون ، وأتى فى ذلك بما أنكره أيمّة الإسلام ، وانعقد على خلافه اجتماع العلما والحكّام ، وشهر من فتاويه فى البلاد ما استخفّ به عقول العوامّ ، فخالف فى ذلك علما عصره ، وأيمّة شأمه ومصره ، وبعث رسايله إلى كلّ مكان ، وسمّى فتاويه أسماء ﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾

ولمّا اتّصل بنا ذلك ،وما سلكوا مريدوه من هذه المسالك ،وأظهروه من هذه الأحوال وأشاعوه ، وعلمنا أنّه ﴿ ٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ﴾ حتى اتّصل بنا أنّهم صرّحوا فى حقّ الله بالحرف والصوت والتجسيم ،قمنا فى الله تعالى مستعظمين لهذا النبإ العظيم . فأنكرنا هذه البدعة ، وأنفنا أن نسمع عن مَن تضمّه ممالكُنا هذه السُّمعة . وكرهنا ما فاه به المبطلون ، وتلونا قوله ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ فإنّه جلّ جلاله تنزّه عن العديل والنظير ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾

---

(١) ويؤكد زمامها : بالهامش (٤) سلط : تسلط (١٠) السورة ٥٣ الآية ٢٣
(١٣) السورة ٤٣ الآية ٥٤ (١٦) فاه : افاه (١٧) السورة ٣٧ الآية ١٥٩ والسورة ٢٣ الآية ٩١ ‖ الله : بعده بالهامش «وتعالى» (١٨) العديل : التعديل (١٨–١٩) السورة ٦ الآية ١٠٣

وتقدّمت مراسمنا باستدعا التقىّ بن التيميّة المذكور إلى أبوابنا عند ما شاعت فتاويه شأماً ومصرا ، وصرّح فيها بألفاظٍ ما سمعها ذو فهمٍ إلاّ وتلا ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً ﴾

ولمّا وصل إلينا،تجمّع أولو الحلّ والعقد ، وذوو التحقيق والنقد ، وحضر قضاة الإسلام ، وحكّام الأنام ، وعلما الدين ، وفقها المسلمين ، وعُقد له مجلس شرع ، فى ملأ من الأيمّة والجمْع ، فثبت عند ذلك عليه ، جميعُ ما نُسب إليه ، بمقتضى خطّ يده،الدالّ على معتقَده ، وانفصل ذلك الجمع ،وهم لعقيدته منكرون،وآخذوه بما شهد به قلمه عليه ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾

وبلغنا أنّه كان استُتيبَ فيما تقدّم ، وأخّره الشرعُ الشريف لمّا تعرّض إلى ذلك وأقدم . ثمّ عاد بعد ردعه ومنعه ، ولم تدخل تلك النواهى فى سمعه

فلمّا ثبت ذلك فى مجلس الحكَم العزيز المالكىّ،حكم الشرع الشريفُ بأن يُسجن هذا المذكور ، ويُمنع من التصرّف والظهور

ومرسومنا هذا يأمُر بأن لا يسلك أحدٌ ما سلكه المذكور من هـــذه المسالك ، ويُنهى عن التشبّه به فى اعتقاد مثل ذلك ، أو يغدو له فى هذا القول متّبعاً،أو لهذه الألفاظ مستمعاً ، أو يسرى فى التجسّم مسراه،أو أن يفوه بجهةٍ للعلوّ ، مخصِّصاً أحـــداً كما فاه ، أو يتحدّث إنسان فى صوتٍ أو حرف ، أو يوسّع القول فى ذاتٍ أو وصف ، أو يُطلق لسانه بتجسيم ،

---

(٢) بألفاظ : بالفاظ ‖ ذو : ذوو (٣) السورة ١٨ الآية ٧٤ (٤) أولو : اولوا ‖ وذوو : ودوى (٨) وآخذوه : وواخذوه (٨ – ٩) السورة ٤٣ الآية ١٩ (١٨) أحداً : احد

أو يحيد عن طريق الحقّ المستقيم ، أو يخرج عن رأى الأمّة ، أو ينفرد عن علماء الأيمّة ، أو يحيّز الله تعالى فى جهةٍ ، أو يتعرّض إلى حيث وكيف ، فليس لمن يعتقد هذا المجموع عندنا غيرُ السيف

فليقف كلٌّ أحدٍ عند هذا الحدّ ، فـ ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ فليُلْزَم كلٌّ من الحنابلة بالرجوع عمّا أنكره الأيمّة من هــذه العقيدة ، والخروجِ من هذه المشتبهات الشديدة ، ولزومِ ما أمر الله به من التمسّك بمذاهب أهل الإيمان الحميدة ، فإنّه من خرج عن أمر الله تعالى ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ وليس له منّا غير السجن الطويل من مَقيل

ومتى أصرّوا على الامتناع ، وأبوا إلاّ الدفاع ، فليس لهم عندنا حكمٌ ولا قضاءٌ ولا إمامة ، ولا تَسْنَحُ لهم فى بلادنا بشهادةٍ ولا منصبٍ ولا إقامة ، ونأمر بإسقاطهم من مراتبهم ، وإخراجهم من مناصبهم . وقد حذّرنا وأعذرنا ، وأنصفنا حيث أنذرنا

فليُقرأ مرسومنا هذا على المنابر ، ليكون أعظم زاجرٍ وأعدل ناهٍ وآمر . وليبلّغ للغايب الحاضر

والخطّ الشريف أعلاه ، حجّةٌ بمقتضاه

وكُتب هذا المرسوم عدّة نسخ ، ونفذ إلى ساير الممالك الإسلاميّة . وتولّى قراية هذا المرسوم الوارد بدمشق القاضى شمسُ الدين محمد بن شهاب الدين محمود الموقّع ، وبلّغ عنه ابن صبيح المؤذّن . وأحضروا الحنابلة بعد ذلك ، واعترفوا عند قاضى القضاة جمال الدين المالكىّ بأنّهم جميعهم

(١) يحيد : يتحيد (٤ – ٥) السورة ٣٠ الآية ٤ (٥) فليلزم : فليزم (٨) السورة ٦٠ الآية ١٠ (٩) وأبوا : وأبو

يعتقدون ما يعتقده الإمام محمد بن إدريس الشافعيّ رضى الله عنه ، وهو قوله : آمنتُ بالله وما جا عن الله عن مَن آمن بالله ، وآمنتُ برسول الله وما جا عن رسول الله عن مراد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

ذكر السبب الموجب لهذه الفتن المذكورة

وذلك أنّ بعض أصحاب الشيخ تقيّ الدين بن التيميّة أحضر للشيخ كتاباً من تصانيف الشيخ محيي الدين بن العربيّ يُسمّى « فصوص الحِكَم » وذلك فى سنة ثلاث وسبع ماية : فطالعه الشيخ تقيّ الدين ، فرأى فيه مسايل تخالف اعتقاده . فشرع فى لعنة ابن العربيّ وسبّ أصحابه الذين يعتقدون اعتقاده . ثمّ اعتكف الشيخ تقيّ الدين فى شهر رمضان وصنّف نقيضه وسمّاه « النصوص على الفصوص » وبيّن فيه الخطأ الذى ذكره ابن العربيّ . وبلغه أنّ شيخ الشيوخ كريم الدين شيخ خانقاه سعيد السعدا بالقاهرة المحروسة له اشتغال بمصنّفات ابن العربيّ ، وأنّه يعظّمه تعظيماً كبيراً وكذلك الشيخ نصر المنبجيّ . ثمّ إنّ الشيخ تقيّ الدين صنّف كتابين فيهما إنكار كثير على تأليف ابن العربيّ ، ولعنه فيهما مصرّحاً ولعن مَن يقول بقوله ، وسيّر الكتاب الواحد للشيخ نصر المنبجيّ والآخر للشيخ كريم الدين . فلمّا وقف عليه الشيخ نصر حصل عنده من ذلك أمرٌ عظيم ؛ وتألّم له تألُّماً بالغاً وحصل له إنكاء شديد

وكان الشيخ نصر كما قد تقدّم من الكلام منزلته عند الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير العالية . وأنّ بيبرس لايقوم ويقعد إلاّ به

---

(٦) كتابا : كتاب (١٦) تألما بالغا : تألم بالغ

فى ساير حركاته . وكان ساير الحكّام من القضاة والأمرا وأرباب المناصب يتردّدون إلى عند الشيخ نصر لأجل منزلته عند بيبرس الجاشنكير. فحضر عنده القاضى زين الدين بن مخلوف المالكىّ عقيب وقوف الشيخ نصر على كتاب الشيخ تقىّ الدين ، فأوقف القاضى على الكتاب المذكور. فقال له القاضى : أوقِف الأمير ركن الدين عليه وقرِّرْ معه ما أحببتَ ، وأنا معك كيف شئت . وألزِم الأمير ركن الدين بطلبه إلى الديار المصريّة وتسأله عن عقيدته . فقد بلغنى أنّه أفسد عقول جماعةٍ كبيرة ، وهو يقول بالتجسيم ، وعندنا مَن اعتقد هذا الاعتقاد كفَر ووجب قتله . — فلمّا حضر الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عند الشيخ نصر على عادته ، أجرى له ذكر ابن التيميّة وأمْر عقيدته ، وأنّه أفسد عقول جماعةٍ كبيرةٍ ، ومن جملتهم نايب الشأم وأكبر الأمرا الشأميّين ، والمصلحة تقتضى طلبه إلى الأبواب العالية ويُطلب منه عقيدته ، وتُقرأ على العلماء بالديار المصريّة < من > المذاهب الأربعة ، فإنْ وافقوه وإلاّ يستتيبوه ويرجعوه ليرجع عن مذهبه واعتقاده سايرُ مَن لعب بعقله من الناس أجمعين . ثمّ ذكر له ذنوباً أخر حتى حرّض بيبرس على طلبه

ثمّ بعد ذلك جرت فتن للحنابلة بمدينة بلبيس . ثمّ انتقل الحال إلى القاهرة ، وحصل لبعض الحنابلة إهانة واعتقل منهم جماعة . وجرت فتن عظيمة بين الأشاعرة والحنابلة بالشأم ، وكان النايب غايباً بالصيد : فلمّا حضر أمر بإصلاح ذات البَيْن ، وأقرّ كلّ طايفةٍ على حالها . وجرى فى القاهرة أيضاً على الحنابلة أمورٌ شنيعة ، وألزموهم بالرجوع عن العقيدة

(١١) وأكبر : واكبرا (١٧) إهانة : اهنه

وأن يقولوا : إنّ القرآن العظيم هو المعنى القايم بالنفس ، وإنّ ما فى الصحف عبارة عنه ، وإنّ ما هو فى الصحف موجود ومحفوظ فى الصدور ومقرّ بالألسنة مخلوق ، وإنّ القديم هو القايم بالنفس ، وأُلزموا بنفى مسألة الغلوّ والتصريح بذلك ، وأنّ جميع ما ورد من أحاديث الصفات لا يجرى على ظاهرها بوجهٍ من الوجوه . وجرى عليهم كلّ مكروهٍ . وكان القاضى شرف الدين الحنبلىّ قليلَ البضاعة فى العلم ، ولم يدرى ما يجيب به ، وكان أكبر من تحدّث فيهم وألزمهم بذلك ، القاضى زين الدين المالكىّ رحمه الله ، انتصاراً للشيخ نصر فى ذلك الوقت . وكان القاضى زين الدين عالماً جيّداً وفقيهاً حسناً رضى الله عنه ، يتحدّث فى المذاهب الأربعة . وكذلك ساعدوه جماعة من الشافعيّة : فكان هذا سبب أصول الفتن المذكورة ، وسيأتى ذكر بقيّة ما جرى لتقىّ الدين بن التيميّة فى سنة ستّ وسبع ماية إنشا الله تعالى

وفيها كان ابتدا الحفير بالخليج الناصرىّ الواصل إلى ثغر الإسكندريّة . وكان شادّ حفره الأمير بدر الدين بكتوت أمير شكار نايب ثغر الإسكندريّة المحروس ، وغُرم عليه أموال جمّة ، وحصل فيه التعب الكثير . لكن أورث ذلك راحةً عظيمةً ومنفعةً عامّةً شاملةً ، وكان رأى سعيد وتدبير حسن ونظر مبارك موفّق ناجح ، ولله الحمد والمنّة

---

(٢) هو : بالهامش (٦) يجيب : يجب (٩) عالما جيدا وفقيها حسنا : عالم جيد وفقيه حسن (١١) ذكر : بالهامش

ذكر سنة ستّ وسبع ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم

ما يخصّ من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أمير المؤمنين سليمان ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر عزّ نصره ، سلطان الممالك الإسلاميّة ، قرن الله ملكه بالأبديّة ، والنوّاب بمصر والشام ، حسبما تقدّم من الكلام ، فيما تقدّم فى الأعوام ، وكذلك ملوك الأمصار ، فى ساير الأقطار

فيها فى ثالث عشر صفر ، وصل رسل سيس بالحمل ، وهو ستّ ماية ألف درهم ، وتحف وهدايا ، وبغال وأجمال نعال ومسامير عدّة أربعين جملاً ، ومايتى وسبعين أسيراً من المسلمين

وفيها فى آخر يومٍ من شهر رمضان المعظّم ، أحضر الأمير سيف الدين سلاّر ، الموالى القضاة الثلاثة الشافعىّ والمالكىّ والحنفىّ ، ومن الفقها الباجىّ والجزرىّ والنمراوىّ ، وتكلّم معهم فى إخراج الشيخ تقىّ الدين بن التيميّة ، فاتّفقوا على أن يُشترط عليه أمور ويُلزم بالرجوع عن العقيدة . فأرسلوا إليه مَن يحضره ليتكلّموا معه فى ذلك . فلم يُجب إلى الحضور ، وتكرّر إليه الرسول ستّ دفعات ، وهو مصمّم على عدم الحضور ، وطال عليهم المجلس ، فانصرفوا على غير شىء

وفيها توجّه الركاب الشريف السلطانىّ إلى الصعيد ، وفى ركابه الأمير سيف الدين سلاّر ، وتصيّد وعاد إلى القلعة المحروسة فى خيرٍ وعافيةٍ

* وفيها توفّى الأمير بدر الدين بكتاش الفخرىّ أمير سلاح ، رحمه الله تعالى ، وكان من أكابر الأمرا الصالحيّة النجميّة ، ومن كبار المقدّمين الألوف بالديار

المصريّة . وكان قد نزل عن إمرته وخرج عن إقطاعه ، وانقطع إلى الله عزّ وجلّ ، وتوفّى بطّالاً ، لكن كان قد أجرى عليه مولانا السلطان راتباً جيّداً فيه كفايته

ذكر سنة سبع وسبع ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم

ما يخصّ من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أمير المؤمنين سليمان ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر خلّد الله ملكه ، وجعل الأرض بأسرها مِلكه ، سلطان الإسلام ، بممالك الأنام ، والنوّاب بمصر والشام ، حسبما سقناه من الكلام ، وكذلك الملوك ، على هذا السلوك

فيها كان ابتدا تغيّر الخواطر الشريفة السلطانيّة على مماليكه ومماليك أبيه ، وامتنع من العلامة الشريفة على المراسم العالية ، ووقف حال العالم . وكان ذلك فى أوّل شهر المحرّم من هذه السنة . فلمّا كان يوم الأربعا ثالث الشهر ظهر الأمر ، وشاع الخبر بين الخاصّ والعامّ ، وحصل خُبّاط فى القاهرة وغلّقوا الناس دكاكينهم . وطلع إلى القلعة جماعة من الأمرا وعليهم السلاح تحت ثيابهم ، وصار على القلعة يزك . وركب الأمير شمس الدين سنقر الأعسر فى جماعة من الأمرا ، وأحاطوا بالإسطبل السلطانىّ . وبات الناس ليلة الخميس كذلك ، وهم على غاية الوجل . واشتدّ الحال وكثرت الأراجيف والأقاويل بالأسواق . وأقام الأمر كذلك إلى يوم الثلثا وكلٌّ من الأميرين فى بيته مع مَن

(٢) بطالا : بطال (١٩) مع من : معمن

يلوذ به من الأمرا . ثمّ إنّهم راسلوا مولانا السلطان وترقّقوا له ، فرجع إلى لينه الشريف الطاهر ، ولان لهم بعد القساوة ، ودخلوا إليه ، ووقفوا بين يديه ، وأخلع عليهم ، وكانوا قد تخيّلوا من الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار ، وقالوا : ما غيّر خواطره الشريفة علينا غيرُه . — فأجمعوا رأيهم على خروجه عنهم من الديار المصريّة . فخرج هو وبعض مماليكه من المماليك السلطانيّة . فأقاموا بغزّة أيّاماً

ثمّ رجعوا المماليك السلطانيّة إلى الخدمة الشريفة ، ورُسم للأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار بنيابة قلعة الصُبَيبة . وكان يترجّى العودة إلى الديار المصريّة ، فاستمرّ فى الصبيبة إلى شهر شعبان المكرّم حصل لنايب صفد الأمير شمس الدين سنقرشاه المنصوريّ مرضٌ ، فسيّر يسأل النقلة إلى دمشق . فورد المرسوم للأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار بنيابة صفد ، عوضاً عن الأمير شمس الدين سنقرشاه ، ورُسم لسنقرشاه بالتوجّه إلى دمشق على إقطاع الأمير ركن الدين الجالق ، بحكم وفاته حسبما نذكر ذلك فى تأريخه . فتوجّه الأمير شمس الدين سنقر شاه إلى دمشق ، فتوفّى قبل دخوله إليها بأرض ضيعة دارايا . وخلّف من الأموال ماية ألف دينار وعشرة آلاف دينار ، ومن الخيول والجمال والبغال والبرك والعُدّة والسلاح والقماش والأوانى ما قيمته مثلها . ولم يخلّف غير بنت واحدة ، وشريكها السلطان

وفيها وصل فتح الدين بن ضبرة من أسر التتار إلى دمشق المحروسة . وكان سبب خلاصه ما ذكره من لسانه ما كان من أمر التتار مع أهل كيلان

ذكر ما كان بين التتار وبين أهل كيلان

حدّثنى الملك الكامل رحمه الله فى سنة عشرة وسبع مائة بدمشق المحروسة ، قال : قال فتح الدين بن ضبرة : إنّ كان سبب خلاصه من الأسر ووصوله إلى الإسلام ، ما كان من نصرة الكيلانيّة على التتار . وكان ذلك فى أوّل شهر المحرّم من هذه السنة . وذلك أنّ الملك خدابنداه طلب من أهل كيلان فتح طريقٍ إلى بلادهم ومنها إلى خراسان . وكان ذلك مضرّةً عليهم ، فامتنعوا من ذلك ، وراسلهم فى هذا الأمر دفوعاً عدّةً ، فلم يجيبوه إلى ذلك البتّة . فغضب وجرّد إليهم ستّين ألفاً : مع قطلوشاه أربعين ألفاً ومع جوبان عشرين ألفاً . فتوجّهوا ووصلوا إلى بلادهم . ونزل قطلوشاه مع أصحابه فى صخرات هناك . وانفرد جوبان وأصحابه فى مكانٍ آخر . ففتح الكيلانيين عليهم من البحر مكاناً يعرفونه فى الليل . فوصل إلى التتار الماء من كلّ جانب ، ورموا أيضاً فى تلك الغياض التى محتاطة بهم النارَ ، فعملت فى تلك الأشجار المُحْدِقة . فاضطربت التتار فى ذلك الليل البهيم . وعاد الماء يزيد عليهم حتى غرق منهم جمع كثير ، فحاروا ودهشوا . وإن هربوا من الماء لقيتهم النار ، واحتاطت بهم أهل كيلان يقتلون ويأسرون ، وعادوا يقتلون بعضهم بعضاً ، وأُصيب مقدّمهم قطلوشاه ، وقُتل وعُدم منهم عالم عظيم

وأمّا أصحاب جوبان ، فكانوا بعيدين من ذلك الماء ، فسلم أكثرهم وولّوا هاربين ، لا يعى الأخ على أخيه ولا الوالد على ولده . وذكر أنّ

---

(٧) دفوعاً: دفوع (١١) مكانا: مكان (١٥) لقيتهم: لقيهم (١٦) بعضاً: بعض

الملك خدابنداه كان معهم وأنّ بعض الكيلانيّة أخذه ونجا به . وفرح بموت قطلوشاه نايبُه ، فإنه كان غالباً على أمره . وذكروا التجّار أنّ هذه البلاد الكيلانيّة مسافة سبعة أيّام ، فى عرض ثلاثة أيّام ، والبحر محيط بها من جانب والجبال من جانب ، ولها طريقين لا غيرهما . تزرع الأرزّ لأجل قوتهم . وهى بلاد ضيّقة حَرِجة كثيرة الوعر ، وأكثر ما عليهم من المضرّة صاحب مازندران ، لما بينهم من العداوة القديمة بسبب المجاورة لهم ، والحروب بينهم لا تكاد تنقطع ، والله أعلم

وفيها قتل الملك خدابنداه بولاى ، فإنّه بلغه عنه كلام كثير ، قتله فى شهر ربيع الآخر . ثمّ إنّه أرسل الشيخ براق — الذى كان قدم إلى دمشق رسولاً فى السنة الخالية — إلى الكيلانيّة ، فقتلوه . فانزعج لذلك وجرّد إليهم جيشاً فيه مائة ألف ، ونزل بنفسه على المازندران . وكان عند خروج ابن ضبرة تركهم على ذلك

وفيها فى العشر الأوّل من شهر ربيع الأوّل ، وصل الأمير حسام الدين مهنّا بن الأمير شرف الدين عيسى بن مهنّا إلى الأبواب العالية ، واجتمع بالمقام الأعظم السلطانىّ ،وحصل له من الإقبال والإنعام شىء كثير . وخاطب مولانا السلطان فى أمر الشيخ تقىّ الدين بن التيميّة ، فأنعم مولانا السلطان له بإطلاقه . فتوجّه إليه الأمير حسام الدين مهنّا بنفسه إلى السجن ،وأخرجه يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الأوّل ، وأُحضر إلى دار النيابة بحضرة الأمير سيف الدين سلاّر وأُحضر له بعض الفقها ، وحصل بينهم كلام كثير وبحث زايد يضيق هذا المجموع عن بعضه ، وقربت صلاة الجمعة فافترقوا . ثمّ اجتمعوا وبحثوا إلى المغرب ولم ينفصل لهم أمر . ثمّ اجتمعوا يوم الأحد الخامس والعشرين من الشهر ،وحضروا جماعة فقها أخر ،وحضر

(٨) بولاى : لبولاى

الشيخ نجم الدين بن رفعة ، وعلاء الدين الباجىّ ، وفخر الدين بن أبى سعد وشمس الدين الخطيب الجزرىّ ، وعزّ الدين النمراوىّ ، وشمس الدين عدلان وصهر المالكىّ وجماعة أُخر فى تعدادهم طول كثير . ولم تحضر الموالى القضاة ، وطلبوهم فاعتذروا . وقبل عذرهم نايب السلطان ، ولم يكلّفهم إلى الحضور . وتباحثوا ذلك اليوم فى مجلس الأمير سيف الدين سلاّر ، وانفصل المجلس على خيرٍ . وبات الشيخ تقىّ الدين عند نايب السلطان ، وكتب بيده كتاباً إلى دمشق مضمّناً خروجه من السجن . وأقام بعد ذلك بدار ابن شقير بالقاهرة . ورسم نايب السلطان بتأخيره عن التوجّه مع مهنّا لمصلحةٍ فى ذلك

وفى يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخر ، عُقد له مجلس آخر بالمدرسة الصالحيّة بعد الصلاة . وكان مهنّا قد سافر ، وبحثوا معه . ووقع الاتّفاق على تغيير الألفاظ فى العقيدة ، وانفصل المجلس على خير . واستقرّ بعد ذلك بالقاهرة ، والناس يجتمعون به ويُهرعون إليه ، ولم يزل كذلك إلى أن سافر فى سنة اثنتى عشرة وسبع مایة . واستقرّ إلى أن توفّى رحمه الله تعالى فى تأريخ ما يأتى ذكره

وفيها ورد الخبر بوفاة أبى يعقوب يوسف المرينىّ صاحب المغرب ، رحمه الله . وقام بأمر الملك ولده صالح

وفيها توفّى الأمير ركن الدين بيبرس الجالق فى تاسع عشر جمادى الأولى بظاهر الرملة . وحُمل إلى القدس الشريف ، فدُفن فيه بوصيّةٍ منه . وكان أميراً كبيراً من جَمَداريّة السلطان الملك الصالح نجم الدين أيّوب

---

(٢) النمراوى : النمرواى (٦) كتاباً : كتاب (٧) مضمّناً : مضمن

(٩) مجلس : مجلسا (١١) الألفاظ : الفاظ

وأمّره السلطان الملك الظاهر ، وهو آخر مَن أُمّر من المماليك الصالحيّة . حُكى عنه أنّه قال : رأيتُ فى عمرى مرّتين ليلة القدر ، فلم أدعوا إلاّ أن يطول الله فى عمرى . — فعاش من العمر ثمانين سنةً وأكثر . وترك شيئا كثيرا من الأموال لورثته . وكان كثيرَ البرّ والخير والصدقة والمعروف ، رحمه الله تعالى

وفيها توفّى الصاحب تاج الدين محمد بن فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين علىّ بن محمد بن سليم المصرىّ المعروف بابن حنا ، يوم السبت خامس جمادى الآخرة ببركة الحبش ، وحُمل إلى القرافة ودُفن بها بجوار الشيخ فخر الفارسىّ قريباً من تربة الإمام الشافعىّ رضى الله عنه . وصلّى عليه الشيخ أخو المِرْجَانىّ أوّلاً ، ثمّ صلّى عليه الشيخ تقىّ الدين بن التيميّة ثانياً . وكانت له جنازة مشهودة لم يُرا مثلها . وأمّا رياسته ومعرفته وحسن تصرّفاته وجُوده وكَرم طباعه وحسن إسلامه وعقيدته واعتقاده فى الفقرا والصالحين وإيثاره لهم فلا تكاد تُعدّ . ومن محاسنه رحمه الله هذا الأثر النبوىّ الذى فى رباطه موقوفاً بحسب البركة ، وهو القصعة والمِرْود النحاس والمِخصف ، المثبوت أنّهم من أثر سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، شراهم بستّين ألف درهم ، وأوقفهم فى رباطه الذى بجسر الأفرم ظاهر مصر على النيل المبارك . فلو لم يكن من حسن اعتقاده سوى هذه لكان فيها الكفاية له ، رحمه الله وساير المسلمين . وكان معلّم الطرفين : جدّهُ لأبيه الصاحب بهاء الدين ، وجدّه لأمّه الصاحب شرف الدين الفايزىّ . ولم يبرحوا بيت رياسةٍ وحشمةٍ من أوّلهم إلى آخرهم

(٣ – ٤) شيئا كثيرا : شىء كثير (١٤) الأثر : الاثار ‖ القصعة : القطعه القصعة

وفيها توفّى الشيخ الصالح عمر السعوديّ رحمه الله فى زاوية سيّدى الشيخ أبى السعادات ودُفن بها . وكان من الصلحا الفحول، الكبار العلم والعمل . وكان له وجاهة عظيمة فى الدولة المنصوريّة والدولة الأشرفيّة ، حتى كان الشهيد الملك الأشرف — إذا ركب نحو بركة الحبش — ركب الشيخ عمر هذا إلى جانبه حمارَه . وكان بينه وبين الوالد رحمه الله أُخوّة وصحبة متأكّدة . قال الشيخ عمر للوالد وأنا أسمع : إنّ السلطان الملك الأشرف كنت مسايره ذات يوم وهو بقرب الزاوية ، فوقف الفرس الذى تحت السلطان وبال . فقال الشيخ : ينبغى أن يكون هنا تذكار حسن لمولانا السلطان . — فقال : ما هو يا شيخ ؟ — قال تحفر بير الزاوية وبجر الماء على قناطر إليها . — فأمر بذلك ، فهى البير الجديدة التى تجرّ إلى الزاوية ، وطلعت عذبة الماء بخلاف البير العتيق . وكانت الزاوية فى أيّامه يعجز الوصف عن جميع محاسنها وكثرة خيرها وترادُف فتوحها . وكان يوم سبت العادة يروح بها أوقات عظيمة لا يتأخّر عنه كبير ولا معتبر ولا مقرئ ولا واعظ . والسعيد الذى يلحق نوبةً للكلام مع التخفيف مع خيراتٍ كانت تُعمل ! فسبحان مَن يغيّر ولا يتغيّر ! ولمّا توفّى الشيخ عمر كأنه جرّ جميع ذلك معه ، فمات ذلك الخير لموته . قال العبد الواضع لهذا التأريخ ، أضعف خلق الله وأفقرهم إليه : سمعت الشيخ عمر يقول : سمعت الشيخ مفتاح يقول : سمعت سيّدى الشيخ أبا السعادات يقول : إنّ صاحبى الواحد ، أو قال : الواحد من أصحابى ، ليشفع يوم القيامة فى سابع جار من جيران داره . — وهذا القول عن تمكّنٍ كثيرٍ . ولسيّدى الشيخ أبى السعادات أحوال خوارق ، أثبتّها حسبما اتّصل

(٢) أبى : ابو (١٨) أبا : ابى (١٩) يوم القيامة : يوم القيمة

بى من سماعها من سيّدى الشيخ عمر فى مدّة صحبتنا له وترددانا إليه فى جزءٍ لطيفٍ سمّيته « عادات السادات سادات العادات فى مناقب الشيخ أبى السعادات » ولولا خيفة الإطالة لأثبتّ هاهنا منه جملةً لطيفةً . وإنّما فى هذا الخبر الفرد الذى أوردته لكلّ مريدٍ ﴿ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ كفايةٌ إذ لا بعده نهاية . فهذه كرامة فرديّة جزئيّة من محمّديّةٍ . وكانت وفاة الشيخ عمر قدّس الله روحه ونوّر ضريحه فى اليوم الثانى من جمادى الآخر سنة سبع وسبع ماية

وفيها توفّى الأمير بهاء الدين يعقوبا الشهرزورىّ ، وكان من الأمرا الكبار الأعيان المقدّمين الألوف ، ومن شجعان المسلمين المشهورة ، وفرسانهم المذكورة . وكانت له المنزلة الكبيرة عند الملوك . توفّى < فى > السابع والعشرين من ذى الحجّة ، وخلّف أولاداً مجازفين لم يموتوا حتى سجدوا بالطرقات ، فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلىّ العظيم ، ونسأله أن يسترنا وذرّيّتنا إلى آخر دقيقةٍ ، بمحمدٍ وآل محمدٍ

وفيها توفّى الطواشى شمس الدين صواب الشهابىّ البحلاق ، وكان جميع أولاد الأمرا الأعيان مضافين فى تقدمته . فكان وطاقُه إذا خرج كأنه زهر البستان ، رحمه الله

وفيها توفّى الأمير شمس الدين المعروف بشلجونة ، تولّى القاهرة مدّةً كبيرةً ثمّ ولى مصر وتوفّى بها ، رحمه الله وعفا عنه وعنّا وعن ساير أموات المسلمين

---

(٤) السورة ٥٠ الآية ٣٧ (٥ – ٧) وكانت ... سبع ماية : بالهامش (٨) الأمرا : الامر (١١) أولاداً : اولاد (١٥) مضافين : مضافون (١٨) توفى : تفا

ذكر سنة ثمان وسبعماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم

ما يخصّ من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أمير المؤمنين سليمان ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر مالك نواصى أعداه الطغاة ، المتغلّبين البغاة ، سلطان الإسلام ، أعزّ الله بدوام أيّامه الأيّام ، إلى حين غضبه على مماليك أبيه ، حكّام دولته ، وتوجُّه ركابه الشريف إلى الكرك المحروس وعودته . وذلك أنّه أعزّ الله أنصاره ، وضاعف اقتداره ، لمّا علم أنّ الرعيّة ، حقوقهم ضايعة غير مرعيّة ، وأنّ تلك الطايفة البرجيّة ، لم يقوموا بما يجب عليهم من الأمور الشرعيّة ، وأنّ ظلمهم قد عمّ وفشا ، ولا عاد فيهم مَن يرتدع ولا يخشى ، حتى عاد إذا ظُلِم مظلوم ووقف يشكى حاله ، قُبض عليه وأعيد إلى ظالمه ، فيُشدّ ويُوثق فى حباله . ويُضرب ويعتقل ، ومن سجنٍ إلى سجنٍ ينتقل . فلم يجسر مظلوم بعدها أن يفوه بظلامته ، لِتحقُّقه أنّه إذا شكى حاله فقد عدم سلامته ، وعاد كلٌّ منهم يَحكم ولا يُحكم عليه ، وقد سُلّمت أمور الرعيّة إليه . وكان فيهم عِدّة من الأشرار ، لا يعرفون جنّةً ولا نار ، مرتكبين من الفواحش عظامها ، فاليونسىّ إمامها ، وبَلاط صاحب زمامها ، قد جسرا على أذيّة العباد ، واستحلاّ حريمهم والأولاد حتى عادا كقوم عاد ﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوْا فِى ٱلْبِلَادِ ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا ٱلْفَسَادَ ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ ﴾ بعد ذلك من انتقام مولانا السلطان ﴿سَوْطَ عَذَابٍ ، إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ هذا ومولانا السلطان يلاحظ

(١٨ – ٢٠) السورة ٨٩ الآية ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ (٢٠) سوط : صوط ‖ لبالمرصاد : بمرصاد

هذه الأحوال ، ويستعظم هذه الأهوال ، ويعلم أنّه الراعى المسئول ، عن جملة هذه الفصول ، وتحقّق أنّ القوم قد طووا بساط العدل ، ولا عاد يفيد فيهم العذل ، وما لم يجعل السيف مكان السوط ، وإلاّ فقد فات فى العدل الفوت ، ونظر بعين سلطانه ، أعزّ الله أنصاره ، وكثّر فى أعوانه ، وإذا كلمتُهم على الضلالة متّفقة ، ولا عاد فيهم على الرعايا شفقة ، ورأى أنّه خلّد الله ملكه إذا خرج من بينهم ، تفرّقت كلمتهم وصاح غُراب البَيْن ببينهم ، واختار الله تعالى فى سريرته . فقوّى عزمه الشريف على خيرته ، لِتنسُخَ مناقبه الحسان بوصف سيرته

فلمّا كان يوم السبت الرابع والعشرين من شهر رمضان المعظّم ، توجّه الركاب الشريف ، من الديار المصريّة بنيّة الحجاز الشريف ، وتوجّه على الدرب الشأمىّ فوصل — حرسه الله من الآفات ، وأعانه فى جميع الحركات — إلى الكرك المحروس يوم الأحد ثامن شهر شوّال من هذه السنة . فأجمع الآراء الشريفة فيه على الإقامة ، وقد تحقّق أنّهم إذا آل أمرهم إلى الفساد ستُدْركهم الندامة ، وأنّهم بعد ركابه الشريف بعيدون من السلامة ، فأقام أيّده الله فى ألذّ عيشٍ وأهناه ، وأنضره وأبهاه

ذكر تغلّب بيبرس الجاشنكير على الممالك

حتى عاد بسوء تدبيره هالك

وذلك لمّا نفخ الشيطان ، فى مناخره حتى جلس سلطان ، ركب يوم السبت الثالث والعشرين من شوّال ، وهى الساعة الثالثة من ذلك النهار ، وهى الساعة التى أهلك الله تعالى فيها قوم عاد الأشرار

---

(٣) السوط : الصوط (١٥) ألذ : الذ ‖ وأنضره : وانظره

وكانوا قد اختلقوا على مولانا السلطان كتاباً كثير الزور والبهتان . واجتمعوا له قبل ركوبه بيوم ، وكان نهار الجمعة بعد صلاة العصر بدار النيابة ، ولم يتخلّف مِن متخلّف . وكان العبد واضع هذا التأريخ قايماً بينهم ، أنظُر لفعلهم وشَيْنهم . فضربوا حلقةً عامّةً لجميع الأمرا البرجيّة البيبرسيّة ، والأمرا السلاّريّة . وقُرِئ ذلك الكتاب المزوّر ، الوارد بزعمهم عن ذلك الملك البدر المصوّر . وكان القارئ له بإعلان وإظهار ، الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار . وهو يذكر فيه كلاماً يلين الصخور ، كالدرّ المنثور ، وأنّه قد نزل عن مملكة الديار المصريّة . والبلاد الشأميّة ، مع جميع الممالك الإسلاميّة ، خلا الكرك المحروس ، فإنّه اختار الله تعالى أن يكون جنابها به مأنوس ، وقصد بذلك الراحة من التعلّق بمظالم العباد ، والتنزُّه فى تلك البلاد ، وأشار إليهم أن يختاروا من بينهم مَن يقوم بأمر الملك وسياسة الأمّة ، فمَن ؟ لعلّ أن يكشف الله به تلك الغمّة

فلمّا انتهى قراية هذا الكتاب ، الذى كان ثمرة عاقبته ضربَ الرقاب ، مخضوا بينهم الآرا ، وما منهم إلاّ مَن فى كلامه وارى ، فنهض البغدادىّ الوزير ، السيىّء الرأى والتدبير ، حتى عاد عليه ذلك التدبير تدمير ، وقال : ما تقولوا ، يا أمرا ، فى امرأةٍ حَسنا كثيرة العشّاق والطلاّب ، طلّقها زوجها بهذا الكتاب ؟ فما تجد لها بعده أحداً من الخُطّاب ، فلا بدّ لها مِن بعلٍ يصونها ، وهذا هو عين الصواب . — وافترقوا على هذا الكلام ، الذى عاد فى القلب منه كِلام ، إلى ثانى نهارٍ اجتمع منهم الكبير والصغير ، وأجمع رأيهم على تملّك بيبرس الجاشنكير ، وما علموا أنّهم من تلك الساعة قد

---

(٣) قائماً : قايم (٧) كلاما : كلام (١٤) فنهض : فنهط (١٧) أحداً : احد

أسلموه لمُنْكَرٍ ونكير . فركب فى ذلك التأريخ المذكور ، وكان أَيْشَم الشهور ، ولُقّب بالملك المظفّر ، ولم يعلم أنّه عاد فريسةَ ذلك الليث الغضنفر . ولقد عاينتُه لمّا خرج من دار النيابة راكب ، والحمول قد حفّ بتلك الأكتاف والمناكب ، وقد ظلّله سواد بقتام ، حتى عاد كأنّه راكب فى ظلام . ولقد — شهد الله — سمعتُ عدّةً من الناس فى ذلك الوقت تقول : انظروا ما على أكتاف هذا الرجل من الحمول ! — ولقد كان فى حال إمرته أهيب ، ولو امتنع عن هذا الأمر لكان له أصوب . وإنّما كيف كان له فى نفسه تصريف أو تدبير ، وقد سبقت بهذه الأحكام المقادير ؟ ولم يزل راكباً والأمرا بين يديه مُشاة ، والغاشية محمولة بين يديه بغير غشاة . ودخل من باب القُلّة كذلك حتى نزل فى منزله نزولَ الملوك ، واستمرّ على ذلك السلوك ، حتى جلس على تخت الملك ببرج الطارمة ، وقلوب أكثر الجيوش متألّمة . هذا وهو قد بلّ لحيته بدموعه ، وتحقّق أنّه أوّل يومٍ من أيّام قطوعه ، وأنّ هـذا منتهى سعادته ، وآخر سيادته . ثمّ إنّ الأمرا اصطفّوا وقبّلوا الأرض بين يديه وزعق الجاويشيّة ، فكان ذلك كأنّه نُواح عليه . وأخلع فى تلك الساعة على الأمير سيف الدين سلاّر خلعة النيابة . هذا كلّه بعد التحليف بدار النيابة ، واستمرّ التحليف ذلك اليوم والثانى والثالث . وما من حالفٍ حلف إلاّ وتحقّق أنّه ناكث ، وفى أيمانه حانث

وتوجّهوا الأمرا على البريد المنصور ، لتحليف أهل القلاع والثغور . فكان المتوجّه إلى الشأم المحروس عزّ الدين أيبك البغداديّ وسيف الدين

---

(٢) الغضنفر : الغطنفر (٩) والأمرا : والمرآ

ساطى ، فوصلا إلى دمشق يوم الأحد مستهلّ ذى القعدة ، وحلّفوا مَن بها من الأمرا للسلطان الملك المظفّر ،فريسة السلطان الملك الناصر الليث الغضنفر . وكان تحليف أهل دمشق بالقصر الأبلق ، وكلٌّ من الناس فى أيمانه يزوّق ، لا يحقّق

وأحضِر أيضاً كتاب عن مولانا السلطان الملك الناصر ، ادّعى نايب الشأم أنّه أُنفِذ إليه ، وكان مكذوباً عليه ، يتضمّن أنّه صحب الناس مدّة عشر سنين لم يؤذى أحداً ولا أخرب بيتَ أحد ، وأنّه قد اختار الانقطاع والعزلة فى الكرك المحروس،وليس له غرض فى الملك،وأنّه يأمرهم بالسمع والطاعة لمن يولّيه الله تعالى هذا الأمر ، وأن تكون الشاميّين والمصريين متّفقين الكلمة ، وأنّ نزوله عن الملك برضاه ، لا اغتصاب . — وجميع ذلك لم يكن له صحّة ، وإنّما كان مفتعلاً عليه ، أحسن الله إليه . وقُرئ هذا الكتاب على الأمرا بدمشق قبل التحليف ، وأثبتوه على القاضى المالكىّ ، وأنفذوه باقى القضاة . ثمّ شرعوا فى دقّ البشاير بالقلعة وعلى دور الأمرا ، ونادوا فى البلد : سلطانكم المظفّر ركن الدين بيبرس ، ادْعوا له ! — ثمّ أُمر أن تزيَّن دمشق . واستمرّ ذلك إلى يوم الأحد ثامن ذى القعدة

وحضر نايب السلطان يوم الجمعة المقصورةَ لسماع الخطبة . حكى لى الملك الكامل رحمه الله ، قال : كنت مع الأمير جمال الدين الأفرم ، وقد حضرنا لسماع الخطبة باسم الملك المظفّر وإسقاط اسم الملك الناصر حماه الله تعالى . قال : فلمّا وصل الخطيب إلى عند الاسم سها فدعا للملك

(٢) الغضنفر : الغطنفر (٧) أحداً : احد (١١) مفتعلا : مفتعل
(١٩) سها : سهى

الناصر على عادته ، ثمّ استرجع ودعا للملك المظفّر ، — قال ، فقلت للأفرم : عجبٌ إن أفلح صاحبك ، — قال ، فضحِك الأفرم من كلامى . —

ثمّ خرجت الأمرا من الديار المصريّة على البريد المنصور إلى ساير الممالك الإسلاميّة للتحليف ، كلّ ناسٍ إلى جهة ، وفى تعدادهم طول بغير فايدةٍ . وعلى الجملة فإنّ فى هذاك النهار الجمعة خُطب باسم المظفّر فى ساير الممالك الإسلاميّة . وأمّا ما كان من بيبرس الملقّب بالمظفّر ، فإنّه ركب يوم السبت سابع الشهر ذى القعدة وعليه الخلعة السودا الخليفتيّة ، وأرباب الدولة بين يديه عليهم الخلع

وكان فى أوّل هذه السنة قد عُزل سعد الدين بن عطايا عن الوزارة ، ووزر ضياء الدين بن النشابى . فكان ذلك اليوم حاملَ التقليد الخليفتىّ ، وهو كيس أطلس أسود ، ولست أذكر نسخته ، فإنّ قلبى وقلمى لم يطاوعانى أُثبِتُ فى تأريخى معانى مفتعلةً ، ليس لها صحّة بل منتحلة . وإنّما كان فى أوّله يقول ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ وكان عدّة الخلع ألف ومايتى خلعة . هذا والناس ودّهم لو أخذ منهم أضعاف ما أنعم به عليهم ، وأراحهم من نظره ، لِما حصل فى قلوب العالم من الوحشة ، وكان هذا أمراً من الله تعالى

وفيها توفّ نجم الدين خضر الملقّب بالملك المسعود بن الملك الظاهر رحمه الله . وتوفى عزّ الدين الرشيدىّ أستادار الأمير سيف الدين سلاّر ، وحزن عليه سلاّر حزناً كثيراً ، وقال : ما أشكّ أنّ سعادتى ماتت بموته ، وكان كذلك

---

(١٣) يقول ... الرحيم : بالهامش (١٣) السورة ٢٧ الآية ٣٠ (١٦) أمرا : امر
(١٩) حزناً كثيراً : حزن كثير

ذكر سنة تسع وسبعماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم

ما يخصّ من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أمير المؤمنين ، والمتغلّب على الممالك الإسلاميّة : الملقّب بالملك المظفّر بيبرس الجاشنكير المنصوريّ ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر عزّ نصره بالكرك المحروس فى عيشٍ لذيذٍ ووقتٍ سعيدٍ منتهزاً للفُرَص ، فى الصيد والقنص . قد ظهرت له أشايرُ ، تدلّ على بشاير ، ودلايل ، تُنْبِى عن أمورٍ جلايل ، متواترة فى كلّ عشيّة وغداة ، أنّه الناصر المنتصر على أعداه ، ذات ألسنٍ صادقة ، كأنّها ناطقة

أشاير البشاير

وذلك أنّ مولانا السلطان أيّد الله عزماته ، مسعوداً فى ساير حركاته وسكناته ، ضرب حلقة صيدٍ فى سادس يوم من شهر المحرّم من هذه السنة . فصاد أربعين حمارًا وحشيًّا . فكان ذلك إشارةً لعدّة مَن مسك من أعداه فى أوّل وهلة ، من غير مهلة . وعاد إلى الكرك المحروس ، وهى تتجلّى فرحاً به كالطاووس ، وتميس إعجاباً كالعروس . ثمّ خرج ثانيةً فى خامس صفر ، فظهرت له دلايل خفيّة ، وأشاير مخفيّة ، يحلّها أولو العقول الوفيّة ، وذلك أنّه قبض على بومةٍ . وقد كسرها عُقاب ، وقد عادت معه فى أشدّ العِقاب . فكانت الإشارة ، بمعنى العبارة ، أنّ العُقاب ملك

---

(٤) أبو : ابى   (٩) ألسن : السن   (١٤) حماراً وحشياً : حمار وحش
(١٧) أولو : اولوا

الطير بِأسره ، برّه وبحره فى أسره ، والبُوم أرذلها وأحقرها وأنحسها وأقذرها . فكان الرمز الظاهر ، أنّ هذا العُقاب الكاسر ، هو الملك الناصر ، وأنّ هذا البوم المكسور ، بيبرس الباغى المقهور . وذلك مطابق لقياس الجنسيّة ، يفهمه مَن كان فيه ذوق وحِسّيّة : فإنّ جنس مولانا السلطان الملك الناصر أشرف جنوس الترك من يافثها ، وجنس بيبرس أبذأ أنجس جنوسها وأخبثها

وأعظم الأدلّة أيضاً فى هذا الباب ، ما يشهد به عدد الجمّل فى الحساب ، وذلك أنّ أعداد حروف (عقاب) سبعة عشر عدداً محرّراً : فالعين بعشرة ، والقاف بأربعة ، والألف بواحد والباء باثنين ، وأعداد حروف (الناصر) كذلك : فالألف بواحد ، واللام بستّة والنون باثنين ، والألف محذوف فى رسوم الخطّ ، والصاد ساقط من الأعداد ، والراء بثمانية . فحصلت المطابقة بين هذين الاسمين فى الأعداد والحساب . فكان الناصر هو العُقاب ، من غير شكٍّ ولا ارتياب . وكذلك أنّ أصل اسم (البومة) بومهة ، وهى لفظة فارسيّة ، معناها وجه ابن آدم . ذكر ذلك الجاحظ فى « كتاب الحيوان » وهو مشتقّ من كهرومرت الذى هو عند الفرس آدم ، وقد تقدّم القول فى ذلك . فأعداد (بومهة) اثنين وعشرين ، الباء باثنين ، والواو بستّة ، والميم بأربعة ، والهاء بخمسة ، والهاء الثانية بخمسة ، فالجملة اثنين وعشرين ، و (بيبرس) كذلك : فالباء باثنين ، والياء بعشرة ، والباء الثانية باثنين ، والراء بثمانية ، والسين ساقط ، فالجملة اثنين وعشرين . فحصلت المطابقة فى هذين الاسمين أيضاً . فكان بيبرس هو البومهة فى أعداد الحساب ، من غير شكٍّ ولا ارتياب . فهذه نكتة ظاهرة ، وآية باهرة

---

(٥) أبذأ : أبزّا (١٠) واللام : والام (١٤) لم نجد هذا النص فى « كتاب الحيوان » نشرة الحلبى

ثم خرج أيّده الله إلى الصيد المبارك،والسعد قرينه والتوفيق له مشارك . فصاد كركيّيْن . فكان فيهما من الإشارة ، ممّا يوجد بالقيافة والزجارة ، بوجه التصحيف ، وقيافة التعريف ، وذلك إن صُحِّفَ كركيّين ، كرك ثبتَ . كان تقدير الكلام أنّ صاحب الكرك ثُبِّت ، فهو ثابت دون غيره . وإن صُحِّفَ كركيّيْن كرك نبت ، كان تقدير الكلام أنّ صاحب الكرك نُبِّت ، فهو نابت دون غيره . وإن صُحِّفَ كركيّيْن كرك يثِب ، فهو وثّاب على ملكه ، وكلّ وثوبٍ صايد لما يثِب عليه . وإن صُحِّفَ كرك يبنِ ، فتقدير الكلام أنّه سيبنِ ويُشيِّد البناء وكان ذلك . وعلى الجملة فجميع هذه الأشاير صحّت معانيها ، حتى بلغت الأيّام أمانيها ، فللّه الحمد ، من قبل وبعد

وأمّا بيبرس المكسور ، فإنّه لم يزل فى نفسه محصور ، وفى حركاته مخذول ، وقد تباين له مبادئ الخمول . وقويت شوكة الأشرار ، حتى علوا على الأخيار . وتحرّكت فى ذلك العام الأسعار ، وحصل لأرباب المعايش البوار ، وانقطعت بوادر التجّار ، لمّا تحقّقوا أنّ ما ثمّ راحة ، وأنّ بضايعهم قد عادت للطمّاعة مباحة ، وأن ليس بمصر سلطان تُخشى صَولتُه ، وكلٌّ من البرجيّة < هو > الغالب على دولته . فانقطعت السبل وقلّ السالك ، ومَن كابَر له كابرٌ ، استهلك ماله وعاد هالك

ثم إنّ النيل المبارك تأخّر فى هذا العام ، عن جرَيانه العامّ ، حتى عاد لسان حال الوجود ناطق ، بلسانٍ صادق . فأمّا لسان حال النيل ، فإنّه كما قيل : وعزّةِ الرحمن ، ومَن أجرانى من الجنان ، وطهّر بى

(٧) وثاب : وثابا (٩ — ١٠) فلله . . . وبعد : قارن السورة ٣٠ الآية ٤
(١٣) علوا : علو (١٨) حتى : بالهامش (٢٠) وطهر ... النفوس : بالهامش

النجوس ، وأحيا بى النفوس ! لولا شيوخٌ رُكّعٌ ، وأطفالٌ رُضّعٌ ، ودوابٌّ رُتّعٌ ، لتوقّفتُ ولم أطلع . ولو علمتُ أنّ مصر بلا ناصر ، وخالية من نورها الباصر ، لَما استبشرتْ منّى بجريان ، ولا أصبح فيها قاع ريّان

فأجابه أخوه الغَمام ، وهو فى غاية الآلام : وحقّ مَن أحيا بمُزنى البلاد ، وجعلنى رحمةً للعباد ، وأراهم برْقى خوفاً وطمعاً ، ورعدى زمْجره سايقِى سَرَعاً ، لولا أنّ هذه الأمّة مرحومة ، لمَا جُنّبتُ بديَمْومة . وإن قطّرتُ قطراتٍ فى هذه الآفاق ، فإنّها دموعُ مشتاق ، قد آلمه من المليك الناصر الفراق ، وراجياً منه بالتلاق . وكيف لا ؟ وهو أخونا فى الجُود ، حتى عمّ الوجود . ولولا ما وعدَنا به مُجْرِينا ، أنّه على عوايده الجميلة يُجرينا ، ويعيده على ما كان من عوايده الحسان ، لَتعطّش منّا كلّ مكان ، وخلَت من مصر والشأم السكّان

وقالت القاهرة ، وهى كالوالهة الحايرة : وحقّ مَن أذلّنى بعد عزّى ، وأعزّنى بناصرى بعد مُعزّى ، لولا أُدِينُ بالرجعة ، لَما أبقيتُ من معالمى على بقعة ، ولَكُنْتُ أُطَبّق أسوارى على سكّانى . ولو عاد لى جوهر ثانى ، لَما شيّد بنيانى . ولكنّنى أرجو عودة ناصرى ، لتقرّ به بواطنى وظواهرى

فقالت القلعة ، وهى لا ترقى لها دمعة : وتربة الكامل غاية مُنايى ، وأوّل مَن جدّد معالمى وبَنى بى ، لولا تحقّقى أن الناصر أجلّ الملوك من سكّانى ، وأنّه سيشُدّنى ويُعْلى أركانى ، حتى يعود ذِكْرِى فى ساير الآفاق ، على ألسِنة الرفاق ، وتحْدُو بحسن معالمى حُداة النياق ، فتُمدّ

(١–٢) لولا . . . رتع : إرجع إلى الحديث رقم ٨٨٢ فى « المقاصد الحسنة »
(٥) وأراهم . . . وطمعاً : قارن السورة ١٣ الآية ١٢ (١٥) أرجو : ارجوا
(١٩) ويعلى : ويعلو (٢٠) ألسنة : اللسنه

طرباً لِذِكر محاسنى الأعناق ، وتُجعل قصورى مساكن الحُور ، والولدان من البدور ، والليوث من الأُسود ، وتُمْحَى عنّى هذه الرســوم السود ، ويرجع الزمان ويداريه ، ويعود الماء إلى مَجاريه ، لَكنتُ جعلت سمائِى أرضا ، وطولى عرضا ، ولاكنتُ بهذا الذُل ّ أرضى . وإنّما سيكون لى شأن — وأىّ شأن ! — إذا شُيِّدتُ بالبنيان . وعمر فىّ بيتٌ للرحمن ، يُعلن فيه بالأذان ، بأصوات حسان ، ويُتْلَى فيه القرآن ، مزخرفاً كزخرفة الجنان . فلذلك صبرتُ على هذا الذُل ّ والهوان ، فى هذا الأوان

فقال نسيم النيل : أنا النسيم العليل ، شوقاً إلى ذلك الملك الجليل : فكلّ من لاذ إليه يرتاح ، ارتياح الأشباح إلى الأرواح ، والخليع اللطيف إلى شرب الراح ، وإلىّ فمزاجه يريد الإصلاح . وإنىّ سأزُوره وقت الإسحار ، إذا غرّدت الأطيار ، على الأشجار ، وأجُرُّ أذيالى على تلك الأزهار ، بتلك الرُّبَى وهاتيك الديار ، وأُهدى شَذاها ، إلى ساكن حِماها ، شذّى يُحْيِي بعِطره النفوس ، إلى ساكن حِمى الكرك المحروس . وسأُقرِئُه منكم السلام ، وأُبلّغه عنكم هذا الكلام ، من بعد ما أَلثمُ بملاثمى الثّرَى ، بين يدى سلطان الورى . فلما أدّى النسيم رسالته ، وبلّغ المقام الشريف مقالته ، أجابته اللطايف العظيمة ، والعواطف الرحيمة ، بقولٍ < من الطويل > :

نسيمَ الصبا أهلاً وسهلاً ومرحباً   حديثك ما أحلاه عندى وأعذبا
لقد سرّنى ما قد سمعتُ من الوفا   وأسكرنى ذاك الحديث وأطربا
ويا محسناً قد جاء بالبشر والهنا   ويا طيّباً أهدى من القول طيّبا
فإن عادت الأيّام تجمع بيننــا   سجدْنا لربّ العرش شكراً لِما حبا

(١٠) لاذ : لا

ومن قول القاضى شهاب الدين محمود كاتب الإنشا الشريف فى توقّف النيل ذلك العام < من الكامل : >

٣ يا أيّها النيل المبارك إن تكن ... من عندِ ربّك تأتِ فاجرِ بأمره
أو إن تكن من عندِ نفسك تأتِنا ... فالله يبسُـط بِرَّه فى بَرِّه
كم من بلادٍ ليس تعرف نِيلَها ... ملأ الإلهُ بيـوتَها من بُرِّه
٦ يا ذا الوفاء أَراك خُنتَ عهودنا ... والحُرّ لا يَشْنَى الوفاء بغدره
إن كان دفعك ما يجئ مبادِراً ... إلاّ بإذن مليكه فبعـذره
قال الصليبىّ اللعين بجهـله ... والكُفرُ يركض فى جوانب صدره
٩ مُسْرى سرى والنيل أصبح واقفاً ... قد فاتنا تغليقـه فى شهره
ومضى النسئ وليس فيه زيادة ... إنّ النسئ زيادةٌ فى كفره
تبّاً لـه ولكفره ولنَسـئه ... وشهيد شبراه وطينة بئره
١٢ نحن الذين لنا بجاه محمدٍ ... ما يرتجيه فقيرُنا من فقره
يا ربّ إنّ القمح أصبح غالياً ... فارخص بحقّك ما غلا من سِعْره
اِرحم بفضلك رُكّعاً أم رُضّعاً ... أم رتّعاً فى ذى الوجود بِأسره
١٥ وأغِث عِبادَك فى بلادك بالوفا ... وآبسُط على المقياس خِلعة سِتره
وأضِف إلى تغليقه تغليقةً ... حتى يُرى تخليقه فى مصره
وأفض على السُدّ المبارك ماوْه ... وآكسره ربّ فجبْرنا فى كسره
١٨ إنّا تشفّعْنا بجـاه محمدٍ ... وبشهر مولده الشريف وعشرِه

---

(٦) خنت : خنث (٨) الصليبى: الصلبى (٩) واقفاً : واقف (١٠) المصراع الثانى : قارن السورة ٩ الآية ٣٧ (١١) ولكفره : بالهامش (١٢) نحن : فنحنا ‖ يرتجيه : يرتجيه غنينا و (١٨) تشفعنا : تشفعنا إليك

ولنعود إلى سياقة التأريخ بمعونة الله تعالى وحسن توفيقه ! — وفيها كان عودة الركاب الشريف الناصرىّ إلى مصره ، واستقراره بقصره

ذكر عودة الركاب الشريف السلطانىّ المالكىّ الناصرىّ إلى محلّ ملكه بالديار المصريّة وهى المملكة الثالثة

السبب فى ذلك ملخّصاً : وذلك لمّا أراد الله تعالى من جبر هذه الأمّة المحمديّة ، أعاد إليهم الدولة الناصريّة المحمديّة ، بلطايف خفيّة ، تدِق على الأفهام الوفيّة . وذلك لمّا كان يوم الثلثا حادى عشرين جمادى الآخرة خرج من الديار المصريّة جماعة من المماليك السلطانيّة الناصريّة وهم ثلاث ماية نفر ، يقدمهم من الأمرا الأمير سيف الدين أُنغاى قبجق السلحدار والأمير علاء الدين مغلطاى القازانىّ ، متوجّهين إلى الكرك المحروس ، قاصدين مهاجرين إلى الأبواب الشريفة الناصريّة

وكان الوالد سقى الله عهده يومئذٍ متولى الأعمال الشرقيّة وولاية العربان ، وقد أُضيف إليه النظر على قَطْيا وأعمال أشموم الرُمّان . وكان الوالى بقَطْيا يومئذٍ يسمّى بدر الدين ميخاييل ، ووالى أشموم يسمّى أمين الدين . فعبروا تلك الطايفة المهاجرة من ظاهر بُلْبَيس ، ولم ينزلوا بها ، ولا شقّوها ، ولا آذوا أحداً فيها ، ولا فى ساير أعمالها . وذلك لِما كانوا يَرَوا لنا من حقوق خدمتهم من قبل . فإنّ أُنغاى كان لم يزل يتردّد إلى الأعمال وكنّا نخدمه ، فرأى لذلك ومنع ساير مَن معه من التعرّض بأذيّة . وكان عبورهم ببلبيس الثالثة من ذلك النهار . فلمّا كان بعد

---

(١٦) أحداً : احد (١٩) ببلبيس : بلبيس

الظهر وصل خلفهم مَن يتبعهم تقدير ألفى فارس ، يقدمهم من الأمرا الأمير سيف الدين الملك الجوكندار مع جماعةٍ من الأمرا فى تعدادهم طول . فكانوا المهاجرين فى تلك الساعة بمنزلة الخطّارة ، والذين فى أثرهم فى بلبيس ، وعادوا يقصرون فى طلبهم . حكى لى والدى وقد رأيتُه فى تلك الساعة قد لاقى الأمير سيف الدين الملك وهما يتناجيان سراً . فسألته بعد ذلك ، قال : قلت له : يا خوند ، تمهّل على نفسك ، فإنّ القوم الذين خرجتم فى طلبهم مستقبلون ، وهم والله على الحقّ وأنتم بخلاف ذلك . قال والدى : فلمّا سمع قولى تبسّم وقال : والله لقد صدقت ، يا جمال الدين . دَعْهم ، كتب الله سلامتهم ، وبلّغهم مأمنهم

ثمّ إن أوليك القوم وصلوا قَطْيا ثانى يوم الصبح ، وقد عملوا الليل كلّه . فنهبوها وأخذوا جميع حاصلها بالصندوق ، ولم يزالون يحثّون السير الليل والنهار حتى وصلوا سالمين إلى الكرك المحروس اليوم الثانى من شهر رجب الفرد . فتلقّاهم مولانا السلطان عزّ نصره ملتقّى حسناً ورتّب لهم الراتب الجيّد من جميع ما يحتاجون إليه . وأمّا العسكر الذى كان قد خرج فى طلبهم فلم يلحقوا لهم أثراً غير فرسٍ قد وقف أو جملٍ هجينٍ قد أعيا . فوصلوا إلى الغرابى وعادوا على الأثر إلى ديار مصر بالقاهرة

حدّثنى الملك الكامل رحمه الله فى سنة عشر وسبعماية بدمشق المحروسة ونحن بها يومئذٍ ، قال : لمّا وصلَتْ هذه الجماعة من مصر إلى ركاب مولانا السلطان نفذ عقيب ذلك إلى دمشق نجّاب وصحبته ثلاثة مماليك أحدهم قجليس إلى عند نايب الشأم الأمير جمال الدين الأفرم ،

(١٥) أثراً : اثر

وعلى أيديهم كُتُبٌ من مولانا السلطان عزّ نصره إليه وإلى جميع الأمرا الكبار بدمشق تتضمّن طلب المساعدة والموٴازرة والنصرة ، وأنّ ركابه الشريف يقصد الحضور إلى دمشق ، قال : فلمّا وقف ملك الأمرا على الكتاب الذى وصل إليه طلب جميع الأمرا ، واجتمعوا بالقصر الأبلق وقرأ عليهم كتابه . وأحضروا أيضاً كُتُبَهم الواصلة إليهم . وضربوا فى ذلك مشوراً كبيراً . ثمّ كتبوا الجواب ،وهو جوابٌ واحد، يتضمّن من القول : إن كان العسكر المصرىّ معك فنحن أيضاً فى خدمتك ، وإلاّ فلا طاقةَ لنا بالمصريّين ،ولا نرى سفك دما الإسلام،ونحن تبعٌ للمصريّين والسلام . — قال الملك الكامل رحمه الله : هذا كان جواب الأفرم التعيس ، يقول كذا ، ووافقوه جماعةٌ من الأمرا على ذلك ظاهراً ، وأجابوه فى كتبهم بخلاف ذلك باطناً ، بحيث لا أُطلِع على ذلك الأفرم

فلمّا كان بعد يويمات يسيرة حصل بدمشق أراجيف وأقاويل ، واشتهر الأمر أنّ الركاب الشريف السلطانىّ قاصدٌ دمشق ، وأنّ بعد توجّه تلك الطايفة المهاجرة الأولة انفتح باب المهاجرة إلى أبوابه العالية ، وعادت الناس يصلون إلى خدمته أفراداً وأزواجاً من كلّ فجٍّ عميقٍ رجالاً وعلى كلّ ضامرٍ، حتى اجتمع فى خدمته جمعٌ رضيهم لحركة ركابه الشريف . فلمّا تحقّق الأمر عند نايب الشأم جمع الأمرا وضرب مشوراً ثانياً . فهم كذلك إذ ورد من مصر بريد من عند بيبرس الملقّب بالمظفّر ، وكان وصوله آخر نهار الجمعة ، وأخبر أنّ أمور المظفّر مستقيمة ، وكانت أخبار سقيمة ، وعلى يده كتاب من قِبَله إلى الأفرم يتضمّن :

---

(٦) مشوراً كبيراً : مشور كبير (٨) تبع : تبعاً (١٥ – ١٦) من كل ... ضامر : قارن السورة ٢٢ الآية ٢٧ (١٧) مشوراً ثانياً : مشور ثانى

إنّما خرجت هذه الطايفة الشّرْذِمَة اليسيرة عن الطاعة لسوء بختهم وقلّة بصايرهم، ونحن لهم فى أشدّ الطلب، وإن أمعنوا فى الهرب، وسوف يجنوا ثمرة اعتمادهم ، ولا ينفعهم مَن صار إليه ملاذهم : — وفى الكتاب التأكيد على نايب الشأم بحفظ المؤازرة والتيقّظ فى ساير الأحوال

ولمّا كان صبيحة ذلك اليوم وهو نهار السبت ، اجتمع الأمرا وأُحضر القضاة والمصحف المطهّر ، وجُدّدت الأيمان للمظفّر ، ونادوا بدمشق : سلطانكم المظفّر، ومن تكلّم فيما لا يعنيه شُنق . — وعاد فى تلك الأيّام الناس يعبرون من ظواهر دمشق إلى البلد ، وحصل فى أبواب دمشق الازدحام كأيّام الجفل

ثمّ حضر جندىّ وأخبر أنّ ركاب مولانا السلطان الملك الناصر وصل إلى مدينة أذرعات . وظهر من الأفرم المعاندة والمنع ، وأنّه لا يمكّنه من العبور إلى دمشق البتّة . وكان قد سيّر قبل ذلك الأمير علاء الدين أيدغدى شقير الحسامىّ والأمير بدر الدين جوبان ليردّوا مولانا السلطان عن قصده . فعاد الأميران من عند مولانا السلطان ، وقد أخلع عليهما وأنعم عليهما بذهبٍ له صورة ، وخفض لهما جناحه الشريف من ليّن القول . فرجعا وقد استمالا إلى خدمته . ورأى ملك الأمرا أنّ أحواله مع أكثر الأمرا محلولة . فاحتاج أن يلين عن القساوة خوفاً على نفسه . ثمّ إنّه سيّر الأمير سيف الدين بهادر آص والأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ليُشيرا على مولانا السلطان بالعودة إلى الكرك . فعادا إلى دمشق ليلة الثلثا وأخبرا أنّهما لم يجدا مولانا السلطان عزّ نصره بتلك المنزلة التى كان بها، وأنّه رجع إلى الكرك المحروس ، ولم يُعلم سبب ذلك

(٤) والتيقظ : والتيقض (١٥) وخفض : وحفظ

حدّثنى أحد المماليك السلطانيّة بعد ذلك يُعرف بالأرغونى ، كان له بالأعمال الشرقيّة إقطاع قبل ذلك على متوفّر العربان ، وكان من جملة مَن توجّه وهاجر إلى الكرك المحروس ، قال : كان سبب عودة ركاب مولانا السلطان إلى الكرك تلك المرّة أنّه لمّا وصل إلى مدينة أذرعات كما تقدّم من ذكر ذلك كان قد ذكر لأنغاى والقازانىّ أنّ كُتُبَ الأمرا الشأميّين قد وردت عليه تحُثُّه على الحضور إلى دمشق وكان جرى ذلك . فلمّا وصل إلى خدمته الأميرين الأوّلين وأُخلع عليهما ورجعا ونظر أنغاى لظاهر الحال أنّهما منعاه من الوصول إلى دمشق حدّثَتْه نفسه الرديئة أنّه يغدر بمولانا السلطان ، ولم يعلم أنّ الملايكة له أعوان . فاجتمع رأيُه ورأىُ القازانىّ على الغدر الذى عاد عاقبته وبالاً عليهما . فأُطلع مولانا السلطان على بواطنهما فركب فى الليل فى مماليكه وثقاته ومَن يعتمد عليه مِن عشا . فلم يُصبح الصباح إلاّ وقد قطعوا بلاداً كثيرةً . فلمّا أصبحوا طلبوه ، فلم يجدوه لطفاً من الله وتأييداً من النصر . فعادوا لحقوا ركابه الشريف ، وقد صار فى قلعة الكرك . فلم يُريهم إلا عفواً ورضا ، لكنْ أمَرَهم بالنزول فى الرُبُط دون القلعة . فهذا كان سببَ رجوعه — نصره الله — أوّلَ مرّةٍ وسببَ ذَنْب أنغاى حتى ظفره الله به . واستمرّ الحال كذلك إلى شهر شعبان المكرّم

قال الملك الكامل رحمه الله : فلمّا كان ثالث شعبان شاع الخبر بحضور الركاب الشريف إلى دمشق المحروسة . وأنّ الأمير سيف الدين قطلو بك والأمير سيف الدين الحاجّ بهادر قد توجّها إلى خدمته . وكان توجّه قبلهما الأمير ركن الدين بيبرس المجنون والأمير ركن الدين بيبرس العلائى

(٢) إقطاع : اقطاعاً (٩) الرديئة : الرديه (١٣) بلاداً كثيرةً : بلاد كثيرة ‖ تأييداً : تأييد

وصلاح الدين بن صارم الدين والى الخاصّ . ولمّا تحقّق ملك الأمرا ذلك قصد الهروب من دمشق . ثمّ تثبّت وأرسل إلى المقام الشريف السلطانىّ الأمير بدرَ الدين الزردكاش والأمير علاء الدين أيدغدى الجمالىّ لإصلاح شأنه عند مولانا السلطان عزّ نصره . ثم وصل الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار من صفد طالباً لملتقى الركاب الشريف السلطانىّ . فحينئذٍ ضاق بملك الأمرا الحال فخرج من دمشق ليلة الأحد سادس عشر شعبان مع جميع خواصّه وحفدته ، وأخلى القصر الأبلق من جميع ما كان له به . وشرعوا الأمرا مثل الأمير ركن الدين بيبرس العلايي وسيف الدين آقجبا وجمال الدين الطشلاقىّ فى عمل المهمّ وتجهيز الإقامات لحضور الركاب الشريف ، ورتّبوا آلات المملكة مثل الكوسات والعصايب والجمداريّة والرمحداريّة والجنايب ، ونفذوهم لمولانا السلطان ، وخرجوا الســوقة والمتعيّشين . والناس يظنّون أنّ ذلك أضغاث أحلام ، لسرورهم بقدوم سيّد ملوك الإسلام . وفى عشيّة يوم الأحد وصل الأمير علاء الدين الجمالىّ والزردكاش بأمان مولانا السلطان للأمير جمال الدين ملك الأمرا ، فلم يجداه . ثمّ خرج الأمرا مع ساير الناس لملتقى الركاب الشريف . وطلعت الخطبا على المنابر ودعوا لمولانا السلطان . وضجّت العامّة بالدعا وتباشروا بالسرور العامّ

ذكر دخول مولانا السلطان عزّ نصره دمشق المحروسة

وذلك أنه نودى ليلة الثلثا ليلة ثامن عشر شعبان المكرّم بمدينة دمشق : أن تُفْتَحَ الدكاكين وتُزَيَّنَ البلد أعظم زينةٍ لقدوم مولانا السلطان الملك الناصر نصره الله . فزُيّنت البلد أحسن زينةٍ . وخرج الناس بأجمعهم من

(٢) تثبت : تتبت

النسا والرجال ، والصغار والأطفال ، وباتوا تلك الليلة على السقايف ، وهم لا يصدّقون بالصباح ، ليكون صباحهم بذلك الوجه الكريم الوضّاح ؛ وكانت ليلةً مشهودة ، لم تنظر إلاّ إلى شموعٍ مَوقودة ، وذا يُصلح فى بَمّه وزيره من عُوده ، وذا يترنّم فرحاً بهذه العودة ، وذا يحمد الله على نِعَمه ، وذا يشكره على إزالة نِقَمه ، وذا يرقص طرباً لهذه البشارة ، حتى الجمادات تُعْلِنُ بالأفراح إشارة . فيالها من ليلة ، ما كان أبركها على العباد ، وأبردها على الأكباد ! وأصبح الناس على ما هم عليه ، من التشوّق والتشوّف إليه . فلمّا كان سابع ساعةٍ من ذلك النهار ،وقد فاز المُخْفَفون بنظرةٍ فوزا ، والطالع آخر الثور وأوّل الجوزا ، دخل مولانا السلطان بالسُؤْدُد والخفَر ، مؤيّداً بالنصر والظفر . وقد حفّتْه الملايكة زمراً زُمَر ، وضجّت الناس بالدعاء له بالنصر والتأييد ، وأن يبلّغه الله كلّ ما يقصد ويريد . وكان هذا اليوم أعظم من كلّ عيد ، دقّت فيه البشاير ، ودخل فى أيمن طالعٍ وأسعد طاير . فلمّا وصل إلى باب القلعة مدّوا الجسر وفتحوا الباب ، وخرج متولّيها السنجرىّ فقبّل التراب

فأشار مولانا السلطان ، والنور من وجهه قد أشرق : لا أنزِلُ إلاّ بالميدان والقصر الأبلق . — هذا والأمير سيف الدين الحاجّ بهادر حامل الستر الشريف ، وقد تشرّف بحمله ، وإن كان ثقيلاً فقد عاد خفيف . وكان أوّل من شال الغاشية بين يديه الشريفتين ، ومشى بها خطوةً وميتين ، الأمير سيف الدين قطلوبك الكبير . ثمّ دخلوا بعده ساير الأمرا ، الكبير

(١٤ – ١٥) وخرج ... التراب : بالهامش

منهم دون الصغير ، ولمّا استقر مولانا السلطان ، نزوله بالميدان ، نقل فى تلك الساعة السنجرىّ والى القلعة الخوان ، ومدّه فى الميدان ، فكان يشتمل على ألوان ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ هذا والمَغانى تقرع بالدفوف ، والعالم من الأمرا والجند صفوف صفوف ، وكان فى الجماعة مُغَنّية تسمّى ضيفة الحمويّة ، فغنّت بهذا القصيد ، فى ذلك الوقت السعيد ، واستفتحت به نشيد < من الكامل > :

ولقد نذرتُ بإن رأيتك سالماً ونظرتُ وجهك أن أصوم شهورا
حذراً عليك من الزمان وغدره حتى تعود مؤيّداً منصورا

فأمر لها مولانا السلطان بجملة إنعام . وفى ذلك اليوم نثر الأمير سيف الدين قطلبك على مولانا السلطان عند أوّل جلوسه بالقصر كيس أطلس مليء فصوص ولؤلؤٍ كبار وحبّات جواهر ، ما تحصى قيمته

وفى آخر ذلك النهار وصل الأمير سيف الدين تمر الساقى نايب حمص . وفى يوم الأربعا تاسع عشره حلّفوا عسكر صفد وسفّروهم شاليشاً يقدمهم الأمير سيف الدين آقجبا الظاهرىّ . واستقرّ مولانا السلطان بالقصر والأمرا فى خدمته . وخُطب له يوم الجمعة فى ساير الممالك الشأمية

وفى يوم السبت ثانى عشرين الشهر وصل الأمير جمال الدين الأفرم ملك الأمرا مُذعناً بالطاعة ، والتقاه مولانا السلطان وترجّل له وعانقه . ثمّ قدّم له ولدّه موسى . فقبّل الأرض بين يدى المواقف الشريفة . فتناوله مولانا السلطان وأجلسه فى حضنه وقبّله ثلاث مرّات ، ولا زال فى حضنه

---

(٢) الخوان : الاخوان (٣) السورة ١٣ الآية ٤ (١١) مليىء : ملاء

حتى سأله أبوه وتناوله منه . وأحضر ابن صبح وقبّل الأرض . فسأل السلطان عنه ، فقيل : هذا ابن صبح الذى هرّب الأمير جمال الدين . — فأقبل عليه مولانا السلطان وشكره لوفاه بالأمير جمال الدين وحسن صنيعه له ، وأخلع عليه . ورسَم للملك الأمرا فى ذلك النهار أن يستقرّ على نيابته ، وتقرأ عليه القصص ، ولا يُغير عليه مغير . وفى يوم الأحد قدّم الأمير جمال الدين تقادم عظيمةً لا تقوّم . وفى يوم الاثنين وصل الأمير سيف الدين قبجق من حماة ، وكذلك الأمير سيف الدين أسندمر من طرابلس . وخرجوا الأمرا والتقوهم ، وخرج لهم مولانا السلطان خلّد الله ملكه والتقاهم

ثمّ وصل الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوريّ من حلب : حدّثنى مَن أثِقُ به أن كان سبب مجيئه سنقر شاه الظاهريّ ، وذلك أنّه ضُرب مشور : هل يدخل تحت الطاعة أم لا ؟ — فقال له الأمير شمس الدين سنقر شاه : المصلحة عندى أن تدخل فى طاعة ابن أستاذك . فإنّ نحن ما دخل علينا الدخيل إلاّ لمّا خالفْنا الملك السعيد ابنَ أستاذنا . — فبلغ ذلك مولانا السلطان ، فكان لسنقر شاه بعدها عند مولانا السلطان يدٌ بيضا . وخرج مولانا السلطان عزّ نصره والتقاه وترجّل له وعانقه ساعةً . وحمل قراسنقر فى ذلك اليوم الغاشية بين يدى مولانا السلطان

وفى يوم الاثنين مستهلّ شهر رمضان نفق مولانا السلطان فى الجيوش ورسم : كلّ مَن قبض نفقته سافر إلى غزّه

وفى ثالث رمضان المعظّم وصل جيش حلب ، وطُلب قراسنقر فى أحسن زيٍّ وأعظم أهبة . وتكمّلت العساكر الشأميّة فى عدّتها وعديدها

ذكر توجّه الركاب الشريف إلى الديار المصريّة

وذلك لمّا كان الثالث من شهر رمضـــان المعظّم خرج الدهليز المنصور متوجّهاً إلى الديار المصريّة وصحبته النوّاب بالممالك الشأميّة ، مع القضاة والأيمّة والأمرا وضرب بالجسورة . وفى يوم السبت سادس الشهر وصل مملوك من المماليك الأشرفيّة ، من الديار المصريّة ، وأخبر أنّ بيبرس الملقّب بالمظّفر فى ضايقةٍ عظيمة ، وأنّه يريد الهروب أو يحصّن القلعة ، وأنّ الأمير سيف الدين سلاّر عند خيله ويبدّعى أنّه متمارض . ثمّ وصل ستّة نفر من المماليك السلطانيّة ،وأخبروا أنّ ساير العساكر المصريّة من الأمرا والجند منتظرين الركاب الشريف الناصرىّ ،وأنهم مع بيبرس بالأجسام ، والقلوب مع الأسد الضِّرغام ، والملك الهمام ، السلطان الملك الناصر سلطان الإسلام . فلمّا كان يوم الثلثا تاسع رمضان المعظّم خرج الركّاب الشريف السلطانىّ الملكىّ الناصرىّ عزّ نصره من دمشق المحروسة ضحى نهار أوّل الثالثة . وفى ركابه الشريف جميع النواب بالممالك الإسلاميّة لم يتأخّر منهم عن خدمته أحد ، وكذلك ساير الأمرا والجند . وكان قد تقدّم الجيش الصفدىّ قبل ذلك ، حسبما ذكرنا

قال الملك الكامل : وكان مولانا السلطان فى ذلك اليوم لابس قباء أطلس أبيض بطرز زركش مصرىّ . — قلتُ : فعاد كالبدر بين المرّيخ والمشترى ، أو كالشمس عند الإشراق لا عند المَغيب ، قد كتب السعد على تاجه ﴿ نَصْرٌ مِنَ ٱللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ وكان مقــدّم الميمنة الأمير جمال الدين آقوش الأفرم نايب الشأم ، ومقدّم الميسرة الأمير سيف الدين

---

(٦) ضايقة : دايقه (١٩) السورة ٦١ الآية ١٣

قبجق نايب حماة والأمير شمس الدين قراسنقر إلى جانبه . وخرج صحبته القاضى نجم الدين بن صصْرى وقاضى القضاة الحنفىّ،والقاضى جلال الدين الخطيب والقاضى كمال الدين بن الزملكانىّ مع الموقّعين وكتّاب الجيش ؟

فلمّا كان العشرين من الشهر وصل الأمير سيف الدين بهادر آص من الديار المصريّة . وكان قد سيّر أحضره إلى الديار المصريّة بيبرس لمّا ذُكر عنه أنّه كان السبب فى حركة ركاب مولانا السلطان من الكرك المحروس وحضوره إلى دمشق . فأقام بمصر إلى هذا التأريخ ، عاد إلى الركاب الشريف السلطانىّ عزّ نصره

وكان وصول الركاب الشريف إلى غزّة المحروسة يوم الخميس تاسع عشر الشهر المبارك . ثم تبادروا الأمرا المصريّين إلى غزّة ، وأخبروا أنّ بيبرس خلع نفسه من الملك ، وأنّه خرج عن الديار المصريّة وملكها ؛ وكان ذلك يوم الثلثا سادس عشر رمضان المعظّم ، وأنّ الأمرا والمقدّمين من المصريّين واصلين

قلت : هذا جميعه حديث الملك الكامل للعبد فى دمشق فى سنة إحدى عشرة وسبع ماية حسبما تقدّم من ذكر ذلك . وأما ما شاهده المملوك واضعه ومؤلّفه وجامعه ومصنّفه بالمعاينة لا بالسماع ، فإنّ نحن كنّا ببلبيس فى ذلك التأريخ ، وكان العبد بالقاهرة ، أُشاهد جميع هذه الأحوال وأُطالع بها الوالد رحمه الله ببلبيس أوّلاً فأوّلاً . وكان قد بلغ بيبرس عنّا من جماعةٍ من العرب كانوا يصحبوه من بنى عبيد من جذام [يقال لهم أولاد زامل ، بالغ وعامر . فوشوا لبيبرس أنّ نحن مطّلعين على رسول

---

(١٦) ومؤلفه : ومآلفه

مولانا السلطان الذى يحضر من الكرك المحروس إلى الديار المصريّة ، وكانوا يعنون عن شخص كان فى خدمة مولانا السلطان يسمّى عثمان الركاب . فلمّا ذكروا لبيبرس عنّا ذلك سيّر إلينا سيف الدين بثار — وكان هذا المسمّى بثار أصله مملوك الحاجّ بهادر وعاد عند بيبرس — وعلى يده كتاب من بيبرس ضمنه : أن بلغنا أنّك تطّلع على عثمان الركاب عندما يدخل ويخرج من الديار المصريّة وعلى يده كتب الناصر صاحب الكرك . ونحن نقسم بالله تعالى : متى صحّحنا هذا عنك أمرنا بتسمير ولدك قدّامك ، ثم بتسميرك بعده ، ثمّ بتوسيطه قدّامك ، ثم بتوسيطك بعده . وإن هذا كان ماهو صحيح عنك فتجتهد فى تحصيل عثمان الركاب المذكور وإحضاره إلينا . فإذا فعلت ذلك سوف ترى ما نفعله معك ومع ولدك من الإحسان الذى يسرّ الصديق ويكمد العدوّ ، وفيه تشديد ، ووعد ووعيد . — فلمّا قرأه الوالد قال : يا سيف الدين ، كلّ أحدٍ يعلم أن العرب أعدائى ، وهو أيضاً يتحقّق ذلك . وإذا سمع من أعدائى فى حقّى يفعل ما استعمله الله عزّ وجلّ وما هى دنيا بلا آخرة . فأنا رجل لا اطّلعت لا على عثمان ولا على غيره . — فقال له بثار : يا جمال الدين ، احترز ! فإنّ والله أولاد زامل عمّالين عليك عنده . وأنت خشداش أستاذى القديم وقد نصحتُك . — فقال الوالد : فى الله الكفاية . — ثمّ إنّه احترز على نفسه ونفّذنى إلى القاهرة وقال : اخفى نفسك ولا تظهر ، وكشّف ساير ما يتجدّد وطالعنى به أوّلاً فأوّلاً ! — ثمّ إنّه ما عاد يقيم إلاّ بالبرّيّة ، ولفّ عليه جماعةً من عرب العايد ، شخصاً يسمّى بهادر العايدىّ وجماعته ، وجماعة من بنى وليد يوسف بن إبراهم وأولاد شمخ . وأجمع رأيه ، متى حضر إليه مَن يُرى منه شرٌّ

---

(١٨) يتجدد : يتحرر ‖ فأولا : باولا (٢٠) شخصاً : شخص

مسكه ، وتوجّه فى البرّيّة إلى خدمة مولانا السلطان الملك الناصر بالكرك . وكان هذا الحال عند تحريك الركاب الشريف إلى دمشق أوّل مرة

ودخل العبد إلى القاهرة . واختفيتُ وعُدتُ أستملى الأخبار من بهاء الدين أرسلان الدوادار . فإنّ كان بينى وبينه أخوّة قديمة من حين كان فى بيت طقجى . وتأكّدت الصحبة والأخوّة فى بيت سلاّر . فكان يخبرنى بكلّ ما يتجدّد ، وأنا أطالع به الوالد . ثمّ إنّ بيبرس أشغله الله تعالى عنّا بما هو أهمّ من أمرنا

وكان هذا الكتاب الذى ورد على الوالد رحمه الله من بيبرس على يد بثار بخطّ المولى كمال الدين محمد بن الأثير رحمه الله ، وكان بيننا من الصحبة القديمة ما لا تُحدّ بوصف ، وكأنه اطّلع على ما نواه لنا بيبرس . فكتب للمملوك كتاباً فيه تشوّق واستيحاش ، ومن جملته يقول : والمولى المخدوم الوالد بحمد الله سديد الرأى . — ففكرت فى هذه اللفظة إذ هى ليست من بلاغته المشهورة . وإذاً هو قد عنى ولوّح إلى واقعة سديد الملك مع جلال الدولة صاحب حلب ، وقد تقدّم شرحها فى هذا التأريخ ممّا يُغنى عن إعادتها ولاشتهارها . فلمّا فهمتها علمت أنّها قصده بذكر سديدٍ فأجبته : إن مملوك مولانا المخدومِ وعريق بابه الوالد لم يكن له رأى فيما اتُّهم به . — فلمّا حصل للمملوك الاجتماع بخدمته بعد ذلك رأيته كثير التعجّب من إدراكى لذلك ، وكان ما يبرح يذكر ذلك فى الملا والخلا ببديع ألفاظه الحسان ، ويكسونى وأنا عريان ، رحمه الله تعالى وعوّضه عن دنياه بالجنان !

(١١) كتاباً : كتاب (١٦) لم : لى (١٩) ألفاظه · اللفاظه

ثمّ إنّ بيبرس لمّا بلغه تقدُّم الركاب الشريف الناصرىّ من الكرك إلى دمشق ، وأنّ ساير النوّاب أذعنوا له بالسمع والطاعة ، وكان يظنّ أنّ الأمر بخلاف ذلك ، وكان معتقداً على اثنين يظنّ أنّهما لا يدخلا تحت الطاعة : الأمير شمس الدين قرا سنقر نايب حلب والأمير جمال الدين نايب الشأم . فأمّا قرا سنقر فكان فى أوّل الحال قاتلاً ومقتولاً عليه إلى حيث زرّق عليه مَن أسقى ولده ناصر الدين محمداً رحمه الله ، وتحقّق قراسنقر ذلك منه وقتل أستاداره الذى كان أسقى ولده فخر الدين ألطنبا أستاداره . فعاد من ذلك الحين يُرايبه ويُداجيه . وكان ظنّ بيبرس أنّ قراسنقر ما فى نفسه منه شى ، وأنّه ما فهم عنه أنّه الذى سقى ولده . فهذا كان سبب انحراف قرا سنقر عنه . وأمّا الأفرم فإنّه ما دخل تحت الطاعة إلاّ عن غلوبيةٍ ومن تحت القهر

ثمّ إنّ الناس عادوا يغشّون بيبرس فى الكلام ، ولا ينصحونه لبغضهم فيه . ثمّ إنه رأى أن يؤمّر جماعةً من مماليكه ، فأمّر تقدير أربعين نفرًا منهم طومان وصفنجى وقرمان وتكا وعلم الدين أستادار وصديق وبيبرس الجمدار واللقمانىّ وجعله جاشنكيراً مع جماعةٍ أُخر فى تعدادهم طول بغير فايدةٍ . ولقد بلغنى عن صديقٍ أنّه لمّا فرّق مِثالات إمرته على مَن استخدمه ردّ شخص منهم مثالاً ، فقال له : يا أخا القحبة ، ما ترضى تخدمنا دولة المشمش أربعين يوماً ؟ — فكانوا يتحقّقون أنّ هذه الإمريات لا تتِمّ لهم . ثمّ إنّ بيبرس نفق فى الجيش المصرىّ بكماله

---

(٥) قاتلا ومقتولا : قاتل ومقتول (٦) محمداً : محمد (٧) فخر الدين الطنبا أستاداره : بالهامش ‖ الطنبا : كذا فى الأصل ، لعل المقصود ألطنبغا (٩) نفسه منه شى وأنه ما : بالهامش (١٣) يؤمر : يأمّر (١٧) مثالا : مثال ‖ أخا : اخو

وبلغنى ممّن أثق به أنّه لمّا نفق فى الجيش فُتِحَ له فأل من الختمة المطهّرة ، فطلع فى أوّل سطرٍ ﴿ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ قال : فطبّق الختمة وبكى ، وقال : لا حولَ ولا قوّةَ إلاّ بالله العلىّ العظيم

ثمّ إنّه جرّد العساكر وجعل المقدّم عليهم الأمير سيف الدين برلغىّ ، وكان أخاه ومعتقداً عليه اعتقاداً عظيماً ، وأنعم عليه بثلاثين ألف دينار عينٍ مصريّة . وخرجت العساكر كما قال الله تعالى ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ فتقدّم الأمير جمال الدين آقوش الأشرفىّ نايب الكرك ونزل بمنزلة الصالحيّة بِمَن معه من الأمرا . ونزل الأمير سيف الدين برلغىّ بمنزلة الخطّارة

وكنتُ قد ظهرتُ بعد ذلك وخرجتُ إلى الوالد . فكنّا مع الأمير سيف الدين برلغىّ . فلمّا كان يوم الأحد رابع عشر رمضان المعظّم حضر إلينا شخص بدوىّ من العايد يسمّى ركاب بن ريّس وقال لنا : هذا ثُوَى من عند الملك الناصر وعاينته بعينىّ هاتين ، وهو كالأسد وجميع النوّاب فى خدمته . — وعدّدهم واحداً واحداً . فلمّا سمع الوالد ذلك منه أخذ البدوىّ وأتينا به إلى الأمير سيف الدين برلغىّ وهو جالس بالشُتْر الكبير بمنزلة الخطّارة . فلمّا رأى الوالد طلبه إلى عنده وتحدّث معه ساعةً . وأذّن المغرب فصلّينا جميعاً . وقام برلغىّ إلى الخيمة المناميّة وقال : جمال الدين ، أحضر لى هـذا البدوىّ ! — فتوجّهتُ أنا وأحضرتُه . ودخل إلى عنده الخيمة المناميّة . فقال له : حَدِّثْنى ولا تكذبْ ، أشنقك . — فشرع

(٢) لو : ولو ‖ ما فى : ما (٢ – ٣) السورة ٨ الآية ٦٣ (٦) أخاه : أخوه
(٧ – ٨) السورة ٥٩ الآية ١٤ (١٥) واحداً واحداً : واحد واحد

يحدّثه من أوّل قدوم مولانا السلطان إلى دمشق إلى حين ما قال : ووصل إليه الأمير شمس الدين قراسنقر من حلب ، — فقال برلغىّ: تكذب، يا قوّاد، الأمير شمس الدين ما جاءه . — فقال : يا خَوَنْد،وحياة رأسك ، رأيته بعينىّ هاتين — وأشار بإصبعه إلى عينيه — وأنا رفيقهم إلى الرملة . — فقال برلغىّ : كذبْتَ يا فاعل يا تارك ! يا جمال الدين، أخرج وَسِّطْ هذا القوّاد !— فقال: يا خوند ، أنا قد حصّلت ، فإن ردت توصطن وصطن ، وإن ردت تشنقن اشنقن . فأنا ، والطلاق يلزمنى ثلاثاً ، رأيتُه بعينىّ وهو مع الملك الناصر فى قلب الحلقة . — يقول البدوىّ بهذا اللفظ : بعينه ، وأنا أسمع ، فسكت ساعةً . وقال : أخرج وسِّطْه ! — وعيّط عيطةً قويةً . فجرّينا البدوىّ وأخرجنا < ه > وجرّدناه من ثيابه . وجذب السيّاف السيف ومدّيناه. فخرج مملوك اسمه قرا، فقال : إن صدق لا توسّطه . — هذا كلّه والبدوىّ يصيح : وحياة الأمير ! ما كذبت . واجعلنى عندك فى الزنجير ! فإن كنت كذبت وسّطن، وأنت فى حلٍّ من دمى . — فرسم : أرجِــع أن ندعه فى الزنجير . — ثمّ طلب والدى وقال : يا جمال الدين ، خذ هذا القوّاد إلى عندك ولاطِفه واستصحّ خبره ، ولا تنام حتى تردّ علىّ خبره . — فأخذْناه وأتينا به وطاقنا وغُلبنا فيه وهو ما يخرج عن قوله

فبينا نحن معه فى الكلام إذ حضر مملوكه قرا وقال : أمير جمال الدين، كلّم الأمير . فخرجنا أتينا إليه ، فوجدناه لابس خُفّه ببغلطاق تترىٍّ مسدودٍ وقدّامه موكبيه . فلمّا رأى الوالد تحرّك له وأقعده وقال : أيش

---

(٥) وسط : وصط (٦-٧) فان ردت توصطن وصطن وان ردت تشنقن اشنقن : لعلها لهجة بدوية فى « أردت أن توسطن وسطن وإن أردت أن تشنقن اشنقن (٧) يلزمنى ثلاثاً : يلزمه ثلاث (١٢ - ١٣) كذبت وسطن : كذب وصطن (١٥) على : عليه

صحّ عندك من حديثه ، يا جمال الدين ؟ — فقال : والله ، يا خوند ، الحق أبلج والبدوىّ صادق ، ما فيه شكّ . والأمير بحمد الله ملك ، وعقلك يوازن الجبال . والمصلحة تقتضى أن تبادر أمرك فى مصلحةٍ يعود نفعها عليك ، والرأى رأىُ الأمير . — فقال : والله ، يا جمال الدين ، أنا أعرف دينك وأمانتك ، ولا أشكّ فى نصحك ؛ وأنا علمتُ أنّ مِن أوّل يومٍ جلس هذا الرجل أنّه ما يُفلح يعنى عن بيبرس . — فقال الوالد : يا خوند ، الأمور بيد الله تعالى ولا لأحدٍ تصريف ، والمُلك مُلكه يهبه من يشا . — فالتفت إلى مماليكه ، فأشار إليهم ، فخرجوا الجميع ، وأنا فى جملتهم ؛ وتحدّث مع والدى ساعةً . ثم طلبنى فدخلت ، فأنعم علىّ بخمسين دينار ولبّسنى بغلطاق نارنجى بسنجاب . وخرجنا من عنده

فسألت والدى : أيش تحدّث معه ؟ — فقال : قال لى ، يا جمال الدين ، والله كلّ هذا عمايل سلاّر وهو سبب هذه الفتنة أوّل وآخر . فلا جزاه الله خيراً ! أيش عندك من الرأى ، فأنت قرناص ومملوك مصر قديم ؟ فلا تغشّنى بدين الإسلام . فأنا وأنت فى هذا الوقت شى واحد ، والنصح من الإيمان ، — قال . فقلتُ (المستشار مؤتمن) والله ما عندى من الرأى غير ركوبك فى هذه الساعة وتوجّهك إلى خدمته . فإنّ هذا الجيش جميعهم ما يعوّقهم سواك . ووالله ، يا خوند ، لا تظنّ أنّ معك منهم أحداً إلاّ بالظاهر ولا ينتظرون إلاّ حتى تقع العين فى العين ، وقد توجّهوا الجميع إلى الملك الناصر . وهذا رأيى ، وقد نصحتك والسلام . — فقال لى : جزاك الله خيراً ، والله العظيم ، كأنّك مطّلع على ما فى باطنى ، وهذا عزمى إنشا الله تعالى . فاخرُجْ واكتُمْ هذا الأمر ! — قال والدى : ثمّ طلبك

(١٣) خيراً : خير (١٥) « المقاصد الحسنة » حديث رقم ١٠١٩ (١٨) أحداً : احد (٢٠) خيراً : خير

وأعطاك ، فقلتُ له ما اختشيْتُ : لا يكن قد أراد ينظر ما عندنا . فإنّ نحن متّهمون عندهم بمناصحة السلطان الملك الناصر . — فقال: والله ، يا ابنى ، وضع يده على يدى ، أجدها أبرد من الرصاص وسمعتُ أمعاه تقرقر فى بطنه بأُذنى . فعلمتُ أنّه قد داخلَه الزَّمَع . فلأجل هذا أبَحْتُ له ما كان عندى . — فلمّا كان تلك الليلة نصف الليل ركب وطلب الركاب الشريف الناصرىّ . وهذا كان أكبر أسباب توجّه برلغىّ ، والله أعلم

وكان قبل التجاريد والنفقة وإمرة مَن أمّر من مماليكه وغيرهم قد عقدوا مجلساً ، وأحضروا القضاة الأربعة ، وقرءوا الكتاب الذى زعموا أنّه أنفذه مولانا السلطان من الكرك بنزوله عن المُلك . فقال القاضى بدر الدين بن جماعة : لا يمكن إثبات هذا الكتاب إلاّ بمن يشهد على لفظه أنّه نزل عن المُلك اختياراً لا اضطراراً . وكان الكتاب بخطّ القاضى علاء الدين بن الأثير رحمه الله ، وكان قد حضر من الكرك المحروس لمّا سيّر بيبرس إلى مولانا السلطان علاء الدين مغلطاى يت أُغلى يطلب منه جميع ما عنده من آلات الملك ويرعد ويبرق . فاتّكل مولانا السلطان على الله عزّ وجلّ وسيّر جميع ما طلبه منه وثوقاً منه بالله تعالى واتّكالاً عليه . فأمر بيبرس فى ذلك الوقت أن يُحضروا لعلاء الدين بن الأثير . فخرج إليه اليونسىّ وبشّاش ، فأحضروه وهو يرعد شبه القصبة لِما فعلا به من النكال والتهديد . ثمّ لاقاه تباكز فى سلالم الرواق ، وكان الاجتماع بدار النيابة ، فقال له : اسمع ! وا لك ، والله متى لم تشهد على الملك الناصر أنّه رسم لك أنّك تكتب هذا الكتاب ، وأنّه لفظَ بالنزول عن الملك ! أخرجتُ

---

(٨) وقرءوا : وقروا ‖ الذى : الذين (١١) اختياراً لا اضطراراً : اختيار لا اضطرار

هذا السيف من جنبك . — وحيّد من سيفه أربعة أصابع . هذا وهم يعسفوه فى الطلوع . سُحب ، ثمّ أجلسوه وأحدقوا به . وسأله القاضى بدر الدين ابن جماعة وقال : يا علاء الدين ، هذا الكتاب خطُّك ؟ — قال : نعم . — قال : فأنت تشهد على الملك الناصر أنّه نزل عن ملكه اختياراً منه وتنزّهاً عنه ؟ — قال : لا . — فنخس تباكز بعقب السيف فى جنبه . كاد يُغْشَى عليه ، فتأوّه لذلك . وقال : المراد من المملوك الصدق أو الكذب ؟ — فقال القاضى بدر الدين : معاذ الله ، المقصود الصدق منك ، وذلك اللايق ببيتك . — فقال : يا مولانا ، أخرج إلىّ أيدمر الدوادار هذه المسودّة التى كتبتُ منها هذا الكتاب ، فكتبته عليها ، ولم أسمع من الناصر لفظاً ، فأشهد به ، ومهما نزل من الله تعالى كان محمولاً على الرأس والعين ، وبكى ، — قال . فدمعَت عين القاضى بدر الدين . وأقاموه أيْشَم قيامٍ ونزل . والذارع منهم مَن يشتمه ويبصق فى وجهه وينخسه فى جنبه وكادت روحه تروح . ثمّ إنّهم بعد ذلك لفّقوا تلفيقاً سقيماً . وجدّدوا الأيمان لبيبرس ، ونفق وجرّد وكان ما ذكرناه

ذكر سبب توجّه القاضى علاء الدين ابن الأثير فى ركاب مولانا السلطان إلى الكرك

وذلك لمّا عزم مولانا السلطان خلّد الله ملكه إلى التوجّه إلى الكرك المحروس كان متولّى ديوان الإنشا الشريف القاضى شرف الدين بن فضل الله . وهؤلاء بيت بنى الأثير وبيت بنى فضل الله كفرسَىْ رِهان على

---

(٧) اللايق : الايق (٩) لفظاً : لفظ (١٠) محمولا : محمول

هذا المنصب من أوايلهم ممّا يطول الشرح فى تعـــدادهم . فلمّا فهم شرف الدين بن فضل الله بواطن الأمور وأنّ مولانا السلطان يقصد الكرك وأنّ الدولة دولة البرجيّة ، اعتذر عن التوجّه فى ركاب السلطان . فقال له مولانا السلطان : فاندُبْ معى مَن تعرف أنّه يصلُح من الجماعة الموقّعين . فعيّن شرف الدين على كمال الدين محمد بن عماد الدين إسمعيل ابن تاج الدين أحمد بن الأثير . وكان كمال الدين أفضل الجماعة بعد شهاب الدين محمود . فقال القاضى شرف الدين بن فضل الله لمولانا السلطان : عندى شخص من بنى الأثير ، ما يوجد له نظير ، فى الفضيلة والكتابة والمعرفة التامّة والأصالة ، وهم أصحاب هذه الوظيفة ونحن دُخلا عليهم . — وأطنب فى مدحهم إطناباً كثيراً . وكان المقصود خلاف ذلك ، وأن إذا كان من بنى الأثير هذا الذى قد انتشا كالجَمرة الوقّادة وقد اختشاه على المنصب فأراد دفعه وإنحاس بقيّتهم فى الدولة البرجيّة . فكان كما قيل : دفعُه نفعُه . هذا ولم يعيّن لمولانا السلطان اسم أحدٍ من بنى الأثير . فقال مولانا السلطان : جهِّزْ هذا الذى بتعنى عنه وبتصفه بهذه الأوصاف . فخرج القاضى شرف الدين بن فضل الله وطلب لكمال الدين وتحدّث معه ، فأبى عليه كمال الدين . وقال يا مولانا ، ما من واجب حقوقنا عليك أن تُفـرِّق بيننا وبين أقاربنا . وامتنع من ذلك ولا أمكن القاضى شرف الدين أن يُكرهه لِما يعلم منه . فحار فى أمره وكونه ذكر لمولانا السلطان ابنَ الأثير . وكان القاضى علاء الدين رقيقَ الحال عن بقيّة أقاربه . فلمّا بلغه امتناع كمال الدين اجتمع بالقاضى شرف الدين بن فضل الله وقال : أنا أحقّ بخدمة هذا السلطان . — وسأل لشرف الدين على ذلك ، فما صدّق شرف الدين

---

(٩) الوظيفة : الوضيفة (١٠) إطناباً كثيراً : اطناب كثير

بذلك ليشدّ قوله عند مولانا السلطان . فاتّفق الحال على القاضى علاء الدين كرهاً من أقاربه وبغير رضاهم ، وجرت عليه منهم أمور كثيرة لمنعه . وهو لا يزداد إلاّ تصميماً على السفر فى الركاب الشريف لسعادة جدّه وقوّة سعده ، فخرج ؛ وقد لحظَتْه السعادة وحرّكَتْه الإرادة . فوقع من مولانا السلطان موقع السهم من الغرض . فلمّا عاد الركاب الشريف وقصد أن يولّى ديوان الإنشا صاحباً ، أعرض جماعة من كبار الموقّعين كلٌّ منهم يظنّ أنّه سَحْبان زمانه ، وعبد الحميد فى بلاغته وبيانه . والإرادة قد سبقت للقاضى علاء الدين ، من قبل ذلك الحين . ثمّ إنّ مولانا السلطان قال لشرف الدين ابن فضل الله : ما أنت القايل لى عن ذلك الشابّ الذى من بنى الأثير ، ما قلتَ ووصفتَه بما وصفتَ ، وإنّه من بيتٍ هم أحقّ بهذه الوظيفة ، وأنتم دخلا عليهم؟ — فلم يمكنه أن يقول إلاّ : نعم ، — فقال : وأنا أيضاً جرّبتُه فوجدتُ جميع قولك فيه صحيحاً . — ثمّ رسم له بالمكان دون أوليك النفر جميعهم ، وأُقيم من بينهم وأخلع عليه . وجلس ودخل أوليك الجميع ، وقبّلوا يده ، وصار من القاضى علاء الدين ما شاع وذاع ، حتى تشرّفَت بحسن مآثرِه الأسماع

ذكر نزول بيبرس عن الملك وهروبه

وذلك لمّا بلغه توجّه برلغىّ إلى الركاب الشريف الناصرىّ وصحّ ذلك عنده ، نزل عن الملك وأبرأ الناس من بيعته فى تأريخ ما تقدّم . وخرج من القلعة طالباً للصعيد واستصحب معه الخزاين والأموال . وكان قبل ذلك بأيّامٍ قد سلّطوا عليه العامّة والحرافيش . وعادوا يتردّدون إلى تحت القلعة ويقولون :

---

(٢) كرهاً : كره (١٠) الوظيفة : الوضيفة (١٢) صحيحاً : صحيح

قُمْ واستحِي من الله ! وخلِّي مكان الرجل ! انزِل عن مكانٍ لا يصلح لك ! — وأشيا قِباح : وعادوا يخرجوا إليهم الوشاقيّة من الإصطبل ، فيرجموهم ولا ينالوا منهم غرضاً . فلمّا كان تلك الليلة عند نزوله وخروجه تعبّؤوا له ورجموه بالمقاليع وبالكفّ . فربّما أرموا لهم دراهم جيّدةً اشتغلوا بها عنه حتى ساق وخلاّهم . وتوجّه صحبته مماليكه وجماعة من الأمرا البرجيّة وكريم الدين الكبير ، ومشى فى برّ الشرق . هذا ما جرى لبيبرس

وأمّا ما كان منّا ، فأصبحنا صبحة توجّه برلغىّ ، فلم نجد ثَمّ أحداً ، بل الناس جميعهم توجّهوا لملتقى مولانا السلطان الملك الناصر عزّ نصره . وبلغنا هروبُ بيبرس ، فالوقت ركب الوالد البريد ودخل القاهرة واجتمع بالأمير سيف الدين سلاّر وأخذْنا جِمال النفر السلطانىّ ، وجهّزْنا الإقامات الكبيرة . وخرج الوالد رحمه الله والعبد فى خدمته صحبة الإقامات ، فلقينا الركاب الشريف السلطانىّ الملكىّ الناصرىّ — أعلاه الله تعالى على أرقاب أعداه ، وجعله مؤيّداً بالنصر والظفر على كلّ مَن عاداه — بمنزلة الورّادة . فنزلنا وقبّلنا الأرض بين يدى المواقف الشريفة ، وفُزنا بمشاهدة تلك الأخلاق اللطيفة . فحصل لنا من الجبر والإقبال ، فوق الظنّ والآمال . وأُلبسنا الخِلَع السنيّة ، وقد بلّغنا الله تعالى غاية الأُمنيّة . وكانت الإقامات شيئاً كفت جميع تلك الجيوش القادمة فى ركابه الشريف حتى شبعت منها الوحوش : وكان الوالد رحمه الله أرمغان فى أموره وكفايته : لحسن يقينه بالله تعالى وتوكّله وأمانته . ولم نزل فى الركاب الشريف إلى أن نزل بركة الحجّاج ، وجيوش مصر والشأم كأمواج البحر العجاج

(٣) غرضاً : غرض (٧) أحداً : أحد (١٧) شيئاً : شى (١٨) أرمغان : أمر معان

وكان طلوع الركاب الشريف إلى قلعة الجبل المحروسة ، وأصبحت بعد الاستيحاش منه به مأنوسة ، وحصلت الأفراح ، وزالت الأتراح ، واطمأنّت القلوب ، وانفرجَت الكروب ، وعاد الحاكى فى الحسن يوسف على الحاكى فى الحزن يعقوب ، غرّةَ شهر شوّال . وقد بلغت الديار المصريّة بحلول ركابه الشريف غاية الآمال ، فكان ذلك العيد عيداً فى عيد ، لموافقة هذا العيد ، حلول ركاب الملك الناصر السعيد . فلمّا استقرّ البدر فى الهالة ، ووجب على كلّ مَن عليه نذر أن يُوفّيَه لمّا بلّغه الله آماله ، فمن كان عليه صيام فليصُمه ويؤدّيه ، ومن كان عليه صدقة فليطلب كلّ مستحقّ ويوافيه ، ومن كان عليه عِتقٌ ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ ومن كان عليه حجّ فليسلك فى عامه طريق العقبة . فقد استحقّت جميع هذه النذور ، لمشاهدتنا أنوار تُخجل البــدور . فللّه الحمد على ما أولى ، وله المنّة فى الآخرة والأولى

ثمّ برزت المراسم الشريفة . والأوامر العالية المنيفة . أن يتوجّها الأميران : وهما الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار والأمير سيف الدين بهادر آص ويلحقا بيبرس الجاشنكير ، ويتوجّها إلى قلعة صهيون حسبما يأتى من ذكر ذلك بعد ذكرنا لمدايح التهانى ، بقدوم الركاب الشريف السلطانىّ ، عزّ نصره

---

(٥) عيداً : عيد (٨) ويؤديه : ويديه (٩) السورة ٥٨ الآية ٣ وفى سور أخر

ذكر ما اتّصل بنا من مدائح التهانى البديعات الألفاظ والمعانى

القاضى ناصر الدين شافع بن عبد الطاهر رحمه الله يقول < من الطويل > :

لك الله فى كلّ الأمور معين … وبالنجْح فيها كافلٌ وضمين
فلا غروَ إن هانت عليك مصاعب … وصعْب ذوى القدر الجليل يهون
فكن واثقاً بالنصر يا ناصر الورى … ووارثَ ملك الأرض حيث تكون
بكتْك عيون حين ولّيت مُعْرِضاً … وقرّت وقد وافيتهنّ عيون
ودانت لعلياك الرقاب تديُّناً … به يا وحيداً فى الزمان تدين
تولّت أعاديك الهموم فأصبحوا … وجُلّ مُناهم فى الحياة مَنون
وحاروا وجازوا من سطاك وكلّهم … بما كسبوا بالميل عاد رهين
لقد دان عالٍ فى الظنون مهابةً … أتى الفتح لمّا أن دنَوْتَ ودون
أيا ملكاً قد مكّن الله ملكه … وأضحى به الحقُّ المبين مبين
ليَهْنِ الورى أن عُدْتَ للملك سالماً … يجمّله منك العلا ويزين

القاضى شمس الدين بن سوادة يقول < من المتقارب > :

أيا ملكاً جاء بالمعجزات … وأيّد عنه اضطراب الأمور
عزمْتَ على المُلْك عزمَ الملوك … وقمتَ برأيٍ سعيدٍ كبير
وجيتَ بعيدين فى شهرنا … فعيد القدوم وعيد الفطور
ونَوّلَك الله ما رمته … وسهّل بالنصر صعب العسير
وأقبلَ نحوك جيش البلاد … أُلوفاً أُلوفاً بجمٍّ غفير

ولو أمكن السعىُ كلّ القلاع … لجاءت إليك وكلُّ الثغور
وقلعةُ مصر فقد عمَّها … جزيل التهانى وفرْط الحبور
فلا زِلْتَ تملك رِقّ الملوك … وتَعْفُو عن الذنب للمستجير ٣
وبغــداد لا تنسها إنّهــا … مخبّأةٌ لكم فى الخدور

شهاب الدين أحمد الشرمساحىّ يقول < من البسيط > :

ولّى المظفّر لمّا فاته الظفر … وناصر الحقّ وافى وهْو منتصر ٦
وقد طوَى الله ما بين الورى فِتَناً … كادت على عصبة الإسلام تنتشر
لله عقبَى الناس قد رجعَت … إلى الصلاح الذى قد كان ينتظر
فنالهم من بعد خوفهم أمن … تشاركَت فيه أهل البدو والحضر ٩
فلتطمأنّ قلوبٌ أمنُها رهب … ولتَغمضنّ عيونٌ نومُها سهر
الله أذهبَ عنّا الحزنَ فانفرجَت … عن القلوب كروبٌ صفوها كدر
إنّ الزمان الذى عمَّت إساءتُه … على البريّة أمسى وهو معتذرُ ١٢
فقل لبيبرس إنّ الدهر ألبسه … أثواب عاريةٍ فى طولها قِصَر
وقد أتى يستردّ الآن ما غلطت … به عليه ليالٍ دأبُها الغرَر
لمّا تولّى تولّى الخيرُ عن أُمَمٍ … لم يَحمدوا أمرهم فيها ولا شكروا ١٥
فما مشى للورى حالٌ بدولته … ولا استقاموا على الحسنى كما أُمِروا
وكيف تمشى به الأحوال فى زَمَنٍ … لا النيل أوفى ولا وافى به مطر
وكلّ خضراء أمست وهى يابسة … والرزق تَيسيره للمرتجى عسِر ١٨
هيهاتَ قد دهمَتْه كلّ نايبةٍ … لقدر كلّ عظيمٍ عندها صِغَر

---

(٨) المصراع الأول مضطرب الوزن

والناصر بن قلاوونٍ مواكبه   ما زال يصحبُها التأييد والظفر
يا أيّها الناصر الميمون طايره   نُصِرْتَ بالرُعب والأعداء قد قُهروا
فالله يُبقيك فى خيرٍ وعافية   فالمسلمون إلى بُقْياك تفتقِر

محمد بن موسى الداعى يقول < من الطويل > :

تهنأت الدنيا بمقْدَمه الذى   أضاءت له الآفاق شرقاً ومغربا
وأمّا سرير الملك فاهتزّ رفعةً   لِيبلُغ فى التشريف قصداً ومطلبا
وتاق إلى أن يعلُوَ الملك فوقه   كما قد حوى من قبله الأخ والأبا

وقوله < من الكامل > :

الملْك عاد إلى حماه كما بدا   ومحمد بالنصرّ سرّ محمدا
وإيابُه كالسيف آبَ لغمده   ومعادُه كالورد عاوده الندى
الحقّ مرتجعٌ إلى أربابه   من كفّ غاصبه وإن طال المدى
يا وارث الملك المعظّم تَهْنُهُ   واعلَمْ بأنّك لم تسُد فيه سدى
من صِنْوِ أسلافٍ ورثت سريره   فوجدت منصبه السمىّ ممهّدا
يا ناصرًا من خير منصورٍ أتى   كمهنّدٍ خلف الهُداة مهنّدا
آنستَ ملكاً كان قبلك مُوحشاً   وجمعْتَ شملاً كان منه تبدّدا
فتهنّ عيداً لم يجد مثلاً له   فى الدهر خلقٌ صام قبل وعيّدا
فالناس أجمع قد رضوك مليكهم   وتضرّعوا أن لا تزال مخلّدا
وتباركوا بسناءِ غرّتك التى   وجدوا على أنوار بهجتها هدى

---

(٩) مراعاة للوزن أسقطنا الكلمة « قد » الموجودة بالأصل عقب « الملك » و « بالنصر »
(١٣) ورثت : ورث

الله أعطاك الذى لم يعطِـــه ملكاً سواك برغم آناف العِدى
لا زِلتَ منصور اللواء مؤيّد الـ عزمات ما هتف الحمام وغرّدا

محمد المنبجىّ فى المعنى يقول < من البسيط > :

قضت ظُباك على أعدايك الظفر والحكم فى الملك للهنديّة البتْرِ
فطُل بهمّتك العليـــاءِ مفتخراً فباعُ همّـــةِ منْ عاداك ذو قِصَرَ
فأنت مَن ذكره بالبأس شاعَ وبالـ إقدام فى الناس يوم النفع والضَّرَرِ
وذكر ســـيرته الحسناء مشتهرٌ فقد غدَتْ غرّةً فى أوجُهِ الدهر
ما أرّخوا قبلها مثلاً لهـــا أبداً أهلُ التواريخ من بدوٍ ومن حضر
نشأتَ فى حجر هذا الملك مرتضعاً لِثديه غيرَ مفطومٍ من الصِّغَرَ
وحين آل إليك الأمر وامتثلَت منه المراسم فى وِردٍ وفى صَدَرَ
أعرضتَ عنه لأسبابٍ علمتَ بها وخُبْرُ شهرتها يُغْنِى عن الخَبَرَ
وعُدتَ ثانيـــةً يقظانَ محترساً وبِتَّ من كبدٍ تخشَى على صَدَرَ
وهذه العودة الغرّاء ثالثـــةٌ تقضى لك الحقَّ فى أيّامك الأخر
فارقْتَ ملكك مختاراً لمعرفةٍ بنيّـــة العود تسليما إلى القَدَرَ
وبعد ما سِرتَ عن مصرٍ وساكنها وغِبت عنها وعنهم غيبة القَمَرَ
لاموك فى كلّ ما دبّرتَ من حِيَلٍ بليغةٍ نسبوها منك للضَّجَرَ
إن غِبْتَ عن وطنٍ كادت تغيّره للبُعد عنه وحشاه من الغِيَرَ
فالشمس أحسن ما تجلى إذا بزغت من بعد غيبتها ليلاً عن النظر
يفديك مَن نال ما قد نال مختلساً ما ليس أهلاً له بالكيد والحقر

(٢) الواء : اللوى (٤) الظفر : الظفرى ‖ البتر : البترى (١١) عنه : عليه
(١٣) الأخر : الاخرى (١٧) وحشاه : كذا فى الأصل ‖ الغير : الغيرى

وقدّم الجيش للّقيا فأخّرَه   عن نيل ما يتمنّى شدّةُ الخَوَر
وأدبر السعد والإقبال عنه وقد   ولّى بذُلٍّ وخذلانٍ على الدُّبُر
٣ ضاقت بما رحبت أرضٌ عليه فقل   فى هارب الخوف: لا ينفكّ منحصر
بالناصر الملِك العالى الركاب فتى الـ   منصور خير ملوك الترك والخزر
سُدّت عن الناس طرْق الظلم واتضحت   سماء رزقٍ ببذلٍ منـــه منهمِر
٦ فالناس من وجهه أضحوا ونايله   فى روضةٍ زُيِّنَت حسناً وفى نهَر
ألقى الإله عليـــه من محبّته   فاشتاقه كلّ ذى سمعٍ وذى بصر
وأسكن الحبّ فى كلّ القلوب له   بين البريّة من أُنْثَى ومن ذكَر
٩ أبا المظفّر لا زالت جيوشك بالتـ   أييد محفــوفةٌ بالنصر والظفَر
بقيتَ ناصرَ هذا الدين ما سجعت   بالدَوْح ورقاء فى الآصال والبُكَر
ودام ملكُك ما هبّت رياح صبا   وفُتّحت فى رياضٍ أعين الزهَر

١٢ ناصر الدين بن النقيب فى المعنى يقول < من الخفيف > :

عاد للملك صاحب الملك عادا   ثمّ أبدى النعما لنا وأعادا
مرحباً مرحباً بأوفى ملوك الـ   أرض قــدراً فى ملكه وسدادا
١٥ أىُّ بُشرى بعودة الملك النا   صر سرّت فى الخافقين العبادا
عودةٌ جدّدت هنـــاء وأفرا   حاً وردّت أيّامنا أعيادا
عيد فطرٍ وعيد فتحٍ وعيدٌ   بقدوم الذى على الخلق سادا
١٨ ملكٌ شرّف الممالك والعصـ   ـر وأوفى على الملوك وزادا

---

(١) الخور : الخورى (٣) منحصر : منحصرى (٥) منهمر : منهمرى
(٧) ألقى : اللقا ‖ بصر : بصرى (١٠ – ١١) :بيتان بالهامش (١٥) العبادا : للعبادا (١٦) المصراع الثانى مضطرب الوزن

من أبوه قلاون الملك الـ أعظم كانت له المعالى بلادا
أسكن الخوف فى قلوب أعاديـ ـه فولّت تطوى الرُّبى والوِهادا
قرَنَ الرعبَ فى محمدٍ بالنصـ ـر ولم يُشرع القنا الميادا
وأذلّت له المهابة أعدا ه فأعطــوه صاغرين القيادا
كم دعَوْنا حتى رجعْتَ إلينا وصبرنا حتى بلغنا المرادا
هم أرادوا إطفاءَ نورك واللّــــه تعالى إظهارَه قد أرادا
زادك الله يا محمد فى الملـ ـك اقتداراً وفى الحياة امتدادا
آمين آمين آمين ، يا ربّ العالمين ، تمّت

وفيها استقرّت النيابة بمصر للأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار . وأنعم على الأمير سيف الدين سلاّر بالإقامة بالشوبك حسب سؤاله ، وخرج فى شهر شوّال . واستقرّ فى الوزارة الصاحب فخر الدين بن الخليلىّ الدارىّ ، والحاجب الأمير شمس الدين الكمالىّ ، وأمير النقبا الأمير علاء الدين طيبرس بحاله . وأنعم على الأمير شمس الدين قراسنقر بنيابة دمشق ، والأمير جمال الدين الأفرم بنيابة طرابلس ــ كان الأمير جمال الدين الأفرم قد توجّه أوّلاً إلى صرخد والحاجّ بهادر < إلى > طرابلس ، فلمّا توفّى الحاجّ بهادر عاد الأفرم إليها ــ والأمير سيف الدين قبجق بنيابة حلب ، والأمير سيف الدين أسندمر حماة ، والأمير سيف الدين قطلوبك صفد ، وقطلقتمر غزّة

وفيها تجهّز الأمير شمس الدين قراسنقر للتوجّه إلى دمشق ، وتقرّر معه الحال مسلك بيبرس من الطريق حسبما نذكر ذلك بالمشاهدة دون السماع

---

(٣) البيت مضطرب الوزن (٨) يا رب . . . . تمت : بالهامش (٩) استقرت : استقر (١٤ - ١٦) كان ... إليها : بالهامش (١٧ - ١٨) قطلوبك ... غزة : بالهامش

وفيها مسك مولانا السلطان أعداه، عدّة ثلاثين أميراً من كباش البرجيّة، ليس فيهم مـن كان عاد يحسب حساب المنيّة ، وأنجز الله تعالى على يد مولانا السلطان ما كان لهم من الوعيد ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ وكانت السُجون خلا ، فعادت ملا ﴿ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ ومن أعظم ما يؤرّخ ويسطّر ، ويُذكَر ويُشهَر ، ويُثبت فى السير ، شجاعة مولانا السلطان التى فاقت مَن تقدّم وأربت على من تأخّر . وذلك أنّه نصره الله وقد فعل ، لعظم قوّة شـجاعة براعة هذا السلطان البَطَل ، قبض على هؤلاء القوم ، فى ذلك اليوم ، وركب من غده باكر ، كالليث الكاسر ، والنَّمِر الجاسر ، ليس عنده اكتراث ، وقد جعل أموال تلك الأمرا للوُرّاث : وهذه نكتة يفوق بها مولانا السلطان على ساير ملوك الدنيا ، الأموات منهم والأحيا ، فيما حوَى العامر ، دون الغامر ، من الأرض ، فى طولها والعرض ، منذ كانت الدنيا ، وإلى يوم العرض

وفيها قُتل الأمير جمال الدين آقوش الرومىّ على منزلة السويس : وذلك أنّ بيبرس قبل نزوله عن الملك ، لمّا عادوا الناس يقصدون الركاب الشريف السلطانىّ الناصرىّ من كلّ قُطر وفى كلّ طريق ، جرّد جماعةً لحفظ الطرقات ، ومنع مَن يريد التوجّه إلى الركاب الشريف ، وجرّد آقوش الرومىّ لحفظ هذه الطريق . وكان فى مماليكه كبيرهم يُسمّى سليمان تركمانىّ ، فحسّن لرفقته قتل أستاذهم وأخْذ رأسه والتوجّه به إلى مولانا السلطان عزّ نصره . أرادوا بذلك اليد عنده ، ولم يعلموا أنّه نصره الله لا يرى بالخروج عن طريقة العدل ، ولا عن سُنّة الفضل . فلمّا عاد

---

(٣) السورة ٤١ الآية ٤٦ (٤) السورة ٥٠ الآية ٣٠

ركابه الشريف إلى ديار مصر المحروسة رسم أن يوسّطوا على حكم العدل وأخذ القِصاص ، ولم يكن لهم من الموت خلاص

ذكر القبض على بيبرس من الطريق وعودته إلى الأبواب العالية

قد ذكرنا أنّ مولانا السلطان سيّر إلى بيبرس الأميرين بيبرس الدوادار وبهادر آص ، وأن يأخذاه ويتوجّها به إلى قلعة صهيون : وكان مولانا السلطان قد رقّ له ورجع إلى لينه الشريف الطاهر . فلمّا وصلا إليه وهو بالصعيد وبلّغاه ذلك ، وجدوه مصمّماً على غير ما أرادوه منه ووجدوا مماليكه الغالبين على أمره . وقد حسّنوا له أن يضرب إلى عيذاب ويعدّى من هناك إلى الحجاز ويدخل اليمن . وجاء المرسوم بصهيون ، فعاد متفرّق الآرا مقسّم الفكر . فلمّا رأوْه مماليكه على ذلك أجمعوا رأيهم أن يقتلوه وينهبوا الخزاين التى معه ، ويقصد كلّ أحدٍ هواه . واطّلع بيبرس الدوادار على ما عزموا عليه . فاختشى العاقبة فخلا به ، وقال : قد بلغنى كيت وكيت ، وأنت ما يقتلك سوى هذا المال الذى معك . ونُقْتَل نحن أيضاً بك . والمصلحة تقتضى أن تُعطينى هذا المال ، أتوجّه به فى هذه الحرّاقة فى البحر ، وأعيده إلى السلطان لنزيده رضًى عليك ، وينقطع طمع هؤلاء الصبيان الجهلة — . ولم يزل به حتى أنعم ، فأخذ الأمير ركن الدين الدوادار المال ، ونزل فى الحراقة سِرّاً فى الليل . فلم يُصبح له أثر ، وأُحضر به إلى الأبواب العالية . فلمّا علموا المماليك أنّ المال فرط فيه الفرط ، انقطع

---

(٨) مصمماً : مصمم

شوقهم إلى ما كانوا قد عزموا عليه . ثمّ إنّ الأمير ركن الدين الدوادار لمّا اجتمع بمولانا السلطان قال له : هذا رجل قد دخل فى رأسه دخان المشعل وما يجى منه خير . — فتغيّرت عليه الخواطر الشريفة بخلاف ما كانت نيّته له . ثمّ إن بهادر آص لم يزل يثنيه عن كلّ مقصدٍ حتى أجاب إلى التوجّه إلى صهيون . هذا ما كان من بيبرس

وأمّا مولانا السلطان — خلّد الله ملكه ،وجعل الأرض بِأسرها مِلكه — فإنّه طلب الوالد ورسم له أن يتوجّه فى خدمة الأمير شمس الدين قراسنقر وأن يجعل من العربان عيونًا وأرصادًا على بيبرس فى الطريق البدريّة ، ويكونوا يردّوا على الأمير شمس الدين قراسنقر خبرَه ،منزلةً بمنزلةٍ وماء بماءٍ . فامتثل الوالد المراسم الشريفة ، وتوجّهْنا صحبة قراسنقر فى الدرب الشأمىّ . وأخبار بيبرس ترِد علينا من عرب العايد منزلةً بمنزلةٍ ، حتى إذا كنّا بمنزلة رفح انقطع عنّا خبره . فخشى قراسنقر وخاف وطلب الوالد وقال له : يا جمال الدين ، والله ما أعرف تحصيلَه إلاّ منك ، فإنّ نحن خرجْنا متّكلين على عربك،وهذا أمس واليوم ما جانا خبر . وقد رسم لى مولانا السلطان أنّى لا أطلب أخباره إلاّ منك . — فقال الوالد : يا خوَند، نحن سبقنا ولا تخشى ! فهو ما يفوتنا بمعونة الله وسعادة مولانا السلطان ، لكن ندخل من هاهنا البرّيّة ونفترق ثلاث فِرَقٍ ، وأىّ فرقةٍ وقعت عليه حصّلَتْه . — فقال : أفعل ذلك . — فافترقوا عليه ثلاث فرقٍ : الواحدة مع أنغاى قبجق والأخرى مع أركتمر والثالثة مع قراسنقر . وسيّر الوالد مع كلّ فرقةٍ عربًا أدلاّء من العايد . ودخلنا البرّيّة صلاة الصبح

---

(٨) عيوناً وأرصاداً : عيون وارصاد (٢٠) عرباً : عرب

فلمّا كان بعد العصر رأينا — ونحن فى فرقة قراسنقر — نجّاباً على راحلةٍ عن بُعدٍ . فساقوا وأحضروه إلى قراسنقر . فلمّا رأيناه عرفناه ، وإذا هو نجّاب بيبرس اسمه يوسف بن جنيد . فقال الوالد للأمير شمس الدين : هذا نجّابه ، يا خَوَند . — فقال له قراسنقر : أين خلّيتَه ، وا لك ؟ — قال : يا خوند ، قد حصل سعادة السلطان ،وترى قد أخذه أنغاى ونهب جميع ما معه . وأنا ركبتُ هذه الجادّة هارباً ، وتراه خلف هاتيك الرابية . فسُقنا إلى هناك فلم نصل إلاّ أذان المغرب ، فنجد أنغاى قد مسكه وأخذ جميع ما معه حتى سيفَه وحياصته وبها ميبَرُه ، ولم يترك عليه غير قرضية سودا بوجه عنابى مشايخى ، وهو جالس على تلٍّ وأنغاى يتعرّض فى خزانته . فلمّا عاين قراسنقر نهض وعاد يجرى إليه . فترجّل له قراسنقر واعتنقه ، وعاد بيبرس يبكى وقراســنقر يتباكى . ثمّ إنّ قراسنقر نَهَرَ أنغاى ، وأعاد على بيبرس سيفه وحياصته وقماشه . وأعرض خزانته فوجد فيها ستّة آلاف دينار وأربعة صناديق بغاليّة دراهم،وأربع عشرة حياصة ذهب،وعشرين كلوتة زركش وقماش وبغالطيق وغير ذلك ، فأعرضه وكبته وأعاده إلى أماكنه على هُجُنه، وركبنا فى الليل

وقال : يا جمال الدين ، نُريد نطلع منهونى إلى الزعقة ، وتسيّر بلويّاً مع هؤلاء المماليك إلى الوطاق يرحّلوهم إلى غزّة،ويقيموا بها إلى حين رجوعنا إليهم . فقد عزمتُ على الدخول معه إلى مصر وأسأل فيه مراحم السلطان وأصحبه معى إلى صهيون . — ثمّ عملنا الليل كلّه نسير على النجوم،فأصبحنا

---

(١) رأينا : رينا ‖ نجاباً : نجاب (٦) هارباً : هارب ‖ هاتيك : هاديك (٧) إلا : إلى (١٠) نهض : نهظ (١٦) هوفى : ربما المقصود « هنا » ‖ بلويا : بلوى (١٧) هؤلاء : هذا

الزعقة : ومن هناك كتب قراسنقر مطالعةً لمولانا السلطان بمسك بيبرس وسيّرها صحبـــة ولده أمير علىٍّ ومملوكه بيخان والأمير سيف الدين أركتمر الجمدار

وقال للمملوك الوالدُ : توجّهْ صحبتهم على البريد ، وابتذِل بخدمتهم فى المنازل إلى بلبيس . فإذا بطّقتُ لك بطاقةً من الصالحيّة جهّز الإقامات للأمير شمس الدين قراسنقر ، وتسيّر إلينا الإقامات فى المنازل أوّلاً بأوّلٍ . — ففارقتُهم من منزلة الزعقة ، وصحبتُ الأمرا المذكورين إلى بلبيس . فلمّا كان سادس يوم وقعت البطاقة بتجهيز الإقامة ببلبيس ، فجهّزتُ شيئاً كثيراً !

فلمّا كان نهار الخميس عشيّة ذلك اليوم أذان العصر ، وصل أمير علىّ ابن قراسنقر وبيخان والأمير سيف الدين أركتمر على البريد من الأبواب العالية عايدين إلى قراسنقر . فنزلوا عند العبد ببلبيس ، فأحضرتُ لهم ما راج . فقال أمير علىّ بن قرا سنقر : هذا شى كثير . كيف كان مهيّئاً لنا ؟ — فقلتُ : هذا ممّا عملناه لأجل ملك الأمرا وحضوره ، وطلبنى إلى عنده . — وقال : ملك الأمرا ما بيجى إلى هاهنا وهو بيرجع من مكانٍ نلتقيه . فأين معك خبره هذه الليلة يكون ؟ — . قلتُ : فى منزلة الخطّارة . وكان الاتّفاق أنّهم يبيتوا هذه الليلة ببلبيس . — فقال : هذا حال انفصَل حكمه . — ثمّ ركبوا البريد وتوجّهوا

فلمّا كان قبل المغرب وصل الأمير شمس الدين سنقر صهر الأمير سيف الدين أسندمر على البريد . فأخبر المملوك أنّ الأمير سيف الدين أسندمر واصلٌ

---

(٧) أولا : أول ‖ المذكورين : المذكورون (٩) شيئاً كثيراً : شى كثير
(١٠) الخميس : الأحد ، مصحح بالهامش (١٣) مهيئاً : مهيى (١٧) ببلبيس : بلبيس

مع عِدّةٍ من الأمرا والمماليك السلطانيّة ، رُسم لهم من الموكب بقبّة النصر . فخرجوا بغير أهْبة ولا مأكول ولا مشروب إلاّ على الفور من الموكب . ورُسم له أن يتسلّم بيبرس من الأمير شمس الدين قراسنقر ، ويعودَ قراسنقر إلى الشأم . وأنعم عليه مولانا السلطان بجميع ما كان مع بيبرس من الأموال . ووصل سنقر المذكور سابقاً لهم . ثمّ إنّه طلب من المملوك قبا فروٍ يلبسه عاريةً لكونه عرق من السَّوْق ، والوقت كان فى أوّل فصل الخريف . فأعطيتُه ما طلب . وقال لى : اخرج التى الأمير سيف الدين أسندمر ، فإنّهم متعشّين فى هذا الظلام . يقول بهذا اللفظ ، لفظ الشأميّين . فركبتُ وأخذت المشاعل وأوقفتهم على قبّة سبت ظاهر بلبيس بالجسر وسُقتُ وجدتُ أوايل الخيل <فى> غيثا ، وهم فى تلك الظلمات لا يدرون أين يتوجّهون ، وكان أواخر الشهر . فاجتمعتُ بأسندمر وأخذتُهم من ظاهر بلبيس بجهة الحوف على الجسر ، وأنزلتُهم فى قسوريّة ظاهر بلبيس . وأحضرتُ لهم جميع ما كنت قد صنعته لقراسنقر ورفقته ، وكان شيئاً كثيراً ، عشرين خروفاً ما بين شِوا وشرايح وجدابة ولبن وخمسين طاير دجاج ، عشرين منوّعة محشوّة وثلاثين فى شوربا . وكان أسندمر أوّل ما لقيتُه قال للمملوك : إليك وإلاّ للذيب . — فقلتُ : لعن الله أبا الذيب ، يا خَوَند ، ارسم وبس ! — بهذا اللفظ . فقال : الجوع ، نحن وخيلنا ، ولا مُكّنّا من الإمهال أن نستصحب معنا شيئاً — . فقلتُ : زال الشرّ بسعادة السلطان وسعادة الأمير . — فلمّا رأى ما قدّمناه أعجبه إعجاباً كثيراً جدّاً ، إذ كان ظنّه بخلاف ذلك . ثمّ أحضرت ثلاثين أربعين مِخلاة وعلّقتُ فيهم

---

(١٣) شيئاً كثيراً : شىء كثير (١٤) وجدابة : كذا فى الأصل (١٦) أبا : ابو
(١٨) شيئاً : شى

على خيله خاصّة نفسه . وعُدنا نجمع كلّ خمس أروس جميع على عباه وعلى جل حتى كفينا الجميع . وأكل ذلك العسكر بكماله حتى عادوا الغلمان يتراجموا باللحم ويقولوا : هذه الراية على هذا الأمير بالوفا ، — وأسندمر يستمع ويعجبه . فلمّا فرغوا قال لى : أيش اسمك ؟ — قلتُ : مملوك الأمير ، أبو بكر . — فقال : يا سيف الدين ، هذا كان مجهزّاً لنا وعلمتَ بمجينا قبل حضورنا ؟ — قلتُ : لا والله ، يا خوند ، ما علمتُ بحضور الأمير إلاّ من الأمير شمس الدين صهر الأمير . — قال : فكيف صنعتَ فى أسرع وقتٍ ؟ — فقلتُ : يا خوند ، مولانا السلطان سعيد الأمور ، ناجح الحركات ، موفّق المراسم ، وحيث أمر وجدوا الناس لأمره أحسن أثر . — فأعجبه أيضاً هذا الكلام . ثمّ رسم لمملوكٍ كان معه شابٍّ حسنٍ اسمه قبليه ، فأحضر لى كاملية جوخ مرشوش بفَرْوٍ سنجاب طرىّ منامية ، فألبسنى . فلمّا تقدّمتُ أُقبّل يده ، قال : أشتهى ، يا خيّى ، تعيرنى فروتك هذه الليلة لأغيّر ، فما معى شى ألبسه . — فرأيتُ لكلامه لطفاً كبيراً : فقلعتُها ، ولبسها فى ساعته وقال : أين أخذتَ خبر الأمير شمس الدين ؟ — قلتُ : بايت على الخطّارة . — قال : فأىّ وقتٍ نصله ؟ — قلتُ : متى يرسم الأمير يكون وصولك إليهم . — قال : طلعة الشمس . — قلت : يستكنّ الأمير وينام فى حفظ الله ! والمملوك تحت رجليك إلى حين ما يتنحنح المملوك . — فغفا إلى أوّل الثلث الآخر ، تنحنحتُ ، فقام . وركبتُ فى خدمته وصرتُ أُحدّثه وهو يستطرف كلامى ويعجبه حتى طلع الفجر بمنزلة

(١ – ٢) على عباه وعلى جل : كذا فى الأصل (٣) هذه : هذا (٥) مجهزاً : مجهز (١٣) لطفاً كبيراً : لطف كبير

السعيديّة . فنزلنا وصلّينا الصبح ، وركبنا فأشرفنا على الخطّارة أوّل الثانية

فلمّا رآنا قراسنقر ركب فى عشرة مماليك ووالدى معه ، والتقى أسندمر ، وساقا لبعضهم البعض ، وتكارشا ونزلا جميعاً ولم يكن معهما ثالث ، وتحدّثا ساعةً زمانيّةً . هذا وأنا أنظر إلى ما يفعل بيبرس . فلمّا رأى أسندمر أيقن بالموت . فأخذ شربة نحاس ودخل الخربشت ، وخرج توضّأ ، وفرش منشفة ووقف يصلّى ، فصلّى ركعتين خفيفتين وجلس فى صيوانه وفى يده مسبحة . ثمّ إنّ الأميرين مشيا نحوه ، فخرج إليهما وعانقه أسندمر وجلسوا جميعاً . ثم أحضروا كريم الدين الكبير وطومان وتكا ، وقال قراسنقر لوالدى : يا جمال الدين ، قَيِّدْ هؤلاء وسَيِّرْهم على البريد . — فذاك الوقت وقعت الصرخة من مماليك بيبرس ، وقطع طومان شعره وكذلك تكا ، ورموهما على بيبرس وعاد بكا وعويل ونواح من تلك المماليك بالتركىّ . ثمّ أخذْنا هؤلاء الثلاثة ، وجا الحدّاد وقيّدْناهم تحت الحوض الذى بناه فيها القشّاش . وسفروا على البريد المنصور فى الترسيم .

ثمّ إنّ قراسنقر ركب وتوجّه إلى نحو الشأم ، وركب أسندمر واستصحب بيبرس وتوجّه إلى ناحية القاهرة . وأخذوا فى ذلك الوقت سيفه وحياصته ومهاميزه ، وركّبوه فرس بريد . وكان لم يزل فى دسته ومركوبه مع قراسنقر حتى تسلّمه أسندمر . ورجعنا ولم نزل سايرين إلى العصر أشرفْنا على بلبيس . وأخذْنا من ظاهرها القبلىّ بطريق الرمل ، وبيبرس راكب فى وسط الحلقة إلى جانبه سنقر صهر أسندمر ، وأسندمر قدّامهما ،

---

(٩) جميعاً : جميع (٢٠) وسط : وصط

يتحدّث مع الوالد ويشكر من المملوك ، وأعاد إلىّ الكامليّة . فبينما نحن كذلك وإذا بسنقر صهر أسندمر يصيح للمملوك . فرجعتُ إليه فقال لى : بيطلبك كلّمه ، يعنى عن بيبرس . — فشاورتُ أسندمر فقال : روح ، ابصر أيش يريد ؟ — فسُقتُ إلى نحوه وقصدت أنّى أترجّل ، فمنعنى وقال لى : أين بتنزلوا بنا ؟ — قلت : حيث ترسم . — قال : اشتهى تنزل بنا فى مكانٍ تكون فيه موية تجرى ، — يقول للمملوك بهذا اللفظ بعينه . فقلتُ : مرسومك . — ثمّ سقت إلى أسندمر فقال لى : يا ناصر الدين ، أيش قال لك ؟ — وكأنّه نسى اسمى ، فقلتُ : يا خوَند ، قال يريد ننزل فى مكانٍ تكون فيه موية تجرى . — فقال لى : ما أسقع ذقنه ! — فقلتُ : يا خوند ، بدستور الأمير ننزل فى غيثا فى بستان بهادر المعزّىّ وما يضرّ من هذا شى . — فقال : نعم . — ثمّ نزلنا بهم فى ذلك البستان ، وسبقتُ أنا بثوب سرجٍ مبطّنٍ أفرشه على حافّة المجرى . فمسك بيبرس طرف ثوب السرج وأنا طرفه الآخر وبسطناه على المجرى ، وجلس وعاد يأخذ بكفوفه من الماء ويترشّفه ويتنشّقه ويردّه ، فعل كذلك مراراً عدّةً . ثمّ حضر أسندمر وجلس إلى جانبه وأحضرنا لهم ما يأكلوه بعد صلاة المغرب . فأكل أسندمر وعاد يعزم عليه . فأخذ ورك دجاجةٍ محشيّة ، وعاد يمضغ فيها وهى لا تنزل . ثمّ طلبوا الخيل وركبوا ، وودّعناهم من غيثا ورجعنا إلى بلبيس . وتوجّهوا به إلى الأبواب العالية ، وكان آخر العهد به ، والله أعلم

ولمّا رجعنا إلى بلبيس عاد الوالد وهو يبكى ويسبّ الدنيا وغرّرها بالإنسان ، والشيطان ، كيف يلعب بعقل ابن آدم . ثمّ قال للمملوك : والله ،

---

(١٢) المجرى : المجراه (١٣) ثوب : الثوب ‖ المجرى : المجراه (١٤) مراراً : مرار

يا أبا بكر، ما رأيت يوماً كان مثل يوم فارقتَنا أنت من الزعقة وتوجهتَ على البريد، وأخذْنا نحن بيبرس وسرنا به راجعين متوجّهين إلى العريش: فتقدّم نجّابٌ لقراسنقر اسمه خنافر وضرب رباباً قدّام بيبرس وقراسنقر، وقال عليه غِناءٍ مليحاً قبيسى فى صورة الحال يُبكى الحجارة، فبكى كلّ مَن كان فى العسكر. — ثمّ طلب الوالد لنقيب العربان يسمّى شرف ابن طراد وقال: قل لبو بكر الشعر الذى قاله لنا خنافر ذلك اليوم، فأنت تحفظه: — فقال شرف: قال خنافر < من الطويل >:

فراق الأخِلاّ كالزجاج إذا انشظى عسى فيكمو لى من يداوى كسورها
عسى فيكمو أو منكمو لى مساعد فقد بلغت الأرواح منّا نحورها
وسود الليالى ما وفت بعهودها ألا بشِّروا الأعدا بباقى سرورها
وكم ملَكَ الدنيا ملوكٌ كواسرٌ غدَوا وتولّى غيرُها فى قصورها
ولا بدّ ما يغتالُنا غامق الثَرَى وتُطبِق ذا الدنيا علينا قبورها

وكان شرف بن طراد أيضاً يغنّى القبيسىّ جيداً، فلا زال يغنّيه لنا: ونحن نبكى إلى بلبيس، وهذا آخر ما تحقّقته من أمر بيبرس، والله أعلم

وفيها توفّى الأمير عزّ الدين أيبك الخزندار رحمه الله، والأمير شمس الدين سنقر الأعسر رحمه الله قبل حلول الركاب الشريف إلى الديار المصريّة مؤيداً بالنصر

وفيها توفّى القاضى بهاء الدين بن الحلّىّ ناظر الجيوش، وولى مكانَه القاضى فخر الدين، وكان من قبل صاحب الديوان وكاتب الممالك السلطانيّة فاستقرّ كذلك إلى حين وفاته فى تأريخ ما يأتى ذكره إنشا الله تعالى

---

(١) أبا بكر: ابو بكر ‖ يوماً: يوم (٣) رباباً: رباب (٤) غناء مليحاً: غنـا مليح (٨) لى: الى (٩) لى: الى ‖ المصراع الثانى مضطرب الوزن (١٨ — ٢٠) وفيها توفى ... إنشا الله تعالى: بالهامش

وفيها وقع < نزاع > بين أهل حوران وقُتل منهم نحو من ألفى نفر

وفيها وردت الأخبار أنّ خدابنداه ملك التتار أظهر الرفض وسبّ الصحابة رضوان الله عليهم ، وأمر الخطبا بجميع ممالكه إسقاط اسم الخلفا الراشدين من الخطبة

وفيها هلك التاج بن سعيد الدولة قبل حلول الركاب الشريف حتى قيل : إنّه سقى نفسه سمّاً

وفيها توفّى الشيخ تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطا المحدّث ، قدّس الله روحه ، وكانت له جنازة عظيمة ما شُهد مثلها

ذكر سنة عشر وسبع ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم

ما يخصّ من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر أعزّ الله أنصاره ، وضاعف اقتداره ، سلطان الإسلام ، وملك الأنام ، وقد عادت أيّامه التى هى للذاذة كالأحلام ، وتشرّفت بها الأيّام ، وساير الجمع والشهور والأعوام

والنوّاب بمصر والشام ، حسبما سُقناه فى ذلك العام ، وهم : الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار نايباً بالديار المصريّة ، والوزير الصاحب فخر الدين بن الخليلىّ ، والحاجب الأمير شمس الدين الكمالىّ ، والأمير بدر

---

(٦) سما : سم (١٢) أبو : ابى

الدين محمد بن الوزيرىّ ، ثمّ استقرّ لمّا جُرِّد الكمالىّ ،وأمير النقبا علاء الدين طيبرس الخزندارىّ ، والنايب بدمشق الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورىّ ، وبحلب الأمير سيف الدين أسندمر ، وحمص الأمير سيف الدين أغرلوا العادلىّ ، وحماة بها الأمير سيف الدين قبجق إلى حين وفاته فى هذه السنة ، وطرابلس الأمير جمال الدين الأفرم ، وصفد الأمير سيف الدين قطلبك ، وغزّة الأمير سيف الدين قطلقتمر

والملوك : مكّة — شرّفها الله تعالى — مع الأميرين حميضة ورميثة وقد عادا إليها ، والمدينة — على ساكنها أفضل الصلاة والسلام — مع منصور بن جمّاز بن شيحة ، واليمن الملك المؤيّد هزبر الدين داود بحاله ، وماردين الملك المنصور نجم الدين إيلغازى بن الملك المظفّر قرا أرسلان بن السعيد الأرتقىّ بحاله . والعراقين مع خراسان إلى حدود الفراة خدابنداه بن أرغون بن أبغا بن هلاوون ، والملك < فى > ما ورا النهر جبارا بن قيدوا بن قنجى بن طلوا بن جكزخان ، وكرسىّ ملكه كاشغر ببخارا وتركستان وقبالق . وصاحب التخت ببلاد الصين قلاصاق بن شرمون بن منغلاى بن قبليه خان بن طلوا ابن جكزخان . وصاحب البلاد الشماليّة بمملكة التتار طقطاى بن منكوتمر ابن طغان بن باطوا بن جكزخان وكرسىّ ملكه صراى ، وصاحب البلاد الشرقيّة ببلاد التتار أيضاً منغطاى بن قنجى بن أردوا بن دوشى خان ابن جكزخان

والملوك بالمغرب : مرّاكش ملكها يومئذٍ أبو الربيع سليمان بن عبد الله ابن يوسف بن يعقوب . وصاحب الغرب الأقصى بتونس وإفريقيّة أبو البقا

(٤ — ٥) فى هذه السنة : بالهامش (٨) والسلام : والسلم (١٤) طلوا : قطلوا انظر ص ٤٢ (١٦) وكرسى ملكه صراى : بالهامش (١٧) أردوا : أرددوا ‖ دوشى : دوشى ، انظر ص ٤٢

خالد بن أبى زكريا يحيى بن أبى حفص ، وصاحب الأندلس بغرناطة أبو الجيوش نصر بن أحمد بن محمد بن الأحمر ، وصاحب تلمسان عثمان بن زيان

فيها وقع الطلب على الأمير سيف الدين سلاّر من الشوبك إلى الأبواب العالية السلطانيّة . ومُسك نايبه بدمشق سيف الدين بكتمر وأُخذ منه أموال جزيلة . ووصل الأمير سيف الدين أسندمر من حلب بطلب سلاّر حيث كان . ثمّ إنّه سيّر إلى الأمير شمس الدين قراسنقر يسأله أن يطلب له أماناً من مولانا السلطان ، وأن يتصدّق عليه أن يقيم بالقدس الشريف هو وأهله وإخوته وعياله . ولمّا كان أواخر شهر ربيع الآخر وصل الأمير سيف الدين سلاّر إلى الأبواب العالية ، وكان آخر العهد به ؛ فكان كما قيل :

بينما المرء على ظهرها إذا هو خبر من الأخبار

وكان فيما أتاه أيضاً كما قيل < من الطويل > :

فَأحْجَمَ لمّا لم يَجِد فيك مَطْمَعاً وأقْدَمَ لمّا لم يجد عنك مهربا

وكما قيل < من الكامل > :

أين المفرّ ولا مفرّ لهارب ولك البسيطان الثرى والماء

وفيها تولّى الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب الوزارةَ بالديار المصريّة عوضاً عن فخر الدين الخليلىّ ، وهو الخامس من المكلوتين الذين وُلّوا الوزارة بالديار المصريّة حسبما ذكرنا من قبل ذلك

وفيها كانت التجاريد إلى الشأم صحبة الأمرا : منهم — وهو المقدّم عليهم — الأمير سيف الدين كراى المنصورىّ والأمير شمس الدين سنقر الكمالىّ

---

(٧) أماناً : امان (١١) بينما . . . الأخبار : البيت مضطرب الوزن وانظر ديوان أبى الحسن التهامى ص ٢٧

وعدّة من الأمرا . ومُسك الأمير سيف الدين أسندمر من حلب باحتيال كراى عليه ، وذلك أنّه فارق حلب مسيرة ثلاثة أيّام ، وعاد إليها فى يومٍ وليلةٍ . وكان أسندمر قد أمن ، لمّا قطع العسكر عنه هذه المسافة . فلم يشعر إلاّ وقد أُحيط به وأُخذ أذلّ من كلّ شىء

وفيها تخيّل قراسنقر وخرج من دمشق على حميّة ، وتوجّه على طريق سلميّة

وفيها استعفى الوالد رحمه الله من الولاية ، ودخل مستجيراً بالآدُر الشريفة ، لِما كان فى خدمتهم عند مجيهم من الكرك المحروس إلى الديار المصريّة . فخاطبوا المقام الشريف فى أمره ، فأعفاه من الولاية ، عفا الله عنه . وخيّره بين الإقامة بمصر أو الشأم ، فاختار الشأم . وذلك بسبب ما كان بينه وبين الجوكندار من الواقع بسبب العرب أولاد نجم من بنى عبيد فى حديثٍ طويلٍ ، فخشى على نفسه منه وطلب الشأم . فأنعم عليه مولانا السلطان خلّد الله ملكه بعدّة إمرة ، ورتّبه مهمنداراً بالشأم . فتوجّهنا فى شهر رمضان المعظّم . فوصلنا إلى دمشق ووجدنا المجرّدين عليها وقراسنقر مبرزاً عنها . فلمّا تولّى كراى كاتب فى الوالد من غير أن يُعلمه ، ووردت المراسم الشريفة أن يتولّى الشادّ بالشأم مضافاً إلى المهمنداريّة . فامتنع من ذلك . فالتزم كراى بالطلاق من نساه ، إذا لم يوافق ضربه أربع ماية عصاة ، وقيّده وسيّره إلى الأبواب ، وكاتَب فيه أنّه خالف مرسوم السلطان . فباشر الوالد شادّ الدواوين عوضاً عن الأمير سيف الدين طوغان نايب البيرة كان . ولم يزل الوالد فى الشادّ حتى

---

(١٧) إذا : اذ

تولّى الأمير جمال الدين نايب الكرك ، فاستعفى فى حديثٍ طويلٍ جداً ، هذا ملخّصه . فأعفاه واستمرّ مهمنداراً حتى توفّى فى تأريخ ما يذكر ، رحمه الله وساير المسلمين أجمعين

وفى أوّل هذه السنة توفّى الحاجّ بهادر ناظر طرابلس ، وانتقل إليها الأفرم من صرخد . وفى ليلة الأربعا رابع وعشرين جمادى الأولى ، توفّى الأمير سيف الدين سلاّر ، ودُفن بتربته فى الكبش رحمه الله . وفيها توفّى الأمير سيف الدين قبجق ، ودُفن بتربته بحماة ، رحمه الله . وفيها توفّى الأمير سيف الدين برلغيّ رحمه الله ، ودُفن خارج باب النصر . وفيها توفّى الأمير جمال الدين آقوش قتّال السبع ، وتوفّى الطواشي مرشد ، رحمهما الله تعالى

ذكر سنة إحدى عشرة وسبع ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم

ما يخصّ من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر عزّ نصره ، وجعل كلّ الأمصار مصره ، سلطان الإسلام والمسلمين ، دايماً إلى يوم الدين ، آمين ، يا ربّ العالمين ، والنوّاب بمصر والشأم ، حسبما نذكر من أمرهم ملخّصاً إنشا الله تعالى ، والملوك حسبما ذكرناه فى السنة الخالية

---

(٤) ناظر طرابلس : ناطرابلس (١٣) أبو : ابى (١٥) إلى : الا

فيها مستهلّ المحرّم ورد مرسوم شريف بتولية قراسنقر حلب حسب سؤاله . وتولّى الأمير سيف الدين كراى دمشق ، فاستقرّ خمسة أشهر ومُسك ، مسكه الأمير سيف الدين أرغون الناصرىّ حسبما يأتى من ذكره

وفيها فى مستهلّ المحرّم مُسك بتخاص ، وهرب أمير موسى بن الملك الصالح ، فطُلب وأحضر وكان آخر العهد به ، وربّما كان قد لعب بعقله الشيطان ، فاطّلع على أمره مولانا السلطان ، فقبض عليه قبضَ حليم ، فإن المُلك عقيم

وفيها أفرج الله تعالى وحنّن قلب مولانا السلطان ، فأطلق جماعةً من المعتقلين ، منهم الأمير عزّ الدين أيدمر الخطيرىّ ، وساطى ، وطشتمر الجمقدار ، وصاروجا المظفّرىّ الحسامىّ

وفيها برزت المراسم الشريفة السلطانيّة بعمارة جامعٍ بساحل مصر بالشون ، وكان يعرف قديماً ببستان العالمة ، وتكمّلت عمارته ، وصُلّى فيه يوم الجمعة تاسع صفر سنة اثنتى عشرة وسبع مائة

وفى يوم الجمعة رابع عشرين شهر جمادى الأولى ، مُسك بكتمر الجوكندار النايب بالديار المصرية ومعه منكوتمر الطبّاخىّ صهر الغلمشى ، وأيدغدى اللقمانىّ ، وألكتمر الساقى ، وأيدمر الصفدىّ

وأخلع فى الوقت على الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار خلعة النيابة وأجلسه ، وبدر الدين بن الوزيرىّ حاجباً مستقلاً فى مدّة غيبة الأمير شمس الدين الكمالىّ

---

(١٠) صهر الغلمشى : كذا فى الأصل

ذكر سبب مسك بكتمر الجوكندار وكراى وبقيّة النـــوّاب

وذلك أنّ بكتمر كان قد ركب فى غير سرجه ، ولفّ عليه جماعةً كبيرةً من الناس . ولم يزل بمولانا السلطان حتى أمر جماعةً تقدير ثلاثين أميراً من البرانية ، وهم طرخان بن اليسرىّ ، وصمغار بن سنقر الأشقر ، ومحمد بن آقوش الشمسىّ ، وابن الحمصىّ ، وعلىّ بن تغريل اليغانىّ ، وجركتمر بن بهادر ، وآلبرص بن أمير جاندار ، وبلبان الأشقرىّ ، وجركتمر السلحدار ، وساطلمش الكريمىّ ، وبيبرس الكريمىّ ، وقزلجا الجاشنكير ، وألطنبا الرومىّ ، وأنغاى الجمدار ، وباجير الساقى ، وأراق السلحدار ، وطرنطاى جرمشى ، وقيران أمير علم ، وطوغان الساقى ، وبيبرس الخاصّ تركىّ ، وجاريك عبد الله ، وأيدمر الكبكىّ ، وقليج القبقىّ ، وسـنجر الخازن ، ويغمور الشقيرىّ ، والصارم الخزندارىّ ، وبلبان الدوادارىّ ، وقيصر العلابى ، وسنجر الأحمدىّ : وأيدغدى العلابى . وأكثر هؤلاء تآمروا لغرضه . ومولانا السلطان خلّد الله ملكه قد حنّكته التجارب ، وعاد يخشى سموم العقارب ، بلّغه الله فى أعاديه أقصى المآرب . ولا زال منهم مقتول ومسجون وهارب . ثمّ إنّ كراى المنصورىّ كان أخوه يموت لموته ويحيي لحياته . وكان لمّا خرج بكتمر الجوكندار من ديار مصر إلى الصبيبة ، ثم إلى صفد ، نزل كراى عن إمرته . وأراد أن يهيج على وجهه : وبكتمر كان سبب نيابته الشأم ، وكذلك كان قطلبك الكبير قد التفّ على بكتمر وكذلك قطلقتمر . وكان ربّما أنّ قطلوبك ما هو راضى بنيابة

صفد، وكثير التسخّط بها والتعتّب على الدهر، وتصل إليه من بكتمر مواعيد كاذبة، من آمالٍ خايبة. هذا كلّه يجرى ومولانا السلطان أعزّ الله نصره ينظر إلى ذلك من سترٍ رقيق، ويلاحظه بعين السداد والتوفيق. فإنّه نصره الله على أعداه، وبسط بالخيرات يداه، لم يهتك لأحدٍ من هؤلاء المغضوب عليهم حُرمة، إلاّ بذنبٍ سبق منه وجُرمة. فَمن اعتقد خلاف ذلك فإنّما اعتقاده همس، ومَن ظنّه فإنّما ظنّه عجز. ومن أكبر الأدلّة على ذلك، أنّ كلّ مَن قصده بسوءٍ عاد هالك، ولم يزل منتصراً عليه، فى كلّ موردٍ ومصدرٍ ومشرع، فإنّه باغٍ عليه، وكلّ باغٍ له مصرع. ثمّ إنّه لمّا تقرّر عنده ما أضمروه من سوء الضماير، ولاحت له من ذلك أشاير وأماير، وثب عليهم وثوب الأسد الكاسر، والذيب الجاسر. ونفّذ الأمير سيف الدين أرغون بالقبض على كراى من دمشق، ونفّذ الأمير علم الدين سنجر الجمقدار بالقبض على قطلوبك من صفد، ونفّذ الأمير سيف الدين آقول الحاجب بالقبض على قطلقتمر من غزّة، فكان قبْض بكتمر الجوكندار وقطلبك وقطلقتمر فى يومٍ واحدٍ بمقتضى المواعدة، وذلك يوم الجمعة رابع عشرين جمادى الأولى، وأمّا كراى فيوم الخميس ثالث عشرين الشهر المذكور، وذلك بحضور العبد المؤلف لهذا الكتاب، ومشاهدته بالمعاينة دون السماع

وكان الوالد فى ذلك التأريخ شادّ الدواوين بدمشق ومهمنداراً حسبما تقدّم. وكان كراى قد عمل لمولانا السلطان دهليزاً حسناً، والوالد المشدّ على عمله. فلمّا كان يوم الأربعا الثانى والعشرين من جمادى الأولى بعد

(١ – ٢) وتصل . . . خايبة : بالهامش (٦) همس : همسا || عجز : عجزا

(٨) فإنه باغ : فإنه باغى (١٧) دون السماع : بالهامش

العصر حضر إلينا ناصر الدين محمد بن المهمندار نايب الوالد فى المهمنداريّة ، وهو فى أشدّ شوقٍ . وكان الوالد فى تلك الساعة الذى نزل من الركوب وفارق كراى من القصر الأبلق ، فإنّه كان حديث العُرس ببنت قبجق ونزل بها بالقصر الأبلق ، والدنيا قد زُخرفت له ، وصفت له الليالى من العَكَر ، وعند صفوها حصل الكدر . ثمّ إنّ نايب المهمنداريّة قال : قد وصل فى هذه الساعة الأمير سيف الدين أرغون من الأبواب العالية على البريد المنصور . — فقال الوالد : ولم لا وصلت البطايق به ؟ — فقال : لا أعلم . — فقال الوالد : لا تكن البطايق بغير تدريجٍ . — فقال : يا خوند ، ما عرفناهم قبل اليوم إلاّ واصلين إلينا قبل كلّ بريدٍ يصل . — فركب الوالد على فوره والمملوك صحبته ، وأتينا المهمانخاناه التى ظاهر القصر الأبلق . فوجدنا الأمير سيف الدين أرغون قد نزل بها . فدخل إليه الوالد وسلّم عليه . فشرع يدمدم على الوالد ويقول : نجى إليكم ما يخرج أحدٌ إلينا ولا تلتفتوا . — فقال : يا خوند ، ما علمنا . — فقال : فقد بطّقتُ لكم . — فقال : ما وصل إلينا شى . — فقال : همّ من نحس المباشرة . — ولم يكن بطّق شيئاً ، ومنع من ذلك . ثم أحضرْنا له العادة من المأكول والمشروب ، فادّعى أنّ فؤاده يوجعه ، وطلب طستاً وعاد يتقيّأ ، وخرجنا من عنده ، وأتينا إلى كراى ، فقال : يا جمال الدين ، كيف يجى مثل الأمير سيف الدين أرغون ولا تعلمونا ؟ — فقال : يا خوند ، ما جاءنا بطايق ولا علمْنا به حتى حضر . — فقال : سيّر غداً أحضِر البرّاج وأدِّبه على هذا الحمام النحس . — ثم قال : ما علمتَ فى أيش جا ؟ —

---

(٥) حصل الكدر : بالهامش (٩) إلا : الى (١٥) شيئاً : شى (١٦) طستاً : طست

قال : ذكر لى أنه أحضر للملك الأمرا تشريفاً من مولانا السلطان ، وأنّه متوجّه إلى حلب . — وكان كراى قد صنع قبل ذلك سرج خشبٍ صناعةً حسنةً ، اقتراح صلاح الدين بن الحلّىّ ، ونفّذه للأبواب العالية ، فظنّ أن ذلك التشريف عن تلك التقدمة . لكنّه حصل عنده قلق كثير . وقال للوالد : عود ارجع إليه واكشف أخباره وردّ علىّ ! — فأتينا مع المغرب ، وجدنا طيبغا الحموىّ جالساً على باب المهمانخاناه ، فقال : الأمير موجوع ، — وما صدقنا متى يُعنى . فردّينا الخبر على كراى ؛ ثمّ إنّه قال : يا جمال الدين ، بِت الليلة عندنا ولا ترُح مكاناً . — وأخرج لنا فرش أطلس مزركشة من جهاز بنت قبجق ؛ ومأكولاً كثيراً ومشروباً حسناً ، وحلواً . فلمّا كان بعد عشا الآخرة خرج كراى وطلب الوالد، وعاد يمشى فى الميدان فى ضوء القمر ، ويتحدّث مع الوالد إلى وقتٍ ، ثمّ دخل إلى بيته . فلمّا كان التسبيح أتى طيبغا ومعه بُقجة فيها خلعة سنيّة . ما رأى الناس فى ذلك الوقت مثلها وكلوتة زركش بفصّ بلخش فى مقدّمها ،وحياصة مكلّلة ،ودخلوا بها الخدّام إلى كراى ولبسها . وركب ذلك اليوم يوم الخميس فى الموكب بتلك الخلعة العظيمة القدر ، وركبت جميع الأمرا بساير مماليكهم معتدين معتبين. وذلك أنّ الأمير سيف الدين أرغون لمّا عُدنا إليه ووجدنا طيبغا الحموىّ جالساً على باب المهمانخاناه وقال : إن الأمير نايم — كان قد تنكّر ودخل دمشق ، واجتمع تلك الليلة بساير الأمرا الكبار ، وقرّر معهم الحال . فلذلك ركبوا على غِبّه متأهّبين . فلمّا عادوا إلى القصر من الموكب وجلسوا على الخوان نهض

---

(١) تشريفاً: تشريف (٦) جالساً : جالس (٨) مكاناً : مكان (٩–١٠) ومأكولا كثيراً ومشروباً حسناً : ومأكول كثير ومشروب حسن (١٧) جالساً : جالس (٢٠) الخوان : الاخوان ‖ نهض : نهط

الأمير سيف الدين أرغون وقال لكراى : يا أمير ، عليك سمع وطاعة لمولانا السلطان ! — وأخرج مثالاً شريفاً ، فاجتمعوا ساير الأمرا حلقةً عليه ، ومُسك فى تلك الساعة . ووقع الصُّراخ فى القصر ، وأُحضر الحدّاد ، وقيّد فى وقته . ومن العجب أنّ الحدّاد بيقيّده وهو بيفكّ فى أزرار الخلعة من عليه . ورُسم عليه الأمير ركن الدين بيبرس المجنون وشنقار ، وطلب فى الساعة ولده محمداً ، وهو أوّل ما مشى فودّعه ، وركب البريد وأخرج من دمشق أسرع من لمح البصر . وعادت دمشق بغير نايبٍ ولا من يتحدّث فيها غير الحاجب قطلبك بن الجاشنكير والوالد . وتُوجّه به إلى سجن الكرك . ولاقوه بقطلوبك من صفد ، وقطلقتمر من غزّة واعتُقلوا هؤلاء الثلاثة بها

نكتة : ومن أعجب ما يُنقل ويُذكر ، ويُؤرّخ ويُسطّر ، أنّ كراى كان قبل ذلك قد غضب على بيبرس المجنون وعلى شنقار ، بسبب ما كان لهما بدمشق من الحماوات التى كان يُباع فيها المُنْكر ، وأخذ سيوفهما وأجلسهما فى الشمس بالميدان إلى الظهر ، حتى شفعوا فيهما الأمرا الكبار . فلمّا مُسك كراى رُسم أن يرسما عليه ويوصّلاه إلى الكرك ، فوصّلاه إلى الكرك . وهما أشدّ الناس سروراً به وكونهما ظفرا بعدوّهما . فلمّا أتيا به إلى الجبّ قيل لهما : إنّ المرسوم لكما أن تنزلا به إلى أسفل الجبّ . — وأخذا سيوفهما ونزلا وأرادا الطلوع ، فقيل لهما : وأنتما أيضاً من المسجونين . — فهذه من غرايب البلايا وعجايب المصايب

---

(٢) مثالا شريفاً : مثال شريف (٦) محمداً : محمد

وكذلك كان بكتمر الجوكندار الواسطة لكريم الدين الكبير عند مولانا السلطان حتى خلّصه وجعله وكيل الخاصّ الشريف ،وجعل معه فى أوّل الحال بلبان الدواداريّ مشدًّا للخاصّ . فلم يزل كريم الدين يتقرّب بسياسته وتأتّيه وحسن تدبيره ، إلى أن عاد كما شُهر وعُلم أنّه لم يصِل متعمّم أن يتحكّم فى دولةٍ ما تحكّم كريم الدين . وكانت الأشيا مسخّرةً له ، ودبّر تدبيراً تعِب به مَن أتى بعدَه وفاق على مَن قبله . والذى أقوله : إنّ كريم الدين وجميع مَن خدم فى هذه الدولة القاهرة من أرباب المناصب ،تلحظهم سعادة مولانا السلطان عزّ نصره أيّامَ رضاه عليهم . فيظنّ الجهّال من الناس أنّ تلك من سعادتهم ، كلاّ والله ، هذه سعادة الرضَى عليهم ، فإنّ مولانا السلطان كالشمس على بقاع الأرض : فحيث طلعت عليه أينع وأزهر وأنور وأثمر ، وحيث غابت عنه دثر ، ولم يكن له أثر . فانظرْ ، أيّها العاقل ، بعين عقلك لمّا يسخط ــ أجارنا الله وإيّاكم من سخطه ! ــ هل يعود ذلك المسخوط عليه بسعادة نفسه إلى حال نمطه ، لا والله ؛ وإنّما هذا مستفاد من سعادة السلطان ، وذاك من سُخْطه على من لعب بعقله الشيطان : فنعوذ بالله من قضاه . ونستعيذ من سخطه ؛ ونسأل الله تعالى رضاه

وفيها وصل رسول صاحب اليمن إلى الأبواب العالية ،وأحضر تقادم كثيرةً ، وطلعت على رءوس الحمّالين إلى القلعة المحروسة . وعدّتها أربع مائة حمّال وتسعة حمّالين ، وعلى كلّ قفص حمّالٍ كُرّ يمنيّ والتحف من تحته ،منها ستّة وستّين حمّالاً عليها عاج وأبنوس وصندل وغير ذلك ، ومنها ستّين حمّالا رماح قناً ،والباقى أموال وتحف ، وفى الجملة فيل صغير ونمرين ،وأربعة فهود وعشرة أروس خيل ملبّسة بركُستُوانات وعشرين خادماً حسان الوجوه

---

(٧) تلحظهم : تلحضهم

وفيها أُخلع على الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار خلعة النيابة بالأبواب العالية عوضاً عن الجوكندار المقدّم ذكره ، وجلس فى دست النيابة نهار السبت ثانى يوم قبض على بكتمر الجوكندار

وكذلك أُخلع على الأمير جمال الدين آقوش الأشرفىّ المعروف بنايب الكرك بنيابة دمشق عوضاً عن كراى المنصورىّ . فتجهّز وخرج على مهلٍ فى طلبه

وفيها وردت الأخبار أنّ الأمير شمس الدين قراسنقر توجّه من طريق الحجاز الشريف راجعاً عن الحجّ قاصداً لبيوت الأمير حسام الدين مهنّا بن عيسى أمير العربان بطىّ : مستجيراً به خوفاً من السطوات الشريفة السلطانيّة

ذكر سبب تقفيز قراسنقر وآقوش الأفرم

ومن معهما ووصولهم إلى التتار

وذلك أنّ المراسيم الشريفة السلطانيّة أعلاها الله تعالى برزت بأن يُجرّد خمسة آلاف فارس من الديار المصرية إلى الشأم المحروس ، يقدمهم من الأمرا الأمير حسام الدين قرا لاجين أستادار ، والأمير حسام الدين لاجين الجاشنكير المعروف بزيرباج ، والأمير عزّ الدين أيدمر الخطيرىّ ، بسبب المصالح الإسلاميّة . نفّذوا مناصحين قراسنقر إليه يقولون له : خُذ حذرك ! فإنّ ما خرجَتْ هذه التجريدة إلاّ بسبب القبض عليك . فخذ خلاصك ولا تقع كما وقع غيرك ! — وفى جملة الرسالة إليه : والله إن وقعْتَ له شوَى لحمك وأطعمك

قلتُ : هذا حديث بيخان مملوك قراسنقر للعبد فى سنين العشرين والسبعماية ، لمّا كان بالديار المصريّة بعد عودته من عند أستاذه ومفارقته له على شاطى الفراة ، لمّا عاد إلى نحو البلاد ، حسبما نذكر من ذلك فى تأريخه إنشا الله تعالى . قال بيخان : فلمّا سمع قراسنقر ذلك نفّذ من ساعته ولده أمير علىّ بطلب دستورٍ له إلى الحجاز الشريف ، فرسم له بذلك فتجهّز . وقد حصل له السرور العظيم بذلك ، وتوجّه من حلب طالباً للحجاز الشريف : فورد عليه أيضاً كتاب من مناصحيه وعيونه بالأبواب الشريفة : أن قد جُرّد إلى الحجاز الشريف خمس ماية مملوك من المماليك السلطانيّة بسبب القبض عليك من الحجاز الشريف ، ولو أنّك متعلّقٌ بأستار الكعبة ، فخذ خلاصك والسلام . — فعند ذلك حار فى أمره وضاقت مذاهبه ، فرجع طالباً لبيوت مهنّا مستجيراً به ، فوصل إليه وخرج له ، والتقاه ملتقًى حسناً ، وأنزله عنده ، وكان بينهما صحبة متأكّدة وأخوّة قديمة . فأطلعه على الكتب الواردة عليه من المناصحين . فقال له مهنّا : أقِم عندى ، حتى أكاتب مولانا السلطان فى أمرك ، وأعرّفه أنّك رجعت عن عزم الحجاز لضعفٍ حصل لك ، وننظر بعد هذا ما يرد علينا ونفعل ما نراه

وأمّا ما كان من المجرّدين وأمرهم فإنهم نزلوا غزّة . فورد عليهم الخبر أنّ قراسنقر نزل الزرقا ورجع عن قصده الحجاز ورجع طالباً لحلب ، وجفلت العربان من قدّامه وشالوا النار . فقال قرا لاجين للخطيرىّ : ما عندك من الرأى ؟ — فقال : نصبر حتى نستصحّ الخبر ، ونكاتب مولانا السلطان ، ومهما رسم لنا بعد ذلك امتثلناه . — ثمّ ورد أيضاً عليهم كتاب من بنى مهدىّ بصحّة عودة قراسنقر ونزوله على مهنّا

وفضلٍ أخيه . فسيّروا للوقت طالعوا الأبواب الشريفة ، وجعلوا كتاب بنى مهدىّ فى طىّ مطالعتهم

قال بيخان : إنّ قراسنقر هجم بيوت مهنّا على حريمه ومسك أذيال النسا اللاتى لمهنّا ،واستجار جيرة العرب . فألجأت مهنّا ضرورة الجيرة حتى أجاره ، وقال له فى عُرض كلامه : وتربة عيسى ، ما يُصيبك إلاّ ما يفضل عن رأسى ، لكنك ، يا مير شمس الدين ، أرميتَ روحك فى النار الحمرا وأرميتنا معك ، فلا قوّة إلاّ بالله . كيف ما نظرتَ ما جرى على أسندمر ،لمّا خالف المرسوم ، وردّ تقليد طرابلس وتوجّه إلى حلب بغير دستورٍ ؟ — فقال : يا مير حسام الدين ، ما بقى فى الكلام فايدة ؛ وأنا فى جيرتك والسلام . وأنت كلامك مسموع عند مولانا السلطان عزّ نصره ،وأشتهى تسيّر الأمير موسى ولدك،تسأله فيه يُنعم علىّ بقلعة الروم أكون فيها نايباً ، وخلّصنى من حلب ، فلى فيها سبعة وعشرين سنةً . وقد ضجرتُ منها ، ولا يحوجنى أدخل بلاد الكفر بعد الإيمان ،وأنت تعرف أنّ صاحب سيس أعرض علىّ قلاعه من قبل ذلك . وما من الواجب أن تضيع خدمتى ،وقدّم هجرتى فى هذا البيت ، — وبكى بكاءً كثيراً . فرقّ له مهنّا وجهّز ولده الأمير موسى وكتب مطالعةً تُعرض بين يدى المواقف الشريفة السلطانيّة أعزّ الله أنصارها ، وسيّر صحبته حصاناً أشهب ، كان مولانا السلطان قد سمع به وسيّر طلبه منه ،وحَجَرة خضرا ،وثلاثة مماليك كالبدور الطلع ،كان قد غار عليهم الأمير فضل وأخذهم من الدشار . وفى جملة المطالعة يستمطر سحاب كرمه الهامع ، بلفظٍ كالدرّ تشنّف بحسنه المسامع ، ويسأل لقراسنقر أن يتصدّق عليه بنيابة

---

(١) أخيه : اخاه (٤) اللاتى : اللذى (١١) نايباً : نايب (١٣) علىّ : عليه
(١٦) أنصارها : بالهامش (١٧) حصاناً : حصان

قلعة الروم ، وفيها فصل يعرّض بتوجّعه، كون أنّه شفع فى برلغىّ : فلم تقبل فيه شفاعته ، وكان برلغىّ أصله من عند مهنّا قدّمه للسلطان الشهيد الملك الأشرف ، نوّر الله ضريحه

قال بيخان : ولمّا توجّه موسى بن مهنّا من عند أبيه بهذه المطالعة والتقدمة ، أشار مهنّا على قراسنقر بالعود إلى حلب : فامتثل أمره وتوجّه حتى صار بالقرب من تلّ الفرس ، وكان بها يومئذٍ الأمير شهاب الدين قرطاى الحاجب . فلمّا بلغه عودة قراسنقر إلى حلب بغير مرسومٍ ، منعه من الدخول إليها وسيّر يقول له : يا مير شمس الدين ، ما لك عندنا دخول إلاّ بمرسومٍ من مولانا السلطان عزّ نصره . — فأعاد عليه يقول : كنتُ أظنّ أنّ كلّ أحدٍ يقبح علينا إلاّ أنت ، يا مير شهاب الدين ، ولكن هذا كلّه من الخمول ، فتسيّر إلىّ مملوكى جركس مع جميع أموالى وخزاينى . ولا تعوّقهم علىّ ، فأنا نازل على تلّ الفرس حتى أنظر ما يرِد علىّ من المرسوم وعليك أيضاً بما تعتمده . — وكان قراسنقر قد سيّر للأمير مهنّا يعرّفه أنّ قرطاى منعه من الدخول إلى حلب ، وعوّق مملوكه جركس وخزاينه وحريمه وأولاده . فسيّر مهنّا من وقته كتاباً إلى قرطاى على يد حاجبه محمد بن نصّار يقول له : يا مير شهاب الدين ، تُطْلق للأمير شمس الدين مملوكه وخزاينه وأولاده وحريمه ، فإنّ مولانا السلطان سيّر يطلبه يكون نايباً بمصر عنده وقد رضى عليه : وأنت ما عندك خبر بذلك . — قال : فلمّا قرأ قرطاى الكتاب ندم على ما فرط منه فى حقّ قراسنقر ، وأخرج جركس مملوكه مع جميع ماله وما كان له بحلب : وسيّر يعتذر منه وحمل ثقله على ألفين جمل ، وساق الأبقار والأغنام وخيل

---

(١١) إلىّ : إليه (١٥) كتاباً : كتاب

النشار ، وخرج من مماليكه وألزامه ألف فارس ملبّسين شاكين السلاح ومنهم رمّاحين وزرّاقين وغيرهم . وخرجوا أهل حلب بكمالهم حتى البنتُ فى خدرها لوداعه . وعاد فى ذلك اليوم بكا وضراخ وعويل ممّا يُبكى الحجارة ، لمفارقة كلّ إلْفٍ إلفه : فإنّ كلّ إنسانٍ من مماليكه وألزامه وحاشيته ، قد صار له بحلب الأهل والأصهار والأصحاب والجيران والمعارف ، فخرجوا الجميع لتوديعهم ، وكان يوم مشهود . هذا وقد ضربت نقاراته وطبلخانته ، ونعرت بوقاته ، ونُشرت صناجقه ، وهو راكب قدّام ثقله ، وذلك الأولة من نهار يوم الخميس

قال بيخان : إنّ قراسنقر لمّا استقلّ ركابه من حلب وصارت خلفه ، التفت إلى نحوها وبكى حتى بلّت دموعه لحيته ، وقال : صدق من قال : بيت الظالم خراب ولو بعد حينٍ . — ثمّ طلب ناحية القبلة إلى فوق من بيوت مهنّا . فلمّا قرب من ديارهم خرج إليه مهنّا وفضلٌ فى عشايرهم ووجوه قومهم ، والتقوه ملتقًى حسناً ، وأنزلوه قريباً منهم على شاطى الفراة . وشاعت الأخبار فى جميع أقاليم الشأم بما جرى لقراسنقر . فتشوّش الناس والنوّاب بجميع الممالك الشأميّة . وسيّر الأفرم نايب طرابلس وكاتب الأمير مهنّا : إنّى أيضاً واصل إليك بجماعةٍ من أصحابى وألزامى

وأمّا ما كان من المجرّدين الذين فى صحبة قرالاجين وبقيّة الأمرا المذكورين ، فإنّ المرسوم ورد عليهم بالسّوق إلى دمشق . فلم يزالوا كذلك حتى وصلوا دمشق . ثمّ اتّفق رأيهم أن ينزلوا حمص ، وينتظروا ما يُرسم لهم به ، وهم أيضاً خايفين وجلين

---

(٣) اليوم : بالهامش (١٣) حسناً : حسن ‖ قريباً : قريب (١٩) وينتظروا : وينتظرون

ثمّ إنّ مولانا السلطان — أعزّ الله أنصاره، وضاعف اقتداره — لمّا بلغته هذه الأخبار المزعجة التى تصوّرت من الوهم الذى داخَل قلوب الوجِلين، من غير أن يكون لجميع ما توهّموه أو سمعوه من مناصحينهم صحّة، ولقد كانت نيّته المباركة لهم بخلاف ما توهّموه. وإنّما إذا أراد الله تعالى أمراً هيّأ أسبابه ليَنفذ قضاؤه وقدره. فعندها سيّر الأمير سيف الدين طقطاى بالأمان لقراسنقر وتقليد حلب على عادته ومستقرّ قاعدته، ويعتب عليه على ما قد خامره من الوهم الهَذَيانىّ الذى لم تكن له صحّة. وفى الجملة: أنت رجل كبير، ونحن برأيك نقتدى فى الأمور الكبار، ترجع إلى كلام الجهلة والأعدا، وتفعل ما لا تفعله الصغار؟ الله الله، تترك هذا وترجع إلى حلب، وأنت طيّب القلب، منشرح الصدر، مبسوط الأمل. فأنت تعلم محلّك عندنا وعِظَم منزلتك. ونحن فقد أقمْناك مقام أنفسنا فى جميع الممالك الشأميّة

قال بيبخان: وكان قبل وصول طقطاى بيومين قد وصل إليه الأخبار من مناصحينه على جناح الحمام يقولوا له: الحذر الحذر! فإنّه قد كتب لقرا لاجين صحبة هــذا طقطاى أنّ ساعة ترجع إلى حلب يُطبق عليك بالجيوش، فيمسكك أنحس من مسك أسندمر. — ثمّ ورد على مهنّا مرسوم أن يتوجّه صحبة طقطاى ويُلبّس قراسنقر الخلعة ويعيده إلى حلب. فامتثل ذلك، وحضر صحبة طقطاى واجتمعوا عند قراسنقر. ثمّ تحدّثوا معه فى امتثال المراسم الشريفة، وقبول الخلعة والتقليد والرجوع عمّا قد توهّمه

قال بيبخان: فخلا قراسنقر بمهنّا وأوقفه على البطاقة التى وقعت له: وقال: يا با موسى، أنا الآن فى جيرتك، ومهما لحقنى من الضيم كان عيبه

عليك وعاره لازم لك . — فقال مهنّا : إذا كان الأمر على هذا الحال فلا والله ما أخفر ذمّتى ولا جيرتى ،ولا تفعل إلاّ خلاصك:وأنا مساعدك على جميع مصالحك . — قال : ثمّ اجتمعوا بالأمرا وهما طقطاى وآقول المحمّدىّ، وقال قراسنقر : أمّا الخلعة والأرمغان ، فقد قبلته على رأسى . وأمّا عودتى إلى حلب ،فلا والله ما أُقامر بنفسى ،والروح عزيزة . وأنا بقيتُ رجل كبير ولا لى قدرة على تعذيبٍ . ولو علمتُ أنّى إذا مثلتُ بين يديه قتلنى فى ساعتى وأراحنى لمّا والله تأخّرتُ . لكن أخشى من تعذيبى ـ

قال : ثمّ وصل كتاب إلى الأمير مهنّا صحبة الأمير سيف الدين أرغون وثلاث مابة قطعة قماش وخلعة بطرز زركش ،والكتاب جواب كتابه الذى نفّذه صحبة ولده موسى ، وفيه : أن قد كتبْنا له بعودته إلى حلب: ثمّ أفكرْنا أنّه لم يكن بقى عندنا من يحسَن يقوم بأمر النيابة بالأبواب العالية . وأنّ مثل الأمير شمس الدين لا ينبغى أن يكون بعيداً عن نظرنا : لبركته وحسن تدبيره وسياسته . وقد حلفْنا له الأيمان التى ليس فيها فسحة . أنّه عندنا العزيز الغالى بما يقف الجناب العالى على نسختها ، فالله الله ، تحكم بذلك وتسيّره إلينا ، وهو طيّب القلب ، منبسط الأمل ، ليشاركنا فيما نحن فيه من مصالح المسلمين . وعلى الجملة فما أعرفُ حضوره إلاّ من اهتمامك وشفقتك

قال بيخان : فقرأ مهنّا الكتاب على قراسنقر وقال : يا مير شمس الدين ، قد سمعتَ ،والمصلحة تتوجّه إلى بين يديه ، فما أظنّ بعد هذه الأيمان يكون غدر ، إنشا الله تعالى . — فقال قراسنقر : يا با موسى . أنا فى الأصل قطعة مملوكٍ جركسىٍّ ، رأسى ورجلى . ما يسوو ثلاث مابة درهم ، وأيش هو أنا إذا قُتِلتُ ؟ وإنما عيبى يبقى لازمك ، وتلبس ثياب العاربين العربان إلى آخر

الدهر . وإذا أشرتَ علىّ بشيءٍ ما أخالفك : — ثمّ قال : قدّموا الخيل أركب وأتوجّه إليه ،ويفعل الله ما يشا ، وبكى : — قال : فبكى أيضاً مهنّا ، وقال : لا والله يا مير شمس الدين ، لا سمعت العرب بهذا ، وأنا والله أعلم أنّه ما يُبقى عليك . ثمّ أنشده يقول < من الوافر > :

ونفسك فُز بها إن صبك ضيمٌ وخلّ الدار تَنْعِى مَن بناها
فإنّك واجدٌ أرضاً بأرضٍ ونفسك لن تجدْ نفساً سواها

ونفض ثيابه وقال : لا تعمل إلاّ مصلحتك ولا تُقتل ، وتقع فى العار بين البدو والحضر

ذكر تعدية قراسنقر إلى التتار

قال بيخان : فلمّا سمع الأمير يعنى قراسنقر هذا الكلام من مهنّا أمر فى تلك الساعة بالرحيل والتعدية ، وودّع ابنه أمير علىّ وولده أمير فرح وأنا ، يقول بيخان : فقلتُ : أنا أتوجّه فى ركابك ولا أموت إلاّ فى خدمك . — فقال : ياولدى ، لك أسوة بأولادى ، إن ماتوا متْ معهم وإن عاشوا عشْ معهم . فأنا أعلم أنّ السلطان ما يضرّكم ، ولا المطلوب إلاّ أنا . — هذا وهو يبكى كالمرأة الثكلى . وساق أمواله وخزاينه ودشاره وطلب الفراة ، قال

(٥) ضيم : ضيما ‖ وخل : وخلى (٦) واجد : واجداً

فقال له مهنّا : تمهّل على نفسك ، فقد ورد علىّ الساعة قاصد من عند الأمير جمال الدين الأفرم يُخبر أنّه واصل إلينا . — ثمّ وصل الأمير جمال الدين آخر ذلك النهار ، وركب قرا سنقر ومهنّا مع جماعتهما والتقوا الأفرم ، وتكارشوا وتباكوا وتشاكوا . وقال الأفرم لقراسنقر : أيش هذا التهاون فى أرواحنا ؟ اركب بنا وخلّص ذقوننا من الموت والعذاب ! فقد وردت علىّ الأخبار من نصحايى بما يسدّ الآذان ممّا جرى على خشداشنا من أنواع العذاب ، وهو لنـــا فى أيشم النيّات . والله ما يقع منّا له أحدٌ إلاّ ويتنوّع فى تعذيبه قبل قتله . وهذه العساكر قدموا الشأم بسببى وسببك لا غير . وقد عبرتُ فى طريقى على قلى والملك ، وكنت قادراً على كبستهم وأخْذهم أسارى . ثمّ تركتُ ذلك حتى أنظر ما ترسم به . فإن رسمتَ سيّرنا العرب من خلفهم ونحن نأتيهم من قدّامهم ونأخذهم أشدّ أخذٍ . ثمّ نُغير على البلاد ونحرق البيادر ونرجع إلى دمشق . فكلّ أميرٍ فيها خايف على نفسه ، وما يصدّقوا بنا ، وتجتمع كلمتنا بالشأم . ونُخرج الأموال ، وننفق فى الرجال ، وننزل غزّة . فأىّ مَن خرج من مصر فأسرناه . فقد بلغنى أنّ جميع مَن فيها خايفين أيضاً . ومن لا يرجع إلينا ضربنا معه رأس . ويعطى الله النصر لمن يشا . ونموت على ظهور خيلنا ولا نموت فى العذاب الأليم . — فقال قرا سنقر : يا مير جمال الدين ، لا تستعجل ، فقد سيّرتُ إلى جماعةٍ من الأمرا المصريين ، وقد جانى الجواب بما أختار ، وهؤلاء العرب فقد هلكوا معنا من السوْق والسهر علينا الليل والنهار . وإنما الرأى أن نُريح خيلنا ونرجع العرب مع الأمير مهنّا إلى الرحبة ، وننزل على مشهد علىّ ، ونستغلّ المغل وتشيل العرب مُؤنهم ، وننظر ما يتجدّد ، فنى الليل والنهار عجايب . ونكتب

---

(٦) نصحاى : نصحاى (٩) قادراً : قادر

للسلطان نعرّفه أن يعطينا البيرة وقلعة الروم . فإن أجابنا قعدنا فيهما إلى < أن > تدركنا آجالنا ، ونكون قد أمِنّا على نفوسنا ، ولا ندخل آخر العمر فى دماء المسلمين . وإن امتنع كان لنا رأى آخر . — ثمّ إنهما عدّيا إلى ذلك الجانب ، ورجع مهنّا إلى الرحبة ليستغلّ . وكتبوا مطالعةً للأبواب العالية يسألوا أن ينعم عليهما بقلعتى البيرة وقلعة الروم

فبينما هما فى انتظار ما يتجدّد إذ وصــل إليهما عزان السلحدار من عند الملك خدابنداه فى البريد طاير طيران ، وصحبته ابن عمّ صاحب ماردين وابن قاضى بغداد ، ونسخة اليمين لهم من جهة الملك خدابنداه . وتحدّث معهما عزان حديثاً كثيراً ممّا حمّله خدابنداه مشافهةً ممّا يُطيّب خواطرهم ويستميلهم ويرغّبهم . وكان أيضاً قد وصل إليهما الأمير بدر الدين الزردكاش من دمشق ، خرج الظهر منها ، والنايب بها يومئذٍ جمال الدين نايب الكرك

قلتُ وممّا أحكيه ما شاهدته بالمعاينة لا بالإخبار : إنّ كان الوالد سقى الله عهده إذ ذاك مهمنداراً بالشأم ، وقد انفصل من شادّ الدواوين بالسبب المذكور . فلمّا كان فى ذلك اليوم الذى خرج فيه الزردكاش طلب الأمير جمال الدين ملك الأمرا للوالد رحمه الله بعد الخدمة . وقال له : يا جمال الدين ، أنت قرناص ومملوك مصر ، ولا تخفى عليك أحوال مَن يريد حركةً . وقد بلغنى أنّ الزردكاش بيقصد الخروج من دمشق واللحوق بصهره الأفرم . فأشتهى منك تروح إليه فى حجّة شيٍ تدبّره بعقلك

---

(٦) هما : هم ‖ عزان : يرد كذلك مرات بعد سطور ، ولعله غزان (٩) حديثاً كثيراً : حديث كثير

وتنظر إلى أحواله كيف هو . فقد بلغنى أنّه بيخرج الساعة . فترجع تعرّفنى حتى نعمل بما نراه . — فخرج الوالد والعبد فى خدمته . وأتينا إلى دار الزردكاش فوجدناهم فى همّةٍ وهرجٍ ، والأمير فى داره . فلمّا قالوا له : جمال الدين المهمندار أتى إليك ، خرج ووجهه كالزعفران صفرةً ، وعانق الوالد وحادثه ، وأحضر سكّراً وليموناً بثلجٍ وأسقانا . ثم أمر بفرسين مسرجة قدّمهما للوالد . فامتنع الوالد وحلف لايقبلهما وقال : يا خوَند ، إنّما حضر المملوك إلى باب الأمير بسبب الماء المعروف بالعكرشة الذى أصل مسيله من ضيعة الأمير ببلاد حوران ، وهذا الماء من حقوق قرية خسفين الجولان إقطاع المملوك . وقد عمل المملوك بذلك محاضر مثبوتةً على الحكّام بذلك . والمسئول من صدقات الأمير كتابٌ إلى الشحنة بضيعة الأمير أن يحمل الأمر فى ذلك على حكم المحاضر الشرعيّة . — فقال : يا مير جمال الدين ، أنت عمرك ما أتيت لى بيتاً ، وقدّمتُ لك هؤلاء الخيـل ، حلفتَ ما تقبلهم ، وأنا أقدّم لك كُتُبَ هذه الضيعة ملكاً . — وأشهدَ عليه بتسليم ثمنها . فسبقه الوالد باليمين لا يقبل شيئاً ، وحادثه ساعةً ، وهو فى غاية القلق حتى من جملة ما قال للوالد : يا خوند ، حاشاك ، لى صغير وهو فى هذه الساعة بينازع ، ولمّا سمعتُ بخدمتك خرجتُ وخلّيته . — فنهض الوالد ، وخرج معنا بنفسه إلى عند الركوب ، والوالد يحلف عليه وهو يأبى الرجوع ، وهو لابس خُفّه مسدود بغلطاقه التترىّ ، وكذلك جميع مماليكه لابسين قماشهم . ثمّ إنّ الوالد رجع إلى ملك الأمرا وحكى له الصورة وقال له :

---

(٥) سكراً وليموناً : سكر ولموا (١٢) بيتاً : بيت (١٣) ملكاً : ملك (١٤) شيئاً : شى (١٦) فنهض : فنهط

يا خوند ، إن كان بلغك عنه حركة فلا شكّ فيها وهو يخرج الساعة . — فقال : الله يجعلها عليه طريقاً مباركةً ، — يقول هكذا والله وأنا أسمع ، وما كان إلاّ حيثما فارقناه . وركب من ساعته أذان الظهر ، وخرج من دمشق معاينةً بالإجهار ولم يتبعه بشر . فهذا كان خروج الزردكاش

ولنعود إلى ما كان من أمر قراسنقر ورفقته ! وكان من جملة كلام عزان لقراسنقر يقول : الملك القآن ملك البسيطة يسلّم عليك وعلى الأمرا الحاضرين معك ويقول : قد بلغه أنّكم عدّيتم إلى نحو بلادى ، ودُستم أرضى وطابتم بابى ، فأهلاً بكم وسهلاً ! وقد سيّرتُ إليكم نسخة الأيمان ماية يمين ،وأنا أعطيك بغداد والأمير جمال الدين سنجار وديار بكر ، ومهما طلبتم عندى . — ومن هذا الكلام ومثله فى زيادة التأكيد والحثّ على توجّههم إليه

فبينما هم فى مثل ذلك إذ ورد عليهم قاصدٌ يُخبرهم أن قد مُسك جماعة من الأمرا الكبار وجميع مَن كانوا فى التجريدة . وذلك أن لمّا لم يرا مولانا السلطان لتلك التجريدة أثراً ، وأنّهم كانوا سبب تشويش البواطن ، وبلغه عنهم مداجاةٌ وعدم مناصحة . استقدمهم ومسك جماعةً كبيرة خلا الخطيرىّ والملك ، فإنّه أعزّ الله أنصاره رأى لهما لمّا تحقّق عنده من حسن مناصحتهما . ومن قول القاصد لقرا سنقر : إنّه قد جرّد لكم ألف مملوك : وأعطاهم الهُجُن والخيل والجياد ، وأمرهم أن يدركوكم قبل توغّلكم فى البلاد ، ورسم لعساكر الشأم أن يكونوا خلفهم لأجل

---

(٢) طريقاً : طريق (١٤) أثراً : أثر

النجدة . فعند ذلك أجمعوا آرايهم على الدخول إلى الملك خدابنداه ، وتحالفوا على ذلك

وعقيب ذلك وصل إليهم سوتاى بعشرة آلاف من المغل . وكان هذا الأمير نازلاً على سنجار ، فورد عليه مرسوم الملك خدابنداه أن يتوجّه ويلتقى الأمرا الإسلاميّة . فقدم عليهم وركبوا الجميع وقصدوا الأُردوا ، وانقطع أملهم من بلاد الإسلام ، فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلى العظيم ؛ وأوقفهم أيضاً على فرمان خدابنداه لهم ، زيادةً فى الترغيب والحثّ على سرعة مثولهم إليه . ولم يزالوا متوجّهين إلى أن وصلوا بغداد . فخرج كلّ من بها من النسا والرجال . هذا وقد طلبوا الأمرا وألبسوا مماليكهم العُدد ، وقدّموا قدّامهم ماية مملوك زرّاقين يلعبون بالنفط ووراهم ماية أخر يلعبون بالرماح كرًّا وفرًّا . وقد ترجّل فى خدمة قرا سنقر عِدّة كبيرة من المغل ، ومنهم أخو صاحب ماردين ، وأخو صاحب سيس ؛ ومن أمرا المغل تمرجو ، وجنقر ، وطسحوا ، وبزُلار ، وسوتاى يحجبهم . وفرشوا لهم تحت أرجل خيلهم الثياب النسيج والكمخا والخوبى وغير ذلك . وكان لدخولهم بغداد يوم مشهود ، خرجت فيه البنت فى خدرها . وأنزلوهم فى قصر الخلافة : ومُدّ لهم خوان عظيم . وقدّمت أهل بغداد لهم التقادم الحسنة من كلّ شيء مليح وكذلك صاحب العماديّة وصاحب جبال الغار . وأقاموا ببغداد ثلاثة أيّام

ثمّ توجّهوا طالبين الأُردوا . فلمّا وصلوا بالقرب من منزلة القآن ألبسوا مماليكهم جميعهم القرقلات الأطلس وكذلك خيولهم البرْكُستُوانات الأطلس

---

(٤) نازلا : نازل (١١) كراً وفراً : كر وفر (١٢) أخو : ابن ، مصحح بالهامش (١٦) خوان : اخوان

والخوذ الذهب البهادريّة . ونشروا صناجقهم، ودقّت طبلخاناتهم ، ونعرت بوقاتهم ، ولعب الزرّاقين بالنار ، وطلع الدخان ، وكثر العجاج . ومدّ كلّ واحدٍ من الأمرا قدّام طلبه خمسين جنيباً ملبسة على أيدى الوشاقيّة والنجّابين. ومدّ قراسنقر قدّام طُلبه ماية جنيب مشهّرة شهبٍ وخضرٍ وبلقٍ وحمرٍ وصفرٍ ، كلّ عشرين لون وزىّ فى الملبوس ، وقدّام عشرة قطر بغال خزانة وقدّامها صوغان الخزندار ، وقدّامه عشر فهودة وسبعين بزدار ، وتحت ركابه خمسين خرسانى وثلاثين برددار . وأقاموا ناموس مملكة الإسلام حتى دهشوا لمّا رأوا ذلك أمرا المغل . ولم يزالوا كذلك حتى قرّبوا من مجلس القآن . ترجّلت أمرا المغل، ودخلوا فى دستٍ عظيمٍ لا يعبّر عنه . وركب القآن بنفسه والتقاهم أحسن ملتقى . فلمّا وقعت عينهم عليه نزلوا وترجّلوا وضربوا جوك : وقد غضب الله تعالى عليهم ولعنهم وأعدّ لهم جهنّم وبئس القرار ! ثمّ أمرهم بالركوب ، فركبوا وعاد قراسنقر من على يمينه والأفرم من على يساره والزردكاش قدّام مع جوبان . وعاد القآن يحدّثهم ويضاحكهم ويكارشهم . هذا وهما كأنّهما يرياه فى المنام ، لما دخل فى قلوبهم من وحشة الإسلام . ولم يزالوا كذلك حتى نزلوا مع القآن ، وقد جعل لهما كراسى عن يمينه ويساره . ومُدّ لهم خوان كبير ، أكثره خيول يَخْنَى وخراف قشلميش . وحضر فى ذلك اليوم عِدّة من رسل البلاد ، مثل بلاد كوبلك وبلاد كبلك وبلاد أزبك والكرج وبلاد الكلب وبرطاس وعبَدة النار . وأعرض عليهم خدابنداه جيوشاً كالمطر ، لكنّهم كالقشّ بغير ترتيبٍ ، وهم عِدّة بلا عُدّةٍ . ثمّ

---

(٢) ولعب : ولعبت (٣) جنيباً : جنيب (١٦) خوان : اخوان (١٩) جيوشاً : جيوش

انتقلوا فى ذلك اليوم إلى مخيّمهم فى منزلةٍ بقرب منزلة القآن . ونُقل إليهم شيء كثير من الإقامات والعلوفات

فلمّا كان الغد حضروا للخدمة، ومدّ لهم الخوان، وأخلع عليهم وعلى جميع مَن كان معهم حتى الغلمان . وأنعم على كلّ مملوكٍ مِن مماليكهم ستّ مابة درهم سلطانيّة . وسيّر للأمرا القماش المفتخر مثل النسيج والنخّ واليرملك . وسيّر إلى قراسنقر ثلاثين إكديش روميّة وستّة قطر بخاتى ، وللأفرم مثله ، وللزردكاش خمس أكاديش وقطار بخاتى . ولم يزالوا فى إنعام القآن سبعة أيّام ، فى كلّ يومٍ إنعامٌ جديد

ثمّ إنّ قراسنقر بعد ذلك سيّر تقدمته، وهو ما يذكر من الخيول العربية ، وثلاثين حصاناً مثل : قمر وبريد والحجازىّ والزاملىّ والمهناوىّ والحسانىّ ، والنميرىّ وأبى شامة وابن البحرين وابن الطويلة وزريق والخيال الكبير وعسّاف والبرقىّ وعدو الغزال والأخوص والمغربىّ والخالدىّ والسلطانىّ وقشمر والعربيد وزعزاع والتركمانىّ وساق الكركىّ وطغج وابن العطال والميساوىّ والفضلىّ والعيساوىّ والكبكىّ ، ومن الحجورة عشرة مثل : فهيدة وضبعة والحسانيّة وعبلة والدلقا وبنت الطويلة وبنت ميّاسة والمهناوية وبنت قمر والصالحيّة ، وشُدّ عليهم السروج الذهب والزرخونى والكنابيش الزركش . فعادوا يشعلوا فى ضوء الشمس ممّا يأخذ بالبصر ، وصحبتهم مابة مملوك على على يد كلّ واحدٍ بُقجة قماشٍ سكندرىّ وعمل دار الطراز ومابة خلعة طَرْد وَحْش مقصّب وشاشات خليفتيّة وكلوتات زركش وجتر أطلس مزركش وسبع أرقاب مزركشة وغير ذلك . وكذلك سيّر الأفرم تقدمته

---

(٥) اليرملك : كذا فى الأصل وربما المقصود به «الأرملك» (١١) وأبى : وابو

ممّا يقارب هذا ، لكن ما وصل إلى جميع ما ذكرناه . فإنّ قراسنقر كان أسعد من الأفرم ، بدليل أنّ قراسنقر كان طمّاعاً خسيساً محصّلاً ، وكانت نفسه تحدّثه بآمال خايبة وأمانى كاذبة بأنّه يكون منه ملك . فكانت آلات المملكة عنده مجهّزةً . وأمّا الأفرم فإنّه كان رجلاً قصيفاً نهّاباً وهّاباً ، لا له تطلّع إلاّ إلى قدحٍ ومليحٍ . فلم يكن عنده بعض ما كان عند قراسنقر

قال الناقل لهذه الأخبار : فلمّا عاين خدابنداه تقدمة قراسنقر أعجبه إعجاباً كبيراً ، وأحضرهم فى اليوم الثانى ، وقد جلس فى مجلس الشراب . وجدّد عليهما الخلع السنيّة . وحضروا أمرا المغل الكبار والخواتين . ودارت عليهم الكاسات ، وشرب قراسنقر من ذلك القمز وقراقمز ، وشرب الأفرم من ذلك الخمر العتيق . وأحضر قراسنقر جوقة مغانى جوارٍ كأنهن الأقمار ، وغنّوا بالطار والزمر ، وأعجب ذلك الخواتين .

قال : فلمّا طاب قراسنقر ونسى الهمّ وطرحه خلفه ، وقد احمرّ وجهه وتفرّقت شَيْبته التى قد ختم الله لها بالشقاوة بعد السعادة ، نهض قايماً وضرب جوك للقآن وقال : أشتهى أكلّم القآن كلمتين . — فقال الملك خدابنداه : تكلّم بما تشتهى ، يا مير شمس الدين ، ويكون كلامك أقوى من الحديد ولا تنجبه ، ولا تخلّى كلاماً تريد تقول . — فقال : الله يحفظ القآن ! ملكتوا البلاد العامرة والقلاع الحصينة وأخربتوها ، والرعيّة عمارة الأرض قتلتوها ، وجميع الأموال سبكتوها حجارةً وتحت الأرض دفنتوها . وعندكم الخير كثير ما تعرفوا تعيشوا فيه . وفى بلادكم الغلال والأنعام والمواشى ، وخيار

---

(٢) طماعاً خسيساً محصلا : طماع خسيس محصل (٤) رجلا قصيفاً نهاباً وهاباً : وجل قصيف نهاب وهاب (١٣) نهض : نهظ (١٥) تكلم : اتكلم (١٦) كلاما : كلام

أميرٍ عندكم ما له عيشة غير أكلة دشيش ، وخيولكم بلا علف سايبة فى الدشارات ما ترفد لِسوْق ، كونها خالية من العلف . الله يحفظ القآن ، يرسم للمملوك أدبّر هذا الحال بما أراه من المصلحة ، وعلىّ الضمان أنّى أفتح لك إلى آخر مغرب الشمس ، فتكون ملك المشرق والمغرب . — وتكلّم كلاماً كثيراً ، هذا زبدته وملخّصه . قال : يا مير شمس الدين ، قد فوّضتُ إليك جميع أمر مملكتى ، افعل ما تراه من المصلحة

قال : ثمّ بعد ذلك جلس قراسنقر واستخرج الأموال وأحضر ضمان الأقاليم وصادرهم . وحصّل الأموال العظيمة ورتّب ترتيب ممالك الإسلام فى جميع آلات الملك . وجعل فى المطابخ الطبّاخين الماهرين يطبخوا أنواع الأطعمة المفتخرة . ورتّب شربخاناه وطشتخاناه وفرشخاناه ، وعادوا الطشتداريّة يخدموا بالماورديّات . وكذلك رتّب للخواتين جميع الأشيا الحسنة من الحلاوات والأشربة والفواكه . وطلب لهنّ المواشط من الأقاليم لإصلاح شأنهنّ . وكذلك رتّب للأمرا وأقطعهم البلاد ، وعاد لهم أستاداريّة ، أقامهم لهم قراسنقر من مماليكه ، وجعلهم عليهم كالعيون له يطالعونه بجميع ما يتكلّمون به . وكذلك رتّب حمّام خشبٍ بأحواض رصاصٍ تُحمل على البخاتى لأجل القآن والخواتين . قال : وأعجب هذا الحال الخواتين إعجاباً كثيراً . وأمر أن تُصاغ لهنّ المصاغات المفتخرة . وعمل لهنّ من البدلات الزركش . وفصّل لهنّ القماش العالى ، حتى أخذ بعقول كبارهم وصغارهم . هذا كلّه يجرى وجوبان ينظر وهو يتفطّر ويتميّز من قراسنقر ، ولا يقدر يفوه فى حقّه بشىءٍ

---

(٣) علىّ : عليه (٤ – ٥) كلاماً كثيراً : كلام كثير (١٢) لهن : لهم ‖ شأنهن : شأنهم (١٦) إعجاباً كثيراً : اعجاب كثير (١٧) لهن : لهم ‖ لهن : لهم (١٨) لهن : لهم (١٩) يتميز : تتمر

ليما رأى من ميل القآن والخواتين وكبار المغل إليه . هذا ما كان من أمر قراسنقر

وأمّا الأفرم فإنه لم يشتغل بشيءٍ ممّا اشتغل به قراسنقر من تدبير الأمور . وإنما اندرج فى منادمة الملك خدابنداه وأخذ بقلبه وملك لُبّه . فإنّ هــذا الأفرم عمره حريف طيبةٍ وصاحب لذّةٍ وفكاهة ، طيّبُ العِشرة ، حسن المحاضرة . فمال إليه خدابنداه بخلاف قراسنقر . ثمّ إنّ الأفرم ما تحدّث مع خدابنداه يوماً واحداً فى غير ما يلزمه من الحرفانيّة والمنادمة ، ووصل من ذلك حتى لبس السراقوج بين يدى خدابنداه . واستقرّ أمرهما كذلك إلى حيث ما يُذكر من بقيّة أمرهما عند مأتاهما بالتتار إلى الرحبة وعودتهما خايبين

قلت : قد ذكرنا بمعونة الله تعالى جميع أخبار قراســنقر مفصّلةً ملخّصةً ، وذلك ما صحّ نقله وحسُن من إثباته فى هذا التأريخ المبارك . وأمّا ما كان من مآثر سيّد الملوك ، وملجأ كلّ غنيٍّ وصعلوك ، مالك رقاب ملوك أملاك الأكاسر ، مولانا وســيّدنا السلطان الأعظم الملك الناصر ، لا زالت أعدايه من هيبة سلطانه مرتدّين ضالّين غير مهتدين ، قد سُلّت سيوفه عليهم فى اليقظة والأحلام ، حتى عادوا لا يلتذّون بلذيذ المنام . فكان كما قال أشجع السلميّ فى الإمام ، خليفة الأنام ، فى تلك الأيام < من الكامل > :

وعلى عدوّك يابن عمّ محمدٍ رَصدان ضوء الصبح والإظلام
فإذا تنبّه رُعتَه وإذا غفا سلّت عليه سيوفَك الأحلام

---

(٧) يوماً واحداً : يوم واحد (٩) خايبين : خايبان (١٥) اليقظة : اليقضه
(١٨ – ١٩) انظر «كتاب خاص الخاص» ص ٨٨

وقد أخذ معنى هــذين البيتين أحمد بن سيّد اللص من شعرا المغرب فى المائة السادسة ، وسمّى باللصّ لإغارته على معانى الشعرا المقدّمين ، فقال < من الوافر > :

تراه فى غداة الغَيْم شمساً وفى الظلماء نجماً أو ذبالا
يروّعهم معاينــةً ووهماً ولو ناموا لَروّعهم خيالا

وفيها حصل تغيّر للمزاج الشريف السلطانىّ ، كفاه الله شرّ ما يخاف ويحذر ، ولطف به وإن كان لم يزل ملطوفاً به فى كلّ قضاءٍ وقدر . وذلك لمّا كان الثالث والعشرين من شهر ذى القعدة من هذه السنة المباركة حصل التوعّك الذى كان آخرته إلى السلامة والعافية ، ومنّ الله على الإسلام بنعمه الوافية ، فكان من قول العبد فى ذلك < من الكامل > :

إذا ما اعتلّ سلطان الورى اعتلّتْ الأرض ومَن فيها
فالله كافيه من الأسوا كما أضحى لكلّ الخلق كافيها

وكان أصل ذلك ممّا حمل على خاطره الشريف من هــذه الأحوال النكدة ، ولا يطلع على سرّه أحداً ، ولا يورّى الأعدا إلاّ تجلّداً ؛ على أنّ سعة صدره الشريف لا يُحدّ بالقياس ، ولا يؤثّر فيه وسواس الخنّاس ؛ فهو بحمد الله كما قيل < من الكامل > :

لله صــدرٌ للإمام كأنّما أقطار طاعته به قطمير
تتزاحم الأضداد فيه وتنثنى عنه وليس لوقعها تأثير
وأثبت ما تراه نُهاً وجأشاً إذا دُهش المشاور والمشير

---

(١) هذين البيتين : هذان البيتان (١١) البيت مضطرب الوزن (١٥) يؤثر : يائر
(١٩) البيت مضطرب الوزن

قال الله تبارك وتعالى ﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ والقطمير قمع التمرة ؛ ولم تزل الناس والأمّة ، تحت هذه الشدّة والغمّة ، حتى أغاث الله عباده ، وأمصاره وبلاده ، ومنّ على الأنام ، بعافية سيّد ملوك الإسلام ، وزالت الآلام ، ودخل الجمام ، وسارت البشاير على أجنحة الحمام ، وحصل السرور العامّ ، للخاصّ والعامّ . وكان فى طول تلك الأيّام لا يدخل إليه غيرُ سودى الجمدار ، لِما كان يتحقّقه منه من عقله الوافر وكتمه للأسرار . ثمّ سأل منه عمّا تجدّد من الأخبار ، فقبّل الأرض مرار ، وقال : هذا شكراً لله والملك القهّار ، الذى مَنّ علينا بعافيتك ، يا ملك الأقطار ، أمّا الأحوال فمستقيمة . وقد كانت الدنيا لسقمك سقيمة ، فالحمد لله على صدقاته العميمة ، وأياديه الجسيمة . — فرسم له أن يطلب الأمير سيف الدين بينجار ، ليسأل منه عن جليّة الأخبار . فلم يكن بأسرع أن حضر وقبّل الأرض بين يدى المواقف الشريفة ، وفاز دون العالم بمشاهدة تلك الأخلاق اللطيفة ، التى أرقُّ من البارد الزُّلال ، وسمع تلك الألفاظ التى كالسحر الحلال

ثمّ برز المرسوم الشريف : أن يُصرف من الخزانة المعمورة من خاصّيّة مال مولانا السلطان ألف دينار عينٍ مصريّةٍ ، ويُستفكّ بها مَن بالسجون ، من أرباب الديون ، وأن يُغسل ما عليهم من المساطير الشرعيّة ، ويفتقد مَن فى سجون الولاية من الرعيّة ويتتبّع صلاحهم ، ويطلق سراحهم ، فامتثل جميع ذلك ، فى ساير الممالك . وجلس نصره الله على أعداه ، وبلّغه قصده ومناه ، يوم الخميس فى الإيوان ، ومدّ الخوان ، وأخلع الخلع السنيّة على ساير الأمرا والمقدّمين والأعيان ، وفرّق مثالات أخباز الجند المتوفّين ؛

(١) ما : ولا ‖ السورة ٣٥ الآية ١٣ (٢٠) الخوان : الاخوان

وتصدّق بها على أولادهم الأيتام المنقطعين ، وادّخر بذلك عند ربّ العالمين . ثمّ ركب نهار السبت ، ولعب الأكرة بالميدان . وطلع بعد العصر إلى القاعة المحروسة راكباً كالأسد الغضبان . وتوجّه البريد إلى ساير الممالك الإسلاميّة بهذه البشاير السنيّة

وفيها كان هدم الإيوان الأشرفىّ وتجديده ، وزخرفته بأحسن صناعةٍ مجيدة . ولم يزل كذلك حتى أمر بهدمه وعمارته فى سنة أربع وثلاثين وسبع ماية ، حسبما يأتى من ذكر ذلك فى تأريخه

وفيها أعرض الحلقة المنصورة ، وشملتْ ساير العساكر صدقاتُه المبرورة . ومن كان قد كبر وعجز عن الخدمة ، وكان له فى الإسلام سابقةٌ وقدمة ، فإن كان له ولد صالح للخدمة الشريفة ، أنعم عليه بخبز أبيه وما يكون بيده ، إن كان ذا وظيفةٍ ، ويتصدّق على الشيخ براتبٍ يموّنه لتقرّ بذلك عيونه . ومَن صلح للزيادة زاده ، وأكمد بذلك أضداده . ومَن كانت سيرته ذميمة ، وأحواله غير مستقيمة ، قطعه وأنعم بإقطاعه على مستحقّه ، وعرف له الواجب من حقّه ، وخرج المقطوع يقلّب كفّيه ، ولم يلق من حُنين غير خُفّيه . فكان ذلك العرض كيوم العرض ، هذا قد فاز بحسناته ، وهذا قد ندم على سيّئاته . فأمّا أصحاب اليمين ، فمن القطع آمنين ، وأمّا أصحاب الشمال ، فقد خابت منهم الآمال . ولم يخرج من بين يديه من قريبٍ ولا بعيد ، إلاّ وقد فاز بوعدٍ أو خسر بوعيد ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ وكان قبل ذلك حصل تغيُّر الخواطر الشريفة على القاضى فخر الدين ناظر الجيوش المنصورة وسُلّم لفخر الدين أياز أستادار الأعزّ ، وصُودر وأُهين إهانةً كبيرةً ، وكذلك ولده شمس الدين عبد الله

(١١) ذا: ذو (٢١) إهانة: اهنه (١٨) السورة ١١ الآية ١٠٥ (٢٠) استاداز: استدار

فلمّا كان هذا العرض كان قطب الدين بن شيخ السلامية جالساً فى العرض ، وكذلك أمين الدين بن العنام وكريم الدين الصغير . وبين يدى مولانا السلطان من الأمرا الأمير سيف الدين أرغون النايب بالأبواب الشريفة ، والأمير سيف الدين طغاى ، والأمير سيف الدين كستاى الناصرىّ ، هؤلاء من الأمرا الخاصّكيّة ، وأمّا الأمرا أرباب المشور الجلوس فى ذلك الوقت ، فالأمير سيف الدين قلى السلحدار والأمير علاء الدين أيدغدى شقير الحسامىّ ، وأمير حاجب قايم بين يدى المواقف الشريفة الأمير سيف الدين بكتمر الحسامىّ . فلمّا شرع مولانا السلطان فى العرض المبارك ، عادوا الدواوين الذين بين يديه الشريفتين قليلى الخبرة بالجيوش ، ولا يعرفون الجندىّ الجيّد من غيره ولا القديم الهجرة بالأبواب الشريفة من المستجدّ . فرأى مولانا السلطان أنّ هذه الوظيفة لا يقوم بها أحـــد مثل القاضى فخر الدين ، فسيّر للوقت ورضى عنـــه وأخلع عليه وجلس فى بقيّة هذا العرض ، وقال له : يا فخر الدين ، أعرضنا هذا الجيش فوقعنا فى بحرٍ زاخرٍ ، ولا علمنا المستحقّ من غيره . — فجلس القاضى فخر الدين ، وأعرض بخبرةٍ ومعرفةٍ تامّةٍ . وعرّف مولانا السلطان الدخيل فى الجنديّة من القرارىّ المستحقّ . وبطّل كلام الحاجب وغيره . فلمّا كان آخر العرض قال لمولانا السلطان : يا خوند ، أعطى الناس دستوراً ! فما بقى قدّامك شى تعطيهم . — فكان الأمر كذلك ، وفاز مَن فاز بالزيادة ، وخسر من خسر بالقطع . فكان كما قال الله تعالى ﴿ ٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾

هذا وقد راحت الأخبار لقراسنقر بما فعل مولانا السلطان عزّ نصره من التيقّظ لجيوشه ، وحسن النظر الشريف فى أحوال عساكره .

(١١) الوظيفة : الوضيفه (١٧) دستوراً : دستور (١٩) السورة ٥٦ الآيات ١٠–١٢

فحصل له من الذلّ والانكسار ، ما ظهر عليه وبان ، ممّا لحقه من هيبة مولانا السلطان ، التى شاعت فى الأقطار حتى أعلنَتْ بذلك الركبان ، وتعلّقت بأجنحة العقبان . قال : فخلا بالأفرم وقال له : ما عندك من أخبار مصر والسلطان الملك الناصر ؟ — فقال : أمّا أنا فقد شغلنى شرب الراح ، ورشف الأقداح ، ومُغازلة المِلاح ، عن سماعى للأخبار الصِّحاح . فما عندك من الأخبار ؟ — فقصّ عليه القصص ، وهو يتجرّع الغصص ، فقال الأفرم : يا مير شمس الدين ، هذا مَلك لله به عناية ، ولا بدّ له فيه نهاية ، ومن كانت لله فيه إرادة ، فنهايته إلى السعادة . — فقال قراسنقر : ما كنتُ أظنّ أنّ الأحوال بعدنا تستقيم ، والملك لا شكّ عقيم . ونحن فكنّا ظالمين ، فلقّانا ونصره علينا ربّ العالمين ، ولا نعلم ما يكون من أمرنا مع هؤلاء الملاعين ، الذين ليس لهم قول ولا دين ، فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلىّ العظيم

قلتُ : ولقد حدّثنى من أثق بقوله : أن كان أكبر أسباب توجّه الأفرم إلى قراسنقر وعبوره معه إلى البلاد ، أنّه كان سيّر إلى الشيخ صدر الدين بن وكيل بيت المال المعروف بابن المرحل المقدّم ذكره وشئ من رقيق شعره فى الجزء السابع من هذا التأريخ ، وهو يقول له : تكشف لى الأخبار بمصر ، وما يكون من أمرى ، وتكتب إلىّ بذلك مُلغزاً . قال : فكتب إليه يقول < من الطويل > :

أيا جيرةً بالقصر كان لهم مغنى ... رحلتم فعاد القصر لفظاً بلا معنى
وأظلم لمّا غاب نور جماله ... وقد كان من شمس الضحى نوره أسنى
يعزّ علينا أن نرى الدار بعدكم ... وما نحن فيها سادتى مثلما كنّا

---

(١٢) الا ... العظيم : بالهامش

لقد كانت الدنيا بكم ذا نضارةٍ … ونُعمى فأعمى الله عيناً أصابتنا
سقيت ديار الظاعنين مدامعى … وقد شحّ ماء المزن يا ليته أغنى
وعيشكمُ ما الدار منذ رحلتمُ … زمانكم لا والذى أذهب الحسنا
ولا غنّت الورقا فأشْجت بصوتها … ولا هزج يجزى ولا مطرب غنّى
ولا راقت الآصال إلاّ صبابةً … ولا حرّكت ريحُ الصبا طرباً غصنا
بروحِيَ أفدى الظاعنين وإن همُ … أبَوا أنّ نومى بعدهم يَقْرُب الجفنا
يعزّ علينا بُعدُ دارىَ عنهمُ … وقد كنتُ منهم قاب قوسين أو أدنى

لغـــزه

وإنّى أُلاقى ما ألاقى من الذى … لسمعىَ قد أصمى وجسمىَ قد أضنى
لقد كنتمُ يا جيرة الحىّ رحمةً … أياديكم تمحو الإساءة بالحسنى
وكنتمْ لنا مَن إن دعَوْنا تؤمّنوا … وإنهمْ دعَوا أن يُجمع الشمل أمّنّا
وإن عادت الأيّام تجمع شملَنا … سجدنا لربّ العرش شكراً وشكَرنا

قال : فلمّا فهم جمال الدين الأفرم ما فيه من اللغز رحل من وقته والتحق بقراسنقر ، وسيّر للشيخ صدر الدين عشرين ألف اكروس

ولمّا وصلوا إلى ماردين ، كان الملك المنصور نجم الدين إيلغازى مريضاً . فخرج إليهم ولده الملك العادل علاء الدين علىّ ، وأخرج لهم الإقامات ، وتوجّه فى خدمتهم إلى نحو خدابنداه ، ووصل إلى أخلاط . فلحقه البريد يعرّفه أنّ والده الملك المنصور تُوفّى إلى رحمة الله : فرجع

---

(١) ذا نضارة : ذو نظارة (٧) قاب قوسين أو أدنى : السورة ٥٣ الآية ٩
(٩) أضنى : اظنا (١٤) اكروس : كذا فى الأصل (١٦) مريضاً : مريض

لا يلوى على شىء ، وأخذ مسافة خمسة أيّام فى يومٍ وليلةٍ . ودخل إلى ماردين فى الليل ، وأراد قتل أخيه شمسِ الدين صالح من دون إخوته الجميع ، لِما كان يعلم من همّته وأنّه أهلٌ للملك دون غيره من الإخوة . فأبى الله تعالى أن يكون الميّت غيره . ولم يوافقوه كبار الدولة على ذلك كون أنّ شمس الدين كان معروفاً عند خدابنداه وكبار المغل . وملّك الملك العادل علاء الدين علىّ المذكور مدّةَ عشرة أيّام ، وهو متوجّع من فؤاده ، وتوفّى إلى رحمة الله تعالى حتى اتُّهم أنّ قراسنقر سقاه . وملك بعده الملك الصالح شمس الدين أخوه ، واستمرّ فى الملك ، وهو ملك حسن السيرة ، محبوب إلى رعيّته ، كبير السياسة ، حسن التدبير ، سعيد فى حركاته ، ميمون فى غزواته

ذكر سنة اثنتى عشرة وسبعماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم

ما يخصّ من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر سلطان الإسلام بممالك الأرض ، فى طولها والعرض ، أدام الله أيّامه إلى يوم العرض

والنوّاب بمصر والشـــام ، حسبما نذكر الآن من الكلام : الأمير جمال الدين آقوش الأشرفىّ نايب الكرك بدمشق إلى حين عُزل وقُبض عليه ، وأُخلع على الأمير سيف الدين تنكز الحسامىّ الناصرىّ يوم الجمعة

---

(٣) أهل : أهلا (٩) محبوب : محبوباً || سعيد : سعيداً (١٠) ميمون : ميموناً
(١٤) أبو : ابى

سادس شهر ربيع الآخر بنيابة دمشق عوضاً عن الأمير جمال الدين المشار إليه،وأُخلع على الأمير سيف الدين سودى الجمدار بنيابة حلب المحروسة تاسع شهر المحرّم من هذه السنة ، وأُخلع على الأمير سيف الدين تمر الساقى بنيابة طرابلس تاسع شهر صفر من هذه السنة . وفى ذلك اليوم كان تعدية قراسنقر والأمرا رفقته وقطعُه الفراة متوجّهاً إلى الشرق

وأُحضر الأمير جمال الدين آقوش الأشرفىّ إلى الأبواب العالية ، وقُبض عليه وعلى جماعةٍ من الأمرا وهم:الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار النايب يومئذٍ بالأبواب العالية،والأمير شمس الدين آلدكز صهر الشجاعىّ أمير مايةٍ مقدّم ألف ، والأمير شمس الدين سنقر الكمالىّ أمير حاجب كان ، والأمير حسام الدين لاجين الجاشنكير المعروف بزيرباج أمير مايةٍ مقدّم ألف . وكان هؤلاء الأمرا المذكورون فى التجريدة الأخيرة . فلمّا حضروا مُسكوا مع الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار النايب ، وكان بالأبواب العالية ، لم يكن مع المجرّدين ، وتُوجّه بهم إلى ثغر الإسكندريّة بالاعتقال خلا بيبرس الدوادار ، فإنّه اعتُقل بالقلعة المحروسة . وكذلك مُسك مع هؤلاء الأمرا الأمير سيف الدين باينجار ، والأمير علاء الدين مغلطاى المسعودىّ . كلّ هؤلاء أمرا مقدّمين ألوف ، وليس فيهم بغير تقدمة ألف سوى الأمير حسام الدين لاجين العمرىّ . فتكمل العدّة به ثمانية نفر فى يومٍ واحدٍ . وعاد مولانا السلطان ركب فى ثانى يومٍ مِن مسكهم

ولقد بلغنى ما حكاه والدى : أنّ السلطان الملك الظاهر رحمه الله على ما كان عليه من الشجاعة التى تُضرب بها الأمثال ، لمّا مسك سنقر الرومىّ ،

---

(١) ربيع الآخر : صفر ، مصحح بالهامش

أقام أربعة أشهرٍ ما ركب حتى تمهّد أمره . ومولانا السلطان مسك هؤلاء الكباش ، وفيهم نايب مصر ونايب الشأم ، وركب من غده ، فهذه من النكت العجيبة والسير الغريبة

وفى يوم الاثنين تاسع شهر ربيع الآخر وصل الملك المؤيّد عماد الدين إسمعيل — وكان يومئذٍ نايباً بحماة بغير ملكٍ — إلى الأبواب العالية ، وأخلع مولانا السلطان عليه خلعةً سنيّةً بشاشٍ مثمرٍ

وفى شهر ربيعٍ الأوّل حصل الغضب على القاضى فخر الدين ناظر الجيوش المنصورة وأُفصل من الوظيفة . وولى الشيخ قطب الدين بن شيخ السلاميّة ، وكان ناظراً على الجيوش الشأميّة ، فأُحضر وولى مكان القاضى فخر الدين ، وسُلّم القاضى فخر الدين لفخر الدين أياز أستادار الأعسر ، وحصل له إهانة كبيرة وكذلك ولده عبد الله

وفى خامس عشر ربيع الآخر كان عرْض الحلقة المنصورة بين يدى المواقف الشريفة السلطانيّة ، وقطع تقدير ألف ومايتى فارس ، كانوا محدثين جنديّة وعاجزين ومَن لا يصلح للخدمة الشريفة . وأصلح جماعةً كبيرةً فى أخبازهم أعزّه الله . ولمّا كان الخامس والعشرين من ربيع الآخر أفرج عن القاضى فخر الدين ، وجلس بين يديه لعرض بقيّة الحلقة المنصورة ، وأخلع عليه ورضى عنه

وفى مستهلّ شهر جمادى الأوّل أخلع على الأمير سيف الدين أرغون الدوادار الناصرىّ بنيابة الديار المصريّة واستقرّ كذلك

---

(٨) الوظيفة : الوضيفه (١١) إهانة : اهنه

وفى شهر جمادى الآخر برزت المراسم الشريفة بعمارة الميدان الذى تحت القلعة المصريّة

وفى أوّل شهر صفر وردت الأخبار بتحريك التتار ، وأنّ قراسنقر والأفرم قوّيا عزم خدابنداه على الدخول إلى الشأم ، وضمنا له أخذها له . فلمّا كان فى شهر رجب قويت الأخبار ، ورسم مولانا السلطان عزّ نصره باستخدام البَطّالين من الجند ، وأقطعهم ساحل الغَلّة

وفى عاشر شعبان استحضر مولانا السلطان رسول الأشكرى بالإيوان الجديد . وقدّموا تقادمهم على رءوس الحمّالين ، وعدّتهم اثنين وأربعين حمّالاً ، ما بين جوخ وسنجاب وبرطاسى وغيره ، وخمسة شواهين وصقر واحد

ذكر توجّه الركاب الشريف عزّ نصره إلى الشأم المحروس بنيّة الغزاة

وذلك لمّا صحّت الأخبار بتوجّه التتار إلى نحو الديار ، برزت المراسم الشريفة بأن يُنفق فى الجيوش المنصورة ، فنُفقت فيهم الأموال ، وذلك أوّل شهر رمضان المعظّم . فلمّا كان ثانى شهر شوّال خرج الركاب الشريف السلطانىّ من القلعة المحروسة . وكان فى طول هذه المدّة — والعرض واقع تحت القلعة — فى كلّ نهارٍ تُعرض ألفى فارس ؛ وكان عرضٌ عظيم ما شهد الناس مثلَه ، لِما أظهرت الموالى الأمرا من القوّة والسلاح والعُدَد والخيول ، حتى ذهلت عقول العالم . وكان ذلك بمرأى من عيون العدوّ المخذول وجواسيسه ، والأخبار ترِد على خدابنداه بجميع ذلك . فداخله الزَّمَع ، وعمل فيه الهلع

(١٧) الأمرا : للامرا

هذا وجيوشه قد عادوا فى غاية الضعف من الجوع والقلّ . وكان قد نزل على الرحبة وضرب عليها سبع حلقات ، وشرع فى حصارها ، وقلّت عنده الأقوات ، حتى عادوا يعلّقون على دوابّهم ورق الكروم وحصل لخيلهم مرض الطابق . فرجع أكثرهم هاربين بغير دستورٍ منه حسبما نذكر من ذلك ، إن شا الله تعالى . فلمّا رأى أنّه فى غاية الضعف ، وأنّ الأخبار قد وردت عليه أنّ الجيوش الإسلاميّة فى غاية القوّة ﴿ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾ ولم يلوِّ على مَن خلفه ولا على من بين يديه

وكان أوّل الجيوش الإسلاميّة لمّا قبضوا نفقاتهم توجّهوا إلى نحو الشأم بالعدّ والعديد ، وقلوبٍ أقوى من الحديد . فوصل أوايلهم إلى غزّة مستهلّ شهر رمضان المعظّم ، واستمرّت الجيوش تتحدّر انحدار السيول . وقد ملأوا بكثرتهم الحزون والسهول ، إلى مستهلّ شهر شوّال المبارك . والركاب الشريف قد نزل على منزلة الصالحيّة من الديار المصريّة . فوردت الأخبار بهروب التتار ، ونكوصهم على أعقابهم طالبين الديار . فضرب مولانا السلطان مشوراً مباركاً مع الأمرا الكبار . فاجتمع الآرا المباركة على التوجّه إلى الشأم المحروس ، والنزول بدمشق المحروسة ، ليكون ذلك أكثرَ إرهاباً للعدوّ المخذول . فتوجّه نصره الله على أعدايه المتمرّدين ؛ نصراً عزيزاً إلى يوم الدين ، طالباً للشأم المحروس ، لتطمئنّ بقدوم ركابه الشريف النفوس . فدخل إلى دمشق المحروسة يوم الثلاثا ثالث وعشرين شوّال ، ونزل بالقلعة يوماً واحداً ، وانتقل إلى القصر الأبلق بالميدان الأخضر ، ليأخذ كلٌّ منهما حظّه بحلول ركابه الأخضر . وفرّق العساكر فى أقطار الشام ، مدّة إقامة ركابه الشريف فى تلك الأيّام ، بنواحى الروحا

---

(٥) حسبما ... تعالى : بالهامش (٦ – ٧) السورة ٨ الآية ٤٨ (١٩) يوماً
حداً : يوم واحد

والسواحل وإلى نواحى بلاد حمص وحصن الأكراد وسواحل عكّا وطرابلس . ودخل فى ركابه الشريف أعيان الناس إلى دمشق

ثمّ أجمع رأيه الشريف أن يجمع بين الأجرين ، ليفوز بالحسنتين . فعزم على الحجاز الشريف من دمشق المحروسة ، وهى أوّل حجّاته المبرورة ، ومساعيه المشكورة . وترك الأمير سيف الدين أرغون النايب يومئذٍ بالأبواب العالية من الديار المصريّة مقيماً بدمشق المحروسة ، وكذلك الأمير سيف الدين تنكز ملك الأمرا بالشأم المحروس . وكانا يجلسان جميعاً ويحكمان بين الجيوش المنصورة ، المصريّين والشأميّين . وتوجّه فى ركابه الشريف الأمير سيف الدين بكتمر الحسامىّ بحكم انتقاله من الوزارة إلى الحجبة قبل هذا التأريخ ، وتولّى عوضه الوزارة الصاحب أمين الدين أمين الملك بن الغنام ، وهى الوزارة الأولة بالأبواب العالية ، وخرج فى الركاب الشريف وزيراً مستقلاً . وكان من قبل مستوفى الصحبة الشريفة . وأقام أيضاً بدمشق بسبب تحصيل الأموال الديوانيّة . وتوجّه فى خدمة الركاب الشريف القاضى كريم الدين الكبير . والقاضى علاء الدين بن الأثير صاحب ديوان الإنشا الشريف ، والقاضى فخر الدين ناظر الجيوش المنصورة ، والقاضى شمس الدين غبريال ، وفُوّض إليه أمر الإقامات وتدبير الأحوال فى طريق الحجاز الشريف . فلمّا كانت العودة رُتّب ناظرَ النظّار بالشأم المحروس واستمرّ كذلك حتى انفصل بكريم الدين الصغير حسبما نذكر من ذلك فى تأريخه

وكان لمّا حلّ الركاب الشريف بدمشق المحروسة فى التأريخ المذكور قد زُيّنت دمشق زينةً عظيمةً ، وكذلك ساير مدن الشأم والحصون والقلاع . وحصل للناس من الفرح والسرور ما يضيق عن بعض وصفه هذا المختصر .

وخرجت الجيوش الشأميّة مع أمرايها ، وقبّلوا الأرض عند الجسورة . ونزل الركاب الشريف على مصطبة السلطان . ومُدّ خوان عظيم عمّ على الخاصّ والعامّ . وقدّم القاضى نجم الدين بن صصْرَى قاضى القضاة بالشأم المحروس ألف رأس غنمٍ شِوا وألف طبق فاكهة وثلاثة ألف علبة حلاوةٍ ، وقدّم خمس حجورة ، ثلاثة من خيل العماد وثلاث من بنات الفارة أصلهم من خيول صاحب حماة ،وقدّم . . . ثوب أطلس وكمخا ومروزىّ وكَنْجى وغير ذلك ، وثلاثة مماليك وجاريتين كالبدور الطلع ، وكذلك قدّموا كبار دمشق مثل عزّ الدين بن القلانسىّ وكمال الدين بن الزملكانىّ ونظراهم شيئاً كثيراً جدّاً . وبسط الأمير سيف الدين تنكز ملك الأمرا مع جماعة الأمرا الشأميّين من قصر حَجّاج إلى باب الميدان الثيابَ المثمّنة النفيسة ، وكان يوماً مشهود ، لم يُرا مثله مذ كانت الوجود ، وأقام ركابه الشريف بدمشق . . .

وعاد من الحجاز الشريف فى التأريخ المذكور ، وقد غمر أهل الحجاز بالبرّ والمعروف ، ونفق فى الصدقات المبرورة آلاف الألوف ، وذلك لم يزل منه مشهود ومعروف . وكان فى مدة غيبة ركابه الشريف بالحجاز الشريف قد ضاقت بالعساكر الأقطار ، وتحسّنت من كثْرتهم فى ساير الأصناف الأسعار ،حتى بلغ الحمل التبن ثلاثين درهماً وأكثر . ولولا تفرُّقهم فى جميع تلك الأماكن المذكورة كان السعر بخلاف ذلك . وعاد الركاب الشريف من الحجّ المبرور والسعى المشكور ، وقد فعل من المعروف ما عاد مذكور آخر الدهور . وكان دخوله إلى دمشق

(٢) خوان : اخوان (٦) بعد « وقدم » بياض لكلمة واحدة ، لعلها اسم رجل
(٩) شيئاً كثيراً : شى كثير (١٢) بعد « بدمشق » بياض لنصف سطر

المحروسة الساعة الأولة من يوم الخميس سابع عشرين المحرّم . وخرج إلى ملتقى ركابه الشريف ساير مَن كان بدمشق من الجيوش المصريّة والشأمية إلى الجسورة . واصطفّوا صفوف ، ألوف‌ألوف ، وعادوا يقبّلون الأرض عِدّة مرار ، الكبار من الأمرا والصغار ، فكانت ساعة تذهل فيها العقول ، وتقصر عنها النقول . ثمّ عاد البسط من قصر حَجّاج إلى الميدان بإمكان ، وأىّ إمكان ! وكان قد تقدّم ببشارة سلامة ركابه الشريف الأمير سيف الدين قجليس السلحدار . وكان عند الناس أعظمَ من يوم عيدٍ ذلك النهار . ولمّا استقرّ ركاب مولانا السلطان بالقصر الأبلق المُطِلّ على الميدان ، خرجت الخلع والإنعامات والهدايا والأرمغانات . وفرّق الحجورة الحجازيّة على جميع الأمرا المصريّة والشأميّة ، وكذلك هذايا الحجاز الشريف ، من كلّ صنفٍ لطيف ، وقدره شريف

وضرب مشوراً على أنّه يسوق إلى حلب ، ثمّ يعدّى الفراة ويدوس البلاد ، ويجمع بين الحجّ والغزاة ، ويؤدّى الفريضتين ، ويفعل فوق ما فعله الملك الظاهر بالبلستين . وقوِى العزم الشريف على ذلك: فى دوس تلك الممالك والمسالك . وبرز المرسوم الشريف للأمير سيف الدين آقول الحاجب بأن يركب يتوجّه لطرد الجيوش الإسلاميّة والعساكر المحمديّة من الأماكن التى هم بها متفرّقون من المغربين والمشرقين ، وطرد الخيول من الدشار ، وسوْق العساكر من تلك الديار . ثمّ إنّ الموالى الأمرا قبّلوا الأرض بين يدى المواقف الشريفة السلطانيّة ، وأثنوا عزمه الشريف عن تلك النيّة ، وقالوا : يحفظ الله مولانا السلطان ، قد حضر الركاب الشريف من الحجاز تعبان ، والعدوّ المخذول فقد عاد

---

(٣) ألوف ألوف : الوف الوف (١٣) يؤدّى : يدى

مكسور ، بشارب مذلول ، وقد رجع بالذلّ والهوان ، من هيبة مولانا السلطان . والأسعار فقد غلت ، والأثمان فى ساير الأصناف قد علت ، والبلاد التى بيقصدها مولانا السلطان فبلاد إســلام ، وليس عليهم ملام ، بما فعاوه التتار اللئام . ومولانا السلطان فقد جعله الله تعالى غيثاً للبلاد ، ورحمةً على العباد ، ولا يأخذ أهل المدن من المسلمين ، بما فعلوه التتار الجاهلين . وعساكر مولانا السلطان فهوج عظيم ، وعالم جسيم ، وحيث حلّوا كسروا ، وأين داسوا دثروا ، وسعة صدر مولانا السلطان يسع مَن جهِل ، وكفى بالعدوّ المخذول ، وقد عاد وهو خايب الأمل

فرجع نصره الله إلى مقالهم،ولم يخيّب قصدهم وآمالهم . ثمّ برز المرسوم بالدستور إلى الديار المصريّة ، وقد شكر الله تعالى له هذه المساعى المرضية . ثمّ توجّه الركاب الشريف طالباً لديار مصر ، وقد حفّته الملايكة المقرّبون بالنصر . فكان دخوله إلى محلّ ملكه،وساير الأمرا المصريّين منتظمون فى سلكه ، < ثانى عشر > من شهر صفر المبارك ، والسعد قرينه ، والتوفيق له مشارك

ولمّا استقرّ ركابه الشريف ، بالقصر العالى المنيف ، كان قد بدا من الأمير عزّ الدين أيبك الرومىّ والأمير سيف الدين بينجار ما أوجب تغيّر الخواطر الشريفة عليهما . فمسكهما وأودعهما الاعتقال ، وبطل القيل والقال . ثم اشتغل — أيّده الله بالقرآن — فى تشييد عدّة أماكن بالبنيان ، إلى ما يذكر بعد ذلك من البيان

---

(١٣) مكان تأريخ النهار بياض فى الأصل ، أضيف من ز ت ١٦٠ الذى يذكر رجوع السلطان فى سنة ٧١٣

ذكر سبب مأتى التتار إلى الرحبة والسبب في عودتهم خايبين

إنّما قدّمْنا القول فى ذكر ما كان من أمر العساكر الإسلاميّة، والجيوش المحمديّة ، وأخّرنا ذكر ما كان من جيوش التتار، وعساكر الكفّار، لِما قيل < من الطويل > :

أيا دهرَنا نُعماك فينا أتمّها ودَع أمرهم إنّ المهمّ المقدّم

والآن فنبتدى بما كان من أمور التتار ، وسبب مأتاهم إلى تلك الديار . وذلك أنّ القول تقدّم من العبد بما كان من أمر قراسنقر ورفقته المرتدّين، المغضوب عليهم إلى يوم الدين . وكان قد سيّر قراسنقر قصّاداً من البلاد ليخبروه بما كان وبما فعله مولانا السلطان فى حقّ بنيه ، وحاشيته وذويه . وقد حسّن للملك خدابنداه الدخول إلى الشام، وأنّه يأخذ له البلاد من غير قتالٍ ولا كلام . وسيّر إلى ساير ممالك التتار ، مِن ساير الأقطار ، وجنّد الجنود ، وحشد الحشود . هذا والأفرم ملتهى مع الملك خدابنداه فى حسو الخندريس ، وقد صار أقربَ إليه من كلّ جليس . فبينما قراسنقر وجوبان يحزّبون الأحزاب ، ويسبّبون الأسباب ، إذ ورد على قراسنقر إحدى قصّاده ، ومَن كان عليه اعتماده . بكتبٍ من عيونه ، يخبروه عن أولاده ، بما قرّت به عيونه ، وأنّ المراحم الشريفة لم تؤاخذهم بما فعله آباؤهم من سوء الاعتماد ، ولا ما جناه من الفساد ، وأنّه أنعم عليهم بأمريات : وجعلهم فى صحيفته من جملة الحسنات ، وأملاكك بتجبيها جُباتك ؛ وتُحمل إلى خزاين أولادك ؛

---

(٩) قصاداً : قصاد (١٨) عليهم : عليهما

ولم يفقدوا غيرَ نظرك عليهم . وقد زاد مولانا السلطان فى إحسانه إليهم . هنالك داخله الندم ، لِما عليه من الفساد قد قدم ، ولا عاد يقدر ليستدرك ما فرط ، ممّا وقع فيه من الغلط

وفى جملة ما ذكر القاصد لقراسنقر أنّ العساكر الإسلاميّة متفرّقة فى بلادها يربعوا خيولهم من أمرايها وأجنادها ، ولا عندهم مهلة حتى ليستغلّوا مغلاّتها ، فإنّ أخبار البيكار ، شايع فى ساير الأقطار . والسلطان فى الصيد ليس عنده من جموعكم هذه اكتراث ، وفى عزمه أن يسقى خيله هذه السنة من ماء الفراة . فأخذ قراسنقر ذلك القاصد ، وأتى به إلى الملك خدابنداه قاصد ، وحدّثه مشافاه ، بما عاينه وسمعه ورآه . فقال خدابنداه : فماذا عندك ، يا مير شمس الدين ، من الرأى ؟ فنحن لرأيك متّبعين ، ولقولك مستمعين . — فلم يمكنه الرجوع عمّا كان هو السبب فيه ، وخشى أن تشمت به أعاديه ، ويجدوا للقول فيه باباً مفتوح ، ويعود كأنّه غير نصوح . فقال : يا ملك ، وأيش من الرأى غير دوْس الشام ، فى هذا العام ؟ فقلاعها حاصلة فى يديك ، والجميع تسلّم إليك ، من غير حربٍ ولا قتال ، ولا تعبٍ ولا نضال . وأوّل ما نجعل نزولنا على الرحبة ، ونضرب من بابها الرقبة ، والذى عندى أنّه يسلّم إلينا المفتاح عند أوّل حملة ، ولا يطيق حصاراً ولا يعطى نفسه مهلة . — هذا وجوبان يسمع الكلام ولا يُبدى جواب ، وقد داخله من الحنَق حتى لا يُحير خطاب ، ولو مُكّن من قراسنقر ورفقته لما كان لهم عنده غيرُ ضرب الرقاب

---

(٣) مما . . . الغلط : بالهامش (٥) ربعوا . . . حتى : بالهامش (١١) باباً : باب (١٦) حصاراً : حصار (١٧ – ١٩) هذا . . . الرقاب : بالهامش

فعند ذلك قوى العزم المخذول ، على الركوب والدخول ، لِما كان فى قلوبهم من نوبة شقحب من الدجول . ورُسم لصاحب ماردين بجرّ المناجيق إلى شطّ الفراه ، وبجرّ عساكره بنفسه من وراه . وكان صاحب سيس ، النجس الحسيس ، قد جهّز الأخشاب والحواصل ، وحمّل البغال والمسامير والسلاسل : وركب الملك خدابنداه من الأُردوا طالباً للفراه ، وجيوشه قد طبّقت الأرض من قدّامه ووراه ، ومماليك قراسنقر يلعبون قدّامه بالنار ، وقد علا الدخان وزاد القتار ، وضرب قدّامه الزمر والطار . هذا وقد أظلّتهم الظلمة والوحشة ، وقد أخذتهم الحَيرة والدهشة ، ومسلمين البلاد تدعو عليهم بالخذلان ، ويلعنوا قراسنقر ورفقته سرًّا وإعلان

فاجتمع قراسنقر بالأفرم فى ذلك الوقت وقال له : يا مير جمال الدين ، ترى نحن فى اليقظة أو فى الأحلام ؟ قد عدنا فى جيوش الكفر بعد جيوش الإسلام ، وما كفانا حتى نكون السبب فى تجهيز أمّة الكفر إلى أمّة النبىّ عليه السلام ، فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلىّ العظيم ، ــ قال ، وبكيا جميعاً . وقال الأفرم : أوَيخذلهم الله تعالى ونرجع مكسورين ؟ والله يعلم أنّ نحن على ذلك مجبورين

قال الناقل : وحضر عسكر الكرج ، وصاحب سيس ، والتقاهم الملك الصالح صاحب ماردين بالإقامات والعلوفات ، ورتّب ذلك فى ساير المنازل . وقدّم للملك خدابنداه تقادم عظيمةً من صلب ماله . ثمّ إنّه تحدّث مع الملك خدابنداه بمسمعٍ من قراسنقر وقال : قد جانى قاصد من مصر ، وعرّفنى أنّ صاحب مصر دخل من الصيد وطلع القلعة ونفق فى

---

(٢) المناجيق : المناجنيق (١١) اليقظة : اليقصه (١٢) نكون : نكون كنا

العساكر ، وخرجت السلحدارية ، وطردوا الخيول من على المرابط . وقد سيّر البريد إلى الشأم مع جميع الممالك الإسلاميّة بخروج الجيوش للغزاة، وكذلك بتحصيل الإقامات لأجل حركته . — فقال خدابنداه : أيش تقول ، يا مير شمس الدين ؟ قال : الله يحفظ القآن ، جميع ما قاله صحيح وجاتنى الأخبار بذلك،وصاحب مصر ملك جسور،والأموال عنده كثيرة . وجيوشه مُزاحة الأعداد . ولا بدّ ما يفعل الله أمراً كان مقدوراً . — قال : فانكسر قلب الملك من ذلك الوقت،وتحقّق أنّ جيوشه تضعف عن الملتقى ، على أن كان هذا خدابنداه ليس من رجال الحروب ، وإنّما كان صاحب شرابٍ ولذّةٍ ومنادمةٍ . ولولا حملوه واستحى لا يُريهم من نفسه العجز لما كان تحرّك بحركةٍ . قال الناقل : فقال لصاحب ماردين : ما عندك من الرأى ؟ نلتقى صاحب مصر وخيل المغل ضعاف ونخشى الغايلة ؟ — فعلم صاحب ماردين أنّه قد داخله الهلع ، فقال : الله يحفظ القآن ، ننزل على الرحبة ونحاصرها ونريح الخيول وإلى ما يجينا صاحب مصر ورأى القآن المصلحة فى العود إلى البلاد رجعنا . ويكون ذلك أيضاً ممّا يضعف المصريّين . فإنّ كلّ حركةٍ عليهم ينفدوا فيها جمل أموالٍ . فإنّ كلفتهم أكثر من كلفتنا . وإذا عزم القآن فى العام القابل نكون نحن أقوى منهم ، — قال . واتّفق رأى الملك خدابنداه مع رأى صاحب ماردين على ذلك

ثمّ إنّهم ساقوا وعدّوا الفراة ونزلوا على قلعة الرحبة سبع حلَق . فكان آخر حلقتهم منزلة قباقب ، وذلك فى مستهلّ شهر رمضان المعظّم . وكان صاحب سيس قد أحضر شيئاً كثيراً من التقادم للملك خدابنداه

---

(٢٠) شيئاً كثيراً : شى كثير

من الأموال على البغال والأكاديش ، ومائة ألف تطبيقة ثقال بمساميرها ، وجملةٌ عظيمةٌ من الأغنام والأبقار ، وخوشخاناه من ساير الأصناف ، وقمح وشعير على ثلاثين ألف حمار ، مع وزيره الشيخ إسحاق بن دينار ، وسبق عسكره بسبعة أيّام . ثم حضر عسكره خمسة عشر مقدّم وهم : سير ميدوم ، وسركليام ، وسحرج ، وباسيل ، ويحيى بن داقر ، وبولص ، وجرجس ، وابن مريمة ، وجريح ، وبرصوما ، و سرليس ، وبرطلما بن قرقار ، ولوقان ، ودويب ، وصليب بن عصار ، وكورا ، وسيدوم ، وصحبة كلّ ملعونٍ منهم خمسين ملعون من الأرمن تحت سنجق الصليب . ولمّا وصلوا أعرضهم جوبان وقراسنقر ، فإنّهما كانا المتحدّثين فى الجيوش . ثم وصل عسكر الكرج والمقدّم عليهم دمر خان ومعه من أمراه الكبار من نذكر وهم : طاليش ، وطبجوا ، وطرطح ، وطرطق ، وبيكار ، وبيكرى ، وشلقيم ، وكربك ، وأوجى ، وكرباس . وبازار ، وبغلوقرا ، وجقل ، وجاغان ، وقبّرى ، وجمقار ، وقردم ، وكنجار ، وهؤلاء قوم كبار اللحى ، غليظين الطباع ، شديدين الأجسام ، عظيمين الكفر ، لا يعرفون الحلال من الحرام ، لا لهم عيشة غير الخمر والطرب . فقال قراسنقر لجوبان : أرمى هؤلاء الحمير فى الأوّل فى الحصار ، والنقب وللرمى بالأحجار

قال الناقل : وتقدّم هذا الملعون مقدّم الكرج دمر خان — وهو كأنّه قطعة من جبلٍ — بنفسه وهو جاهل بالحرب والحصار . فجاه من القلعة زُنّار فى صدره طلع من ظهره ، فخرّ لوجهه ، وعجّل الله بروحه إلى النار ، وبئس القرار . وكان عزاء من جوبان ، فأخذ الزنّار وتقـدّم إلى عند

---

(١) تطبيقه : ططبيقه (٩) المتحدثين : المتحدثان (١٣) وجمقار : وحمقار

خدابنداه وقال : قد جانا مفاتيح القلعة ومعها هذه الهديّة الحسنة — ، وهو يضحك ، وأرمى الزنّار بين يدى الملك خدابنداه كأنّه رمح أو ناشر ، وأراد بهذا الكلام تكذيب قراسنقر بجميع ما قال . وكان قراسنقر حاضراً ، ففهم غرضه فى ذلك . وقال خدابنداه : إذا كان أصغر القلاع ترمى بهذا الزنّار العظيم ، كيف يكون حالنا فى القلاع الكبار ؟ — والتفت إلى قراسنقر وقال : أيش تقول ، شمس الدين بيك ؟ — فقال قراسنقر : يحفظ الله القآن ويطيل فى عمره ، ما يموت أحد إلاّ بأجله ، ولو كان فى بطن أمّه ، هذا كان مكتوبه . وبعد هذا ، القآن ما خرج إلاّ فى نيّة الحرب والقتال ، والمحاصرة وقتل الرجال . ومَن طلب عظيماً خاطر بعظيم . وإن كان الأمير جوبان يخاف من مثل هذا الزنّار وأنظاره فلا يتعرّض لقتال ويوفّر نفسه ، ونحن ننوب عنه فى جميع ما يخشاه . فالمملوك قد شابت لحيته فى القلاع والمحاصرات والأحجار والزنّارات . وإلى الآن ما صابنى شى . ومن خاف سلم ، ومن جسر كسر ، — قال . فتعجّب الملك خدابنداه من قوّة كلامه ، وفهم مراد جوبان بقوله . فقال : يا مير شمس الدين ، طيّب قلبك ولا تضيّق صدرك ، وتربة أبغا ، لا بدّ ما أملّكك الشأم جميعه . وخلّى أىّ مَن تكلّم تكلّم . — قال الناقل : وحصل من ذلك اليوم بين قرا سنقر وجوبان المنافسةُ ، ولا عادوا يتكالموا إلاّ مراياةً لبعضهم البعض . واستمرّ الحصار على الرحبة طول شهر رمضان

هذا والجفل قد حصل فى جميع بلاد الشأم ، من الفراة إلى أبواب الرمل وأخلت حمص وحلب . وعاد فى أبواب دمشق دقّة وزحمة . وعادت أهل القرى والضياع وحواضر دمشق يريدون الدخول إلى البلد ، وأهل البلد

---

(٣) حاضراً : حاضر (٩) عظيماً : عظيم

يخرجون منها ويقصدون الديار المصريّة والحصون من القلاع الشأميّة حتى بلغ الحمل إلى ديار مصر ألف درهم نقرة ولا يلتقى . وأخرجت أمرا الشأم نساهم وحريمهم وطلبوا الديار المصريّة ، وكذلك كبار الدماشقة ؛ ولم يبق فى دمشق إلاّ من عجز عن الحركة أو مَن قوّى نفسه واتّكل على الله خالقه ، فكان عقباه إلى السلامة وعدم الغرامة وتوفّر من الخوف والتعب

قلت ، وممّا أحكيه بالمعاينة دون الإخبار : إنّ العبد كان فى ذلك الوقت عند الوالد رحمه الله بدمشق وجميع الأهل كذلك . فلمّا وقع هذا الجفل حصل للنسا الخوف العظيم . فإنّهم مصريّين ولا يعرفون الجفل ولا التتار ؛ فلمّا رآهم الوالد كذلك أجمع الرأى على إنفاذهم إلى قلعة صرخد . فتوجّهوا إليها ، واستمرّينا نحن ننتظر ما يكون من فعل الله عزّ وجلّ

هذا والبطايق تصل على أجنحة الحمام من الرحبة يخبرون بما هم فيه من شدّة الحصار وعظيم القتال . ولم تزل البطايق واصلةً إلى العشر الأخير من شهر رمضان انقطعت البطايق . فظُن أنّ التتار قد أخذوا القلعة ، فحصل عند الناس من الألم ما علمه الله تعالى . وعادوا الناس ينتظرون الفرج فى حضور الركاب الشريف السلطانىّ أعزّ الله أنصاره ، وما يتجدّد من الأخبار السارّة

هذا والعرض واقع بالديار المصريّة ، وقد وصلت أوايل الجيوش إلى غزّة ، والاجتهاد عمّال . وإنّما حصل القلق من الشأميّين ، ومولانا السلطان يفعل ما يراه من مصالح الجيوش ، وأورى فى هذه العرضة من القوّة والنهضة والخيول والسلاح وكثرة الجيوش ما كسر به قلوب التتار لمّا بلغهم ذلك .

---

(٢) ديار : دناصر (١٩) والنهضة : والنهظة

وكانت هذه كلّها آراءً سعيدةً وأمورًا مفيدةً حتى عادوا هاربين ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ، وَٱلْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾

وكان سبب تأخير الحمام بالبطايق من الرحبة أنّ التتار احتاطوا بها سبع حلقات، فعاد الحمام إذا طيّروه من القلعة رصدوه الملاعين فيرموه بالنشّاب . فإن سلم من الحلقة الأولة ما يسلم من غيرها . هذا ما حكاه الأمير بدر الدين ابن الأزكشىّ نايب الرحبة للوالد وبقيّة الأمرا الذين توجّهوا لكشف أحوال الرحبة ، وكان العبد فى الجملة حسبما أذكر من ذلك بعد هذا الكلام إنشا الله تعالى

ثمّ ورد الخبر أنّ تومانين من التتار قد وصلوا إلى القريتين وهم بها نزول . فلمّا صحّ ذلك جمع ملك الأمرا الأمرا الكبار والقرانيص من الناس . وضُرب مشور فى ذلك . فأجمعوا رأيهم أن يعيّنوا من العساكر الشاميّة بدمشق وغيرها عشرة آلاف فارس نقاوة الجيوش ، وأن يخرجوا يكبسوا تلك الطايفة الذين بالقريتين ، لعلّ أن يكون كنوبة عُرْض . واتّفق الحال على ذلك . فعيّنوا من دمشق الأمير سيف الدين بهادر آص والأمير سيف الدين كسكن والأمير شجاع الدين أغرلوا العادلىّ وعدّة من الأمرا الطبلخانات والعشرات ، وثلاث ماية فارس من حلقة دمشق ومايتى مملوك من المماليك السلطانيّة الذين بدمشق ، وأن يكون جملة العدّة من عسكر دمشق أربعة آلاف فارس . وكُتب إلى نايب طرابلس بأن يحضر بنفسه ، وكذلك إلى نايب حمص وصاحب حماة . فبينما الأمر كذلك والناس فى أشدّ الأحوال وأعظم الأهوال فكان كما قيل : تضايقى تضايقى تنفرجى ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ وكما قال الشاعر < من الخفيف > :

---

(١) آراءً : آراى || أمورًا : امور (١ – ٢) السورة ٦ الآية ٤٥ (٢٠ – ٢١) السورة ٦٥ الآية ٧

ربّما تجزع النفوس من الأمـ ـر له فرجة كحلّ العقال

فلمّا كان بين الصلاتين وقع الحمام محلّقاً من الرحبة . وبعد العصر حضر مملوك الأمير بدر الدين بن الأزكشيّ نايب الرحبة على البريد المنصور يبشّر بهروب التتار ، ورحيلهم عن الرحبة إلى نحو الديار ، وأنّ القلعة سالمة بحمد الله تعالى وبركة النبيّ عليه السلام . وضُربت فى تلك الساعة البشاير ، وفرح البادى والحاضر ، واطمأنّت النفوس بعد الوجل ، وطمعت آمال أهل الشأم بطول الأجل ، وعادوا الناجعون من الديار ، وقد اعتراهم الخجل

وسُيّر مملوك الأمير بدر الدين بن الأزكشيّ على حاله صحبة أميرٍ من الأمرا الكبار ليدرك الركاب الشريف قبل حركته من القلعة المحروسة . فلم يلحقوا ذلك إلاّ بمنزلة الصالحيّة . فأبَت النفس الشريفة ، والهمّة الملوكيّة العالية المنيفة أن تعود ، حتى تبلغ من أعدايها المقصود ، وقوى العزم الشريف المبارك على ذلك . وقال : لا بدّ من دوس بلادهم ، واستيصال أموالهم وأسر أولادهم . وأتبعهم إلى مطلع الشمس ، وأتركهم خبراً من الأخبار كالأمس ، وأعرّف خدابنداه أن كعب قراسنقر ورفقته عليه من أيشم الكعوب ، وإن كان قد رجع هارباً خايفاً مرعوب ، فليس الخبر كالعيان ، ولا السماع كالبيان . — فلمّا نظروا الأمرا إلى هذه النفس الأبيّة ، والهمّة العليّة ، خشوا إن يعاودوه فى الكلام لا يعود ، وتوقّعوا من سطواته الشريفة بالانتقام . فلم يجسر أحد على ردّ الجواب ، وقالوا بأجمعهم : هذا هو عين الصواب . — فأمر من وقته بالتوجّه إلى الشام ، ولا ينطق أحد منهم بحرفٍ من الكلام ، للوقت نُشرت الأعلام ، وهدمت الخيام ، ودقّت الكوسات ، ونعرت

---

(١) ربما : بينا ‖ له : لها ‖ كحل : مثل حل . — انظر « نزهة الألباء » ص ٣٢

(٢) محلقاً : محلق (١٧) وتوقعوا : واتقعوا

البوقات . وقصّد الشأم طالع ، فى أيمن سعدٍ وأبرك طالع . هذا ما كان من ركاب مولانا السلطان

وأمّا ملك الأمرا بالشأم ، فإنه علم أن الركاب الشريف لا بدّ له من القدوم إلى الشأم المحروس ، ولبلاد العدوّ المخذول يدوس ، لِما يتحقّقه من شجاعة مخدومه ، فانتدب للتقاه وقدومه . وعلم أنّه لا بدّ أن يسأله عن كيفيّة نزول العدوّ المخذول ، فيجب أن يكون عنده من ذلك الخبر اليقين ، فجرّد من الأمرا والمقدّمين جماعةً ﴿ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ وكان فى الجملة الوالد ، سقى الله عهده وبلّ تربه . وأمرهم أن يتوجّهوا إلى الرحبة لكشفها وكيفيّة أحوالها ، وكيف كان نزول التتار عليها ، ليطالعوا بجميع ذلك المسامع الشريفة السلطانيّة مشافهةً بعين الرؤيا ، لا بأُذن السماع ، عند حلول الركاب الشريف إلى دمشق المحروسة . وتوجّهتُ صحبة الوالد من طريق الشفقة عليه . فإن إقطاع المملوك كان بالديار المصريّة ولم يكن علىّ تجريد بالشأم . فقاسيناها منفّرةً صعبةً ، شديدة التعب والخوف والبرد وقلّة المادّة بالبلاد بسبب خلوّها من جفل التتار . واستقبلتنا الروايح المنتنة من قباقب ، وذلك لكثْرة الجِيَف فى تلك الأراضى ووسخ التتار وقذارة منازلهم . فكِدت أموت من تلك الروايح . ثمّ وجدنا أوايل حلقتهم السابعة لمّا كانوا نزولاً بمنزلة قباقب ، وداخلها حلقة وحلقة وحلقة إلى سابع حلقةٍ المحتاطة بالرحبة . وذكر الأمير بدر الدين بن الأزكشىّ لنا لمّا وصلناه أنّه كان يطلّق الحمام إلى دمشق ، فيرموه التتار بالنُشّاب ولا يخلص منهم ، وذلك لكثْرة الحلقات عليها ، وذلك لمّا كان انقطع الحمام وظنّوا أهل دمشق أنّ الرحبة أُخذت

---

(٧) السورة ٢٣ الآية ٥٧ (١٠) الرؤيا : الريا (١٧) نزولا : نزول

فلمّا وصلنا إلى قرب الرحبة خرج الأمير بدر الدين والتقانا وأنزلنا وأحضر إلينا رأس بقرٍ ضعيفٍ وقال : والله لم يتركوا التتار عندنا رزقاً . — ثمّ إنّ الأمرا كشفوا الأحوال وطلعوا من النقوب التى كانوا نقبوها التتار وخاسفوهم الرحبيّين . ثمّ سُئل الأمير بدر الدين : كيف كان رحيلهم وما سببه ؟ — فأحكى أنّه دبّر تدبيراً حسناً ، وإلاّ ما كانت الرحبة من القلاع التى بتعصى على مثل خدابنداه فى تلك الجموع . وذلك أنّه صانع جماعةً من كبار الدولة مثل الوزير رشيد الدولة وغيره . وكذلك سيّر إلى مغنّيةٍ كانت حظيّة الملك خدابنداه تسمّى نجمة خاتون ، وهى التى كانت تغنّى بين يديه هيلا ميلا ، وكانت عنده ذات وجاهةٍ كبيرةٍ . وكان هذا الملك خدابنداه ليس من رجال الحرب ، وإنّما كان همّته الأكل والشرب والطرب والنسا والملاهى . ولولا حُمل واستنهض من قراسنقر ورفقته وخشى الفضيحة أن يورّى فى نفسه العجز لما كان تحرّك بحركةٍ . وكان إذا ركب فى الدجلة السماريات توقد له الشطّين ويعود فى جنوكٍ عجميّةٍ ودفوفٍ وزمورٍ وشباباتٍ طول ليله . فلمّا أن دبّر بدر الدين بن الأزكشيّ ما دبّر وراسل نجمة خاتون وهاداها جلست تلك الليلة ووجهها غير عادته فى حال الرضى . فقال لها خدابنداه : أيش خبرك ؟ — فقالت : الله يحفظ القآن ، تركنا ورانا مثل دجلة ووقيدها ونُزَهها وما كنّا عليه من اللذّة والانفساح ، وجينا إلى هذا المكان القذر وهذه الرايحة التى إن دامت علىّ يومين آخرين متُّ . — فقال : يا خاتون ، كيف يقال عنّى إنّى نزلت بنفسى على مثل هذه القلعة اللاش ورحلتُ عنها بغير أخذها ؟ — فقالت : الله

(٢) رزقاً : رزق (٤) سئل : سأل (٥) تدبيراً حسناً : تدبير حسن (٨) حظية : حضيه (٩) ذات : ذى (١٨) على : عليه (٢٠) اللاش : الاش

يحفظ القرآن ، والله هذه فى قبضتك ، وجميع من فيها رعيّتك ، وهم مسلمين . وفى مثل هذا الشهر الشريف قد بلغنى أنّ امرأةً فيها كانت جالسةً تطبخ وفى حضنها صغير تُرضعه فجاها زنّار أخرقها وأخرق ابنها وقدرتها ، وأنّ أيضاً الجامع جميعه انهدم من المنجنيق ، والقرآن — الله يحفظه — مسلم ويحبّ المسلمين . وهذا كلّه جرى ولا يجسر أحد يخاطب القرآن . وارسم بسنجقك يُطلّعوه ويدخلوا تحت الطاعة . — فقال : إن فعلوا ذلك رحلتُ عنهم . — فأنفذتْ إلى الأمير بدر الدين تُعلمه بذلك . وسيّروا السنجق فأعلوه على القلعة وفتحوا الباب ، ونزل القاضى ، وأحضروا تلك المرأة وولدها التى أخرقها الزنّار وقدّموها بين يديه . فبكى لمّا رآها . وسيّر خلعةً للأمير بدر الدين بن الأزكشىّ ، ولبسها وقبّل له الأرض وما بين عقب السنجق . ثمّ إنه أجلس القاضى وتحدّث معه ورسم له بأربع ماية دينار لعمارة ما انهدم فى الجامع . ورحل من ساعته وأودع جميع الآلات من المناجيق وغيرها فى الرحبة ، وهو يظنّ أنّها عادت له . فهذا كان سبب رحيله . — هذا جميعه حـديث الأمير بدر الدين بن الأزكشىّ للأمرا ، وأنا أسمع

وكان هذا بدر الدين بن الأزكشىّ فى أوّل حاله جنديًّا كرديًّا من حلقة دمشق نازلاً بالصبيبات بظاهر دمشق ، قدّمه كرمه وسماحة نفسه ، وكان سبب تقديمه الأمير سيف الدين بهادر آص . وذلك ماحكوه للمملوك جماعة الدماشقة : إنّ هذا بدرالدين نزل يبيع له بغلاً ، فأباعه بألف ومايتى درهم نقرة . فاشتُرى

(٢) امرأة : مره (١٦) جندياً كردياً : جندى كردى (١٧) نازلا : نازل ‖ بالصبيبات : بالقبيبات (١٩) بغلا : بغل

لإصطبل الأمير سيف الدين بهادر آص . وحضر بدر الدين ليقبض المبلغ من الخزندار . فلمّا وزن له المبلغ قال له الخزندار : خشداش ، حُطّ البركة !— قال : فقسم المبلغ نصفين ، فأخذ ستّ مائة وترك ستّ مائة ، والخزندار يتفرّج فيه ، وقال : يا خوند ، هذه البركة . — فضحك الخزندار وظنّه أنّه بيلعب : فأخذ تلك الستّ مائة وخرج ، ركب فرسه وأتى منزله . فطلبه الخزندار فلم يجده . فتعجّب منه ودخل إلى الأمير وهو جالس فى الدهليز على عادته ، فقال : يا خوند ، اشترينا هذا البغل من جندىّ مجنونٍ ، — وأحكى للأمير حكايته . فرسم بطلبه فلم يجدوه ، فطلبوا الدلاّل وطلبوه منه . فأحضره ، فقال له الأمير : يا كردىّ ، أنت عاقل أو مجنون ؟ — فقال : لا والله ، لولا أنا عاقل ما وصلتُ إلى الأمير . — فقال : الناس إذا طلبوا منهم البركة يحطّوا خمس ستّ دراهم والنادر عشرة الدراهم . — كيف حطّيت ستّ مائة درهم ؟ — فقال : الله يحفظ الأمير ، هذا البغل رأس ماله علىّ ستّ مائة درهم ، شريته جحشاً وربّيته وكسبت فيه ستّ مائة درهم . فلمّا طلب منّى مملوك الأمير البركة ، ما كان لمثلى أن يقابل الأمير إلاّ بهذا . ولو علمت أنّ الأمير يقبله بغير ثمنٍ ما أخذتُ شيئاً . — ونظر إليه الأمير فوجده رجلاً فحلاً : فأعجبه ، فأخلع عليه . وعاد فى خدمته حتى خلت قلعة الصبيبة . فتحدّث له مع ملك الأمرا جمال الدين الأفرم فولاّه الصبيبة فقام بها أتمّ قيامٍ . ثمّ خلت الرحبة ، فنُقل إليها ، فاستمرّ بها إلى هذا التأريخ . فلمّا حلّ الركاب الشريف إلى دمشق حضر إلى بين يدى المواقف الشريفة . وشكر له هذا التدبير ، وأنعم عليه مولانا السلطان بإمرة مائة فارس وتقدمة ألف . ولقد نظرتُه

---

(١٢) على : عليه (١٣) جحشاً : جحش (١٥) شيئاً : شى ‖ رجلا فحلا : رجل فحل

يخرج مع الأمير سيف الدين بهادر آص الذى أنشأه من الخدمة جميعاً يمشون فى منزلةٍ واحدةٍ ، لكن يحجب الأمير سيف الدين بهادر آص قدّامه بقليلٍ ، فسبحان مَن هو على كلّ شىءٍ قدير ، وإليه الحكم والتدبير

ذكر سنة ثلاث عشرة وسبع ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم

ما يخصّ من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر مالك نواصى الأمم ، من عربها والعجم ، أسبغ الله عليه سوابغ النعم ، وكفاه شرّ حوادث النِّقَم

والنوّاب : الأمير سيف الدين أرغون النايب بالديار المصريّة ، والوزير : الصاحب أمين الدين إلى حين مُسك فى هذه السنة فى تأريخ ما يُذكر ، والحاجب : الأمير سيف الدين بكتمر ومعه الأمير علاء الدين ألطنبغا حاجباً ، والأمير سيف الدين آقول المحمدىّ أيضاً ، وأمير نقبا الجيوش علاء الدين طيبرس الخزندارىّ بحاله ، والنوّاب بالشأم : الأمير سيف الدين تنكز الحسامىّ نايب دمشق ، والملك عماد الدين إسمعيل نايب حماة ، والأمير سيف الدين سُودى الجمـــدار نايب حلب ، والأمير

---

(٣) بعد كلمة « والتدبير » يوجد فى المخطوطة « وفيها عاد الركاب الشريف إلى الديار المصرية مع سلامة الله وعونه » وبعد كلمة « وعونه » توجد كلمة « سهو » مع ملاحظة وجود عدة خطوط فوق الجملة المذكورة (٧) أبو : ابى

سيف الدين تمر الساقى كستاى الناصرىّ نايب أطرابلس ، والأمير سيف الدين بلبان طرنا نايب صفد ، والأمير علم الدين سنجر الجاولىّ نايب غزّة

وفى مستهلّ المحرّم وصل الركاب الشريف إلى الكرك المحروس من الحجاز الشريف ودخل قلعتها . وكان وصوله إلى دمشق المحروسة حادى عشر المحرّم من هذه السنة . وقد جعل الله تعالى سعيه مشكور ، إذ جمع بين نيّة الغزاة إلى الحجّ المبرور ، وكان يوم دخوله إلى دمشق يوماً مشهور ، لم ير مثله فى ساير الدهور . وخرج إلى خدمته ساير الجيوش الإسلاميّة ، والعساكر المحمديّة ، وترجّلوا جميعهم كالبنيان ، وهم الذين كانوا بدمشق من الأمرا والمقدّمين والأعيان . وعادوا يبلّون الأرض عدّة مرارٍ . ثمّ تقدّموا لتقبيل يده الشريفة التى جعل الله ظاهرها للتقبيل ، وباطنها للعطا الجزيل . ودخل مؤيداً بالظفر والنصر ، إلى أن حلّ ركابه الشريف بالقصر . وكان مدّة غيبته ثمان وستّين يوماً . وفى يوم الخميس سابع عشرين المحرّم توجّه إلى الديار المصريّة ، وقد بلّغه الله فى سفرته أقصى الأمنيّة ، لمّا اطّلع على ما كان منه من صدق النيّة ، فإنّه يعلم السرّ والعلانية . ودخل إلى الديار المصريّة ثالث عشر صفر ، مؤيّداً بالنصر والظفر

ولمّا كان ثامن عشر شهر جمادى الأولى مُسك الصاحب أمين الدين أمين الملك مع جماعةٍ من الدواوين ، وولى تدبير الدولة بشادّ الأموال من غير وزارةٍ الأمير بدر الدين محمد بن التركمانىّ . وكان من قبل تولّى أعمال البحيرة ، ثمّ انتقل إلى ولاية الجيزيّة ، ثمّ لحظته العناية السلطانيّة حتى عاد مدبّر الدولة بمنزلة الوزارة . ولمّا كان فى العشر الأخير من

---

(٨) كالبنيان : بالهامش (١٩) أعمال : الاعمال

جمادى الآخرة أفرج عن الصاحب ولزم بيته . ثمّ رُسم أن يخرج ويتوجّه إلى أطرابلس . ثمّ أُعفى وتوجّه إلى القدس الشريف

وفى شهر شوّال رُسم بتجريدةٍ إلى الحجاز الشريف صحبة سيف الدين طقصبا والى قوص، ورُسم له بالإقامة بمكة شرّفها الله تعالى

وفى ثالث عشر الشهر المذكور رُسم بعمل جسرٍ مستجدٍّ بالجيزة . وخرج جميع الجيش للعمل فيه ، وكان المُشِدّ على عمله ناصر الدين الحمصىّ

وفى شهر ربيع الأوّل الثالث عشر منه كان الابتدا فى بنا القصر الأبلق بقلعة الجبل المحروسة . وكان الفراغ منه عاشر شهر جمادى الأولى سنة أربع عشرة وسبعماية

وعُمل فيه مهمّ عظيم . وأنعم فيه مولانا السلطان على ساير الأمرا بحملٍ كبيرةٍ . ومن جملة ما أنعم به على القاضى علاء الدين بن الأثير رحمه الله بثلاثين ألف درهم من حمل سيس . فاستقرّت له عادةً فى كلّ سنةٍ يتناولها من حمل سيس

وفيها توفّى الوالد رحمه الله الثالث عشر من شهر رجب الفرد ، وذلك أنّه لمّا مسك مولانا السلطان للصاحب أمين الدين أُمر أن تُكشف عليه القلاع التى كان يخرج فى كلّ وقتٍ إليها أمين الملك لمّا كان مستوفى الصحبة الشريفة وصحبته بدر الدين بكتوت القرمانىّ ، وكان ذُكر عنه

(٢) بعد « القدس الشريف » يوجد فى المخطوطة « وفى مستهل ذى الحجة جردوا أميران إلى السودان وهما طقصبا والى قوص وبيبرس الخاص تركى . ثم أضافوا إليهما ثلاثة أخر وهم الكبكى وقزلجاه الجاشنكير وأمير على بن قراسنقر وبعد كلمة « قراسنقر » توجد كلمة « سهو » مع ملاحظة وجود عدة خطوط فوق الجملة المذكورة

أنّه تناول منها حملاً كبيراً : فرسم مولانا السلطان عزّ نصره للقاضى فخر الدين ناظر الجيوش المنصورة أن يعيّن من يكشف عن ذلك . فقال القاضى : ما لهذا الأمر مثل عبد الله الدواداريّ المهمندار بدمشق . — وذلك لما كان يتحقّقه من الوالد من الأمانة الزايدة والنهضة والكفاية والشفقة على مال مولانا السلطان . فكتب له بذلك من الأبواب العالية . فتوجّه وكشف القلاع الفوقانيّة مثل كحتا وكركر وبهاسنا والبيرة وقلعة الروم وغيرهم . ورجع إلى القلاع التحتانيّة على البريد المنصور . فوصل إلى وادى يعرف بالزرقا وهو طالب قلعة عجلون . فزلق به الفرس ، وقع من تقدير عشر قامات إلى الوادى ووقع الفرس على صدره ، وكانت منيّته وأجله . فحُمل إلى مدينة أذرعات ، ودُفن بها قريباً من قبر أبيه وأمّه ، رحمه الله وساير أموات المسلمين

ذكر ما كان من أمر قراسنقر بالبلاد والواقعة بين خدابنداه وطقطاى فى هذه السنة

وذلك أنّه لمّا رجع الركاب الشريف السلطانىّ أعزّ الله أنصاره وأعلى مناره إلى الديار المصريّة ، وقد بلغ من هروب أعدايه غاية الأمنيّة ، وردت الأخبار على قراسنقر من قصّاده : إنّ صاحب مصر رجع إلى الديار المصريّة ، وأنّه قبل خروج ركابه الشريف إلى الشأم رسم على أولادك ،

(١) حملا كبيراً : جل كبرة (٤) النهضة : النهظه (١٠) قريباً : قريب
(١١) وساير . . . المسلمين : بالهامش (١٣) فى هذه السنة : بالهامش

واحتيط على ساير أموالك وأملاكك . — فلمّا سمع ذلك انقطع ظهره وحار فى أمره . وعلم أنّه هو الجادع أنفه بظلفه ، وأنّه كان الباغى ، والباغى ساعٍ فى حتفه . فاجتمع بالأفرم وقال : قد بلغنى ما صورته كيت وكيت . وقد عزمتُ على أن أخاطب القآن وأحشد الحشود ، وأجمع الجموع ، وأغار على الممالك الحلبيّة والبلاد الشأميّة ، وأقتل مَن وجدتُ فى طريقى من ساير البريّة . — فقال له آقوش الأفرم : يا مير شمس الدين ، ما كفى ما عدنا مرتدّين ، وعن باب الله مطرودين حتى نسعى فى هلاك الإسلام ؟ فكيف نلقى الله والنبيّ عليه السلام ؟ — فقال : يا مير جمال الدين ، لا تظنّ أنّى أنا وحدى قد أصابتنى هذه المصيبة ! وإنّما أنت أيضاً قد أُخذت أولادك وأموالك وأملاكك . وهذا القاصد قد عاين جميع ما لك يباع فى أسواق دمشق . فقم بنا ولا تعطى نفسك رخصةً ودعْنا نموت كراماً ، ولا نموت غبناً ، وأولادنا فى الحبوس والتراسيم ونحن نسمع ونكاشر . وأنا أعرف جيش مصر ما بقى فيه أمير له صورة ولا كبير يُرجع إلى رأيه : والجميع صبيان كاينة ، والخروف الرضيع لا يقاوم الكبش فى النطاح . وقد صار سودى الجمدار موضعى بحلب : وتنكز الحسامىّ موضعك بدمشق : وتمر الساقى فى طرابلس مكان أسندمر . فكيف لنا صبر على هذا وأمثاله ؟ — قال ، فهما على عزم ما يفعلاه من المناحس ، إذ حضر إليهما ما أشغلهما وتملّكهما عمّا كانوا قد عزموا عليه ، وذلك أنّ الأخبار وردت على الملك خدابنداه أنّ طقطاى قد تحرّك عليه ، وأنّ جيوشه واصلة إليه

وكان قراسنقر قد تمكّن فى بلاد المغل تمكّناً كبيراً ورتّب جميع الأحوال على قاعدة بلاد الإسلام ، وجعل البلاد إقطاعات للأمرا من المغل .

---

(٣) ساع : ساعيا (١١) كراماً : كرام (١٢) غبناً : غبن (٢٠) تمكناً كبيراً : تمكن كبير

ورتّب لهم الأستاداريّة والدواوين ، وازدادت ارتفاعات البلاد شيئاً كثيراً جدًّا . وأقطع البلاد الخراب للتركمان والأكراد ، وألزمهم بإقامة الأبقار واستخراج الأراضى وتنظيفها من الخُرُش . فجاءت بعد ذلك طوفان غلالٍ . وقد تقدّم القول بما فعله فى حقّ الخواتين ، وما صنع لهنّ من المصاغات والزراكش حتى أخذ بعقولهنّ . وعادوا معه فى ساير أحواله . وهؤلاء التتار فأمورهم راجعة إلى نساهم بخلاف المسلمين

قال الناقل : فلمّا عاين جوبان تمكُّن قراسنقر من الدولة ومحلّه من قلب القآن وقلوب الخواتين ،ولا عاد خدابنداه يقطع أمراً دون أمره ،داخله الحنق والغيظ ، وخلا بالملك خدابنداه وقال له : أمنتَ لهذا العيّار، كما أمن أخوك غازان لقبجق وبكتمر السلحدار ، وخدعوه وأقاموا عندنا وعملوا علينا . ولولا أنّ الله تعالى نصرنا عليهم وإلاّ كانوا قد قصدوا مسكنا بذقوننا وتسليمنا للمسلمين المصريّين . ثمّ إنّهم رجعوا إلى أصحابهم،ومات أخوك غازان مغبوناً منهم وفى قلبه لهيب النار . — فقال له الملك : دع هذا الكلام ! فإنّ هذا الرجل قد نصحنى وأقام منار مُلكى ، واستجار بى ، وهذا ورفيقه كانا ملوك الشأم وخدموا الملك الناصر صاحب مصر أتمّ خدمةٍ ، ولا وفى بهم ، وأخبارهم جميعها عندى مفصّلةً ، والله العظيم ، وتربة أبغا وهلاوون ، لا خُنْتهم أبداً ولا تخلّيتُ عنهم حتى أعيدهم ملاّك الشأم من قِبَلى،فلا ترجع تعاودنى فى شىٍ من أجلهم

قال الناقل : ثمّ إن الملك خدابنداه استحضرهم وطيّب قلوبهم ، وقال لقراسنقر : قد أقمتك مقام نفسى ومَن خالفك مات ، فافعل جميع ما تراه

(١) شيئاً كثيراً : شى كثير (٣) تنظيفها : تنضيفها (٤) لهن : لهم (٨) أمراً : امر (١٠) غازان : قازان (١٣) مغبوناً : مغبون (١٧) تخليت : اتخلت

مصلحةً . — وأخلع عليه وعلى الأفرم والزردكاش وبلبان الدمشقىّ ولاعبهم وضاحكهم . ومن جملة كلامه لهم : يا شمس الدين بيك ، أىّ مَن أعجبك من أولاد المغل خذه اعمله خلفك سلحدار ، ومَن يمنعك يموت . ولا تقاسى غبن التجّار . — فقال آقوش الأفرم : والمملوك ، يا خوند ؟ — فقال : يا مير جمال الدين ، أنا وأنت لنا مذهب غير مذهب الأمير شمس الدين وجوبان ، قال . — فقال جوبان : أنا برى من الأمير شمس الدين ومن مذهبه . — وتلاعبوا وضحكوا ، وأخلع الملك أيضاً على الأمير جوبان ، وأعطاه حياصة ذهبٍ من تقدمة قراسنقر ، ورسم أن يكون الأمير جمال الدين الأفرم حريفاً لا يُرَدّ عنه لا ليلاً ولا نهاراً ، وإيده مطلوقة فى الخزاين والأموال ، وأن يكون الأمير شمس الدين قراسنقر ملك الأمرا على العساكر وترتيب المملكة ، والزردكاش أمير غارةٍ وفى خدمته جماعة كبيرة من المغل يرسم الغارات ، وبلبان الدمشقىّ أمير جاندار على باب الدهليز الذى رتّبه قراسنقر ، وجوبان أخلع عليه ورسم له أن يكون ملك النوّاب ويتوجّه لكشف ساير البلاد

قال الناقل : لمّا تحدّث جوبان مع القآن فى حقّ قراسنقر بما تحدّث نقلوا الخواتينُ المجالسَ بكماله لقراسنقر ، قال : فخلا قراسنقر بجوبان قبل سفره ، وقال له : أمّا أنا فما هربت من قدّام أستاذى وابن أستاذى إلاّ خلّصتُ رأسى من الموت لمّا تعاين لى الهلاك ، وأتيت إلى باب القآن مستجيراً وعمرى فى باب أستاذى . ما خامرت ولا كاتبت ولا داجيت . وأمّا أنت فقسيم القآن فى ملكه ، وحاكم على جميع ما ملكه

---

(٩) حريفاً : حريف ‖ لا ليلا ولا نهاراً : لا ليل ولا نهار (١٩) مستجيراً : مستجير

الله تعالى من الأرض . وقد جانى من عندك عشرين كتاباً وعشرين قاصداً وهم فلان وفلان وفلان — وعدّدهم له — بأنّك تريد تدخل إلى عندنا وتخامر على أستاذك والذى خوّلك فى نعمته . فسيّرتُ إليك أقول لك : ما تعدّى إلى عندنا إلاّ بنفسك مع عشرة من خواصّك وخمسة مماليك وسلحدارٍ واحدٍ ، وتتوجّه إلى خدمة السلطان فى البريد ويجى مرسوم بتخلية عسكرك بالتعدية ، فنمكّنهم بعد ذلك . فسيّرتَ تقول لى : أشتهى تصبر علىّ حتى أتوجّه وآخذ خراج الروم وأخربه وأدخل إلى سيس وأقبض على صاحبه تكفور ، وأقعد فيها وأكون نايب السلطان الملك الناصر بتقليدٍ ومرسومٍ من جهته . وكتبتُ أنا إليك الجواب : إذا صحّ هذا سيّرتُ وعرّفتُ مولانا السلطان ينجدك بالعساكر والجيوش ، واتّفقتُ معك على هذا ، وهذه كتبك جميعها معى حاضرة .

قال الناقل : فلمّا سمع جوبان ذلك خاف خوفاً عظيماً وسيّر لقراسنقر تقادم عظيمةً مع عدّةٍ كثيرةٍ أكاديش ، وقال : يا مير شمس الدين ، من اليوم تعاملنا ومن هذا الوقت تعارفنا ، وابقينى وأبقيك ، قال : وبلغ الحديث جميعه للملك خدابنداه ، فطلب قراسنقر وطيّب خاطره ، وقال له : يا مير شمس الدين ، جميع ما قصد جوبان يفعله عرفتُ به ، وعندى أخباره بمكاتباته لصاحب مصر ، ولكن لا بدّ له معى من وقتٍ . — وأخلع عليه وبسط يده وأعلى كلمته ونفّذ أحكامه . ودخل قراسنقر على الملك خدابنداه بالسحر والمكر وكذلك على جميع كبار المغل وخواتينها حتى عاد صاحب الوقت

(١٢) خوفاً عظيما : خوف عظيم

ذكر الوقعة التى كانت بين الملكين خدابنداه وطقطاى

قال الناقل : وفى هذه السنة كانت الوقعة العظيمة بين الملك خدابنداه وبين عساكر طقطاى . وأتته الأخبار بوصول جيوش طقطاى إلى بلاده وأنّ المقدّم عليها صارو بغا بن تكلان، وهم فى ثلاث ماية ألف . وقد سيّروا رسلهم إلى الأكراد بجبل هكّار وإلى بلاد شل وصورة وإلى صاحب العماديّة بأنّهم يكونوا معهم عليك ويأتوا من خلفك إذا لاقيتهم . — وتوجّه إليهم الفرمانات ، وهذه قلاع المسلمين جميعهم فرحوا بذلك ، وشالوا النار لبعضهم بعض . قال : فلمّا سمع الملك خدابنداه هذا الحديث اشتغل خاطره ، وطلب للوقت قراسنقر ورفقته ، وأخبرهم بما سمع من الأخبار ، المزعجة . فقال قراسنقر : يا خوند ، لا يهولك ما سمعتَ من كثرتهم ، فإنّهم عِدّة بلا عُدّة ، ولا هم رجال حربٍ ، وسوف يرى القآن ما يسرّه . وبمرسوم القآن أفعل ما أراه . — فقال : يا مير شمس الدين ، أنت المفضّل وقد سلّمتُ إليك الأمور وأقمتك مقام نفسى ؛ ومهما رأيتَ من المصلحة افعل ولا تشاور ، — قال . فعندها سيّر وطلب جميع العساكر وكانوا قريبين حوالى الموصل وسنجار وإربل ومثل هذه الأماكن القريبة . ثمّ إنّه دخل على الملك وضرب جوك وقال : بمرسوم القآن أنقّى من هذه الجيوش عشرة آلاف فارسٍ بعشرة مقدّمين توامين ممّن أعرفهم وألبسّهم عُدَد عسكر مصر وأكون شاليش وينظر القآن ما أفعل ، وأُريك قتال جيوش الإسلام كيف يكون ، وأرجو من الله تعالى بياض وجهى عند القآن بالنصر

---

(٥) شل وصورة : كذا فى الأصل (١٨) وأريك : وأوريك

إنشا الله تعالى . — فقال : يا مير شمس الدين ، ما أنا القايل لك من قبل هذا الحال : مهما أردت افعل ولا تشاور ؟

قال الناقل : فخرج قراسنقر من بين يدى القآن وطلب عشرة مقدّمين توامين نقاوة عسكر خدابنداه ، وهم بيدرا بن قطلوجا بهادر ، وتلك ابن صمغار بهادر ، وطقتمر بن بولاى بهادر ، وأمير حسن بن ششكت بهادر ، وكجرك بن عليناق بهادر ، وزيرك بن بخشى بهادر ، وأحمد شاه ابن قنغرطاى بهادر ، وقزلجق بهادر ، وعلىّ قجا بن زريك بهادر ، وماباجى بهادر . قال الناقل : وهؤلاء المذكورون كلّهم شباب نشأوا جهّالاً لا يعرفون الموت ، وهم جمرة المغل الحمرا . قال : وأعطاهم قراسنقر العُدد الملاح والخيول الجياد وألبسهم القرقلات الأطلس والخوذ البهادريّة ، وألبس خيولهم البركستوانات الأطلس ، وجعلهم شعلة نار ، وتقدّم قدّام عسكر الملك خدابنداه بيومين . وأعطى مماليكه الزرّاقين آلات النفط ، وكانوا مايتى مملوك . وقال لهؤلايك المقدّمين : أنتم وحدكم آخذ بكم بلاد بركة ، وأفتح بكم إلى آخر المشرق

وركب الملك خدابنداه فى أثره فى بقيّة جيوشه ومغله . وتلاحق به صاحب الكرج ، وصاحب ماردين ، وصاحب سيس مع ساير ملوك المغل ؛ وكان قراسنقر أيضاً قد رتّب قدّام عسكر الملك خدابنداه خمس مابة زرّاق ، علّمهم اللعب بالنفط وآلاته . ورتّب له ثلاث مابة حمل كوشات على البخاتى . فركب فى دستٍ عظيمٍ لا يعهد قبله مثله ، وكان عدّة جيشه أحد عشر تومان خارجاً عن الجيش الذى كان نقّاهم قراسنقر . وركب

---

(٦) عليناق بهادر : « بهادر » بالهامش (٨ - ٩) نشأوا جهالا ، نشو جهال
(٢٠) خارجاً : خارج

خدابنداه فى القلب وإلى جانبه الأمير إسماعيل بن ألجاى خاتون بن سردار ، وهذا أيضاً من عظم هلاوون . ودقّت الكوسات من خلفه فدوى لها الجبال ، وأرعدت البرارى والقفار

ورُتّب فى الميمنة برأسها مِن التوامين مَن نذكر وهم : سرطقتوا بهادر ، وطمغاجى بهادر ، وأنغطاى بهادر ، وعلىّ آغا بهادر ، وصغرجى بهادر ، وقيمش بهادر ، وكربيه بهادر ، وطقجى بهادر ،وحسن بك بهادر ، وقرلوا بهادر ، وقرا يغدى بهادر ، وكرباى بهادر ، ودرباى بهادر ، ونمجى بهادر ، وقزلجى بهادر ، وأرطق بهادر ، وكجرك بهادر ، وسليمان شاه ، وجغنان ، وطلمايس ، وإيت أُغلى ، وقرغاجى ، وطينال ، ودمر ، وقطرمش ، وبراق ، وأمير داود ، وبكلمش ، وقرتقا ، وجنقر وسوطوا ، وبجاق ، وقرا محمد ، وأبغا ، وقرا بغا ، ونغاى ، ودماجى ، وأسن جلك ، وحسنجى ، وطاشار بهادر . وكان إلى جانب الملك من الأمرا أمير يحيى ، وبلجك بهادر ، وقستا بهادر ، وقراقان بهادر ، وبلدق بهادر ، وسوباى بهادر ، وأمير علىّ بهادر ، وصلغاى بهادر ، وأمير علم حامل سنجق الأرنب،وكان راجل طويل جدًّا غليظ فجّ الكلام،كأنّه بعير شديد الحيل ، يأكل فى كلّ يومٍ ثلاثة أروس غنم أو نصف رأس بقرٍ سمينٍ ، واسمه كرباى بن خنفار . وترتّب الجيش ، ووقف الملك خدابنداه ، وامبت الزرّاقين بالنار ، وأظلمت البرارى والقفار ،وكلّ أحدٍ قد تعاين له الموت . قال الناقل : هذا ما كان من أمر خدابنداه وأمرايه وجيوشه وأسماهم وعدّتهم على التحقيق من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ ، حسبما اتّصل بنا من

---

(٥) آغا بهادر : « بهادر » بالهامش (٦) بك بهادر : « بهادر » بالهامش (٨) ونمجى بهادر : « بهادر » بالهامش (١٥) سنجق : السنجق ‖ راجل : هكذا فى الأصل

أخبارهم ، ونقلناه من آثارهم جهد الطاقة وحدّ الاستطاعة ، بعون الله وحسن توفيقه وبركة إلهامه

وأمّا عسكر طقطاى فنذكر أيضاً ما اتّصل بنا من أخبارهم وأسما أمرايهم وعدّتهم ، وما كان من أمرهم وكسرتهم ورجوعهم إلى بلادهم مكسورين ، بما صنعه معهم قراسنقر ورفقته مفصّلاً مبرهناً بحول الله وقوّته :

قد ذكرنا أن المقدّم كان على هذا الجيش اسمه صاروا بغا بن تكلان ، وهو أخو براق ملك جبال القار وما معها . وكان فى عسكرٍ كثيفٍ ، نيّفٍ وثلاث ماية ألفٍ أو يزيدون ، حتى ملا البرارى والقفار ، ودكدك الجبال والأوعار ، وقطعَ الأشجار ، وأفنى الثمار ، ونشّف العيون والأنهار . لكنّه أكثره عربان ، ليس معهم من آلة الحرب غير القُسىّ والنشّاب والعصى الخلنج والمقلاع لرمى الحجارة ، ولا لبس عليهم ولا على خيولهم ، غير أنّهم أمّة كثيرة العدد جدّاً . وهؤلاء بيت هلاوون أشجع منهم وأدرب بقتالٍ لكثرة تجاربهم وتكرارهم فى الحروب وأكثر عُدداً سيّما وقد رتّبهم قراسنقر هذا الترتيب الذى قدّمنا ذكره

قال الناقل لهذه الأخبار : فلمّا كان نهار الأربعا الرابع عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة التقى الجمعان . وكان صاروا بغا فى القلب وقد رتّب جيوشه ثلاثة صفوفٍ ، فى كلّ صفٍ عشرين ألف بهادر . وكان مقدّم الميمنة . . . مع مَن يذكر من بهادريّته وهم : منكاى ، وقبليقان ، وأنجاق ، وطرقاق ، وكنباى ، وقلودر ، وايربشطى ، ومنكوجار ، وقلجق ، وأوجى ، وجاورجى ، وبرديك ، وبيغـوش ، وقراقبق ،

(١٣) عدداً : عدد (١٦) التقى : الملتقا (١٨) . . . : الذى له ، يظهر أن الناسخ كتب هاتين الكلمتين عوضاً عن اسم المقدم

وكشلوا ، وسلجق ، هؤلاء فى الميمنة ، وبرأس الميسرة : طقجى بهادر ، وطاجار ، وطغرجى ، وعكوك ، وقرابغا ، وقرطقا ، وأرسلان ، وعلىّ ايكا ، وانوسلوك ، وقرجى تمر ، وعلىّ بك ، وطبجا ، وبغا ملك ، وبغا كشكاز ، وتكاجى ، وقطلوخان ، وآقبغا ، وطرناى ، وتكودر ، وباجير ، وشرنغاى ، وككتمر ، وكشلوخان ، وقمزجاه ، والجميع بالقُسىّ والنشّاب والمقلاع والعصى الخلنج بغير رمح ولا سيف ولا دبّوس إلاّ الأمير فيهم أو الكبير ، وذلك بين كلّ ألفٍ واحدٌ بعُدّةٍ وسلاح

قال : والتقى الجمعان ، وعمـل الضرب والطعان ، وحامت النسور والعقبان ، وحمل الشجاع وفرّ الجبان ، وعلا الغبار ، وثار القتار ، وطلع من طنين السيوف الشرار ، وكان يوماً عسيراً على جميع الكفّار : هذا وقراسنقر قد حمل فيمن استخاره من البهادريّة ممّن ذكرنا وإلى جانبه تلك بن صمغار ، وعملا عملاً عظيماً حتى أدهش الأبصار . ولعبت مماليكه بالنفط والنار . فولّت أكاديش القادمين من التتار ، لقلّة خبرتهم بهذه الآثار . وكذلك حمل آقوش الأفرم والزردكاش وبلبان الدمشقىّ ، وفعلوا أفعال الشجعان الأبطال ، وحقّقوا ما ذكروه أرباب السير فى دلهمة والبطال . ولم يزل السيف يعمل ، والدم ينزل ، ونار الحرب تُشعل ، إلى بعد الظهر تتعتع صاروبغا ، وجفلت خيوله من النار ودقّ الكوسات ونعير البوقات . وولّوا أكثر عساكره لا يلوون على شيءٍ . وثبتت البهادريّة وصبروا صبر الكرام ، وقد صمّموا على الموت . وامتلأت تلك القفار من رمم القتلى ، <و> عادت تلك البرارى من جيفهم ملأى ، إلى أن فنى نشّاب عساكر طقطاى ، وعاد الذقن بالذقن . هنالك عملت السيوف ، وحضرت

---

(١٠) يوماً عسيراً : يوم عسير (١٥) دلهمه والبطال : كذا فى الأصل ولعل صوابه « ذوى الهمة والأبطال » (٢٠) ملأى : ملآ

الحتوف ، وانتقصت تلك الصـفوف ، لمّا طارت منهم الجماجم والكفوف ، وولّى عسكر طقطاى طالب الديار ، وقد تشتّتت بجموعهم فى تلك البرارى والقفار . وتقنطر صاروبغا مقدّم الجيوش ، ولولا كان فى أجله تأخير لكان عاد رزقاً للوحوش . وقُتل عليه نيّف وألف فارس . وكان الذى قنطره تلك بن صمغار ، فلم تزال جيوشه وبهادريّته حوله حتى، ركّبوه بعد ما قُتل منهم عليه عالم كثير . فلمّا ركب ولّى هاربا وتبعه أصحابه . وركب جيش الملك خدابنداه أكتافهم قتلاً وأسراً . وثمّ قراسنقر خلفهم بمن معه . وغرق أكثرهم فى تلك العيون والأنهار ، وتبعوهم إلى آخر ذلك النهار . وكسب جيوش خدابنداه من الخيول والمماليك والجوار ، ما لا يقع عليه عيار . وجرّد قراسنقر خلفهم عشرة مقدّمين ، وقدّم عليهم الزردكاش ، وطقتمر بن بولاى ، وكجرك بن عليناق ، وأمير حسن بن ششكت ، وتلك بن صمغار . وساقوا خلفهم من أوّل الليل إلى أن طلع النهار ، وردّوا المال الذى كان خلفهم من بعيدٍ والأغنام والأبقار ، وخيل القمز والدشار ، والحريم والأولاد الصغار

وكان أكثر عساكر الملك خدابنداه قد كسب الكسب الكثير ودخل بين الأشجار . فردّ عليهم صاروا بغا فى جماعةٍ تقدير عشرة آلاف فارس ليأخذ منهم ويخلّص من أيديهم الحريم والأطفال . فالتقاه الزردكاش فيمن توجّه معه ممّن ذكرنا ، واصطدموا صدمةً عظيمةً أعظم من أوّل ملتقى . وكان تلك بن صمغار ، فارساً كرّار ، وبطلاً مغوار ، فعمل عملاً عظيماً إلى آخر ذلك النهار . وبلغ قراسنقر ذلك ، فساق فى ثلاثة آلاف فارس

---

(٦) هارباً : هارب (١٩) فارساً : فارس || وبطلا : وبطل || عملا عظيماً : عمل عظيم

ملبّسة كأنّهم شعلة نار ، ولحق الزردكاش وهو فى أشدّ الخناق ، فأردفه . وكانت الفيصلة بين الفريقين ، وزعق فى عساكر صاروبغا غراب البين .

ورجع قراسنقر وقد كسر الأعدا ، وتبعهم إلى آخر مدى . وكان أيضاً قد التقى تلك بن صمغار لصاروابغا فى هذه النوبة وطعنه طعنةً ماكنةً كاد يقضى عليه . فولّى وهو مجروح ، وهو على نفسه ينوح . ووصلوا إلى عند الملك خدابنداه ، ونزلوا وضربوا جوك ، وهنّوه بالنصر والتأييد ، وكيف بلّغه الله ما كان يقصد ويريد . فقرّب قراسنقر إليه ، وقبّل رأسه وعينيه ، وشكر له ذلك الصنيع . ثمّ عاد وتشكّر للجميع . فقال قراسنقر : الله يحفظ القآن ، اشكر الله تعالى على ما أولاك من نصره فى هذا اليوم الذى ما جرى لأحدٍ من قبلك ، لا من آبايك ولا جدودك ! وهذا عسكر طقطاى كان قدر عسكرِ القآن أضعافاً مضاعفةً . وإنّما التأييد كان من الله تعالى ، وسعادة القآن عظيمة . — فقال الملك خدابنداه : هذا ما يُعتدّ به إلاّ ببركتك وبركة الأمرا ، والله يعيننى على مكافأتكم ! — وأعرض قراسنقر عساكر خدابنداه ، فنقص أحد عشر ألف فارس . وعدّوا قتلى عسكر طقطاى ، فكانوا أحداً وثلاثين ألفاً ، خارجاً عمّا غرق وهلك ، وإنّما هؤلاء عدّة ما أفناهم السيف . وكانت هذه الوقعة بمرج جبل العشار ، وتبعوهم إلى تمرقابوا

ورجع خدابنداه فرحاً مسروراً بما أنعم الله عليه من النصر على أعداه ، وفرّق على أصحابه الخيول والبخاتى والمماليك والجوارى . وأنعم على قراسنقر ورفقته بشيٍ كثيرٍ . ونزل على نهر تزلك ، وهو كثير الأعين والأشجار

---

(١١) أضعافاً : اضعاف (١٩) والجوارى : والجوار

ذو أراضى فسيحة ، وأماكن شرحة مليحة . فأعجبه ذلك المكان وأمر أن يعمّر به قصر أبلق بالحجر الأخضر والأسود والأبيض . ورسم لكلّ أمير أن تعمّر له بذلك المكان دار . وضرب للقصر شبابيك فضة وذهب وسمّاه دمشق . والتهى فى الأكل والشرب ومنادمة آقوش الأفرم مع حظيّته نجمة خاتون هيلا ميلا . وكانت هذه من أعزّ الخلق على قلبه وإذا رقصت تشدّ ستّة أقداح فى ذوايبها ملآنة خمر وتفتل بهم ما يصيب القدحَ أخوه ، وهو على دينار تحت كعبها لا تخرج عنه ولا عن دخول الضرب دقّةً واحدةً ، فكانت أعجوبة الوقت

ذكر ما جرى لعسكر طقطاى لمّا عادوا هاربين

قال الناقل لهذه الأخبار : لمّا رجع عسكر طقطاى إليه مكسورين ، وعلى أعقابهم ناكصين ، لم يصل إليه منهم إلاّ القليل النادر ، وهم الأقويا منهم ، والباقى هلكوا فى الطرقات ، لبعد المسافة وعدم الأقوات . والذين وصلوا إلى الملك طقطاى خبّروه بما جرى عليهم ، وما كان سبب كسرتهم إلاّ الأمرا المصريّين ، وأنهوا له جميع ما فعلوه من آلات الحروب التى لا كانوا يعهدوها من بيت هلاوون من قبل ذلك التأريخ . فصعب على القآن طقطاى ، وجهّز رسولاً إلى الأبواب الشريفة السلطانيّة يشكو ما قد جرى على عساكره من قراسنقر ورفقته . وكان هذا الرسول اسمه بكلمش بن قنجو بغا ، وكان يقرب للملك طقطاى وهو عندهم كبيرٌ جليل القدر

(١) ذو : ذات (٥) حظيته : حضيته (١٢) والذين : والذى (١٣) طقطاى : خدابنداه ، مصحح بالهامش (١٤) إلا : الى (١٦) رسولا : رسول

قال : فعن قليلٍ وصل الرسول المذكور إلى الأبواب العالية ، وورد الخبر بذلك ،وأنّه وصل إلى ثغر الإسكندريّة المحروس . فسيّر مولانا السلطان الأمير سيف الدين آقول الحاجب ، والتقاه ملتقًى حسناً . وكان صحبته تقدير ثلاث مابة نفر كبار وصغار ،ومماليك وجوار : وحضر صحبته وفى خدمته أخو شكران التاجر الفرنجىّ ، وحضروا إلى الباب الشريف . وأُنزلوا فى الكبش على بركة الفيل . ورتّبوا لهم الراتب الكثير . وبعد ثلاثة أيّام استحضرهم مولانا السلطان ، ونظر الرســـول إلى ترتيب الملك بالديار المصريّة مع هيبة مولانا السلطان التى تكاد تفلق الحجر وتحيّر البصر ، فدهش وحار ، وعلاه الانبهار ، ولم يطيق الكلام إلاّ بعد ساعةٍ حتى رُدّ روعه إليه ، وأدّى الرسالة ،وهو يتلجلج فيها . وقدّم ثمانين مملوكاً تركاً وعشرين جاريةً كالبدور الطلع . هذا والأمرا والمقدّمين وقوف ،صفوفاً صفوف ، وقد لبسوا الكلوتات الزركش والطرز الزركش . وجلس مولانا السلطان — خلّد الله ملكه ، وجعل الدنيا بحذافيرها مـلكه — فى الإيوان الجديد وخلفه ألف مملوك كأنّهم اللؤلؤ والمرجان ، ومابة سلحدار ، والأمير سيف الدين أرغون النايب واقف بين يديه ، وبكتمر الحاجب كذلك. وثمانين طيردار ، وشرف الدين أمير حسين بن جندر أمير شكار ،وكذلك كسرى لأجل طيور التقادم . وكان من جملة كلام الرسول ، بين يدى المواقف الشريفة يقول : ابن عمّك يسلّم عليك ويهنّيك بهذا الملك الذى أعطاك الله ، ولم يكن اليوم شى مثل ملكك . — ثمّ أنهى صورة ماجرى على عساكره من قراسنقر ورفقته . ولولاهم ما كان عسكر خدابنداه له عنـــدنا قدر . وعمرنا

---

(٣) ملتقى حسناً : ملتقا حسن (٩) إلا : الى (١١) صفوفاً صـــفوف : صفوف صفوف

فكسرهم ونهلك بلادهم . — وتحدّث بجميع ما كان معه ، ومن جملة ذلك يطلب عُدداً وسلاحاً ، إنعاماً من السلطان عليه . فأقبل مولانا السلطان عزّ نصره عليه إقبالاً جيّداً ، ورسم له بجميع ما طلب ، وأخلع على الرسول خلعةً سنيّةً ، طرد مقصّب بطرز زركش وحياصة ذهبٍ بثلاث بياكير وكلوتة زركش

وركب مولانا السلطان يوم السبت إلى الميدان ولعب الأكرة ، وركب الرسول ونظر شيئاً أدهشه ورعاً . أحكى شهاب الدين المهمندار أنّه قال : ما ثمّ ملكٌ إلاّ ملك مصر ! — وذلك لمّا عاين الموكب وتلك الخلايق العظيمة ، فبهت لعظم ما قد عاين . ثمّ أمر له بألف جوشن وألف خوذة وألف بركستوان بقيمةٍ كبيرةٍ ، وكان الرسول قد أحضر معه جلد دُبٍّ وسقنقود وسيرم . وأنعم مولانا السلطان عليه بطريق الهديّة إلى الملك طقطاى عدّة صناديق قماش تعابى سكندرىّ وعمل الدار ، وعدّة كلوتات زركش وحوايص ذهبٍ . وقال له : سلّم على ابن عمّى وقل له : يسيّر إلىّ جوارى ملاحاً ومماليك قبجاق ، وعرّفه إذا تحرّك خدابنداه عليه يسيّر إلىّ ، أعبر إليه من قدّامه ويجى هو من خلفه ، ونخرّب دياره ، ونقلع آثاره ، وأىّ مكانٍ وصلت خيلى يكون لى ، وأىّ مكانٍ وصلت خيله يكون له ، ونملك بغداد ونعيد الخليفة إلى كرسىّ خلافته ، إنشا الله تعالى . — وتوجّه الرسول عايداً إلى بلاده وسافر من ثغر الإسكندريّة

---

(٢) عدداً وسلاحاً : عدد وسلاح (٣) إقبالا جيداً : اقبال جيد (٧) شيئاً : شى

(١٤) إلى جوارى ملاحاً : اليه جوار ملاح (١٥) إلى : اليه

وفى أوّل هذه السنة مع أواخر سنة اثنتى عشرة أُخرب باب شادية الذى كان بجوار باب القرافة ، ودُخل به فى الميدان المستجدّ الذى تحت القلعة المنصورة ، عمّرها الله بدوام أيّام مولانا مالكها

ذكر سنة أربع عشرة وسبع ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم

ما لخص من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر سلطان الإسلام والمسلمين ، أدام الله أيّامه إلى يوم الدين

والنوّاب : الأمير سيف الدين أرغون بالدّيار المصريّة ، والأمير سيف الدين تنكز بالديار الشأميّة ، والوزير بالديار المصريّة : بدر الدين محمد بن التركمانىّ شادّ الأموال بغير وزارة ، والحاجب : الأمير ركن الدين بيبرس أمير آخوركان ، والأمير سيف الدين طينال ، والأمير سيف الدين آقول المحمدىّ ، وأمير النقبا علاء الدين طيبرس الخزندارىّ

ولقد جمع الله تعالى فى ذلك الزمان ، لمولانا السلطان ، أربعة أركان ، حتى عادت محاسن دولته تُتلى آياتها بكلّ مكان ، وهم : كريم الدين الكبير وسياسته ، وعلاء الدين بن الأثير ورياسته ، والقاضى فخر الدين وهيبته ، وبهاء الدين أرسلان الدوادار ودُربته . فهؤلاء ممّن أشرقت عليهم أشعة أنوار شموس سعود مولانا السلطان ، فتجمّل الوجود بوجودهم حتى

---

(٧) أبو : ابى

تعلّقت محاسن أيّامهم بأجنحة العقبان ، وتسامرت بلذاذة أحاديثهم عند التهويم على الكثبان ألسنة الركبان ، حتى عاد عندهم فى الأجفان ، ألذّ من سِنة الوسنان . ولم يُعلم أنّه اجتمع فى دولةٍ من الدول كهؤلاء الأربعة من أوّل زمان ، إلاّ فى دولتين من دول الإسلام : إحداهما فى أيّام بنى أميّة ، وهى دولة مروان بن محمد بن مروان ، والثانية فى أيّام بنى العبّاس ، وهى دولة المعتضد بالله أمير المؤمنين فى ذلك الأوان . وقد ذكرنا هاتين الدولتين ، وشاهدنا هذه الدولة فصدّق سماعَ العيان ، سقى الله ثراهم غوادى الرحمة والرضوان ، وعوّضهم عن دنياهم قطوفاً دانيةً بجوار الرحمن ، وجعل ما نقص من أعمارهم وأعمار كلّ مَن تشرّف بخدمة هذه الدولة القاهرة زيادةً فى عمر مولانا السلطان ، أنوشروان الزمان ، وشاه أرمن الأوان ، الذى مَن لحظَته عنايته الشريفة فاز فى الدنيا بالإنعام وفى الآخرة بالغفران

وفيها توفّى الأمير سيف الدين سودى الجمدار نايب حلب المحروسة فى العاشر من شهر جمادى الأوّل ، وتولّى مكانه الأمير علاء الدين ألطنبغا الحاجب

وفيها مُسك الأمير سيف الدين تمر الساقى نايب أطرابلس ، وتولّى عوضه الأمير سيف الدين كستاى الناصرىّ

وفيها مُسك الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ، واستقرّ مكانه الأمير ركن الدين بيبرس أمير آخور حسبما ذكرناه

---

(٢) ألذ : اللذ (٤) دولتين : دولتى (٦ — ٧) هاتين الدولتين : هاتان الدولتان

(٨) قطوفاً : قطوف

ومُسك مع بكتمر الحاجب الأمير علاء الدين أيدغدى < بن > شقير والأمير سيف الدين بهادر المعزّىّ . وكان كاشفاً بالوجه القبلىّ ، فعند حضوره مُسك واعتقل مع الأمرا المذكورين

وفيها كان أخذُ ملطية وتوجُّه العساكر المصريّة ستة آلاف فارس مع الشاميّين جميعهم

ذكر أخذ ملطية وصفتها

لمّا كان يوم الخميس ثامن عشرين شهر ذى القعدة برزت المراسم الشريفة السلطانيّة بتجريد ستّة مقدّمين ألوف من الأمرا المصريّين وهم : الأمير سيف الدين بكتمر السلحدار الأبو بكرىّ ، والأمير بدر الدين بن الوزيرىّ ، والأمير سيف الدين أركتمر الجمدار الناصرىّ ، والأمير سيف الدين قلى ، والأمير ركن الدين بيبرس الحاجب ، والأمير علم الدين سنجر الجمقدار ، وجميع مضافيهم من الأمرا والأجناد والمقدّمين . وتوجّهوا إلى الشأم المحروس قاصدين ملطية . ودخلوا إلى دمشق تاسع عشرين شهر ذى الحجّة . ثم توجّه صحبتهم العساكر الشأميّة بكمالهم ، والمقدّم على الجميع الأمير سيف الدين تنكز نايب دمشق . ووصلوا إلى ملطية وحاصروها وفتحوها يوم الأحد ثالث عشرين المحرّم من سنة خمس عشرة وسبع ماية ، ويسّر الله فتحها على المسلمين ، وغنموا منها غنايم جيّدةً

وأمّا طريقها التى توجّهوا فيها العساكر المنصورة ففيها ماية وخمس وعشرين عقبة كبار خطرة ، دقيقة المسالك صعبة المرتقى ، تقدير المسير فى كلّ عقبةٍ ثلاث ساعات. وكان لمّا توجّه العسكر المنصور من عين تاب مهّدوا الطرق بالحجّارين ، وأصلحوا المقاطع بالأخشاب على الأودية على

عقبتين منها خاصّةً ، طول كلّ مقطعٍ ثلاثين ذراعاً بذراع العمل ، وعرْض الجسرِ الخشب ذراع واحد ، فكان جواز العساكر عليها ، وسلّم الله عزّ وجلّ

وكان الزحف عليها نهار الأحد ثانى عشرين المحرّم . فخرجوا إليهم بالمفاتيح وطلبوا الأمان . فأمّنوهم من جانبٍ ، والجوانب الأخر لم تعلم بذلك . فهجموا عليهم منها ، وأخربوا وأحرقوا ونهبوا وكسبوا وقتلوا من نصاراهم جماعةً . ورحلوا عنها يوم الاثنين ثالث عشرين المحرّم ، ونزلت العساكر مرج دابق وأعرضوا الأسارى . فكلّ مَن كان مسلماً أو مسلمةً أعتقوه وسلّموه لأهله ، ومَن لا له أهلٌ أودعوه الحاكم . وعادوا سالمين غانمين فرحين مسرورين ، ببركات سيّد الملوك والسلاطين

وفيها حضر الشريف رميثة بن أبى نُمَىّ صاحب مكّة ، وأخبر بقتل أخيه أبى الغيث

وفى يوم السبت ثامن عشرين رجب أفرج الله تعالى عن الأمير جمال الدين نايب الكرك وأُخلع عليه

وفى شهر شعبان وقع حريق بالقلعة المحروسة وسلّم الله

وفى هذا الشهر برزت المراسم الشريفة السلطانيّة بقياس الديار المصريّة بسبب الروك المبارك ، وتوجّهوا الأمرا إلى ساير الأقاليم بسبب ذلك

---

(٥) والجوانب : والاجانب (٦) منها : منه (٨) مسلماً : مسلم

ذكر الروك المبارك الناصرىّ

نُدب لعمل الروك المبارك القاضى تقىّ الدين كاتب برلغىّ كان ، الأحول قرابة التاج بن سعيد الدولة المقدّم ذكرها . فأخرج الجهات جميعها بمصر والقاهرة عن المقطعين وجعلها خاصًّا ، وأقطع البلاد بمقتضى مقترح الروك ، وفرّقت المثالات فى العشر الأخير من ذى الحجّة سنة ستّ عشرة وسبع ماية . وخرجت المناشير الشريفة لاستقبال ثلث مغل سنة خمس عشرة وسبع ماية والتالى لاستقبال صفر سنة ستّ وسبع ماية . وبرزت المراسم الشريفة بإبطال جملةٍ عظيمةٍ من المظالم . وسمح وجاد بما لم يجود به أحد من الملوك الأجواد ، وهى ساحل الغلّة وساير فروعها ، وهى الخرّوبة والثمن والوزانة والقداحة والسمسرة واللقطة ، ورسوم الولاية بساير أصنافها ، وجهد ثمن العبى بساير الأعمال بالديار المصريّة ومقرّر البيوت ، ومقرّر الفرسان وقدوم المناشير وكتاب الولاة ، ونصف سمسرة الدلالة ، وطرح الفروج ، ونوّاب الولاة والمقرّر على المقدّمين والرسل بساير البلاد ، وحقوق السجن وعِداد النحل وبدل الولاة والنظّار والمستوفيين وجناية الشاشة ، وضمان المشاعليّة ، وشدّ الحكّام ، وضمان مسالخ الجلود الميّتة ، وقطايع العربان ، وضمان الطريق ، وتخريص النخل ، وحقوق النحّالين ، وضمان الملح ، ورسم أوراق الطريق بالشرقيّة ، ورسم مناشير النقيب ، وجباية الرماة ، والمساحة بألاّ يُطلب الحىّ عن الميّت ولا الحاضر عن الغايب ، إذا

(٥ – ٦) سنة ست عشرة وسبع ماية : بالهامش (٧) والتالى لاستقبال صفر سنة ست وسبع ماية : بالهامش (١٦) تخريص : نخرس

لم يكن ضامناً ولا كفيلاً . فكان ذلك جملةً عظيمةً لا تنحصر . فسمحت بجميع ذلك نفسه الشريفة ، وادّخر بها عند الله تعالى فى الجنان أعلى درجةٍ منيفةٍ

ذكر سنة خمس عشرة وسبع ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم

ما لخص من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر مالك نواصى ملوك الآفاق ، من مغرب الشمس إلى حدود الإشراق ، مقلّدها المنن فى الأعناق ، لاستقرار ممالكهم فى أيديهم ، فتقلّدوا هذه المنن حتى عادت كالأطواق

والنوّاب بالممالك النـــاصريّة ، أدام الله أيّام سلطانها ملك البريّة : الأمير سيف الدين أرغون النايب بالديار المصريّة ، والحجّاب بالأبواب العالية : الأمير ركن الدين بيبرس ، والأمير سيف الدين طينال ، والأمير سيف الدين آقول ، وأمير النقبا علاء الدين طيبرس الخزنداريّ ، وبالشأم: الأمير سيف الدين تنكز ملك الأمرا بالشأم المحروس بدمشق المحروسة ، والأمير علاء الدين ألطنبغا بحلب ، والأمير سيف الدين كستاى بطرابلس ، والملك عماد الدين نايباً بحماة ، والأمير سيف الدين بلبان طرنا بصفد ، والأمير علم الدين الجاولى بغزّة ، والملوك بالأقطار حيث قدّمنا القول من ذكرهم فى سنة عشرة وسبع ماية

---

(٧) أبو : ابى

فى أوايلها كان فتوح ملطية ، وقد تقدّم القول بذلك . وفيها كان تفرقة المثالات بالروك المبارك ، وقد تقدّم القول فيه ،واستقرّت الأحوال كذلك، والله أعلم

ذكر سنة ستّ عشرة وسبع ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم

ما لخص من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر مالك الأمصـــار ، وقد ذلّت له ملوك الأقطار ، والنوّاب بمصر والشام ، حسبما تقدّم من الكلام ، فى ذلك العام ، وكذلك ملوك الأقطار ، فى ساير الأمصار

وفيها أفرج الله تعالى عن الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ، وأُخلع عليه ، ورُسم له بنيابة صفد عوضاً عن بلبان طرنا

وفيها توجّه الأمير سيف الدين أرغون نايب مصر إلى الحجاز الشريف

وفيها وردت الأخبار ، أنّ خدابنـــداه ملك التتار ، توفّى سادس ذى الحجّة ، وكان سبب وفاته زوجته قطلوشاه خاتون بنت أرنجان خال الملك خدابنداه ، باتّفاق من الوزير خواجا رشيد والحكيم جلال الدين ، سقوه دواء مسهّلاً مسموماً ، فتوفّى من ليلته . وجلس بمملكة التتار ولده أبو سعيد

---

(٧) أبو : ابى (١٥ — ١٧) وكان ... ليلته : بالهامش ‖ دواء مسهلا مسموماً : دوا مسهل مسموم

ذكر تملك أبي سعيد الملك وجلوسه على التخت بملك التتار

كان لخدابنداه ثلاثة أولاد وهم : أبو يزيد ، وبسطام ، وأبو سعيد هذا وهو أصغر الثلاثة . وكان قد ملك أبو يزيد خراسان ، فتوفّى بها . وتوفّى أيضاً بسطام فى حياة أبيهما . ولم يبق له من الأولاد غيرُ هذا أبي سعيد . فلمّا توفّى أبوه خدابنداه بالسبب المقدّم ذكره فى التأريخ المذكور اجتمعت آراء الأمرا الكبار من التوامين وآراء الخواتين على تمليكه وهو يومئذٍ دون الحلم ، وكفله جوبان وعاد مدبّر الدولة والغالبَ على الأمور ؛ وكان له ولدٌ يسمّى دمشق خجا، يقال إنّ أمّ أبي سعيد كانت ترى له . فعاد له منزلة كبيرة فى الدولة ، لا يُفعل شى إلاّ عن رأيه ، وكان أكبرَ أولاد جوبان . وكانوا عدّةً منهم دمرداش الآتى ذكرُه ودخولُه الديار المصريّة تحت الطاعة السلطانيّة الناصريّة ، أعلى الله منارها . وكان نايباً بالروم ؛ فلمّا جرى لأبيه وإخوته ما نذكره فى تأريخه قصد الأبواب الشريفة ، أعلاها الله تعالى . وكان خدابنداه قبل موته قد فسدت عقيدته ، وأظهر أموراً قباحاً : وكان الذى حسّن له ذلك شخص يسمّى . . . ادّعى أنّه شريف وانتحل نسباً ليس بصحيحٍ ، ولعب بعقل خدابنداه وكثيرٍ من أرباب دولته وكبارها . ثمّ إنّ المذكور بعد وفاة خدابنداه قُتل أشرّ قتلةٍ مع جميع أهله وأقاربه ومَن كان يقول بقوله . وقام بهذا الأمر جوبان بحسن إسلامه وعقيدته فى حديثٍ طويلٍ ، هذا ملخّصه ، والله أعلم

---

(١) أبي : ابو (٤) أبي : ابو (١٣ – ١٤) أموراً قباحاً : امور قباح

(١٤) بعد « يسمى » بياض يسع الاسم

وفيها برزت المراسم الشريفة بإبطال ماكان يستأدونه من الفواحش لمهتار الطبلخاناه السلطانيّة بمصر والقاهرة ، وذلك أنّه كان له دار تسمّى دار الزعيم ، ولهم ناس يدورون على جوارى الناس وعبيدهم يُفسدونهم ويُهرّبونهم : فإذا هربت الجارية أو العبد يأتون إلى تلك الدار بظاهر باب زويلة ، فيعطون خمسين درهماً حتى يعيدوه إليه ، وأشيا غير ذلك قباح ذكرها . فبطّل مولانا السلطان جميع ذلك ، آجره الله تعالى

ذكر سنة سبع عشرة وسبع ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم

ما لخص من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر أعزّ الله أنصاره ، وكثّر أعوانه ، وأدام أيّامه ، وخلّد ملكه وزمانه ، سلطان الإسلام وملك الأنام ، والنوّاب بمصر والشام ، حسبما تقدّم من الكلام ، وكذلك الملوك ، على هذا السلوك

نكبة حدثت فى هذه السنة بمدينة بعلبكّ بالشأم . وذلك لمّا كان سابع شهر صفر من هذه السنة وقت العصر جاءت بعلبكّ غمامةٌ سودا نظروا فى وسطها عمود نارٍ طوله من السماء إلى الأرض حيث أدرك البصر ، وأرعدت رعداً عظياً ما عهدوا مثله فى طول الأعمار حتى سقطت لهوله الحوامل . وتبع ذلك صواعق متداركة . ثمّ مطرت عليهم مطراً

---

(٢) الطبلخاناه : الطبلخاه (٣) جوارى : جوار (١٠) أبو : ابى (١٥) جاءت : جاآت (١٦) وسطها : وصطها (١٧) رعداً عظياً : رعد عظيم

كأفواه القِرَب . ثمّ جاهم بعد ذلك سيلٌ عظيم من شرقيّها حتى لطم البلد وسورها ، فاقتلع من السور برجاً عظيماً . ثمّ احتمله وجرّه على وجه الأرض فى الماء واستصحب معه بدنةً من بدنات السور وحذفهما مقدار خمس ماية ذراع ، وتفسّخ البرج وكان دوره أربعين ذراعاً . ثم دخل السيل الجامعَ حتى وصل القناديل ، وغرّق كلّ مَن كان فيه . وإنّ ابن الشيخ الحريرىّ طلع إلى المنبر فانقلب به وغرق . وأخرب السيل الحايطَ الشماليّة ، ولم يسلم من الذين كانوا بالجامع غيرُ إنسانٍ واحدٍ ، حمله الماء إلى رأس عمودٍ كان هناك ، فتعلّق به فنجا . وأخرب تقدير خمس ماية دار ماعاد عُرفت ولا أساسها . وهذا ما اختصرتُه من هذه الكاينة

وذكر أيضاً أهل الصعيد بمصر أنّ فى هذه السنة أيضاً أتت إلى أسوان ريحٌ سودا مُنتنة الرايحة فأهلكت ما ينيف عن ألف نفر. نسا ورجال وأطفال

وورد أيضاً الأخبار أنّ فى هذه السنة أتت ريحٌ عاصفة بساحل عين تاب على روق تركمان ، كانوا نزولاً بها ، احتملت بقرهم وغنمهم وخراكهم وعلّقتهم ما بين السما والأرض ، ثمّ مزّقتهم تمزيقاً مع عدّةٍ من النساءِ والأطفال من أولاد التركمان حتى إنّ صاجات النحاس التى يعملوا عليها الرقاق لمّا نزلوا وجدوهم وقد تطوّوا على بعضهم البعض لعِظم ما عصفت بها الريح . فللّه الأمر وله الحكم والتدبير ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

وفيها كان تجريدة إلى السودان ببلاد النوبة وعيذاب وإلى الحجاز

---

(١٤) نزولا : نزول (١٥) خراكهم : كذا فى الأصل ، ولعل المقصود جمع كلمة « خركاه » ‖ تمزيقاً : تمزيق (١٨ – ١٩) السورة ٦٧ الآية ١ وفى سور أخر

وفيها توجّه الركاب الشريف إلى الكرك المحروس . ثمّ عاد مع سلامة الله وعونه

وفيها توفّى الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار رحمه الله . واستقرّ بالدواداريّة الشريفة الأمير سيف الدين ألجاى الدوادار . وكان دواداراً مع الأمير بهاء الدين أرسلان

وفيها تولّى الحجبة الشريفة الأمير سيف الدين ألماس عوضاً عن الأمير ركن الدين بيبرس . وكان ألماس جاشنكيراً ، فنقله مولانا السلطان حاجباً ، واستقرّ كذلك

وفيها حصل الغضب من السطوات الشريفة على أحد مماليكه ، وهو آقبغا الحسنىّ ، ووسّط خزنداره وقطع جماعةً وأكحل جماعةً ، لأمرٍ تحقّقه عنهم ، نصره الله تعالى . ثمّ بعد يومين أطلق آقبغا الحسنىّ وأخلع عليه ، فللّه درُّه مِن ملك ، ما أسعد من أطاعه ، وما أشقى من عصاه ، فآيته فى العاصى السيف ، لا آية العصاه ، وآيته فى الطايع الإنعامُ مِن عطاه ، والأمن من غضبه وسطاه

وفيها كانت الزينة بمصر والقاهرة ما شهد الناس مثلها ، وذلك لِما منّ الله تعالى به على الأنام ، بعافية سيّد ملوك الإسلام ، وذلك ببركات النبىّ عليه السلام . فإنّه كان — كفاه الله شرّ حوادث الزمان ونكبات الأيّام — حصل له تشويش يسير ، ثمّ منّ الله على هذه الأمّة بصحّة مزاجه الشريف ، وذلك صدقة من الرءوف اللطيف ، فللّه الحمد وله الثنا الحسن الجميل : على صحّة مزاج هذا الملك الجليل . وكانت هذه الزينة فى حادى عشرين رمضان المعظّم من هذه السنة

ذكر سنة ثمان عشرة وسبع ماية

النيل المبارك في هذه السنة : الماء القديم

ما لخص من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر سلطان الإسلام ، أعزّ الله بدوام أيّامه الأيّام ، والنوّاب بمصر والشام ، حسبما تقدّم من الكلام

وفيها حصل الغضب على طغاى الناصرىّ ، ورسم له نيابة صفد ، فأقام أشهراً يسيرةً . ثمّ أعيد واعتقل ، وكان آخر العهد به

وفيها عزل بدر الدين بن التركمانىّ عن شادّ الدواوين واستخلاص الأموال ، واستبدّ بالأمر القاضى كريم الدين الصغير الناظر بغير وزارة . وليس معه مشدّ سوى سيف الدين أبى بكر بن قشور . وقام كريم الدين المذكور فى خلاص الأموال السلطانيّة أتمّ قيام

وفيها كان ابتدا العمارة فى الجامع الناصرىّ بالقلعة المحروسة ، وانتهى فى مدّة أربعة أشهر وخمسة وعشرين يوماً . وسنذكر أيضاً تجديد بنايه فى تأريخه ، ونذكر عند ذكرنا له جميع ما استجدّ فى أيّام مولانا السلطان خلّد الله ملكه من الجوامع فى ساير ممالكه ، وما عمر من بيوتٍ يذكر فيها اسمه ، إنشا الله تعالى

وفيها توفّى القاضى زين الدين بن مخلوف المالكىّ رحمه الله تعالى وتولّى القاضى تقىّ الدين الأخنائى مكانه . ولم يكن فى العصر مثله ، لِدينه

---

(٨) أشهراً : أشهر (١٠) واستبد : والاستبد (١١) أبى : أبو

وسمْته وعفّته وطهارته وأمانتــه ، نفعنا الله ببركاته ، وفسح للمسلمين فى حياته !

وفيها توفّى الأمير شمس الدين سنقر الكمالىّ بالاعتقال فى شهر ربيع الآخر ، رحمه الله

وفيها وصل للأبواب الشريفة أربع مابة وتسعة عشر سنقر، تقدمةً لمولانا السلطان عزّ نصره ؛ وعوّض أصحابها ثلاث مابة ألف درهم . وكان شخص واحد منهم إفرنجىّ من البنادقة أحضر من جهته خاصّة نفسه مابةً وسبعة سناقر ، وهذه العدّة التى وصلت للأبواب الشريفة من هذه السناقر لم يعهد أن وصل مثلها ولا قريبٌ منها فى زمنٍ من الأزمان من أوّل وقتٍ وإلى ذلك التأريخ ، وإنّما منهل الجود كثير الوفود كما قيل < من الطويل > :

ترى الناس وُرّاداً إلى باب ملكه فُرادى وأزواجاً كأنّهمُ النمــل
قد ازدحموا فى مورد الفضل والعطا وكلّ امرىءٍ قد عمّه ذلك الفضل

ذكر سنة تسع عشرة وسبع مابة

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم

ما لخص من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر مالك الوجود ، وقد عمّ الوفود منه بالجود ، حتى عادت أبوابه الشريفة كعبة المحتاج ، لا كعبة الحجّاج ، وغاية الأمل

---

(١٦) أبو : ابى

حتى خبطت إليها آباط الإبل ، من سهلها والجبل ، متّع الله الوجود بوجوده ،
حتى لا تخلو بقعة من بقاع الأرض من كرمه وجوده

وفيها فى الحادى والعشرين من المحرّم توجّه المجرّدين إلى الغرب وعدّتهم أمرا طبلخانات تسعة ، عشراوات عشرة وهم : : :

وفيها حجّ مولانا السلطان عزّ نصره الحجّة الثانية ، وفى خدمته الملك عماد الدين إسماعيل صاحب حماة . وكان توجّهه الركاب الشريف من الديار المصريّة يوم الخميس تاسع شهر ذى القعدة وكان وصوله — تقبّل الله منه وأبرّ سعيه — إلى مكّة شرّفها الله تعالى سادس شهر ذى الحجّة . وكان وصوله فى خيرٍ وسلامةٍ إلى محلّ ملكه وكرسىّ سلطانه — بعد ما عمّ الحجاز وأهله بجوده وإنعامه وإحسانه — ثانى شهر المحرّم من سنة عشرين وسبع ماية

وفيها توفّى القاضى فخر الدين بن أبى سعدٍ تاسع عشرين جمادى الآخر ، رحمه الله

وفيها توفّى الشيخ نصر المنبجىّ سابع عشرين الشهر المذكور . رحمة الله عليه

وفيها توفّى الأمير علاء الدين طيبرس أمير نقبا الجيوش المنصورة رحمه الله فى سلخ شهر ربيع الآخر . وكان فيه برّ وصدقة ومعروف وعدم طمعٍ فى أموال الناس ، وهو صاحب المدرسة التى بجوار جامع الأزهر ، ودفن بها ، رحمه الله . وتولّى عوضه الأمير شهاب الدين أحمد بن جمال الدين آقوش المهمندار . وأضيفت إليه مع ما كان بيده من

---

(٢) تخلو : تخلا (٤) بعد « وهم » بياض سطرين ونصف يسع عدة الأمراء

المهمندارية ، ومشى فيها مشياً حسناً ، واتبع طريقة علاء الدين طيبرس فى الأمانة ، وقام بأمر الوظيفتين قياماً جيداً

ذكر سنة عشرين وسبع ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم ، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً واثنين وعشرين إصبعاً

ما لخص من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر سلطان الأمصار ، فى ساير الأقطار ، وجميع الملوك تهاديه ، ويخشوا أن يكونوا من أعاديه

والنواب بمصر والشام ، حسبما نذكر الآن من الكلام : الأمير سيف الدين أرغون النايب بالديار المصرية ، والحجاب بالأبواب العاليـة : الأمير سيف الدين ألماس الجاشنكير ، والأمير سيف الدين طينال ، والأمير سيف الدين آقول المحمدى ، والمتحدث فى الأموال : كريم الدين الصغير الناظر ، وبالجيوش المنصورة : القاضى فخر الدين محمد ، وبديوان الإنشا : القاضى علاء الدين بن الأثير ، وأمير النقبا بالجيوش المنصورة : شهاب الدين أحمد بن المهمندار ، والدوادار : الأمير سيف الدين ألجاى ، وأمرا جاندارية : الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدى ، والأمير سيف الدين آلدمر ، والحسنى ، والقاضى كريم الدين الكبير مدبر الدولة ووكيل الخاص الشريف وناظر

---

(١) مشياً حسناً : مشى حسن ‖ طريقة : طرقه (٢) الوظيفتين قياماً جيداً : الوضيفتين قيام جيد (٧) أبو : ابى

خزانة الخاصّ ، والنوّاب بالممالك الشأميّة : الأمير سيف الدين تنكز ملك الأمرا بالشأم المحروس بدمشق المحروسة ، والأمير علاء الدين ألطنبغا بحلب المحروسة ، والأمير سيف الدين كستاى بطرابلس المحروسة إلى حين وفاته فى هذه السنة ، وتولّى الأمير شهاب الدين قرطاى الحاجب بدمشق ، والأمير سيف الدين أرقطاى نايب صفد بحكم عودة بكتمر الحاجب إلى الديار المصريّة ، واستقرّ بها أميراً مقدّماً ، والأمير علم الدين الجاولى بغزّة

والملوك بأقطار الأرض حسبما وصل إلى العبد من ذكرهم . فمنها سلطن مولانا السلطان الملك عمادَ الدين إسماعيل وملّكه حماة

ذكر تملّك الملك عماد الدين حماة وركوبه

وذلك لمّا كان يوم الخميس سابع عشر شهر الله المحرّم من هذه السنة ، برزت المراسم الشريفة السلطانيّة الملكيّة الناصريّة — لا زالت تُعلى ممالك الملوك من ذوى الاستحقاق ، وتعيدها إلى مراتبها العليّة فى ساير الآفاق — بأن يملّك الملك المؤيّد عماد الدين إسماعيل بن الأفضل نور الدين علىّ بن الملك المظفّر تقىّ الدين محمود بن الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفّر تقىّ الدين عمر بن شاهنشاه بن أيّوب مملكةَ حماة ، على ما كان عليه أجداده الملوك الكرام ، ومولانا السلطان عزّ نصره عضده وحماه . ولبس خلعة الملك بالمدرسة المنصوريّة ، وشقّ القاهرة فى التأريخ المذكور بثلاثة سناجق ، أحدهم خليفتىّ ، وتحته فرس برقىّ ، وحُملت الغاشية السلطانيّة بين يديه ، وضربت الشبابة قدّامه ، وزعقت الجاويشيّة

(٣ – ٤) إلى حين . . . بدمشق : بالهامش (١٤ – ١٥) تقى الدين . . . الملك المظفر : مكرر بالهامش

أمامه . ونزل الأمير سيف الدين أرغون النايب بالديار المصريّة والتقاه من تحت القلعة من عند الطبلخاناه السلطانيّة . ولبس فى ذلك اليوم الأمير سيف الدين ألماس أمير حاجب أطلس كامل بكلوتة زركش وحياصة ذهبٍ ، وكذلك الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدىّ أمير جاندار مثله ، وكذلك الأمير علاء الدين أيدغمش أمير آخور مثله ، وكذلك الأمير سيف الدين قجليس أمير سلاح مثله ، وشهاب الدين بن المهمندار أمير نقبا الجيوش طرد وحش كامل ، والأمير شمس الدين صواب الرُكنىّ مقدّم المماليك السلطانيّة مثله ، وصاروجا النقيب كنجىّ أحمر ، ومحمد الجاويش بغلطاق ، وكلٌّ من هؤلاء فى منزلته على جارى العادة عند ركوب مولانا السلطان عزّ نصره . وحصل له من الجبر والإنعام فوق ما كان فى أمله ، وهذه من جملة ما يعتدّ بها من حسنات مولانا السلطان خلّد الله ملكه ، واستقرّ صاحب حماة

وصاحب اليمن : الملك المؤيّد هزبر الدين داود بن الملك المظفّر بحاله ، وصاحب ماردين : الملك الصالح بن الملك المنصور بن المظفّر الأرتقىّ المقدّم ذكره ، وصاحب مملكة التتار بالعراقين وخراسان : الملك أبو سعيد ابن خدابنداه المقدّم ذكره ، وصاحب مملكة التتار أيضاً بما ورا النهر : الملك كبك بن جبار بن قيدوا بن قنجى ، وصاحب مملكة التتار أيضاً ببلاد بركة : الملك أزبك بن . . . ، وصاحب مملكة التتار بالبلاد الشماليّة : الملك كلك بحكم وفاة أبيه منغطاى فى هذه السنة ، وصاحب التخت ببلاد الصين : الملك قاآن قلاصاق شرمون بن منقلاى ، وصاحب

(١٨) بعد « بن » بياض ثلث السطر يسع بقية الاسم

الهند ببلاد دلى : الملك المسعود محمود بن شيخو عتيق أيتامش الغورى ، وملوك المغرب حسبما اتّصل بنا فى هذا الوقت ما نحن ذاكروه : صاحب مرّاكش : . . . . ، صــاحب تونس : . . . . ، صاحب الأندلس : . . . . فهؤلاء ما اتّصل بنا من أسماء هؤلاء الملوك فى هذا التأريخ المذكور ، وما وراهم ، فعِلمهم عند الله عزّ وجلّ . ولعلّ مَن يعلم من أمورهم ما لا نعلمه

وفيها حضر ناصر الدين محمد بن الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب من الحجاز الشريف ، وخبّر بقتل حميضة بن أبى نُمَىّ صاحب مكّة فى العشرين من شهر جمادى الآخرة . واستقرّ بمكّة أخواه رُميثة وعُطيفة ، وناصر الدين منصور بن جمّاز بن شيحة صاحب المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام بحاله

وفيها أفرج الله تعالى عن جماعةٍ من المعتقلين وهم : الشيخ علىّ الكبير ، ومسحار ، ومنكاى السلحدار ، وعشرة نفر لم يكونوا أمرا . وفى يوم الخميس خامس عشر صفر أحضر من الإسكندريّة من الاعتقال عشرة نفر ، أفرج الله تعالى عن أربعة وهم : سنجر الأحمدىّ ، وطوغان نايب البيرة ، والصارم العينتابىّ ، وطاجار البكرىّ ، وأُودع البقيّةُ الاعتقالَ بقلعة الجبل المحروسة . وفى يوم السبت سابع عشر صفر أفرج الله أيضاً عن جماعةٍ أخر وهم : قبجق الطويل الساقى ، ومغلطاى السيواسىّ ، وأيدمر الشيخىّ ، والحاجّ بلبلك ، ومغلطاى إيتغلى ، وسنقر الكمالىّ الصغير . وفى يوم الأحد خامس عشرين صفر أُحضر بهادر الإبراهيمىّ وأيدغدى التقوى ، وأُكحلا ،

(٣–٤) مكان الأسماء بياض فى الأصل (٩) وعطيفة : بالهامش (١٣) ومسحار : كذا فى الأصل

وذلك أنّهما كانا معتقلين بثغر الإسكندريّة ، فتحيّلا وهربا من السجن : وكان معهما شخص آخر من المماليك السلطانيّة يسميّ سيف الدين رمضان ، فلم يوافقهما على الهروب : فأفرج عنه ، وأنعم عليه بإقطاعٍ جيدٍ

نكتة : كان أيدغدى التقوى لمّا خرج أميرَ الركب إلى الحجاز الشريف ، كان في الركب ولدٌ لنور الدين ريّس الكحّالين يسمّى صدر الدين ، أسود اللون ، وكانت أمّه سودا : فحصل منه ما أدّى التقويّ أنّه أنزله عن مركوبه ، وتركه فى البرّ الأقفر بغير زادٍ ولا مركوبٍ وأراد هلاكه . وكان فى أجله تأخير ، فتوصّل إلى الديار المصريّة بعد الركب بأشهرٍ . فلمّا رُسم بتكحيل هــذين النفرين أكحلهما : ثمّ قيل إنّهما ينظران ، فأُحضرا ثانى دفعةٍ . وأحضروا مَن يكحلهما . فأجمعوا الأطبّا أنّهما لا يفيد فيهما إلاّ الحديدُ بشيٍ من عدّة الكحل يسمّى أبى عيشى ، أجارنا الله تعالى ، فرسم بذلك . فلم يُقدم على ذلك أحد . فتقدّم هذا صدر الدين بن نور الدين الذى كان فعل معه ما فعل وقال : أنا أكحلهما بأبى عيشى . — فلمّا تقدّم للتقويّ قال له : مَن أنت ؟ — قال : أنا الذى أردتَ هلاكى ، وأراد الله بقابى حتى مكّننى منك . — فقال : افعل ما يستعملك الله ! — ففقأ أعينهما بالمبضع المذكور . فانظر إلى صنع الله عزّ وجلّ

وممّا يُحكى من جملة سعادة مولانا السلطان — زاده الله زاده وزاده ، وبلّغه فى الدارين غاية الأمل والإرادة — أن بلغ المسامع الشريفة فى هذه السنة أنّ ببلاد البحرين حصاناً أشقر قليلَ المثل فى وقته ، فأرسل مولانا

---

(١) معتقلين : معتقلان (٣) وأنعم ... جيد : بالهامش (٦) أدى : اوذا
(٩) أكحلهما : أكحلاهما (١٩) حصاناً : حصان

السلطان فى طلبه ، وعاد الخاطر الشريف متعلّقاً به ، لكثرة ما وُصف له من صفات ذلك الحصان المذكور : ثمّ اتّصل بالمسامع الشريفة أنّ الفرس المذكور وصل إلى الشأم المحروس : فأرسل البريد فى طلبه ورسم ألاّ يشتريه أحدٌ من العربان ولا من غيرهم . وعاد مولانا السلطان كثيرَ التطلّع إلى أخباره والحثّ على حضوره : فلمّا وصل البريد المتوجّه فى طلب الفرس إلى سبخة السوادة وجد الفرس المطلوب بها ، وهو مع جماعةٍ من العرب قادمين به إلى مولانا السلطان ، ومعه حجرة أخرى تقاربه فى صفاته . وقرّب الله البعيد ، على طلب هذا الملك السعيد ، ووصل إلى مولانا السلطان بعد مدّة ستّة أيّام من سماع خبره . وكان اسم صاحبه برجس بن سلطان العامرىّ من عرب البحرين . وكان وصول الفرس المذكور يوم الخميس سادس ربيع الآخر . وقد قال فى ذلك جلال الدين الصفدىّ البريدىّ أبياتاً فالمستحسن منها :

يا مليك الأرض الذى أصبحت ... نعمتــه بين الورى جاريهْ
إنّ الحصان الأشقر الصيحمى ... أتى يمشى فى خدمته جاريهْ
يجرى إلى الخدمة مستبشراً ... والحجرة أيضاً معــه جاريهْ
وفى غدٍ قد أقبلت حجرة ... تدعى الكحيليـــة لا الجاريهْ
وســتّة هن خوات لهــا ... الكلّ ســتات بلا جاريهْ

وفيها قبض على الأمير علم الدين سنجر الجاولى الأمير سيفُ الدين ألماس أمير حاجب وسُيّر إلى الأبواب العالية تحت الحوطة صحبته ثمانية مماليك من مماليك ألماس : وكان العبد قد توجّه على البريد لتجهيز الخيول

---

(٤) أحد : احدا (١٣–١٧) الأبيات من بحور مختلفة ومضطربة الوزن

(١٣) الذى : التى

بالمنازل لأجل توجُّه القاضى كريم الدين الكبير إلى القدس الشريف . فوصل الأمير علم الدين إلى منزلة السعيديّة ثانى يوم من شهر رمضان المعظّم من هذه السنة المذكورة ، وسُلّم إلى الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالىّ ثالث يوم من رمضان . فأخذه من بستان مولانا السلطان من بركة الحجّاج وتوجّه به فى الحرّاقة إلى ثغر الإسكندرية ، فأقام بها حتى أفرج الله عنه فى تأريخ ما يأتى ذكره : ثمّ خرج الأمير صارم الدين الجرمكىّ على حوطته . ثمّ ولى مكانه بغزّة الأمير حسام الدين لاجين الصغير من أمرا دمشق

وفى خامس عشرين ربيع الأوّل وصل الأمير سيف الدين أطرجى من بلاد بركة من عنــد الملك أزبك وصحبته الآدُر الشريفة بنت أخى أزبك ، وحضر معهارجلٌ مُقْعَد ، وقاضى يسمّى نور ، وقالوا : إنّ هذا القاضى هو الذى أهدى الملك أزبك إلى الإسلام ، ومعهم جمع كبير . وأُنزل بها فى الميدان الظاهرىّ ، وحضر أيضاً معهم رسلٌ كبار من جهة الملك أزبك ورسل الفرنج : وحضر صحبتهم سكران التاجر الإفرنجىّ ورفيقـــه . استحضرهم مولانا السلطان عزّ نصره وتحدّث معهم . وكان معهم عدّة مماليك وجوارٍ . ثمّ استحضر مولانا السلطان الرسل وذلك الرجل المقعد ، وعقدوا العقد الشريف . ثمّ نزل الأمير سيف الدين أرغون النايب والأمير سيف الدين بكتمر الساقى والقاضى كريم الدين الكبير إلى الميدان ، وطلعوا بالخاتون الجليلة ، وهى على عربةٍ صفة عجلة ملبسة الثياب المذهبة زىّ لبس البلاد . وذكروا أنّ الرسل والمماليك والجوارى وسكران التاجر ورفيقه جميعهم كانوا فى مركبٍ واحدٍ ، وأنّ مشتراه على صاحبه ثمانين

(٩) أطرجى زت : اطوجى ، انظر السلوك جـ ٢ ص ١٧٧ (١١) نور : نور
(٢٠) والجوارى : والجوار

ألف دينار ، ولكنّه شراها خمسين ألف دينار وشيئين وطريده استصحبوهم معهم . وكان عدّة الجماعة الواصلين ألفى نفر وأربع مايه نفر ، توفّى منهم فى البحر أربع مايه نفر ، ووصل الباقى إلى الأبواب الشريفة . وكان عدّة المماليك الواصلين مع التجّار أربع مايه نفر وأربعين مملوكاً ، اشترى منهم مولانا السلطان مايتى مملوكٍ وأربعة مماليك بمبلغ ألف ألف درهم نقرةٍ ، والباقى اشتروهم الموالى الأمرا . ثمّ فى يوم الجمعة سالخ ربيع الآخر كتب القاضى علاء الدين بن الأثير رحمه الله الكتاب الشريف السلطانىّ فى شقّة أطلس أبيض بالذهب المحاول ، فجا مدهشةً لمن يراه ، وكان مبلغه ثلاثين ألف دينار حالّةً . وتضمّن الكتاب خطبةً عظيمة القدر جامعة البراعة إلى البلاغة . وكانت نسختها عند العبد ، فعُدمت ، ولم اقدر لها على نسخةٍ ، فأثبتها هاهنا .

وممّا يؤرّخ من جملة سعادة مولانا السلطان — جعل الله سعده بدايةً بلا نهايةٍ — ما حكاه لى والدى رحمه الله ، أنّ السلطان الملك الظاهر رحمه الله طلب جرمك الناصرىّ وقال له : أريدك تحصّل لى رجلاً عاقلاً ديّناً كافياً أُرسله إلى بلاد بركة فى مهمٍّ . — فأحضر له رجلاً بهذه الصفة : فسفّره إلى بلاد بركة وأعطاه جملة مالٍ وأوصاه أن يشترى ويتوقّع له على جارية تركيّةٍ من تلك البلاد . فتوجّه وغاب مدّةً طويلةً وعاد ، ولم يقدر على تحصيل جاريةٍ ، ومولانا السلطان — أعزّ الله أوليايه ، وخذل أعدايه فى أدنى إشارةٍ من إشاراته ! — حُملت له بنت أكبر ملوكهم ، وهو المخطوب لا الخاطب ، والمرغوب لا الراغب . وهؤلاء القوم أكبر بيوت التتار ،

---

(١) وشيئين وطريده : كذا فى الأصل (١٤) رجلا عاقلا دينا كافيا : رجل عاقل دين كافى (١٥) رجلا : رجل (٢٠) الخاطب : خاطب

فإنّهم بيت باتوا ، وهذا باتوا أكبر عظم القآن جكزخان . وكان لهم من القسمة فى الغنايم من الفتوحات التى افتتحتها التتار من أوّل زمانٍ الخمسُ ، يُحمل إلى بيت باتوا مهنّياً ميسّراً ، من غير أن يكون لهم مع من يفتح البلاد جيش ولا مقاتلة ، بل يحمل لهم الخمس على سبيل الخدمة . وبيت هلاوون دونهم فى المنزلة وهم عنـــدهم كالنوّاب لهم ، لا يعتدّون لهم بأصالةٍ فى عظمهم ، وإنّما هؤلاء يُعرفون بينهم بالمغربة ، أعنى بيت هلاوون . وبيت باتوا من أكابر الأصول فى العظم ، وهذا من أعظم سعادات السلطان ، حضور بنت أزبك بخِطبةٍ من مولانا السلطان لها ، وإجابتهم لذلك تقرّباً للخواطر الشريفة السلطانيّة . وهذا شى ما جرى لملك من ملوك مصر أبداً ، فسبحان من أطاع لمولانا السلطان الملوك الجبابرة ، ملاّك أملاك الأكاسرة والقياصرة

وفيها توفّى القاضى زين الدين المحتسب الأسعردىّ سادس عشر شهر رمضان المعظّم ،وكان إنساناً جيّداً مباركاً،عليه سكينةٌ ووقار ورياسة وأمانة ونهضة وسياسة ، رحمه الله . وتولّى عوضه القاضى نجم الدين بن أخيه واستقرّ كذلك . وخرجت عنه وكالة بيت المال المعمور ، ووليها القاضى قطب الدين السنباطىّ

---

(٤) جيش : جيشا (١٤) ونهضة : ونهظة

ذكر سنة إحدى وعشرين وسبع ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم . مبلغ الزيادة ستّة عشر ذراعاً واثنا عشر إصبعاً

ما لخص من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر سلطان الإسلام ، وأيّامه لذاذة كالأحلام ، والنوّاب بمصر والشام ، حسبما سقنا من الكلام ، فيما تقدّم فى ذلك العام ، وكذلك ساير الملوك ، على هذا السلوك

فيها حجّت الآدُر الشريفة طغاى ، صان الله حجابها ، وخرج فى خدمتها جماعة من الأمرا الكبار ، فكانوا حجّابها ، وهم : الأمير سيف الدين قجليس أمير سلاح من الديار المصريّة ، والأمير سيف الدين تنكز نايب الشأم . وتوجّه بين يديها الكوسات والعصايب السلطانيّة والسناجق . ورُتّب القاضى كريم الدين الكبير فى خدمتها ، وخرج فى ركاب محفّتها . وحمل الخضراوات مزروعةً مباقل على الجمال ، واهتمّ همّةً ما رأى الناس مثلها إلاّ إن كانت حجّة جميلة بنت ناصر الدولة ، إحدى بنات ملوك بنى بويه الديالمة ، وقد ذكرتُها فى كتابى المسمّى « بحدايق الأحداق ودقايق الحذّاق » وإنّ من جملة ما فعلَت أنّها أسقت الناس بالموسم فى جميع أيّام التشريق السويقَ بالسكّر الطبرزد ، بالثلج مبرّد ، وأنّها أخلعت على الجبل بعد لبس المخيط ألفاً وثمان ماية خلعة ، وفرّقت من الذهب العين ثلاثين ألف دينار وأشيا ذكرها أبو منصور الثعالبىّ فى كتابه المسمّى «لطايف المعارف» وهى أوّل

---

(٢) ذراعاً : داعا (٥) أبو : ابى (١٤) رأى : راه (١٩) ألفاً : الف
(٢٠)

مَن استنّت محامل البقولات مزروعةً على أظهر الجمال مع عدّةٍ من أصناف الرياحين ، وكذلك كانت حجّة الآدر الشريفة خوند طغاى فى أيّام مولانا وسيّدنا ومالك الرقبا السلطان الأعظم الملك الناصر عزّ نصره

وفيها كان بدوّ الحريق العظيم بمصر والقاهرة . وكان من فعل النصارى ، وسببه أن برز المرسوم الشريف بخراب كنيسة الكرج التى كانت تعرف بالحمرا . فشرع العامّة فى هدم عدّةٍ من الكنايس وهم : كنيسة الزهرى ، كنيسة أبى متّى ، كنيسة السبع سقايات ، كنيسة الفهادين ، كنيسة حارة برجوان ، كنيسة رملة الحسينيّة ، كنيسة بالقاهرة ، الجملة سبع كنايس أخربوها العامّة ونهبوا منها أشيا كثيرةً . فشرعوا النصارى فى الحريق بمصر والقاهرة فى ساير الأماكن . ولقد بلغنى أنّهم تسمّوا بالمجاهدين ، وهم الذين كانوا تجرّدوا لهذا الفعل . وكانوا يرمون الخرق المحشوّة بالزيت والكبريت ويؤرّثون فيها النار ويحذفونها فى أسطحة البيوت ويدفنونها تحت الأبواب الخشب . وعادت أيّام شنيعة ، وكلّ أحدٍ خايف وجِل على نفسه وملكه وماله . وأُحرقت عدّة دورٍ حسنةٍ لها صورة . وعادوا النصارى يزعمون أنّ النار تنزل من السما، ليوهموا أنّ ذلك لسبب خراب كنايسهم . ثمّ إن النصارى طُلبوا فاختفوا ، ومُسك منهم جماعة ، وعوقبوا ، فمنهم من أقرّ ومنهم من احتمل العقوبة ولم يقرّ

وفيها رجمت العامّة القاضى كريم الدين الكبير عند خروجه من الميدان ورجع هارباً ، ومسك جماعةٌ منهم الولايةُ وعوقبوا . ثمّ إنّ ذلك كان أوّل بدوّ خمول القاضى كريم الدين ، فنعوذ بالله من الخمول الذى يؤُول إلى زوال النعم

---

(٣) الرقبا : رقبا (٧) أبى : أبو (٩) منها : منهم

ذكر سنة اثنتين وعشرين وسبع ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم . مبلغ الزيادة ستّة عشر ذراعاً وستّة عشر إصبعاً

ما لخص من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم الملك الناصر ، سلطان ممالك الدنيا ، وقد فاق بملكه على الملوك الأموات والأحيا ، زاد الله أيّامه علوًّا وشباباً ونموًّا

والنوّاب : الأمير سيف الدين أرغون نايب الديار المصريّة ، بالأبواب العالية ، والمتحدّث فى أمور الوزارة : كريم الدين الناظر ، والحجّاب بالأبواب الشريفة : الأمير سيف الدين ألماس الجاشنكير ، والأمير سيف الدين طينال ، وآقول المحمدىّ ، وأمير جانداريّة : الأمير ركن الدين الأحمدىّ ، وسيف الدين آلدمر ، والحسنىّ ، وأمير النقبا : شهاب الدين أحمد بن المهمندار ، والقاضى كريم الدين الكبير مدبّر الدولة وناظر الخاصّ الشريف ، والقاضى فخر الدين ناظر الجيوش المنصورة ، والقاضى علاء الدين بن الأثير صاحب ديوان الإنشا الشريف ، والدوادار : الأمير سيف الدين ألجاى

والملوك بالأقطار حسبما تقدّم من ذكرهم فى السنة الخالية ، خلا صاحب اليمن الملك المؤيّد هزبر الدين داود ، فإنّه توفّى إلى رحمة الله تعالى ، وولى الملك ولدُه الملك المجاهد علاء الدين علىّ . وتغلب عليه ابن عمّه الملك الظاهر ، واقتلع منه عدّة قلاع من أعمال اليمن

---

(٥) أبو : ابى

وفيها أُحضر قاتل الشريف حميضة بن أبى نُمىّ إلى بين يدى المواقف الشريفة السلطانيّة ، يوم الأربعا ثالث شهر شوّال ، وأُمر بضرب عنقه ، فضُربت رقبته بين يدى المواقف الشريفة

وفيها فى سادس عشر شوّال توجّه الأمير سيف الدين أرغون إلى الحجاز الشريف

وفيها حضر رسول الملك أبى سعيد إلى الأبواب العالية . وفى جملة ما طلب الملاكمين من الديار المصريّة ، فسُيّروا إليه على البريد المنصور

وفيها حضر رسل سيس إلى الأبواب العالية . وصحبتهم هدايا حسنة ، وسألوا الصلح

وفيها مُسك الأمير سيف الدين بكتمر الأبو بكرىّ واعتقل

وفيها توفّى الشيخ نجم الدين بن عبّود رحمه الله ، وكان له منزلة كبيرة فى الدول وعند الأكابر . وكان يعمل كلّ سنة مولد سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وينفق فيه أموالاً عظيمةً فى الأطعمة والحلاوات ، وتُهاديه فى ذلك جميع الأكابر ويحضروا عنده . ولقد بلغنى أنّه فى مولدٍ من جملة الموالد فضل عمّا عُمل فى ذلك المولد أربع مائة قمع سكّر ، ثلاثَ مائة وثمانين رأس غنم ، خارجاً عن بقيّة الأصناف . وكانت وفاته ثالث شوّال

(٦) أبى : أبو (٩) سألوا : سأل (١٣) أموالا : اموال (١٥) ذلك : تلك

ذكر سنة ثلاث وعشرين وسبع ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم . مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وسبعة أصابع

ما نخص من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر سلطان الأرض ، الذى طاعته على كلّ مسلمٍ فرض ، والنوّاب حسبما تقدّم من ذكرهم فى السنة الخالية ، وكذلك ملوك الأقطار

وفيها وُلد مولانا ابن مولانا السلطان الأعظم الملك الناصر ؛ وهو المقرّ الأشرف السيفىّ أنوك ، نجل السادة الأفاضل السلاطين الملوك ، فماء الورد من الورد متّخذ ، والشبل فى المخبر مثـــل الأسد : عضّد الله الولد بالوالد وبالوالد الولد ، بمحمدٍ وآل محمد

وفيها الثانى من جمادى الأوّل حضر الأمير ركن الدين بيبرس السلحدار بالبشارة بفتح أياس من سيس ، وكان توجّه إليها فى السنة الخالية خمسة آلاف فارس من الديار المصريّة ، يقدمهم خمسة مقدّمين ، وهم : الأمير جمال الدين نايب الكرك ، والأمير سيف الدين ألماس ، والأمير علم الدين سنجر الجمقدار ، والأمير سيف الدين أصلم السلحدار ، والأمير سيف الدين طرجى أمير مجلس ، بعُدّتهم ومضافيهم . فأخلع مولانا السلطان على الأمير ركن الدين المبشّر ، وأعاده بمرسومٍ شريفٍ على يده بحضور العساكر المصريّة

---

(٥) أبو : ابى (١٢) بمحمد وآل محمد : بالهامش

إلى مصر ، وأن يستقطع فى الشأم من الأمرا المجرّدين أربعة نفر ، وهم التليليّ ، وعبد الملك ، وبهادر الغتميّ ، وقطلوبغا طاز

وفيها مُسك القاضى كريم الدين الكبير وولده علم الدين عبد الله يوم الخميس رابع عشر ربيع الآخر . ووقع الاحتياط على جميع موجوده الظاهر . وكان العبد قد توجّه قبل مسكه بعشرة أيّام ، فجهّزتُ له خيل البريد فى جميع منازل الرمل درك العربان . وأقمتُ أنتظره بمنزلة السعيديّة . وخرج الطلب الذى له صحبة عليّ بن هلال الدولة على جارى عادته ، ونزل بالسعيديّة ليلة الخميس . فلمّا أصبح نهار الخميس مُسك كريم الدين . وخرج الأمير سيف الدين قطلبغا المغربىّ على البريد بسبب الحوطة على الطلب بسبب الخزانة التى كانت خرجت صحبة ابن هلال الدولة . فسبق الخبر بمسك كريم الدين . فاتّفق علاء الدين بن هلال الدولة مع شخصٍ يسمّى نجم الدين بن بُدير العبّاسيّ من أهل العبّاسة ، وأعطاه ستّ هجنٍ ذهبٍ ولؤلؤٍ وفصوصٍ ، فتسلّمهم وتوجّه بهم من الطريق البدريّة إلى العبّاسة . وطلع قطلبغا المغربىّ فى الطريق السلطانيّة ، فلم يجد فى الطلب خزانةً واحتوى ابن هلال الدولة وابن بدير العبّاسيّ وشخص يسمّى عبد الله البريديّ على تلك الأموال الجمّة ، وصانعوا عليها . واستمرّ أمر ابن هلال الدولة واستقام حاله وأخذ طبلخاناه . وعاد يتحدّث فى جميع مناصب الدولة جليلها وحقيرها حتى بصّر الله تعالى مولانا السلطان . فقبض عليه فى سنة أربع وثلاثين وسبع ماية ، حسبما نذكر من خبره فى تأريخه . ولمّا مُسك كريم الدين أُخذ من عنده أموال جليلة : وأشهد على نفسه أنّ جميع ما يملكه لمولانا السلطان عزّ نصره ، وشغرت ساير مناصبه . ثمّ أفرج عنه يوم السبت تاسع عشر الشهر المذكور ، وتوجّه إلى تربته بالقرافة ،

أقام بها . وتولّى مكانه بنظر الخاصّ القاضى تاج الدين إسحق ، وكان مستوفياً بالأبواب العالية ، وتولّى من مناصب كريم الدين نظرَ الأوقاف المنصوريّة بالبيمارستان والمدرسة الأمير جمالُ الدين نايب الكرك . وتولّى من مناصب كريم الدين أيضاً نظر الأوقاف بجامع أحمد بن طولون الأمير سيفُ الدين قجليس أمير سلاح الناصرىّ ، فسبحان الدايم بلا زوال ، مغيّر حالٍ بعد حال

وما أحسن قول الحكما هاهنا : إنّ شبيه أصحاب السلطان كقومٍ رقوا إلى جبلٍ ، ثمّ سقطوا منه ، فكان أبعدهم فى المرقى أقربَهم إلى التلف ، بقدر الصعود يكون الهبوط . — وقولهم : صاحب السلطان كراكب الأسد ، الناس تهيّبه وهو لمركوبه أهيب . — وقولهم : السلطان كالنار ، إن قربتَ منها احترقتَ وإن بعدتَ عنها لم تنتفع بها ، فالعاقل مَن اقتبس منها وهو على حذرٍ . — وقولهم : مرقة السلطان حارّة ، من حساها بلا حسابٍ احترقت شفتاه . قلت أنا : مال السلطان مسموم ، مَن أكله تخرّطت أمعاه ، ولا يفيد فيه الجواهر ، فلو أفادت فيه الجواهر ، لمّا هلك الظاهر . — ومن قول الشاعر < من المتقارب > :

إذا ما خطَيْتَ إلى رتبةٍ ... فإيّاك والدرج العاليهْ
وكن فى منزلٍ إذا ماوقعْتَ ... تقوم ورجـلاك فى عافيهْ

ولمّا نُكبت البرامكة قال الرشيد رضى الله عنه لأحمد بن أبى خالدٍ — ومن رواية أنّ الكلام كان للفضل بن الربيع — وقد كان قام بالأمر بعدهم : يا أحمد ، إيّاك والدالّة على الملوك ، فإنّ البرامكة أصيبوا منها

---

(٩) بقدر . . . الهبوط : بالهامش (١٦) خطيت : كذا بالأصل ، صوابه خطوت
(١٧) منزل : الوزن لا يستقيم به (١٩) ومن . . . الربيع : بالهامش

وفيها عُزل كريم الدين الصغير أيضاً عن نظر الدولة فى سادس عشر ربيع الآخر ، وولى صاحب ديوان الجيوش المنصورة . ثمّ مُسك يوم السبت العشرين من هذا الشهر وولده سعد الدين أبو الفرج ، وصودرا وحُمل من جهتهما أموال جمّة وغلال كثيرة ومواشى عديدة . وكان كريم الدين الناظر المذكور فيه عفّة عن الأموال السلطانيّة . وكان صاحب متجرٍ وزرعٍ وغيره ، وكان سلطاً سفيهاً جريئاً قوىّ الجنان

وفيها وزر الصاحب أمين الدين أمين الملك بن الغنام الوزارة الثانية رابع عشرين شهر ربيع الآخر . وكان بطّالاً مقيماً بالقدس الشريف ، فطُلب وأخلع عليه ، ووزر وفتح الشبّاك الذى للوزارة . واستقرّ شرف الدين بن زنبور خال القاضى فخر الدين ناظرِ الجيوش المنصورة ناظرَ النظّار بالديار المصريّة ، وكان قبل ذلك مستوفى الصحبة الشريفة . وكان ضعيف الكتابة عارياً من المعرفة ، وإنّما كان ذلك كما قالت العرب : الخيل ترعى بالحصان المربوط . — فكان سبب تنقّله القاضى فخر الدين وحرمته فى الدولة . ثمّ تخلّص كريم الدين الصغير الناظر ، وتوجّه ناظراً إلى صفد

وفيها كان الصلح بين المسلمين والتتار ، وذلك بحسن تدبير مولانا السلطان وبركة سياسته التى تحيّر فيها الأفكار ، حتى عادت أسماراً على ألسنة السُّمّار ، وكان ذلك على يد مجد الدين السلامىّ التاجر السفّار . ثمّ حضر فى هذه السنة رسول الملك أبى سعيد ، وسأل المراحم الشريفة على

---

(٦) سلطاً سفيهاً جريئاً : سلط سفيه جرى (٨) بطالا مقيماً : بطال مقيم
(١٢) عارياً : عارى (١٥) ناظراً : ناظر (١٩) أبى : ابو

الصلح ، فأنعم له مولانا السلطان بذلك لما رأى فيه من الحظّ والمصلحة للإسلام ، فجزاه الله عن رعيّته ورعايته خير الجزاء، الذى فى أيّامه اطمأنّت نفوس العالم ، وقد كانت المخاوف من قبل ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ وذُكر أن الهدنة وقعت بينهما لمدّة عشر سنين وعشرة أيّام . وكان سبب هذا الصلح المبارك جوبان ، فإنّه كان مسلماً حسناً ، وكان قد وصل إليه مجد الدين السلامىّ من الديار المصريّة وصحبته أربع أرؤس خيلٍ ، تقدمةً له من عنده بعُددٍ سلطانيّةٍ مصريّةٍ . فاختشى جوبان أن يقبلهم لا يعرفوا عليه ، فيقال : أنت تكاتب صاحب مصر وهؤلاء خيول مصر . — فأشار على السلامىّ أن يقدّمهم لأبى سعيد ؛ فقدّمهم له . وكان ذلك سبب الصلح فى حديثٍ طويلٍ ، هذا ملخّصه .

وفيها كان الابتـــدا فى عماير سرياقوس ، فعمر بها القصر والخانقاه والحمّام والبساتين ومناظر حسنة وميدان وغير ذلك ، وكان ذلك فى سلخ ذى الحجّة من هذه السنة

وفيها توفّى القاضى نجم الدين بن صصْرى قاضى قضاة الشأم بدمشق المحروسة . وولى عوضه القاضى جمال الدين الزرعىّ حسبما يأتى من تتمّة الكلام فى تأريخه إنشا الله تعالى

(١) رأى : راه (٣) وقد ... أزا : بالهامش || تؤزهم : تأزهم || السورة ١٩ الآية ٨٣

ذكر سنة أربع وعشرين وسبعماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وأربعة عشر إصبعاً

ما لخص من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر سلطان العالم ، كتبه الله آخر الدهر سالم ، والنوّاب بمصر والشام ، حسبما سقناه من الكلام ، فى تلك الأعوام

فيها تولّى الوزارة الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالىّ الناصرىّ عوضاً عن أمين الدين بن الغنام يوم <الخميس> ثامن رمضان المعظّم . ورسم على أمين الدين ، ثمّ عفى عنه وأطلقه ، ونزل إلى بيته

وفيها أحضر كريم الدين الصغير من صفد ، وأخذ منه أموالاً أخر . وكان قد تولّى نظر الدولة القاضى شمس الدين غبريال . أُتى به من دمشق . ثمّ أخلع على كريم الدين الصغير ،وسُيّر ناظراً بدمشق عوضاً عن شمس الدين غبريال . واستقرّ مع غبريال فى النظر شهاب الدين بن الأقفاصىّ ، وكان فى البيوت

وفيها أحضر كريم الدين الكبير من القدس الشريف صحبة الأمير سيف الدين قطلبغا المغربىّ وتوجّه إلى أسوان . ثمّ وصل الخبر فى العشرين من شهر شوّال من هذه السنة أن كريم الدين الكبير شنق نفسه بمدينة أسوان . فرسم بحضور ولده عبد الله . وظهرت له بعد ذلك ودايع وذخاير

---

(٩) ثامن رمضان المعظم : السبت سلخ ربيع الآخر ؛ مصحح بالهامش

وأموال ، وراح له شى كثير مع التجّار الإفرنج ، فإنّه كان يُودعهم الأموال العظيمة ، وكان نيّته الهروب إلى بلاد الإفرنج فى تلك السنة التى مُسك فيها ، فلم يمهل . فإنّه كان قصد أن يدخل الجزاير مرّةً فى مرّةٍ من ثغر الإسكندريّة ، فلم يمكنه ذلك لما فى الثغر من الاحتراز . فحسّن لمولانا السلطان تلك السنة أنّه يتوجّه يعمّر اللاذقيّة ، ويجعلها مينا كالإسكندريّة ، وكان نيّته غير ذلك ، وأن يتوجّه منها إلى الجزاير ببلاد الإفرنج . فعاجله مولانا السلطان وقبض عليه بقوّة سعده ، زاده الله من فضله ، وانقطع خبر كريم الدين الكبير حتى كأن لم يكن . فسبحان الدايم الذى لا ينقطع ، وارث الأرض ومَن عليها ، الذى هو كلّ يومٍ فى شأنٍ

وفيها حجّ القاضى فخر الدين ناظر الجيوش المنصورة ، وعاد فى السنة الأخرى ثالث المحرّم ، ولم يُرَا أسرع من عودته

وفى شهر شعبان رسم بحفر الخليج الناصرىّ إلى سرياقوس

وفيها حضر الأمير بدر الدين بكمش الظاهرىّ وبدر الدين أبو غدة من بلاد بركة ، فإنّه كان توجّه فى سنة ثلاث وعشرين وسبع ماية . فحضر صحبتهما رسل من الملك أزبك وصحبتهم هدايا حسنة

وفيها حضرت رسل الملك أبى سعيد ، وصحبتهم هديّة أبى سعيد ، وذلك يوم الاثنين ثامن ذى الحجّة ، وهى عدّة قطر بخاتىّ مزيّنة ملبسة وعليها صناديق بجلود بلق ، وخيل مسرجة بعُددها وهديّة حسنة . وهذا شى ما عُهد قط أن تسيّر ملوك المغل مثل هذه الهديّة ، فالحمد لله الذى أيّد الملّة المحمديّة ، والحمد لله الذى اختصّ سلطاننا بهذه الفضيلة ، وأفرده بهذه الموهبة الجزيلة ، والحمد لله على هذه النعمة التى أوفت على

(٩) هو كل يوم فى شأن : قارن السورة ٥٥ الآية ٢٩ (١٣) وبدر الدين أبو غده : بالهامش (١٦) أبى : ابو

النعم ، واستغرقت مدى الأفضال والكرم ، فأدام الله أيّام دولته ، ولا قلّص عنّا ظلّ نعمته !

وفيها حضر ملك التكرور طالباً للحجاز الشريف ، واسمه أبو بكر بن موسى . وحضر بين يدى المواقف الشريفة وقبّل الأرض . وأقام بالديار المصريّة سنةً حتى توجّه إلى الحجاز . وكان معه ذهب كثير ، وبلاده هى البلاد التى تُنبت الذهب . وسمعتُ القاضى فخر الدين ناظر الجيوش المنصورة يقول : سألت من ملك التكرور : كيف هى صفة منبت الذهب عندهم ؟ — فقال : ليس هو فى أرضنا المختصّة بالمسلمين ، بل فى الأرض المختصّة بالنصارى من التكرور ، ونحن نسيّر نأخذ منهم صفة حقوقٍ لنا موجبة عليهم . وهى أراضى مخصوصة تنبت الذهب على هذه الصورة : وهو قطيعات صغار مختلفة المندام ، فشىءٌ شبه الحليقات الصغار ، وشى شبه نوى الخرّوب ومثل ذلك . — قال القاضى فخر الدين : فقلتُ : فلِمَ لا تغلبوهم على هذه الأرض ؟ — فقال : إذا غلبناهم وأخذناها منهم لم ينبت شى . وقد فعلنا ذلك بطرقٍ عديدةٍ ، فلم نرا فيها شيئاً . فإذا عادت لهم نبتت على عادتها . وهذا الأمر من أعجب ما يكون . ولعلّ هذا لزيادة فى طغيان النصارى . — ثمّ إن ملك التكرور وأصحابه اشتروا من القاهرة ومصر من ساير الأصناف . وظنّوا أنّ مالهم لا ينفد . فلمّا استغرقوا فى المشترى ووجدوا أصناف هذه الديار لا لها حدّ يُحدّ ، وكلّ يومٍ ينظروا شيئاً أحسن من شىٍ نفد ما كان معهم ، واحتاجوا للقرض . فأقرضهم الطمّاعة من الناس رجا الفايدة الكبيرة فى عودتهم . فراح جميع

---

(١) مدى : مدى (١٤) بطرق : طرق ‖ شيئاً : شى (١٩) شيئاً : شيء

ما اقترضوه على أربابه ، ولم يرجع لهم منه شى . ومن جملة ذلك لصاحبنا الشيخ الإمام شمس الدين بن تازمرت المغربىّ ، أقرضهم ذهباً له صورة جيّدة . فلم يعود إليه شىء . ثمّ إنّ هؤلاء القوم تعجّبوا لهذه الديار وسعة ما فيها ، وكيف استغرقت جميع أموالهم ولا تكمل أغراضهم فى المشترى حتى احتــاجوا وعادوا يبيعوا ما كانوا شروه بنصف قيمته . وكسب الناس عليهم كسباً جيّداً ، والله أعلم . وأحسن لهم مولانا السلطان إحساناً كبيراً ، وألبسه خلعة الملك من جهته . وقلّده الخليفة تقليداً من قبله والتزم أنّه يخطب فى بلاده باسم مولانا السلطان ، وكذلك السكّة . وهذا ما عُهد لصاحب مصر غير مولانا السلطان عزّ نصره

ذكر سنة خمس وعشرين وسبع مائة

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم . مبلغ الزيادة ستّة عشر ذراعاً وأحد وعشرين إصبعاً

ما لخص من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر سلطان الإسلام ، الذى تحفّ الملايكة جنابه ، وتودّ ساير الشفاه من ملوك الأرض لو لثمت ترابه

---

(٢) ذهباً : ذهب (٦) كسباً جيداً : كسب جيد (٦ – ١٠) وأحسن . . . عز نصره : بالهامش (١٥) أبو : ابى

وفيها برزت المراسم الشريفة بالتجاريد إلى اليمن ، معونةً للملك المجاهد ابن الملك المؤيّد حسب سؤاله . فجرّد الأميرين ركن الدين بيبرس الحاجب كان والأمير سيف الدين طينال الحاجب المستقرّ فى ذلك التأريخ . وجرّد صحبتهما جماعة كبيرة من الأمرا العشرات والمقدّمين ، ومن أعيان الحلقة ومن المماليك السلطانيّة كرّمهم الله تعالى . فتوجّهوا وأقاموا مدّةً وكان عودتهم إلى الديار المصريّة ثالث ذى القعدة . ولم يحصل لهم حجّ تلك السنة . وكان لمّا وصلوا إلى اليمن نزل إليهم الملك المجاهد تحت الطاعة وأكرمهم وأحسن نزلهم . ثمّ إنّه لمّا عاد تخيّل فامتنع عن النزول . فمُسك نايبه وقيّد . ثمّ راسلوا للملك المجاهد فتزايد تخيّله لمّا مُسك نايبه . حدّثنى الأمير سيف الدين بلبان الدواداريّ خشداشنا رحمه الله ، قال : أنفذونى الأمرا رسولاً للملك المجاهد صاحب اليمن ، قال : فطلعتُ إليه إلى قلعة تعزّ ، فوجدتُه شابًّا حسناً ، أسمر اللون حسن الوجه ظريف القوام ، أدعج الشعر أكحل العينين ، قال : فأشغلنى شـــبابه عن خطابه ، وكان المذكور الدواداريّ مولعاً بحبّ الشهوات ، ويُفضّل حبّ البنين على البنات ، قال : فقال لى : يا سيف الدين ، أيش أعجبك فى بلادنا ؟ — فقلت : والله ما أعجبنى غيرك . — قال الدواداريّ : فاحمرّ وجهه من الخجل . ثمّ لاطفته ونزلت من عنده ، وقد امتنع من النزول إلى الأمرا . ثمّ إنّ الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب لمّا رحلوا عن قلعة تعزّ استحضر نايب اليمن ووسّطه وعلّقه على شجرةٍ ، وتركوه وتوجّهوا إلى الديار المصريّة . فوصلوا فى التأريخ المذكور

---

(١١) رسولا : رسول (١٢) ظريف : ضريف (١٤) مولعاً : مولع

وفيها تاسع جمادى الأوّل انتهت عماير سرياقوس ، وحفر الخليج الناصرىّ ، وعمل المهمّ العظيم بالخانقاه الناصريّة بسرياقوس . وأنعم فيه مولانا السلطان إنعاماً عامًّا على المشايخ والفقرا ، أرباب الزوايا والخوانق . وفعل فى ذلك ما عاد له مدّخر ، إلى تلك الأيّام الأخر ، وفى ثالث شعبان ، أنعم مولانا السلطان ، على الموالى الأمرا بحوايص ذهبٍ بجملةٍ كبيرةٍ

وفيها قُتل صاحب المدينة وولى ولده مكانه وهو كبيش بن منصور ابن جمّاز بن شيحة الحسنىّ

وفى خامس عشر شهر رمضان المعظّم توفّى الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار صاحب التأريخ الحسن الجامع لكلّ فنٍّ . وكان رحمه الله من أكابر الموالى الأمرا ومن جملة العلما الأفاضل ، يدرى شيئاً من العربيّة واللغة ومن العلوم الدينيّة ، تغمّده الله برحمته وأسكنه جنّته

وفيها بلغ المسامعَ الشريفة السلطانيّة شى ممّا اعتمده الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب من سوء التدبير باليمن ، وشىءٌ من كلامه الغثّ بالأبواب العالية . فقُبض فى العشرين من ذى القعدة من هذه السنة وأُودع الاعتقال

ذكر سنة ستّ وعشرين وسبعماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم . مبلغ الزيادة ستّة عشر ذراعاً وتسعة عشر إصبعاً

ما لخص من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر سلطان الإسلام ، نصره الله على أضداد دولته وكفّار نعمته ، ولا أخلاه من عزّ الراية ، وإدراك الغاية

(٦ – ٧) وهو . . . الحسنى : بالهامش (١٠) شيئاً : شى (١٩) أبو : ابى

والنوّاب حسبما نذكر من تغيّر أحوالهم فى الأبواب ، فى السنة الآتية فى هذا الكتاب . وفى هذه السنة الأمير سيف الدين أرغون نايب الديار المصريّة بالأبواب العالية ، وهو مهتمّ إلى الحجاز الشريف بجميع أهله وولده . وتوجّه أوان الحجّ فى خدمة الآدر الشريفة خوند بنت أخى الملك أزبك المقدّم ذكر حضورها . وفى أواخر شهر صفر عُزِل القاضى شمس الدين غبريال عن النظر بالأبواب الشريفة ،وتولّى مكانه مجد الدين بن لفينة ورجع إلى نظر الشأم مكانه بدمشق . وحضر كريم الدين الصغير بطّال ولزم بيته . ثمّ توجّه به إلى أسوان وانقطع خبره . وفى سلخ شهر جمادى الأولى تولّى الأمير سيف الدين طينال الحاجب نيابة طرابلس عوضاً عن الأمير شهاب الدين قرطاى الحاجب بحكم انتقاله إلى دمشق أميراً بها . وفيها أفرج الله تعالى عن الأمير سيف الدين بلبان طرنا ، وتوجّه إلى حلب أميراً بها

وفيها رخصت الأسعار بالديار المصريّة ، وبلغ القمح الطيّب الصعيدىّ ثمانى الدراهم الأردبّ ،والشعير والفول أربعة الدراهم الأردبّ . وبلغ الخبز العلامة العال عشرين رطلاً بدرهمٍ . وربّما عمل معدّل الخبز الذى للشحّاذين ويبيعونه فجاء سبعون رطلاً بدرهمٍ . وعاد الصعلوك لا يقبل الكسرة ولا الرغيف ولا يأخذ إلاّ الفلس . فما عزّ شيء إلاّ وهان ، ولا هان شى إلاّ وعزّ ، فسبحان مَن بيده كلّ شيء ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

وفيها عمرت أرض الطبّالة التى ظاهر باب الشعريّة بضواحى القاهرة . عنى بعمارتها الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ، وعمل فيها قنطرةً مليحةً على الخليج الناصرى ،وعليها دكاكين وسوق كبير ودور وأملاك وعمروا أيضاً الناس كذلك ، وهذه الأرض أقلّها وهى عامرة كأحسن ما يكون من

---

(٤) أخى : اخو (١٧) السورة ٩٧ الآية ١ (٢١) أقلها : اعقلها

العماير قبل الغلاء الذى تقدّم ذكره فى أيّام كتبغا فى الجزء الذى قبل هذا الجزء . ثمّ خربت هذه الأرض من الغلا وجاى ، وعادت كيمان ، ليس بها قاطن ولا أنيس . ثمّ عمرت فى هذه السنة وعادت فى العمارة كأحسن ما كانت . ولله درّ القايل < من الكامل > :

وإذا تأمّلْتَ البقاع وجدتها   تشقى كما تشقى الرجال وتنعم

وجملة القناطر التى بنيت فى هذه السنة واستجدّت على الحفير الناصرى : قنطرة بظاهر باب اللوق ، تولّى أمرها الأمير سيف الدين قدودار متولّى القاهرة كان ، قنطرة ببركة قرموط ، قنطرة عند قناطر الوزّ ، قنطرة تعرف قديماً بقنطرة بنى وايل ، وقنطرة عند فم الحفير الناصرىّ تعرف بقنطرة الفخر ، بناها القاضى فخر الدين وكذلك بنى أخرى ببولاق ، وقنطرة الحاجب بأرض الطبّالة المقدّم ذكرها . وكان قد تولّى قدودار القاهرة عوضاً عن الأمير علم الدين سنجر الخازن فى العشرين من رمضان سنة أربع وعشرين وسبع ماية

ذكر سنة سبع وعشرين وسبع ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم : مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وخمسة أصابع

ما لخص من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر . أعزّ الله أولياه وأنصاره ، وحمى بعزمه الإسلام وأمصاره

---

(٩) بقنطرة بنى وايل : قنطرة بنى وايل   (١٨) أبو : أبى

والنوّاب بمصر والشام ، حسبما نذكر الآن من الكلام : الأمير سيف الدين أرغون نايب الديار المصريّة إلى أوّل هذه السنة عند حضوره من الحجاز الشريف ، تغيّرت عليه الخواطر الشريفة السلطانية لأمورٍ باطنةٍ أخطأ فيها كلّ الخطأ ، وقوّى عزمه على فعلها أستاداره عزّ الدين أيبك وشاور الأشقرىّ . وكانا هذان الاثنان من الظلم والعسف والجور والتسلّط على عالم الله عزّ وجلّ بالأذيّة ما لا يمكن شرحه . فبصّر الله تعالى مولانا السلطان فإنه ينظر — نصره الله — بنور الله مختصًّا بثلاث فراسات : فراسة الإيمان ، وفراسة الملك ، وفراسة الطبع . وتحقّق مولانا السلطان أنّهما كانا السبب فيما وقع فيه الأمير سيف الدين أرغون من الغلط . فمسكهما وانقطع خبرهما ، وأراح الله العباد والبلاد من شرّهما . ثمّ رضى عن الأمير سيف الدين أرغون وسيّره نايباً إلى حلب المحروسة . وأحضر الأمير علاء الدين ألطنبغا إلى الديار المصريّة ، وأنعم عليه بإمرة ماية وتقدمة ألف ، وأقام بها

وفيها فى سلخ جمادى الأخرى تولّى القاضى جلال الدين قاضى القضاة بدمشق القضا بالديار المصريّة عوضاً عن القاضى بدر الدين بن جماعة بحكم أنّه رضى الله عنه استعفى ، كونه كُفّ نظره . وولى دمشق الشيخ علاء الدين القونوىّ شيخ خانقاه سعيد السعدا

وفيها مُسك الأمير سيف الدين أصلم السلحدار وأخوه قرمجى ، وذلك فى ثانى جمادى الأولى

وفيها كان المهمّ العظيم الذى ما رأى الناس مثله ، إلاّ إن كان مهمّ بوران بنت الحسن بن سهل علىّ المأمون أمير المؤمنين . وسأذكر من ذلك طرفاً جيّداً ، وإن كان قد ذكرته فى كتابى المسمّى « بأعيان الأمثال وأمثال الأعيان » وهذا المهمّ سببه دخول بنت المقرّ السيفى تنكز نايب الشأم على ولد المقرّ

---

(١٩) رأى : راه (٢٠) بنت الحسن بن سهل : بالهامش

المرحوم السيفىّ بكتمر الساقى . وذُبح فى هذا المهمّ من الأغنام والأبقار والخيول ما لا يحصى كثرةً ، وعُمل من التماثيل النفط شى يذهل العقول ، وحُمل من الشموع بالقناطير المقنطرة ، وحُمل قبل ذلك جهاز العروس . وفيه من الأموال والمصاغ والأقمشة والأمتعة ما يجاوز حدّ القياس ولا يحصى بالتعبير . ووقف مولانا السلطان بنفسه الشريفة فى تعبية هذا الجهاز وفعل من المعروف ، ما هو من جميل إحسانه معروف . وكان ذلك ليلة الجمعة ثالث عشر ذى الحجّة

ذكر سبب دخول المأمون على بوران

قال ابن عبد ربّه صاحب «كتاب العقد» : كان سبب صلة المأمون بن الرشيد رضى الله عنهما على بوران بنت الحسن بن سهل أنّ المأمون كان مغرا بحبّ الحسان من النسا . وكان إسحق بن إبراهيم الموصلىّ من أعزّ الخصيصين بالمأمون

قال أحمد بن محمد بن عبد ربّه : اغتبق المأمون ذات ليلةٍ وعنده إسحق بن إبراهيم المذكور. فلمّا جنّه الليل قال : يا إسحق ، لا تبرح حتى أدخل إلى بعض جوارىّ وأعود إليك . فإنّ قصدى أن أُواصل غبوقى بالاصطباح . فلا تبرج من مكانك . — ثمّ نهض المأمون ودخل قصوره

قال إسحق : ففكّرتُ أنّ أمير المؤمنين بعد أن جاز إلى خلوته بعيدٌ عليه الرجعة . وكان عندى جارية قد استجددتُها عذراء وأنا مغرا بحبّها .

---

(٨) هذه الحكاية والأشعار التى تخللّها غير موجودة فى كتاب العقد الفريد الذى نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٤) إبراهيم : ابرهيم (١٦) نهض : نهط

فقلت : أنهض إلى منزلى وأقضى هذه الليلة وطرى ، وأعاود أمير المؤمنين الصبح . ــ قال : فخرجت وطلبت دوابّى ، فلم أجدهم لِما خرج إليهم الخبر ببياتى عند أمير المؤمنين ، قال : فقلت : أتمشّى فى بطاين بغداد ، وأتنزّه فى طريقى بما أستطرفه من حديث العامّة ، ممّا أُصبح أحدّثه لأمير المؤمنين. قال : فمشيت وأنا ثمل من الشراب. فبينا أنا فى بعض الأزقّة إذ عثرتُ فى زنبيلٍ مدلّى من حايطٍ مفروشٍ وله عطريّة حسنة ، وهو مشدود بأربعة حبال . قال : فحملنى الشراب أن جلست فيه . فما هو إلاّ أن حسّ بثقلى فيه ، وإذا به قد رُفع . وطلعت إلى سطحٍ حسنٍ . فنظرت إلى عدّة جوارٍ حسانٍ . فقلن لى : معرفة أنت أم غير معرفة ؟ ــ فقلت : بل غير معرفة . ــ فسررن بذلك وقلن : بسم الله ، ونزلن قدّامى بشمعةٍ كافوريّةٍ فى سلّمٍ . فنزلتُ إلى قاعةٍ ، لم أُرا مثلها إلاّ فى قصور المأمون . وفيها من الفرش والطرح ما يحيّر الناظر : فقالت لى تلك الجوارى : بسم الله ، يا مولانا ، اجلس ! ــ قال : فجلست غيرَ بعيدٍ ، وإذا بجاريةٍ قد خرجت من بعض تلك الأبواب ، وبين يديها شمعة كافوريّة ، وضوء جبينها يغلب على ضوء تلك الشمعة تَحيّر الوصف فى بعض معانيها . قال : فلمّا نظرت إليها نهضتُ قايماً . وقد داخلنى الزمع لحسن صورتها . فسلّمتْ بلسانٍ فصيحٍ وكلامٍ عذبٍ كالسحر. وجلسَتْ وجلستُ ، فقالت : على الرحب والسعة ، من تكون من الناس ؟ ــ فقلت : من بعض تجّار بغداد . ــ فقالت : الاسم ؟ فقلت : محمد . ــ فقالت : قرّب الله محلّك . ــ ثمّ أمرتْ بالأطعمة . فأُحضرت موايد لم أرهنّ إلاّ إن كنّ عند أمير المؤمنين . وعليهم من الطعام مثل ذلك . فقالت : بسم الله ، أبا عبد الله ، بحسب الممالحة ! ــ قال :

---

(٧) إلا : الى (١١) إلا : الى (١٩) بالأطعمة : بالاطعمه

فتقدّمتُ وأكلتُ ، وهى تلقمنى من أطايب تلك الأطعمة ، وأنا قد ذهلت ، لِما قد جمع الله فيها من ساير الفنون الحسان . ثم رُفعَت الموايد ، فقالت : هل لك ، أبا عبد الله ، فيما نكسر به زفر هذا الطعام ؟ — فقلت : جُعلتُ فداكِ ، أى والله ! — قال : فأحضرت أوانى المشروب ، لم أرا مثلهنّ إلاّ عند المأمون . ثمّ شربت وأسقتنى . ثم قالت : أبا عبد الله ، هل لك أن تسمع على هذا الشراب شيئاً من تلحين إسحق بن إبراهيم الموصلىّ ؟ — فقلت : يا ستّ ، ومن لى بذا ؟ — قال : فأحضرت عوداً من عودٍ يستغرق الوصف فى نعته . ثم أصلحته وضمّته ولعبت به استبداآت تحيّر العقول . قال إسحق : فخُيّل لى أنّى فى الجنّة ،وكِدت أصيح طرباً . ثمّ مسكتُ نفسى وكان بين يدينا فى جملة الحضرة زعفران رطب . فاستفتحتْ تُنشد وتقول < من البسيط > :

اشرب على الزعفران الرطب متّكئاً   وآنعم نعِمْت بطول اللهو والطرب
فحرمة الكأس بين الناس واجبة   كحرمة الودّ والأرحام والنسب

قال إسحق : فخُيّل لى والله أنّ المكان يرقص بجوانبه . ثمّ أمسكتْ وقالت : أبا عبد الله ، هذا الشعر لأحمد بن هاشم ، وقد أهدى زعفراناً لإسحق ،حيّا الله إسحق ! — فقلت : ياستّ ، فما كان من جواب إسحق إليه ؟ — فقالت : وما كان قال ؟ — فأنشدتُها < من البسيط > :

اذكر أبا جعفر حقّاً أمتُّ به   إنّى وإيّاك مشغوفان بالأدب
وإنّنا قد رضعْنا الكأس درّتَها   والكأس حرمتها أوْلى من النسب

---

(٣) هل لك : هلك (٦) شيئاً : شى (٧) عوداً : عود

قال إسحق : فأعجبها منّى ذلك وقالت : أبا عبــد الله ، هل لك أن تُسمعنا على هذا العود شيئاً ؟ فإنّى أراك كاملاً . — فقلت : يا ستّ ، < من البسيط > :

وا حسرتاه على ما كنتُ أحسنه

فقالت : لم يكمل شى أبداً . — ثمّ قالت : هل لك فى ثلاثة أقداحٍ متداركةٍ تزيل الحشمة ما بيننا ؟ — فقلت : حبّذا والله ! — قال : فشربت ثلاثةً . ثمّ ملأت الرابع وناولتنى . قال : فتناولتُه من يدها بعد ما قبّلتها . ثمّ ضمّت العود إلى صدرها وغنّت < من الخفيف > :

نعم عوناً على الهموم ثلاث　　مترعات <من> بعدهنّ ثلاث
بعــدها أربع تتمّة عشرٍ　　لا بطاء لكنّهنّ حثاث
فإذا ناولتكهنّ جوارٍ　　عطرات بيض الوجوه خناث
ثمّ فيها لك السرور وما طيّـ　　ـب عيشاً إلاّ الخناث الإناث

قال إسحق : فلم أملِك نفسى دون أن غُمى علىّ ، وغبت عن الدنيا واستصغرت والله كلّ ما رأيتُ من عمرى كلّه . قال : ثمّ أمسكتُ . وشرعنا فى المنادمة والحديث . وشرعتُ أحدّثها وأُطرفها . وقد أعجبها حديثى ، وقالت : أبا عبد الله ، قليل يكون مثلك فى عامّة بغداد . وإنّما هذه الأحاديث تُنقل لنا عن لطافة إسحق عند أمير المؤمنين . — فقلت : جُعلت فداكِ ، لى جار يحضر مجلس إسحق ، وهو نديم لى . فاقتبستُ منه . — فقالت : هو ذاك . — فبينا نحن فى ألذّ عيشٍ وأهناه ،

(٢) شيئاً : شى (٥) هل لك : هلك (٧) ملأت : ملت (١٦) يكون : يكن
(١٩) ألذ : الله

وإذا بعجوزٍ قد تمثّلت بين يديها وقالت : يا ستّاه ، بلغ الوقت . — قال : فنهضت . وقالت : أستودعك الله ، أبا عبد الله ، والمسئول من إحسانك عدم المعاودة ، فما لنا عادة أن يعود إلينا <أحد> ثانياً قطّ . — قال : فقبّلتُ يدها ، وأنزلونى من مكانٍ طلعتُ منه . وأتيت إلى منزلى وأنا كالنايم الذى رأى جميع ذلك فى الأحلام . قال : فما هجعت إلاّ قليلاً . وإذا برسل أمير المؤمنين ينبّهونى وقالوا : أجب ، أبا محمد ! — فأتيت إلى المأمون ، فقال : يا إسحق ، ما كان قولى لك ؟ — فقلت : أحسن الله إلى أمير المؤمنين ، لقد علمتُ أن أمير المؤمنين إذا صار فى قصوره استغرق فى لذّة وسِنة ، فلا يعود . وكان عندى جارية عذراء وأنا مشغوف بها . فتوجّهتُ حتى قضَيتُ الملامة . — فقال : أوَ بقى لك عذر آخر ؟ — فقلت : كلاّ ، يا أمير المؤمنين . — فقال : أقم اليوم والليلة ، فإنّى على عزم الصبوح . — فقلت : حبًّا وكرامةً . — قال : فلمّا كان الوقت الذى يقوم فيه المأمون ويدخل إلى قصوره نهض وقال : إسحق ، لا تبرح ! — فقلت : حبًّا وكرامةً . يا أمير المؤمنين . — قال : فما هو إلاّ أن توارى عنّى . — فتذكّرتُ بارحتى وما كنت فيها . قال : فحملنى ذلك على المخالفة وخرجتُ

فلم أزل إلى أن وقعتُ على الزنبيل ، فجلست ورُفعت . فقلن لى الجوارى : ما أنت صاحبنا البارح ؟ — قلت : جُعلت فداكم ، أنا هو ، وهذه الليلة لا غيرها . وكنّ الجوارى قد استملحننى فنزلن بى . — فلمّا حضرت الجارية قالت : أبا عبد الله ، مخالفة واستجراء ؟ — فقلت : كلاّ والله ! وإنّما رِقٌ وعبوديّةٌ ، ولست بعايدٍ بعدها أبداً . — قال : فجلستْ

---

(٥) قليلا : قليل

وجلستُ ، وأُحضرت الموايد على الرسم والعادة . ثمّ أُحضر الشراب فشربنا . ثمّ تناولت العود وقالت : اسمع تلحين إسحق ، حيّا الله إسحق ، والشعرُ لأبي الشيص ! — ثمّ أنشدت تقول < من الطويل > :

تقول غداة البين إحدى نسايهم — لىَ الكبدالحرا و <أنت> لك الصبر
وقد خنقَتْها عبرة فدموعها — على خدّها بيض وفى نحرها صفر

قال : فحصل لى من الطرب ما لا عليــه مزيد ، مع كثرة تعجّبي لحسن علمها بألحاني وصناعتي ، حتى لم تُخلّ بدقّةٍ واحدةٍ . فقلت : يا ستّاه ، لقد سمعتُ جاري يحكى عن إسحق أنّ من جملة تلحينه أبياتاً حساناً ، وله فيها صناعة جيّدة .— فقالت : أتحفظها ؟ أنشدها ! — فأنشدتُها < من الطويل > :

قفى ودّعينا ، يا مليح ، بنظرةٍ — فقد حان منّا ، يا مليح ، رحيل
أليس قليلاً نظرة إن نظرتها — إليكِ وكلاّ ليس منكِ قليل
عقيليّة أمّا ملاث إزارها — فدِعْص وأمّا خصرها فنحيل
فيا جنّة الدنيا ويا غاية المُنَى — ويا سؤل نفسى ، هل إليك سبيل
أراجعةٌ نفسى إليك فأغتدى — مع الركب لم يُكتب علىّ فتيل
فما كلّ يومٍ لى بأرضك حاجة — ولا كلّ يومٍ لى إليكِ رسول

فقالت : شعر حسن لو سلم من التعريض فيه بما منال الثريّا دونه ، ولكن اسمع شعر بنت الأعرابية تلحين إبراهيم أبي إسحق ، حيّا الله إسحق ! — وأنشدت < من الطويل > :

(٨ — ٩) أبياتاً حساناً : ابيات حسان (١٢) انظر شرح ديوان الحماسة للمرزوق ص ١٣٤٠ (١٣) ملاث : ملأث ، انظر شرح ديوان الحماسة للمرزوق ص ١٣٤١ (١٦) انظر شرح ديوان الحماسة للمرزوق ص ١٣٤٢ (١٨) أبي : ابو

تقول لأتراب لها وهْى تمترى ... دموعاً على الخدّين من شدّة الوجد
أكلّ فتــاة لا محالةَ نازل ... بها مثل ما بى أم بُليت به وحدى
بدالى بها حبّ ينشّب فى الحشا ... فلم يبق فى جسمى سوى العظم والجلد
وجدت الهوى حلواً لذيذاً بُدوّه ... وآخره مرٌّ لصاحبــه يُردى

قال : فوالله لقـــد خُيّل إلىّ أنّ المكان والحيطان ترقص رقصاً ، وغبتُ عن وجودى . فبينا نحن كذلك إذ هجمت العجوز فقالت : يا ستّاه ، قرب الوقت . — فنهضت وقالت : مصحوباً بالسلامة واحذر المعاودة . — فقلت : يا ستّ ، عن إذنك ، أُبدى كلاماً . — فقالت : ماهو؟ — فقلت : إنّ جارى الذى حدّثتُك حديثه أخبرُ خلق الله تعالى بشعر اسحق وتلحينه وحكاياته ونوادره . فإن أذنتِ استصحبته ليلة غدٍ ، فترى عجباً . ثمّ إنّنا لا نعود أبداً . — فقالت : لقد شوّقتَنى إلى صاحبك . فقد أذنت لك فى حضوره

ثمّ إنى نزلت من حيث طلعت ، وأنا أشدّ الناس فرحاً بإجابتها . فإنّنى تحقّقت أنّ المأمون سيكون لى معه شأن من الشأن مالم أصدُقه الحديث . فإذا صدقته طالبنى بالمشاهدة لذلك . وقلت : ما ينجينى منه غيرُ حضوره معى ، وقد أتقنت أمره

قال إسحق : فلم أغمض فى منزلى إلاّ ورُسل أمير المؤمنين قد أخذونى سحْباً كغير ما كنت أعهد . فدخلت عليه ، فإذا هو جالس جلسة الغضب ، ومسرور قايم بين يديه . فلما رآنى قال : إسحق ، هذا آخر أيامك من الدنيا وأول أيامك بالآخرة . — قال ، فقوّيت نفسي وقلت : بل وحياة أمير المؤمنين ، أوّل أيامى من الدنيا مع الإقبال علىّ من أمير المؤمنين وحسن

(٤) بدوه : بديه

الجايزة العظيمة القدر ، ورِضى أمير المؤمنين على عبده . — فقال : أوَ على المعصية والمخالفة يكون الرضى والإقبال وحسن الجايزة ؟ — فقلت : بل على صدق فى حديثى ، وفيه لمولانا أمير المؤمنين أوفرُ حظٍّ من اللذاذة . — فقال : خلوا عن أبى محمدٍ ! وخلا بى . — فحدّثتُه الحديث من أوّله إلى آخره إلى حين قولها لى « احذر المعاودة » فقال : ويلك يا إسحق ، ولا عُدتَ تَقدِرُ على الرجوع والعودة وأنا معك ؟ — فقلت : بلى والله ، يا أمير المؤمنين ! — ثمّ كمّلت حديثى وإتقانى الأمرَ معها فى حضور صاحبى وجارى معى إليها . فقال : الويل لك ، لو لم يكن هذا منتهى كلامك ! فاجلس بنا بياض هذا اليوم ، نشرب على لذّة هذا الحديث . — قال : ثمّ لم نزل كذلك وهو يقول : كرِّر علىّ الحديث يا إسحق إلى الليل ! — فعاد كلّما مرّ من الليل دقيقة طالبنى بالتوجّه وأنا أنظره إلى حيث ما علمتُ جواز الوقت

فقمت وقام معى وهو لا يكاد يصدّق . فلم نزل نمشى إلى ذلك المكان . وإذا زنبيلين مدلاّة . فجلست فى الواحد وجلس المأمون فى الآخر ، ورُفع بنا . ثمّ نزلنا وجلسنا وجلست أنا فوقه وقلت : دع نفس الخلافة فى هذا الوقت ! — فما استقرّ بنا الجلوس حتى خرجت كالطاووس الذكر بين أترابها وجواريها . فنهضنا لها ، فقالت : مرحباً بضيفنا الجديد ! وإنّما أنت عدت صاحبَ محلٍّ . — فشكرنا لها ودعينا . وأمّا المأمون فإنّه لما رآها اختبل فى عقله فلكزتُه ، ففهم منّى فاستحضر جأشه . ثمّ جلسنا فقالت : أبا عبد الله ! — فقلت : نعم . — فقالت : ما أنصفتَ صاحبك كونك أجلسته دون مجلسك . فهذا ضيفٌ بخلافك . — فقمت وأجلسته فوقى . ثمّ أُحضرت

(٣) اللذاذة : الذاده

الموايد كأحسن من أوليك الأُول . ثمّ أُحضر الشراب فشربنا . ثمّ تنادمنا وكان المأمون أحسن خلق الله منادمةً ، وأرواهم لشعرٍ وأحفظهم لنادرةٍ وحكايةٍ . ثمّ قالت للمأمون : يا با محمدٍ ، هل تروى لإبراهيم الموصلىّ ما كان بينه وبين إبليس ؟ — فقال : نعم ، حدّثنا إبراهيم بن ماهان بن بهمن بن نسك ، ثمّ غير ماهان ، فقيل : إبراهيم بن ميمون الفارسىّ الأصل والنسب أبو إسحاق قال : بينا يوم وقد أردتُ الخلوة بنفسى وأوصيتُ بوّابى لا يأذن لأحدٍ علىّ ، وخليت بنفسى لأمرٍ أهمّنى إذ دخل علىّ شيخ ألحى أعور العين اليمنى ، حسن البزّة طيّب الرايحة . فسلّم وجلس من غير أن آذنه . ثمّ حادثنى ، فأجدُه أحذق الناس بحديث وأرواهم لشعرٍ وأحفظهم لنادرةٍ . قال : فسرّى عنّى بعض ما كنت قد أضمرتُه لبوّابى . كونه أذن لهذا من غير مشورتى ولا لسابقة معرفةٍ . وقلت : إن البوّاب أراد يسرّنى بمحاضرة هذا الشيخ ، لِما علم ما فيه من طيب العِشرة . — قال : ثمّ قال لى ذلك الشيخ : يا إبراهيم . لعلّك تُسمعنا شيئاً من مطرباتك . — قال : فتراجع إلىّ غضبى كونه أسا الأدب علىّ من وجهين ، الواحدة تسميته لى بغير كنيةٍ ، والأخرى استجراه علىّ ويأمرنى بأن أغنّيه . — قال : ثمّ تذكّرت حسن محاضرته وطيب مؤانسته ورجعتُ إلى مواساة العِشرة . فقلت : سمعاً وطاعةً . — ثمّ تناولتُ العود وضربت ، أصنع ما كنت قد أحدثته من الاستبداآت وغنّيتُ < من الطويل > :

وإنى لتعرونى لذكراك قرّةٌ ‏ كما انتفض العصفور بلّله القطر
فيا حبّها زِدْنى جوىً كلّ ليلةٍ ‏ ويا سلْوة الأيّام موعدكِ الحشر
هجرتُك حتى قيل ما يعرف الهوىً ‏ وزرتُكِ حتى قيل ليس له صبر

(٢) وأحفظهم: واحفضهم (٦) أبو: ابى ‖ بينا: بيننا (٨) ألحى: اللحى
(١٣) شيئاً: شى (١٩) قرة: بالهامش « نسخة: هزة »

قال : فطرب ذلك الشيخ طرباً جيّداً وقال : أحسنتَ والله ، يا إبراهيم . — قال : فوالله لقد داخلني من الحنق أن أضرب العود فى رأسه . ثمّ استرجعت ، فقال : زدنى ، يا إبراهيم ! — قال : فقلت فى نفسى : اصبر على هذا الشيخ الجاهل فى هذا اليوم واجعلها أحنفيّة ! قال : ثمّ غيّرتُ الطريقة التى كنت عليها وضربت استبداءً مقترحاً وغنّيتُ <من الكامل> :

الحبّ أوّل ما يكون مجانةً تأتى به وتسوقه الأقدار
حتى إذا سلك الفتى لججَ الهوى جاءت أمور لا تُطاق كبار
نزف البكاء دموع عينك فاستعر عيناً لغيرك دمعها مدرار
من ذا يُعيرك عينَه تبكى بها أرأيتَ عيناً للبكاءِ تُعار

قال : فتمايل الشيخ طرباً ونعر ارتياحاً وقال : أحسنتَ والله ، يا با إسحق . — قال : فقلت : رجع الشيخ عن إساءته . — ثمّ قال : لعلّ إحسانك فى الازدياد . — قال : فقلت : حبًّا وكرامةً . — ثمّ غيّرتُ الطريقة وانتقلت إلى غيرها وغنّيتُ <من البسيط> :

يا مُورى الزّند قد أعيَتْ قوادحه اقبس إذا شئتَ من قلبى بمقباس
ما أقبح الناس فى عينى وأسمجهم إذا نظرتُ فلم أُبصرْك فى الناس

قال : فقال : مليح والله . فهل لا أكافئُك على إحسانك ؟ — قال : فقلت فى نفسى : وما عسى أن يكون فى قدرة هذا الشيخ الأحمق لى فى المكافأة ؟ — قال : فقلت : بلى والله ، يا عمّ . — قال : فتناول العود وسارّه شيئاً

(٣) إبراهيم : ابرهيم (٥) مقترحاً : مقترح (٧) مجانة : بالهامش « نسخة : لجاجة » (١٩) شيئاً : شى

لا سمعت مثله قطّ . فلمّا اعتدل ضرب به طرايق غريبةً ، حتى خُيّل لى أنّ الأركان ستقع علينا طرباً . ثمّ أنشد يقول < من الطويل > :

ولى كبد مقروحة مَن يبيعنى بها كبداً ليست بذات قروح
أباها علىّ الناس ما يشترونها ومَن يشترى ذا قرحة بصحيح
أئنّ من الشوق الذى فى جوانحى أنينَ غَصيصٍ بالشراب جريح

قال : فوالله لقد خُيّل لى أنّى طاير بين السما والأرض لما لحقنى من الطرب . — ثمّ قال : أزيدك ؟ — فقلت : زادك الله من كلّ خيرٍ . — قال : فتبسّم وقال : ليس لدعاك إجابة . — قال : فتعجّبتُ من كلامه أكثر من إعجابى بغناه . ثمّ غيّر تلك الطريقة وانتقل إلى غيرها ، فكانت أعجب وأغرب من الأولى . ثمّ غنّى < من الطويل > :

ألا يا حمامات اللّوى عُدْنَ عودة فإنّى إلى أصواتكنّ حنين
فعُدْنَ فلمّا عدن كِدْنَ يُمِتْنَنى وكدت بأسرارهنّ أُبين
دعَوْتُ بترداد الهديل كأنّما شربنَ سلافاً أو بهنّ جنون
فلم ترا عينى مثلهنّ حمايماً بكين ولم تدمع لهنّ عيون

قال : فلم أملِك نفسى دون صرختُ ومزّقتُ أثوابى : — قال : ونظرتُ إلى الشيخ ، فإذا به يتبسّم . ثمّ أمسك وقال : أزيدك الثالث ؟ — فقلت : بلى ، يا عمّ : فلم أرا والله مثلك منذ خُلقتُ : — فقال : صدقتَ ، ومن لك بذلك ؟ — قال : فتعجّبتُ أيضاً من جوابه :

---

(٣) كبداً : كبد (٤) قرحة : بالهامش « نسخة : عرة » (٥) أئن : آان

(١٢) المصراع الثانى مضطرب

ثمّ انتقل عن تلك الطريقة إلى أغرب من الاثنتين ، وضرب ضرباً ما سمعت مثله قطّ ، ثمّ غنّى < من الطويل > :

ألا يا صبا نجدٍ متى هجْتَ من نجد فقد زادنى مسراك وجداً على وجد
أإن هتفَتْ ورقاء فى رَونق الضحى على فَنَنٍ غضّ النبات من الرّند
بكيت كما يبكى الوليد صبابة وذُبْت من الحزن المبرّح والجهد
وقد زعموا أنّ المحبّ إذا دنا يملّ وأنّ النأى يشفى من الوجد
بكلٍّ تداويْنا فلم يشف ما بنا على أنّ قرب الدار خيرٌ من البعد

قال : فصرخت صرخةً أعظم من الأولى وغُمى علىّ من شدّة الطرب ، ففتحتُ عينى فلم أنظر أحداً ، وأجد جوارىّ حولى فقلت : ويلكنّ ، الشيخ . — فقلن : أىّ الشيوخ ؟ ما رأينا أحداً . وإنّما سمعنا عندك اليوم ما لم نسمعه قطّ ، ودخلنا عليك لمّا سمعنا صرختك . فلم نجد عندك أحداً . — فقلت : علىّ بالبوّاب ! — فأُدخل علىّ . فقلت : ويلك ،الشيخ الذى أدخلته علىّ ما فعل ؟ — فقال : والله لم يدخل عليك اليوم من أحدٍ . — قال : فتحيّرتُ فى أمرى ، وإذا أنا بقايلٍ يقول ، ولم أنظر له شخصاً : يا لكاع ، إنّ نديمك منذ اليوم الشيخ أبو مرّة فلا ترتاع . — فقلت : بالله ألا ما ألقيتَ علىّ الأصوات . — فقال : قد ألقيتهم فى محفوظك حتى عادوا أرسخَ من الحجر . — قال : فأخذتُ العود وضربت . فإذا أنا صايب فى جميع الأصوات الثلاثة

---

(٤) فنن : غصن (٩) أحداً : احد (١٠) أحداً : أحد (١١) أحداً : احد
(١٤) شخصاً : شخص (١٥) أبو : ابا (١٦) محفوظك : محفوضك

قال إسحق : فلمّا سمعت الجارية ذلك من المأمون ابتهجت سروراً به وقالت لى : والله ، يا با عبد الله ، ما ذكرتَ عن صاحبك هذا قيراطاً ممّا احتوى عليه من المجموع الحسن . — قال : فلمّا رأى المأمون إعجابها به قال : إنّ صاحبى ذكر لى من إحسانكِ فيما تحكينه عن إسحق بن إبراهيم من ضربه وتلحينه . وقد أحببتُ سماعه ، فليس العيان كالخبر . — فقالت : حبًّا وكرامةً . — ثمّ أمرت بالعود، فأحضر وضمّته إليها وضربتْ ضرباً جيّداً من اقتراحاتى وقالت : هذا من مقترح إسحق ، حيّا الله إسحق ! — ثمّ غنّت < من الطويل > :

تشرّب قلبى حبّها ومشى به ... تمشّى حميّا الكأس فى كفّ شارب
ودبّ هواها فى عظامى فشفّها ... كما دبّ فى الملسوع سمُّ العقارب

قال : فأتتْ والله بالسحر المبين ونظرتُ إلى المأمون وقد احمرّت عيناه . قال : فغمزته . ثمّ وكزته فرجع . ثمّ إنّها غيّرت تلك الطريقة وضربت ، وقالت : وهذا من تلحين إسحق ، حيّا الله إسحق ! — وغنّتْ < من الكامل > :

لمّا رأيتُ الليـل سدّ طريقه ... عنّى وعذّبنى الظلامُ الراكد
والنجم فى كبد السماء كأنّه ... أعمى تحيَّرَ ما لديه قايد
ناديتُ مَن طرد الرقادَ بصدّه ... أنت البلاء طريفُه والتالد
ألقيتَ بين جفون عينى فرقةً ... فإلى متى أنا ساهرٌ يا راقد
وسعى بها واشٍ فقالوا إنّها ... لهىَ التى تشقى بها وتكابد
فجحدتّهم ليكون غيرك ظنّهم ... إنّى ليعجبنى المحبّ الجاحد

---

(٢) قيراطاً : قيراط (١٠) العقارب : العقاب

قال إسحق : فوالله ، لم تتمّ الجارية هذا الشعر إلاّ والمأمون قد نظر إلىّ نظرةً كدتُ أموت فرَقاً . وصرخ وقال : إسحق ! — فقمتُ قايماً وقبّلت الأرض وقلت : لبّيك ، يا أمير المؤمنين . — فلمّا نظرت الجارية إلى ذلك نهضت كالغزال النافر ودخلت بعض المقاصير . فقال المأمون : لمن هذه الدار ؟ — فقلت : لا علمْ والله لعبدك ، يا أمير المؤمنين . — فقال : علىّ بصاحبها الساعة هاهنا ! — قال : فخرجتُ ، فأجد العجوز والجوارى فى دهليز المكان وهنّ يرعدن لمّا تحقّقوا الأمر . فقلت : ويلكنّ ، لمن الدار ؟ — فقلن : لعبد أمير المؤمنين الحسن بن سهل . — فقلت : ليحضر الساعة ! وعرّفوه مَن فى محلّه . — قال : فلم يكن بأسرع أن حضر وهو يرعد كالسعفة . فقبّل الأرض بين يدى المأمون ، فقال له : يا حسن ، ما هذه الجارية منـــك ؟ — فقال : أَمة أمير المؤمنين ابنتى . — فقال : بكر أم ثيّب ؟ — قال : بل بكر عذرا ، يا أمير المؤمنين . — قال : أزْوجنى إيّاها . — قال : فقبّل الأرض وقال : هى من بعض الإماء ، يا أمير المؤمنين . — قال : فأخذ يده عليها فى تلك الساعة . — وقال : أصلح من شأنها وليكون العقد فى الملأ العام . — ثمّ فُتح لنا باب السرّ وخرجنا إلى قصر الخلافة . فهذا كان سببَ زواج بوران بالمأمون

ومن رواية صاحب « العقد » إلى حين الخبر مع إبليس رواه الثعالبىّ فى كتاب « لطائف المعارف » فذيّلته على الحكاية هاهنا ، ولم أذيّل بقيّة الحكاية فى كتابى « أعيان الأمثال » . وقد بقى ممّا رواه الثعالبى فى بيان الأشعار التى فى هذه الحكاية وممّا رواه أيضاً أبو الفرج صاحب « كتاب الأغانى » الكبير الجامع ما العبد ذاكره . ثمّ بعده أذكر تتمّة الخبر فى الزواج والمهمّ الذى لأجله أوردنا هذه الحكاية العجيبة لتكملة الفايدة لما رويناه إنشاء الله تعالى

(٦) والجوارى : والجوار (١٥) الملأ : الملاء

أمّا الأشعار التى كانت بين إسحق وبوران فقد روينا كلّ شعرٍ وصاحبه وملحّنه . وأمّا اللواتى جرين بحضرة المأمون، فالأوّل لأبى صخر الهذلىّ، وهو ممّا غُنّى به بحضرة موسى الهادى، تلحين ابن شريح المقدّم ذكره فى هذا التأريخ ، وبقيّة الشعر يقول < من الطويل > :

عجِبتُ لِسعى الدهر بينى وبينها ... فلمّا انقضى ما بيننا سكن الدهر
فيا هجر ليلى قد بلغْتَ بِىَ المدَى ... وزِدْتَ على ما لم يكن يبلغ الهجر
أما والذى أبكى وأضحك والذى ... أمات وأحيا والذى أمره أمر
لقد تركَتْنى أحسد الوحش أن أرى ... أليفين منها لا يروعهما الذُّعْر

قال صاحب الأغانى : وهذا الشعر فيه أيضاً لمعبد تلحين ، وقد تقدّم ذكر معبدٍ . والثانى الذى أوّله يقول « الحبّ أوّل ما يكون لجاجة » فهو للأحنف بن قيس المقدّم ذكره أيضاً فى هذا التأريخ ، والتلحين فيه لابن جامعٍ وقد ذكرناه أيضاً . والثالث الذى أوّله يقول « تشرّب قلبى حبّها » فهو لإبراهيم أبى إسحق المذكور وتلحينه له : وأمّا ما روى من غنا إبليس فلم يُذكر لهم قايل ولا ملحّن فأذكره . وأمّا الشعر الآخر الذى أوّله يقول « لمّا رأيتُ الليل سدّ طريقه » فهو للعبّاس بن الأحنف ، وقد تقدّم ذكر واقعته فيه ، وكيف قُدّم للصلاة عليه لمّا مات على غيره ممّن كان أكبر منه بقوله هذا الشعر ، والله أعلم

(٤) وبقية الشعر : أنظر ص ٣٣١ (٨) أليفين : الليفين (١٠) الحب أول ما إلخ : انظر ص ٣٣٢ (١٢ – ١٣) تشرب قلبى حبها : انظر ص ٣٣٥ (١٣) أبي : ابو (١٥) لما رأيت إلخ : انظر ص ٣٣٥ (١٦) تقدم ذكر واقعته : لم يرد فى هذا الجزء خبر تقديمه هذا

وأمّا أمر الوليمة العظيمة القدر التى ما رأى الناس مثلها من أوّل ما كانت الدنيا ، فقد ذكرها جماعة السلف رضى الله عنهم مثل : محمد بن جرير الطّبرىّ ، والمسعودىّ ، والثعالبىّ ، وابن عساكر مع جماعة أُخر من أرباب التواريخ أنّ الحسن بن سهل احتفل فى دخول ابنته بوران على المأمون احتفالاً ما شهدوا الناس مثله من قبل ، حتى كانت وليمة بنت المعتزّ بالله تركواز . ولا زالت دعوة بوران على المأمون تُدعى دعوةَ الإسلام حتى جاءت دعوة تركواز ابنة المعتزّ . فقال الناس هى مثله ، وقيل : إنّ دعوة تركواز لا نظير لها . — فأمّا ما يُحكى من جملة جلالة دعوة بوران : أنّ الحسن بن سهل أقام للمأمون بما يصلح له ولجميع قوّاده وأصحابه أربعين يوماً ، واحتفل بما لم يُرا مثله نفاسةً وكثرةً

وحكى المبرّد ، قال : سمعت الحسن بن رجا يقول : كنّا نجرى أيّام مقام المأمون عند الحسن بن سهل على ستّة وثلاثين ألف ملاح ، ولقد عزّ بنا الحطب يوماً . فأوقدنا تحت القدور الخيش مغموساً فى الزيت . ولمّا كانت ليلة البناء وجُلّيت بوران على المأمون ، فُرش لها حصير من ذهب وجىء بمكيلٍ مرصّعٍ بالجواهر فيه درّ كبار ، فنثرت على تلك النسا اللاتى حضرن وفيهنّ زبيدة أمّ جعفر وحمدونة بنت الرشيد . فما مسّ مَن حضر من الدرّ شياً . فقال المأمون : شرِّفْن أبا محمدٍ وأكرِمْنه . فمدّت كلّ واحدة منهنّ يدها ، فتناولت درّة . وعاد ذلك الدرّ يلوح على تلك الحصير الذهب . فقال المأمون : قاتل الله الحسن بن هانى ، كأنّه رأى هذا حيث يقول :

كأنّ صغرى وكبرى من قواقعها — حصباء درّ على أرضٍ من الذهب

---

(١) رأى : راء (٧) جاءت : جآات (١٠) وكثرة : وكثر (١٢) ملاح : كذا فى الأصل (١٥) اللاتى : التين

وكان فى المجلس شمعة عنبرٍ فيها مايتى منّ ، فضجّ المأمون من دخانها ، فعملت له أمثال الشمع . فكان الليل فيه مدّةَ مقامه كالنهار . ولمّا كانت دعوة القوّاد نُثرت عليهم أكر العنبر محشوّ فيها أوراق بأسما ضياعٍ وآلاف من الدراهم وعدّة من الخيول وإبل وعقارات . فمن وقعت فى يده أكرة كشف عمّا فيها ، فإن كانت ضيعة أشهد له بها ، أو عقار أو غير ذلك وصل إليه فى يومه ، ونُدب لذلك وكلاء بهذا السبب . وقيل إنّه حُصر ما أُنفق فى هذه الدعوة ، فكان تسعة آلاف ألف دينار

ولمّا زُفّت بوران على المأمون بعد أيّامٍ ، توهّم القوّاد أنّ هذا الحال ممّا تغيّر له المأمون على الحسن بن سهل . وبلغ ذلك الحسنَ ، كتب للمأمون يقول : قد تولّى أمير المؤمنين من تعظيم عبده فى قبول أَمته سبباً لا يتّسع له الشكر عنه إلاّ بمعونة التوفيق ، فرأيه أدام الله عزّه فى إخراج توقيعٍ بتزيين حالى فى العامّة والخاصّة بما يراه صواباً إنشا الله تعالى . — فخرج إليه التوقيع :

الحسن بن سهل زمامٌ على جميع أمور الخاصّة وكفّ أسباب العامّة ، وإحاطة بالنفقات ونقد بالولاة ، وإليه الخراج والبريد واختيار القضاة ، جزاءً لمعرفته بالحال التى قرّبته منّا ، وإثابةً لشكره إيّانا على ما أوليناه

وجميع ذلك بخطّ يد المأمون : ثمّ أحضره وقرّبه وأدناه وأقطعه أعمال الصلح بكمالها ، وعاتبه على اجتهاده وما حمله على نفسه . فقال له : يا أمير المؤمنين ، أتظنّ أنّ هذا من مال الحسنُ بن سهل ؟ والله ما هو إلاّ مالك

---

(١) مايتى من : مايتى منّاً (١٤) كف : كمف

ردّ إليك . وأردتُ أن يفضّل الله أيّامك على جميع أيّام مَن ملك ، كما فضّلك على جميع خلقه . فأمر له بألفى ألف دينار حملاً معجّلاً

وأمّا الثانية دعوة تركواز ابنة المعتزّ بالله، فقد ذكرتُها وسُقتها فى كتابىّ « حدايق الأحداق » و « أمثال الأعيان » وملخّصها أن المعتزّ بالله جلس بعد فراغ القوّاد والأكابر من المأكل ، ومُدّت بين يديه مراقع ذهبٍ مرصّعة بأنواع الجواهر ، وعليها أمثلة من العنبر والندّ والمسك المعجون على صفة جميع الصور . وجُعلت بساطاً ممدوداً ، وأُحضر القوّاد والجلسا وأصحاب المراتب ، فوضعت بين أيديهم صوانى الذهب مرصّعة بالجواهر من الجانبين فيهم المباخر الذهب المرصّعة . وبين السماطين فرجة ، وجاء الفرّاشون بزنابيل قد غُشّيت بالأطلس مملوءة دراهم ودنانير نصفين . فصُبّت فى تلك الفرجة حتى ارتفعت على الصوانى . وأُمر الحاضرون أن يشربوا مَن شا ما شا ، وأن ينتقل كلّ من شرب من تلك الدنانير والدراهم بثلاث حفنات ما حملت يديه ، وكلّما خفّ موضع صُبّ عليه من الزنابيل التى مع الفرّاشين حتى يُردّ على حالته . ثمّ وقف فى آخر المجلس غلمان ، كأنّهم اللؤلؤ والمرجان ، فصاحوا : إنّ أمير المؤمنين يأمركم ليأخذ مَن شا ما شا . — قال : فمدّ الناس أيديهم إلى المال ، فأخذوه عن آخره ، وكان الرجل منهم يثقل ما معه ، فيخرج به ، فيسلّمه إلى غلمانه ، ثمّ يعود إلى مكانه . ولمّا تقوّض المجلس خُلع على الناس خمسة آلاف خلعة . وحُملوا على خمسة آلاف مركب من الذهب والفضّة ، وأُعتق خمسة آلاف نسمة . هذا ملخّص هذه الوليمة ، والله أعلم

---

(٩) فيهم . . . المرصعة : بالهامش (١١) يشربوا : يشربون

وكان الحسن بن سهل أخا الفضل بن سهل المعروف بذى الرياستين ، وكانا مجوسيين فى أيّام الرشيد . وكان الفضل قد ظهرت ليحيى بن خالد البرمكيّ مخايلُ فضله ودلايل عقله وهو على دينه . فقال يحيى بن خالد : يا فضل ، أسلِم ! أجد السبيل إلى اصطناعك . — فأسلم على يدى الرشيد ، ولم يزل فى جنبته حتى رقى رتبته . وكان قد ذكره يحيى بن خالد للرشيد ، فأجمل الثنا عليه فأمر بإحضاره . فلمّا رآه أُفحِم ، فنظر الرشيد إلى يحيى كالمستفهم ، ففهم الفضل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ من أدلّ الدليل على فراهة العبد أن تملك هيبةُ مولاه لسانه وقلبه . — فقال الرشيد : إن كنتَ سكتَّ لِتقول هذا القول لقد أحسنتَ . وإن كان هذا شىء اعتراك عند الحَصَر لقد أجدتَ . — وزاد فى إكرامه وبرّه وتقريبه ، فجعل لا يسأله بعد ذلك عن شىءٍ إلاّ أجابه بأفصح لسانٍ وأجود بيان

قال سهل بن هرون أحد فلاسفة الإسلام : وممّا حُفظ من كلام ذى الرياستين الفضل بن سهلٍ ممّا رأينا تخليده فى الكتب ، ليُؤتمّ به ويُنتفع بمنقول حكمته ، قولُه : مَن ترك حقًّا فقد غُبن حظاً ، ومن قضى حقًّا فقد أحرز غُنماً ، ومَن أتى فضلاً فقد أوجب شكراً ، ومَن أحسن توكّلاً لم يعدم لله صنعًا ، ومن ترك لله شيأً لم يجد لما ترك فقداً ، ومَن التمس بمعصية لله حمدًا عاد ملتمَس ذلك عليه ذَمًّا ، ومن طالب بخلاف الحقّ له دَرَكاً عاد ما أدرك من ذلك له موبقاً . وذلك أوجب الفَلَح للمحسنين ، وجعل سوء العاقبة للمسيئين المقصّرين

وكان ذو الرياستين يقبل صواب القايلين بما فى قوّته من صفا الغريزة وجودة النحيزة . فهو كما قال أبو الطيّب المتنبّي <من الخفيف> :

ملكٌ منشِدُ القريض لديه   يضع الثوب فى يدى بزّاز

(١) أخا : اخى (٢) مجوسيين : مجوسا (١٢) أحد : احدى (١٦) لله : الله

ثمّ إن العبد خرج عن شرط الاختصار ، حتى عاد كالمِهذار . وإنّما سُقنا هــذا الكلام لفوايد عدّةٍ ، أحدها أنّ الكتب تُمل إذا كانت على منوالٍ واحدٍ في الحديث . فقصدْنا تطريز الكلام ، بنوادر الأحكام . والأخرى ليكون ذلك ردًّا على من يتشرّع بغير شرعٍ ، ويتّبع الخلاف ويدّعي في العلم فلسفةً ، فيقول : إنّ ما أُنفق في هذا المهمّ الناصريّ إسراف ، فقصدْنا أن ننبّه أنّ مولانا السلطان متّبِـعٌ لا مبتدع ، مقصّر عن كلّ أمرٍ مخترَع ، لا يخرج عمّا استنّه السلف ، وأنّه أعزّ الله أنصاره نعم الخلف ، أمدّ الله على كافّة المسلمين ظلّه ، ورفع فوق السِّماكين محلّه

وفيها كانت الفتنة بإسكندريّة في شهر رجب الفرد بين أهلها ومتولّيها ركن الدين بيبرس الكركريّ ، ورجموه بالثغر مرّةً . ثمّ إنّه سايس أمره فيها . فلمّا كان في شهر رجب رجموه أيضاً ، وهرب منهم إلى دار النيابة ، فتبعوه ، فغلّق الباب فأرادوا حريقه بالنار . فلمّا عاين منهم الجدّ وأنّهم لا يرجعون عنه ، بطّق بصورة الحال ، فرُسم للأمير علاء الدين الجماليّ الوزير بالتوجّه إليه في أسرع وقتٍ . فتوجّه إلى الثغر وصحبته ثلاثة أمرا ، فيهم سيف الدين طوغان الشمسيّ ، مملوك الأمير سيف الدين سنقر الطويل ، وكان يومئذٍ شادّ الدواوين بالأبواب العالية في خدمة الأمير علاء الدين الجماليّ . فوصل الأمير علاء الدين الجماليّ إلى الثغر المذكور ، ومسك جماعةً كبيرةً ، ووسّط منهم وقطع أحداً وثلاثين نفراً ، ممّن كانوا أصحاب الفتن ورءوس الأحزاب . ثمّ قبض على جماعة من كبار البلد ممّن استحسنوا لأوليك المفتنين ، وجناهم ما جملته ألف ألف درهم وسبعين ألف درهم ، وحمل ذلك

---

(١٨) أحداً : احد

إلى الأبواب العالية . ثمّ وسعهم حلم مولانا السلطان وعفوه وسعة صدره الشريف الذى كما قيل < من الكامل > :

لله صدر للإمام كأنّما أقطار طاعتا به قطمير
تتزاحم الأضداد فيه فتنثنى عنه وليس لوقعها تأثير

وفيها وصل الأمير سيف الدين تنكز ملك الأمرا بالشأم المحروس إلى الأبواب العالية زايراً، ففاز بتقبيل الأرض بين يدى المواقف الشريفة السلطانيّة : فلمّا كان يوم الأحد خامس ربيع الآخر ، تغيّرت الخواطر الشريفة على مماليكه الأميرين ، الأمير سيف الدين طشتمر الساقى ، والأمير سيف الدين قطلوبغا ، وكان ذلك أوّل هذا النهار . ثمّ رجع مولانا السلطان إلى أصله الشريف ولينه الطاهر . فإنّ هؤلاء الأمرا عنده بمحلّ الأولاد ، يلاحظهم بعين التربية والشفقة . فلمّا كان آذان الظهر من ذلك اليوم رُسم للأمير سيف الدين طشتمر أن يسكن القلعة ويستقرّ على إمرته وإقطاعه . ورُسم للأمير سيف الدين قطلوبغا بالتوجّه إلى دمشق المحروسة أمير ماية مقدّم ألف . فتوجّه صحبته ملك الأمرا . وذلك يوم السبت حادى عشر ربيع الآخر

وفيها انفصل شهاب الدين بن المهمندار من نقابة الجيوش المنصورة . وتولّى عزّ الدين دقاق مكانه . ومشى فى النقابة بخلاف ما كانا عليه متقدّماه

---

(٣) طاعته : طاعة

ذكر سنة ثمان وعشرين وسبع ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم ؟ مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وخمسة عشر إصبعاً

ما لخص من الحوادث

الخليفة الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر ، مدّ الله على البسيطة ظلاله ، وأسبغ عليه نعمه وأفضاله

والأبواب العالية فى هذه السنة بغير نايبٍ ، بحكم انتقال الأمير سيف الدين أرغون إلى نيابة حلب ، حسبما سقناه من قبل ، والمتحدّث بالأبواب العالية يومئذٍ : الأمير سيف الدين ألماس أمير حاجب ، والحاجب فى خدمته : الأمير سيف الدين آقول المحمدىّ ، وكذلك الأمير بدر الدين مسعود بن خطير متّخذاً فى الحجبة بين يدى المواقف الشريفة السلطانيّة ، والوزير : الأمير علاء الدين الجمالىّ إلى حين انفصاله من الوزارة فى هذه السنة ، والنوّاب بالممالك : الأمير سيف الدين تنكز ملك الأمرا بالشأم المحروس بدمشق ، والأمير سيف الدين أرغون ملك الأمرا بحلب ، والأمير سيف الدين طينال النايب بطرابلس ، والأمير سيف الدين الحاجّ أرقطاى نايب صفد ، والأمير حسام الدين لاجين الصغير نايب غزّة

والملوك بالأقطار : مكّة شرّفها الله تعالى مع الأميرين رميثة وعطيفة ، صاحب المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام : كبيش بن ناصر الدين منصور بن جمّاز بن شيحة ، وصاحب حماة : الملك المؤيّد عماد الدين

---

(٥) أبو : ابى (٢٠) وصاحب ... اسماعيل : بالهامش

إسماعيل ، وصاحب اليمن : الملك المجاهد علاء الدين علىّ بن الملك المؤيّد المقدّم ذكره ، وصاحب الهند بدلى : شمس الدين محمد بن الملك المسعود محمود بن سنجر المقدّم ذكره ، وصاحب ماردين : الملك الصالح شمس الدين صالح بن المنصور بن المظفّر إيلغازى ، وصاحب العراقين وخراسان : الملك أبو سعيد بن خدابنداه وهو صالح ، وصاحب ما ورا النهر من ملوك التتار : الملك كوبك المقدّم ذكره ، وصاحب بلاد بركة : الملك أزبك نسيب الأبواب العالية الناصريّة أعلاها الله تعالى ، وصاحب البلاد الشماليّة من ملوك التتار : كباك بن منغطاى بن قنجى المقدّم ذكره ، وصاحب التخت ببلاد الصين : قآن قلاصاق بن شرمون بن منغلاى المقدّم ذكره ، وملوك الغرب ما اتّصل بنا فى هذا التأريخ حسبما نذكر من أسمايهم : صاحب مرّاكش : . . . ، صاحب الأندلس : . . . ، صاحب تونس : . . .

وفيها كان وصول دمرداش بن جوبان صاحب الروم وما معها . وكان سبب حضوره إلى الأبواب العالية ، أنّ القول تقدّم من العبد أنّ أبا سعيد لمّا تملّك كان دون البلوغ ، وكان فى كفالة جوبان ، وأنّ من أولاد جوبان دمشق خجا ، وأنّه كما قيل إنّ أمّ أبى سعيد كانت ترى له ، وكان الغالبَ على أمر الملك بسبب نظر الخاتون إليه . فلمّا كبر أبو سعيد وبلغ حدود الرجال ، وعرف لذاذة الملك ونفوذ الأمر ، رأى أنّ ما له تصرُّفٌ مع دمشق خجا لعناية أمّه به وتمكّن أبيه جوبان من دولته . وانتشى أيضاً مع أبى سعيد جماعة من الصغار الذين ضمّهم المربى . فحسّنوا له

(١١ – ١٢) مكان أسماء الملوك بياض فى الأصل (١٦) أبى : ابا (١٩) أبيه : ابوه

قتْل دمشق خجا ، فنصب له الحبايل حتى قتله . وكان أبوه جوبان فى تجريدة نحو خراسان . فلمّا بلغه ذلك حشد الحشود وجمع الجموع وأقام شخصاً من عظم القآن يسمّى ساؤور ، وقصد خلع أبي سعيد من الملك وإقامة هذا الرجل الذى من عظم القآن ، لعلمه أن مُلك التتار لا يقوم به إلاّ مَن يكون من أصل العظم ،على ما أسّسه لهم جكزخان من اليسق الذى لا يخرجون عنه ، وجوبان فليس من عظم الملك . ثمّ إنّه قصد الأردوا طالباً لأبى سعيد وانتزاعه من الملك ، وإقامة ذلك الشخص ساؤور . وجوبان يظنّ أنّ الأمر بيده وهو قادر عليه لتمكّنه فى الدولة ولطاعة التتار لأمره . ولم يعلم أنّ ما خاب إلاّ ظنين ،ولا هزل إلاّ سمين . فلمّا بلغ أبا سعيد قربُ جوبان إليه ، وما قد عزم عليه ، خرج له فى عساكره ومَن هم فى طاعته حافظين عهوده ، وعهود آبايه وجدوده . فما كان إلاّ حيث وقعت العين فى العين وقفزت جميع التوامين الذين كانوا مع جوبان،وأتوا تحت الطاعة لأبى سعيد . وعاد جوبان فى شرذمةٍ يسيرةٍ من خواصّه وأهل بيته . فلم يمكنه غيرُ الهرب والنجاة بنفسه . وحصل لذلك الرجل المسمّى ساؤور طعنةٌ فى كتفه وولّى هارباً مجروحاً . وعاد أبو سعيد وقد ثبتت قواعد ملكه واستقامت أحواله ، وعاد يتطلّب أولاد جوبان وأقاربه من كلّ مكانٍ . وكان هذا دمرداش نايبا بالروم ، وكثيراً ما كان يكاتب الأبواب الشريفة ؛ وتردّد إليه فى الرسليّة شخص يسمّى عزّ الدين أيدمر الطويل ، كان عند بيبرس العلايى نايب حمص . ثمّ عاد فى خدمة الأمير علاء الدين ألطنبغا نايب حلب . ثمّ توصّل برسليّته حتى سأل دمرداش له دستوراً فى المثول بين يدى

(٣) شخصاً : شخص ‖ أبى : ابو (٩) أبا : ابو (١٧) وكثيراً ما : وكثير ما
(٢٠) دستوراً : دستور

المواقف الشريفة السلطانيّة ، والوفود إلى الأبواب العالية . وذلك لمّا بلغه ما كان من أمر أبيه جوبان وأخيه دمشق خجا مع بقيّة إخوته أولاد جوبان ، وما قد وقع عليهم من حثيث الطلب من جهة الملك أبى سعيد . فضاقت عليه الأرض بما رحبت . وسيّر يسأل المراحم الشريفة السلطانيّة — لا زالت ملجأ القاصدين وبحر الواردين — فى الوفود إلى الأبواب الشريفة . فأنعم مولانا السلطان بالجواب بقبول سؤاله ، ولا خيّب قصده وآماله . فخرج من بلاد الروم طالباً للأبواب الشريفة ﴿ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ ﴾ وكان وصوله إلى الأبواب الشريفة عشيّة يوم الأربعا سادس شهر ربيع الأوّل ، والركاب الشريف السلطانىّ — أعلاه الله تعالى وقد فعل ، وأذلّ له رقاب الملوك أولى الحول وأرباب الدول ، وإن كان على مثل ذلك لم يزل — فى برّ الجيزة بمنزلة الأهرام متوجّهاً للصيد المبارك . فلمّا كان نهار الخميس سابعه طلع الركاب الشريف إلى القلعة المحروسة ، ودمرداش مترجّل فى الخدمة الشريفة فى جملة الموالى الأمرا . وكان هذا دمرداش قد ملك عدّة ممالك بالشرق ، واحتوى على جميع إقليم الروم مملكة السلجوقيّة المقدّم ذكرهم وذكر ممالكهم . ولم يقنع بذلك : بل تسلّط على جميع ما كان حوله من الممالك بتلك النواحى ، وخافوه ساير ملوك تلك البقاع حتى تحصّنوا منه ومن شرّه فى الحصون المانعة ، وليس بمانعتهم حصونهم . ووصل إلى الأبواب الشريفة منهم جماعة مستصرخين ، وبالمراحم الشريفة من شرّه مستجيرين . وتغلّب على أكثر الممالك ، وعاد فى ملك كبيرٍ جدّاً . وكان رجلاً شديد البأس ، لا يُصطلى له بنار . وكان حضوره إلى الأبواب العالية من أكبر أسباب السعادة . وهذا أمر لم يتمّ

(٣) أبى : ابو (٧) السورة ٢٨ الآية ١٨ (٩) أولى : اولو (١٢) مترجل: مترجلا (١٥) بل تسلط : على تسلط (١٧) بمانعتهم حصونهم : قارن السورة ٥٩ الآيه ٢ (١٩) رجلا : رجل

لأحدٍ من ملوك الإسلام ، منذ خروج التتار من بلاد قراطاغ وإلى ذلك التاريخ ، ولا حضر مثل هذا ولا قريب من نظرايه ، إلاّ إن كان سلامش ابن باكوا بن باجوا المقدّم ذكره . والآخر أيضاً حضر فى أيّام مولانا السلطان ، وداس بساط العدل ودخل تحت الطاعة . وكان أيضاً من عظما التتار ومن عظم الملك . وإنّما لم يكن فى يد سلامش ما صار فى يد دمرداش من ملك الروم وغيره . ولا طالت أيّامه فى الملك بالروم كما طالت أيّام دمرداش . وعلى الجملة فسبحان من أذلّ لمولانا السلطان رقاب الملوك الجبابرة ، من ملاّك ملوك أملاك الأكاسرة والقياصرة . ثم أقبل عليه مولانا السلطان إقبالاً كثيراً ، ورتّب له الراتب الحسن ، وفعل فى حقّه ما كان فوق من أمله . وأقام فى خدمته الأمير سيف الدين طوغاى الجاشنكير . ومن جملة إحسان مولانا السلطان إليه أنّه شدّ له تعاليق حياصةٍ بيده الشريفة ، ونفذها إليه على ترتيب حوايص الموالى الأمرا . هذا كلّه لجبره وجبر خاطره . ولمّا كان يوم السبت سلخ ربيع الأوّل وصل طلب دمرداش ومن أصحابه جماعة منهم : محمود وماهنباه وأخى عثمان ويونس . وأُنزلوا بالقلعة المحروسة ، ورُتّب لهم الرواتب الكثيرة جدًّا من ساير المآكل الفخرة . فأقام دمرداش فى أنعم عيشٍ وأرغده من تقريب مولانا السلطان له . وتوجّه فى الركاب الشريف إلى الصيد ، فنظر من فروسيّة مولانا السلطان عزّ نصره وصبره على مداومة الركوب وقوّة الركض ما حيّره فى عقله ، وصغرت عنده شجاعة نفسه . ثمّ إنّ البلاد لم توافقه ، فحصل له توعّك ، وسقط بالوفاة يوم الأربعا ثانى وعشرين ذى القعدة من هذه السنة المذكورة

---

(٩) إقبالاً كثيراً : اقبال كثير

وفيها توفّى الشيخ تقىّ الدين بن التيميّة ، رحمه الله تعالى

وفيها حضروا رسل الملك أبى سعيد ونظروا دمرداش فى الخدمة الشريفة ، وما هو فيه من الإحسان إليه والإقبال عليه . وتوجّه فى جوابهم الأمير سيف الدين أروج ، وعاد من البلاد فى الثامن والعشرين من شهر شعبان المكرّم

وفيها وردت الأخبار بوفاة قراسنقر فى البلاد ، وانقطعت أخباره

ذكر سنة تسع وعشرين وسبع ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وسبعة عشر إصبعاً

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان عزّ نصره : الملك الناصر

والأبواب العالية بغير نايبٍ ولا وزيرٍ بحكم ضعف الأمير علاء الدين الجمالىّ ، والمتحدّث فى محلّ الوزارة واستخلاص الأموال ، مضافاً إلى ما كان بيده من شادّ الخاصّ الشريف : علاء الدين بن هلال الدولة ، واجتمع له من الشدود والوظايف السنيّة بالأبواب الشريفة ما لم يجتمع لغيره ، حتى عادت ساير الأحوال المتعلّقة بالمملكة الشريفة مغدوقةً به وتحت أمره ونهيه ، كلّ ذلك توصّل إليه بمكره وحيله التى لو أنّ البطّال الذى يُحكى عنه سيرته أدركه فى زمانه لكان يتعلّم من مكره وحيلته . وتوصّل إلى ذلك بما حصّله من الخزانة التى كانت قد خرجت مع كريم الدين الكبير عام

---

(٢) أبى: أبو (١٠) أبو: ابى (١١) عز ... الناصر: بالهامش (١٥) والوظايف: والوصايف

مُسك ، حسبما ذكرناه . وهذا ابن هلال الدولة ليس له أصالة ولا بيت . وإنما أصله من فلاّحين البهنسا ، من قريةٍ تسمّى دير القضون بالأعمال المذكورة . وكان جدّ خاله يسمّى هلالاً ، وكان من فلاّحين الطواشى بلال المغيثىّ . فلمّا توصّل خاله المجد ، وخدم فى شدود من جهات القاهرة تَسمّى بابن هلال الدولة ، وأعلى ما وصل إليه خاله الأصلىّ شادّ المواريث . وكان هذا علىٌّ يركب حماره بقباء مقطّعٍ وزربولٍ فى رجله ، صفة غلام خلف خاله المجد ، ولم يزل كذلك زماناً طويلاً . ولقد شاهدتُه فى خدمة إحدى خشداشيّتنا كان يسمّى بيبرس الدواداريّ ، وكان بيبرس المذكور قد فوّضه كتبغا شادّ عمارة المدرسة التى كان قد أنشأها ، وعادت لمولانا السلطان عزّ نصره المعروفة الآن بالناصريّة . وكان هذا علىٌّ واقفاً جنداراً فى أضعف حالٍ يكون . فتوصّل حتى خدم القاضى شهاب الدين ابن عبادة ، وكيل الخاصّ الشريف فى أوّل حلول الركاب الشريف السلطانىّ من الكرك المحروس . ثمّ كان فى خدمة القاضى كريم الدين الكبير . فحصّل من الأموال السلطانيّة مالاً عظيماً . فلمّا مُسك كريم الدين احتوى على الخزانة المقدّم ذكرها ، وخدم الناس بأموال السلطان حتى نال أغراضه ، وأنعم عليه بطبلخاناه ، وعاد وزيراً مستقلاً ، لم ينقص عن ذلك إلاّ اسم الوزارة . وحصّل من الأموال ما لا يعلم إلاّ الله عزّ وجلّ ، ولم يزل مستقلاً بالأمر إلى حين نظر مولانا السلطان فى حال الإسلام ، وتسليطه على خلق الله تعالى . فمُسك فى سنة أربع وثلاثين وسبعماية ، حسبما نذكر من خبره فى تأريخه إنشا الله تعالى

---

(١) الدولة : بالهامش (٣) هلالا : هلال (٧) زماناً طويلا : زمان طويل

(٨) خشداشيتنا : خشداشينا (١٠) واقفاً : واقف (١٤) مالا عظيما : مال عظيم

وفيها عُزل مجـد الدين بن لفينة من نظر الدولة ورفيقه الشمس ابن قروينه . وتولّى عوضهما علم الدين بن التاج إسحق ورفيقه تقيّ الدين ابن السلعوس

وفيها تولّى القاضى محيي الدين بن فضـل الله صحابة ديوان الإنشا الشريف ، بحكم ضعف القاضى علاء الدين بن الأثير بمرض الفالج الذى ما شهد بمصر مثله ، لِما ناله من الضعف والمرض الغريب حتى بطل ساير جسده ، ولا عاد يتحرّك فيه غير جفونه . وعادت زوجته تحضر اللوح والدواة قدّامه وتكتب من أوّل الحروف ، فكلّ حرف يكون متضمّناً اسم الحاجة التى يقصدها يكسر جفنه لها ، فتفهم منه أنّه ذلك الحرف حتى تجمع من تلك الأحرف اسم تلك الحاجة التى يطلبها ، فتُحضرها له . وهذا من غريب البلايا ، فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم ، فإنّنى كنتُ إذا رأيته على هذه الحالة تتقطّع كبدى عليه أسفاً ، لِما كان بيننا من الصحبة المتأكدة . ولم يزل كذلك حتى توفّى فى سنة ثلاثين وسبعماية ، رحمه الله تعالى

وفيها يوم الاثنين سلخ جمادى الآخر حضر رسل الملك أبى سعيد وهم : تمربغا وولده أمير زان ورفقتهما وصحبتهما من الهدايا : خيول أربعة عشر إكدش ، طيور عشرة ، مماليك سـبعة . وأكرمهما مولانا السلطان غاية الإكرام ، وأحضرهما على الخوان ، وبعد شيل الخوان دخلت السقاة ، فتناول مولانا عزّ نصره الهناب من الساقى وأسقى الرسول تمربغا من يده الشريفة ، بسطها الله بالعدل والإحسان إلى آخر الزمان

---

(٢) قروينة : قرونه (٤) صحابة : صحاب (٨) متضمناً : متضمن (١٤) أبى : ابو

وفيها حضر الأمير سيف الدين أرغون . إلى الأبواب الشريفة بنيّة الزيارة والفوز بمشاهدة مولانا السلطان عزّ نصره ، وذلك فى عاشر جمادى الآخرة ، وسافر متوجّهاً إلى حلب يوم الخميس سادس وعشرين الشهر المذكور . وودّع مولانا السلطان عزّ نصره من القصر الأبلق ، وأخلع عليه خلعة السفر ، قباءٍ محقّقاً بطرز شركس

وفيها توفّى الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب والأمير شرف الدين حسين بن جندر بيك ، رحمهما الله تعالى

ذكر سنة ثلاثين وسبع ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وعشرة أصابع

ما لخص من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم الملك الناصر سلطان الإسلام ، أبقاه الله كعبة الآملين ، وعصمة الخايفين

والأبواب العالية بغير نايب ، والمتحدّث فى الجيوش المنصورة وشكاوى الناس : الأمير سيف الدين ألماس أمير حاجب ، وفى الأموال : ابن هلال الدولة حسبما ذكرناه

والنوّاب بالممالك الشأميّة : الأمير سيف الدين تنكز ملك الأمرا بالشأم المحروس ، والأمير سيف الدين أرغون ملك الأمرا بحلب ، والأمير سيف الدين طينال نايب أطرابلس ، والأمير سيف الدين الحاجّ أرقطاى

---

(٥) محققاً : محقق || شركس : كذا فى الأصل، ربما المقصود زركش (١٢) أبو : أبى

نايب صفد ، وحسام الدين لاجين بغزّة ، والملوك بالأقطار حسبما ذكرناه فى السنة الخالية

وفيها وصل الملك عماد الدين صاحب حماة إلى الأبواب العالية ، وتوجّه فى خدمة الركاب الشريف إلى الصيد المبارك بالوجه القبلىّ . ولمّا عاد توجّه إلى محلّ ملكه من إنعام مولانا السلطان عليه

وفيها حصل للمقام الشريف ما حصل من التوعّك بسبب يده الشريفة ، وقاها الله المحذورات ، وبسطها وإن كانت لم تزل مبسوطةً بالخيرات . وكان التوعّك بهذا السبب مدّة سبعة وثلاثين يوماً . ولقد بلغ العبد أنّ المجبّر الذى جبر الله الإسلام بصناعته يقال له ابن أبى ستّة ، وكان حاله قد تضعضع ، فكان أكثر أوقاته يقول فى دعايه : يا الله ، كسرةٌ بجبرة ! — فلمّا جبر الله تعالى الإسلام ، بعافية يد سيّد ملوك الأنام ، حصل له من البرّ والإحسان والإنعام ، ما جُبر به كسره العامّ . فلمّا كان يوم الأحد رابع شهر جمادى الآخر جلس مولانا السلطان بالإيوان ، وقد منّ الله تعالى على المسلمين بنعمه الوافية ، وجمع له بين الأجر والعافية ، لا زال فى كلّ حينٍ من بهجة سلطانه ميسم ، ولكلّ ثغرٍ من نضارة زمانه مبسم ، وأيّامه مصقولة الحواشى والأطراف ، وأياديه بادية بالإسعاد والإسعاف . ثمّ إنّ صدقاته العميمة عمّت فى ذلك النهار الخاصّ والعامّ ، وفرّق الإقطاعات على أولاد الأجناد الأيتام ، وكان يوماً مشهودا ، والملايكة بما فعله من الصدقات فيه شهودا

وفيها كانت الفتنة بمكّة شرّفها الله تعالى . وقُتل الأمير سيف الدين آلدمر أمير جاندار وولده وابن التاجىّ ، وجماعة من المماليك الذين كانوا مع

---

(١٨) شهودا : شهود

آلدمر . وكانت فتنةٌ كبيرةٌ أشرف الحاجّ فيها على التلاف والنهب . ثمّ سلّم الله تعالى الركب ، وخرجوا سالمين بعد ما نُهب بعضهم

وفيها أفرج الله تعالى عن الأمير سيف الدين بهادر المعزّىّ ، وذلك فى العشر الأخير من جمادى الآخرة ، وأنعم عليه بإقطاع الأمير علم الدين سنجر الجمقدار مائة فارس ، بحكم انتقال الأمير علم الدين إلى الشأم المحروس

* وفيها تولّى القاهرة ناصر الدين محمد بن المحسنىّ ، عوضاً عن الأمير عزّ الدين أيدمر الجمقدار الزرّاق . وكان الأمير عزّ الدين قد وليها عوضاً عن الأمير سيف الدين قدودار أستادار برلغىّ كان . فلمّا توفّى قدودار وليها المشار إليه ، فاستمرّ إلى هذا التأريخ وهو العشر الأوّل من ذى الحجّة . فسار فى الولاية أحسن سيرةٍ ، وكان كثير القلق منها ، متوجّهاً إلى الله عزّ وجلّ فى طلب الخلاص من فتنتها . فاطّلع الله تعالى على نيّته ، فأحسن خلاصه بما هو أميز منها ، وانتقل إلى أمير جانداريّة بين يدى المواقف الشريفة . وكان هذا محمد بن المحسنىّ قد توصّل حتى تولّى إقليم المنوفيّة . ثمّ توصّل بماله ومال أبيه بدر الدين بلبك المحسنىّ حتى تولّى القاهرة فى هذا التأريخ . وهذا بلبك المحسنىّ من أنطاكية ، كُسب منها عندما فتحها السلطان الملك الظاهر رحمه الله ، كسبه بعض مماليك الطواشى محسن : فعُرف بالمحسنىّ . ثمّ إنّه كان تولّى القاهرة فى دولة البرجيّة مرّتين ؛ وهو كثير المكر والحيل . فانتقل بمكره إلى نيابة ثغر الإسكندريّة . فحصّل فى مباشراته أموالاً عظيمةً . فلمّا مُسك كريم الدين الكبير توجّه الأمير علاء الدين الجمالىّ ومسكه وأخذ منه بعض شيءٍ . ثمّ رسم باعتقاله ، فتحيّل واشترى نفسه

---

(٨) قدودار أستادار : قدوادار استادار (١٠) القلق : القلاق (١٩) أموالا : اموال

بشيٍ من المال ، وتخلّص واستمرّ بطّالاً. ثمّ تحيّل حتى أخذ إمرة عشرة ، وتحيّل بماله لولده محمدٍ هذا حتى تولّى القاهرة فى هذا التأريخ . ومشى فيها أيشم مشيٍ . وتسلّط أخوه عمر المجنون على حريم المسلمين يأخذهنّ بيده من بيوتهم اغتصاباً ، وفعل فى القاهرة ما لا يمكن شرحه . وكذلك مماليك محمدٍ نفسه فعلوا أقبح فعلٍ . وله مملوك يسمّى بيدرا عامل الحراميّة على أموال الناس ؛ وكان شخص حرامىّ يسمّى المصيطيلة ، اصطنعه محمد ابن المحسنىّ ، وجعله قدّامه صفة نوّاب . فكان عنده عدّة من الحراميّة يأخذون أموال الناس ، وعليـــه مقرّر لذلك المملوك فى الظاهر والباطن لأستاذه سبع ماية درهم نقرةٍ فى كلّ جمعةٍ . وعادت أموال الناس تُنهب وحريمهم تُؤخذ وأولادهم تُغصب . وفعلوا فى القاهرة ما لا لحقوه البحريّة فى أيّامهم . وعدمت فى تلك الأيّام عدّة عملات ، منها لجماعة من الأمرا منهم : الأمير سيف الدين طرغاى الجاشنكير ، والأمير سيف الدين أروس بغا ، وجمال الدين بن كرامىّ أمير عشرة ، وابن منصور المرحّل المعامل بالإصطبلات السلطانيّة . هؤلاء ممّن لهم صورة بين الناس وراحت أموالهم . ولا قدروا على خلاصها وجميعها تُحمل للوالى فى الباطن . وأمّا الرعيّة الضعفا الحال فشيء كثير جدّاً ، ولا يقدرون يتكلّمون ، وإن تكلّموا قال لهم الوالى : أحضروا أولادكم ونساكم وجيرانكم ! — فيرى صاحب الصنايع ترْك ماله أرجى له ، فيجعل الأجر على الله عزّ وجلّ . وأشيا جرت لو شرحتُها لم يسعها أوراق

---

(١) بطالا : بطال (٣) يأخذهن : ياخذهم (٤) اغتصاباً : اغتصاب (٧) نواب : تواب

وكان بالقاهرة مقدّم بدار الولاية يسمّى محمد بن الأشمونىّ ، وكان جَلداً فى الظلمة ،لا يُخيفه منجّسة ولا يفوته حرامىّ ، فاطّلع على جميع هذه المصايب . وكان مولانا السلطان قد علم من هذا المقدّم النهضة ، فعاد يقرّبه ويتحدّث معه ، فربّما أنّ هذا المقدّم تكلّم بين رفاقه بشىٍ ممّا أنكره من هذه الأحوال . فبلغ ذلك الوالى ابن المحسنىّ ، فخشى غايلته ، فاستغنم غيبة الركاب الشريف فى الصيد ، لا بَل فى الحجاز الشريف ، واختلق له ذنوباً ، ولم يزل يضربه بالمقارع ضرْب التلف حتى علم أنّه قد قضى شغله . فلم يقم المقدّم إلاّ أيّاماً يسيرةً وهلك . فلمّا حلّ الركاب الشريف من الحجاز الشريف بلغ المسامع الشريفة بعضُ شىٍ ، لا هذه الأحوال بجملتها . وفهم ابن المحسنىّ ذلك ، فسعى سعياً عظيماً حتى إنّه لمّا انفصل لم يعارض ، ولا أُخذ منه الدرهم الفرد . وخرج من الولاية فى تأريخ ما يُذكر ، وقد حصّل من الأموال ما لا يحصيه إلاّ الله تعالى

ذكر سنة إحدى وثلاثين وسبع ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم

ما لخص من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر سلطان الإسلام : سربله الله من سلطانه سلطاناً جديداً ، ونظم له من توفيقه قلايد وعقوداً ، والنوّاب بمصر والشام ، حسبما تقدّم من الكلام ، فى ذلك العام ، وكذلك الملوك . على هذا السلوك

(٢) يخيفه : يخفاه (٣) النهضة : النهظه (٨) أياما : ايام (١٦) أبو : ابى
(١٨) قلايد : قلايدا

وفيها فى أوّل المحرّم برزت المراسم الشريفة بتغيّر المناظر الظاهريّة بالميدان المبارك السعيد . وكان ذلك بشادّ محمد المحسنىّ متولّى القاهرة يومئذٍ ، ونظر الأمير سيف الدين آقبغا عبد الواحد . وانتهت العمارة المباركة فى شهر ذى الحجّة . ولعب فيه مولانا السلطان عزّ نصره الأكرة يوم السبت سابع عشر الشهر المذكور . وفرّق فيه الخيول على الموالى الأمرا بسروجها . وأنعم بالخلع والحوايص الذهب على الأمرا والمقدّمين ، وأخلع على الأمير سيف الدين آقبغا عبد الواحد أطلس بطرز زركش كامل وحياصة ذهبٍ مجوهرة ، وعلى محمد بن المحسنىّ كنجىّ تمام وكلوتة زركش وحياصة ذهبٍ ، وعلى علاء الدين بن أمير حاجب والى مصر ملوّن كامل تمام ، وعلى الأمير سيف الدين الملك ا.' وكندار قباء مقصّب بطرز

وفيها يوم الاثنين سادس وعشرين ذى الحجّة أنعم مولانا السلطان عزّ نصره على نجله الشريف أمير أحمد بن مولانا السلطان بإمرةٍ ،ولبس من المدرسة وشقّ القاهرة بشربوش العادة وخلعة كنجىّ مصمت العادة وسنجق وثلاثة أجمال ، ولبس الأمير سيف الدين ألماس أمير حاجب أطلس كامل ، الأمير علاء الدين أيدغمش مثله ، الأمير سيف الدين آقول طرد كاملٍ ، الأمير بدر الدين بن مسعود بن خطير مثله . الأمير سيف الدين تمر الموسوىّ مثله ، عزّ الدين دقماق مثله . أمير علم مثله ، علاء الدين الدوادار مثله ، ابن عيّاش كنجىّ أحمر ، شهاب الدين صاروجا كنجىّ أحمر تمام ، السنجقداريّة بغلطاق ، الوشاقىّ بغلطاق ، علىّ الدمشقىّ بغلطاق ، خضر بن شاملك بغلطاق

(١٤) مصمت : لعله مسمط (٢١) شاملك : كذا فى الأصل ولعل صوابه « شاه ملك »

فلمّا كان يوم الثلاثا سابع عشرين ذى الحجّة نزل مولانا السلطان عزّ نصره إلى الميدان الذى تحت القلعة المنصورة ، وسفّر ولده المشار إليه الأمير شهاب الدين أمير أحمد إلى الكرك المحروس ، وصحبته الأمير سيف الدين أرم بغا أمير جاندار . وخرج بطلبه وجنايبه ، وخرج فى خدمته لتوديعه الأمير سيف الدين بكتمر الساقى . وولده أمير أحمد ، والأمير سيف الدين ألماس الحاجب ، وآقول المحمدىّ ، والأمير بدر الدين أمير مسعود ، وعزّ الدين أيدمر دقماق . وشهاب الدين صاروجا

وفيها يوم السبت خامس عشر رمضان حُمل مهر النجل الشريف السلطانىّ آنوك بن خوند طغاى إلى بيت المقرّ السيفىّ بكتمر الساقى على ثلاثة بغال ، الأوّل صندوقين ضمنها خمسة آلاف دينار ، وبغلين قماش ، وثلاثة أروس خيل فحل ، وحجرتين بسروج ذهبٍ ، وخمسة مماليك على يد كلّ مملوكٍ بقجة . وأخلع الأمير سيف الدين بكتمر عليهم من الخلع : الأمير علاء الدين أيدغمش أمير آخور أطلس كامل بحياصةٍ مجوهرةٍ ، الأمير سيف الدين طقتمر الخازن مثله . شمس الدين موسى بن التاج إسحق أبيض كنجىّ كامل ، قاسم السيروان ملوّن كامل ، الوشاقيّة خلعة ، غلمان الخزانة كذلك

وفى هذه السنة كان بالديار المصريّة وباء يسير ، وتوفّى جماعة من الأمرا الكبار ، وهم : الأمير سيف الدين قجليس أمير سلاح ، والأمير سيف الدين منكلى بغا السلحدار . والأمير سيف الدين طرجى أمير مجلس ، والأمير حسام الدين لاجين الزيرباج ، وشهاب الدين بن سنقر الأشقر . ووردت الأخبار بوفاة الأمير سيف الدين أرغون بحلب . رحمهم الله تعالى

---

(٩) طغاى : بالهامش

وعوّضهم الجنّة . وتوجّه إلى حلب الأمير علاء الدين ألطنبغا الحاجب على ماكان عليه من النيابة بها

وفيها توفّى شهاب الدين بن المهمندار ، والمستقرّ عوضه عزّ الدين أيدمر دقماق فى نقابة الجيوش المنصورة حسبما تقدّم

وفيها زاد النيل المبارك فى يومٍ واحدٍ ستّةً وثلاثين إصبعاً ، ووافى ستّة عشر ذراعاً فى رابع وعشرين ذى القعدة موافقاً للعشرين من شهر مسرى ، وكُسر فى ذلك النهار

ذكر سنة اثنتين وثلاثين وسبع ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم . مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وتسعة أصابع

ما لخص من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر سلطان الإسلام ، زاد الله به ابتهاج الأيّام ، كما غمر بإحسانه كافّة الأنام ، والنوّاب بمصر والشام ، حسبما تقدّم من الكلام

وفيها فى العشر الأوّل من شهر المحرّم توفّى الأمير علاء الدين الجمالىّ الوزير ، والمستقلّ بالأمور ابن هلال الدولة . وقد غلب على جميع مناصب الدولة ما لا وصلت إليه الوزرا الكبار ، وقد خُلى له الوقت ، لا نايب يخشاه ، ولا وزير يتوقّاه ، ولم يكن له تسلّط إلاّ على صعلوك ، يكون بيده سبب

---

(١٢) أبو : ابى (١٩) صعلوك : سعلوك

يسير يقوم به أوده ، فلا يزال متسلّطاً عليه حتى يسلبه ما معـــه . وأمّا الأغنيا من الناس فيوقّر جانبهم لثلاثة وجوه : إمّا أن يكون ذلك الغنيّ له جاه فلا يتعرّض له لجاهه ، وإمّا يكون مطّلعاً على خيانته فيخشاه ، وإمّا يصانعه بماله ، فلا يتعرّض له ويساعده على أغراضه . وأمّا مَن لا يقدر على واحدة من الثلاث فلا يبرح يحطّ عليه إلى أن يتركه على الأرض البيضا ، حتى أخذه الله تعالى أخذ عزيزٍ مقتدرٍ

وفيها ثانى صفر كُتب كتاب النجل الشريف الطاهر السلطانيّ — وهو المقرّ الأشرف السيفيّ آنوك بن مولانا السلطان ، عضده الله به وبذرّيّته الطاهرة — على بنت المقرّ السيفيّ بكتمر الساقى . وكان ذلك بالقصر الأبلق بحضور الأربعة أيمّة . وفُرّق السكريج على الموالى الأمرا . فلمّا كان نهار الاثنين ثالث وعشرين صفر ركب المقرّ السيفيّ آنوك وخرج من باب السرّ من جهة القرافة ، والأمرا والمقدّمين فى خدمته . ووصل إلى سوق الخيل إلى تحت الشباك ونزل وباس الأرض ، وعليه خلعة أطلس أحمر بطرز زركش وشربوش مزركش . وطلع من باب السرّ الذى بالإصطبل المعمور ، ونُثر عليه الذهب والفضّة ، وأُنعم عليه بإمرةماية فارس وتقدمة ألف . ولبس ذلك اليوم من الأمرا : الأمير سيف الدين ألماس الحاجب أطلس تمام بحياصة مجوهرة ، الأحمدىّ أمير جاندار مثله . الأمير علاء الدين أيدغمش أمير آخور مثله . آقول طرد كامل ، الأمير بدر الدين أمير مسعود مثله ، عزّ الدين دقماق كذلك ، جارباش أمير علم كذلك ، شهاب الدين صاروجا ملوّن كامل

---

(٣) مطلعا : مطلع (٨) آنوك : انك (١١) آنوك : انك

وفيها فى يوم السبت سادس ربيع الأوّل حضر رسول الملك أبى سعيد ، وهو الحاجّ أحمد وصحبته من الهدايا : بخاتى نياق ثمانى قطر ، خيول عشرة ، مماليك عشرة ، جوارى مغانى اثنتين ، دبابيس أربعة ، بتمج قماش عشر ، طير ذهب ، أنعم به مولانا السلطان على الحاجّ أحمد الرسول ، وفى يوم الاثنين استحضره مولانا السلطان وأخلع عليه أطلس كامل وحياصة ذهبٍ ، وعلى رفيقه ملوّن ، وركّبه فحلاً أحمر بسرج ذهب خرج ، وعلى ولده كنجىّ كامل وحياصة ذهبٍ . وبقيّتهم خلع ملوّنة . وفى يوم الاثنين سافر الحاجّ أحمد الرسول متوجّهاً إلى بلاده ، وأعطى الفقرا والحرافيش ذهباً جيّداً ودراهم

وفيها توفّى القاضى فخر الدين ناظر الجيوش المنصورة ، رحمه الله تعالى . وكان فيه برّ وصدقة ومعروف . وإيثار للفقرا والمساكين من أرباب البيوت المستحقّين . ولقد حكى لى وكيله نجم الدين أن كان راتبه فى كل شهرٍ صدقة أربعة آلاف درهم نقرةٍ ، خارجاً عمّا يحدث وما يتصدّق به من يده ، والذى اتّصل إليه القاضى فخر الدين من الحرمة والهيبة والنهضة والكفاية ما اتّصل إليه أحد قبله ولا بعده . وكان له عند مولانا السلطان عزّ نصره المنزلة الرفيعة حتى لا كان يخرج عن رأيه لـما رأى فيه من البركة . ولقد حجّ القاضى فخر الدين فى سنة تسع وعشرين . وحضرت إلى الأبواب الشريفة جماعة كبيرة من أمرا العربان من آل فضل وآل مرى وغيرهم فى غيبة القاضى فخر الدين ، وعادوا يثقلوا على المواقف الشريفة فى كثرة السؤال ولجاجة الطلب حتى تبرّم منهم ، وقال : لقد أتعبنا القاضى فخر الدين

---

(١) أبى : ابو (٦) ملون : بالهامش ‖ فحلا : فحل (٩) ذهباً جيداً : ذهب جيد
(١٤) والنهضة : والنهظه

بغيبته ، وما كان لهؤلاء أحد مثله . فإنّه كان له سطوة عظيمة على ساير الناس . — وعلى الجملة إنّه ما عاد الزمان يخلفه ، فالله تعالى يعوّضه الجنّة

ثمّ إنّ مولانا السلطان خلّد الله ملكه راعَى خدمته فى ذرّيّته ولم يغيّر عليهما فى مناصبهما مغيّراً ، بل زادهما على ما كانا عليه فى حياة أبيهما . واستقرّ بشمس الدين محمد بن عبد الله بن القاضى فخر الدين صاحب ديوان الجيوش المنصورة ، وكاتب المماليك السلطانيّة على ما كان عليه فى حياة جدّه . واستقرّ بشهاب الدين أحمد بن القاضى فخر الدين فى كتابة الجيوش المنصورة على ما كان عليه أيضاً فى حياة أبيه . وعاد نصره الله يشفق عليهما ويلطف بهما كأبيهما وأعظم . وهذه عوايد صدقاته العميمة على ساير أيتام مماليكه وخدّامين أبوابه الشريفة . وهذا أمر لا يُعهد من ملكٍ غيره ، أيّده الله وأدام أيّامه ، ومكّن من رقاب أعداه مضارب حسامه بمحمد وآله . وخلّف القاضى فخر الدين من الأموال ما يضيق الحصر عن جملته ، وأُنعم بجميع ذلك على بنيه . وكانت وفاته رحمه الله يوم الأحد خامس عشر شهر رجب من هذه السنة . ولقد حُرّرت مدّة خدمته بالأبواب الشريفة فى كتابة المماليك السلطانيّة وصحابة الديوان بالجيوش المنصورة واستقلاله بالنظر ، إلى حين وفاته فى هذا التأريخ ، فكان سبع وثلاثين سنة ، منها استقلالاً بالأمر اثنتين وعشرين سنة وثلاثة شهور وخمسة أيّام . وتولّى مكانه القاضى شمس الدين موسى بن القاضى تاج الدين إسحق ، وكان مباشراً فى نظر الخاصّ الشريف مكان أبيه . استقلّ بذلك بعد وفاة أبيه القاضى تاج الدين رحمه الله

---

(٤) مغيراً : مغير (٦) وكاتب المماليك السلطانية : بالهامش

نكتة : قلت ، وممّا أحكيه بالمشاهدة والسماع : لمّا كان القاضى تاج الدين إسحق مستوفياً بالأبواب الشريفة كان القاضى علاء الدين بن الأثير صاحب ديوان الإنشا ، وحصل له أيضاً من صدقات مولانا السلطان ما كان يقارب به القاضى فخر الدين فى قرب المنزلة ، أو ما يساويه . فطلبنى يوماً القاضى تاج الدين إسحق إلى ديوانه ، وهو يومئذٍ مستوفى ، وقال : أشتهى من إحسانك تتصدّق إلى عندى البيت ، فلى ضرورة بالاجتماع بخدمتك . — فحضرت إلى خدمته بداره بمصر . فتفضّل وأحضر شيئاً كثيراً . ثمّ قال : المسئول من تفضّلك تخاطب القاضى علاء الدين أن يتصدّق على مملوكه موسى يكون فى خدمته فى ديوان الإنشا أسوة الجماعة . — وكان بالديوان فى ذلك الوقت أولاد الصاحب أمين الدين أمين الملك بن الغنام ، وكان من قبَلهم أيضاً ومعهم ابن أبى شاكر بن التاج سعيد الدولة وغيره من أولاد القبط . فقلت : السمع والطاعة ، القاضى علاء الدين ما يبخل على مولانا بذلك . — فقال للمملوك : يا سيف الدين ، أنت رجل عاقل وأُحدّثك بشىءٍ احفظه عنّى . — قلت : نعم : يا مولانا . — قال : هذا موسى فى طالعه أنّه إذا وصل اثنتين وعشرين سنة يكون له شأن من الشأن . — ثمّ يصل إلى ما لا وصل إليه أحد من أبناء جنسه . أعنى من أقاربه . ثمّ يقع فى شدّةٍ عظيمةٍ ويقيم مدةً ، ثمّ يخلص ، — وبكى . ثمّ سكت ساعةً ، فقلت : يا مولانا ، الله يقرّ عينك به ويعضّدك بحياته ! — هذا سماعى منه ، رحمه الله . ثمّ أحكيت ذلك للقاضى علاء الدين . فتبسّم وقال : هؤلاء القبط مربوطين على أحكام المواليد . — ثمّ كان من موسى ما كان ، ووصل

---

(٢) مستوفياً : مستوفى (٤) يوماً : يوم (٧) شيئاً كثيراً : شى كثير

(١١) بن : بن ابن (١٣) للمملوك : للملوك

إلى منزلة القاضى فخر الدين بنظر ديوان الجيوش المنصورة . فأقام شهراً واحداً ، وقُبض عليه وعلى أخيه علم الدين ناظر الدولة يوم الخميس سابع عشر شعبان المكرّم ، وتولّى عوضه القاضى مكين الدين بن قروينة . وكان المذكور فى أوّل أمره كاتب الأمير ركن الدين بيبرس الباجىّ لمّا كان متولّى القاهرة أيّام البرجيّة . ثمّ خدم فى ديوان الاستيفا مستوفى الشرقيّة . ثمّ تنقّلت به الأحوال حتى خدم ناظر الدولة . ثمّ عُزل وصودر . ثمّ خدم مستوفى الصحبة الشريفة ، فلم يزل حتى قُبض على موسى بن تاج الدين إسحق ، فاستقرّ بديوان الجيوش المنصورة ناظراً ، وابن أخيه الشمس ناظر الدولة برفقة شهاب الدين بن الأقفاصىّ ، واستقرّ الأمر كذلك

وأمّا أولاد التاج إسحق فإنّهما صودرا مصادرةً صعبةً وضُربا وأُسقيا الخلّ والجير . وحُمل من جهتهما ما جملته ثلاثة وأربعين ألف دينار عينٍ مصريّةٍ حملاً إلى بيت المال المعمور ، خارجاً عن التوابل وفرط المبيوع . وولى نظر الخاصّ الشريف القاضى شرف الدين النشو ، وكان المذكور لمّا أعرض مولانا السلطان عزّ نصره الكتّاب جميعهم مستخدمين الأمرا وغيرهم ، كان هذا يخدم فى ديوان الأمير علاء الدين أيدغمش أمير آخور . فلحظته السعادة السلطانيّة التى لو لحظت الصخر لأينع وأزهر وأثمر ، أو الليل الداجى أواخر الشهر لأقمر ، فاستخدم مستوفياً . ثمّ انتقل إلى نظر الخاصّ الشريف إلى آخر وقتٍ

وفيها توفّى الملك عماد الدين إسمعيل صاحب حماة ، رحمه الله تعالى . وحضر ولده ناصر الدين محمد بن الملك عماد الدين ، وحصل له من الجبر

(١ – ٢) شهراً واحداً : شهر واحد (١٦– ١٧) التى . . . لأقمر : بالهامش

والصدقة ما هو فوق ما كان فى أمله . ثمّ شملته الصدقات الشريفة بتوليته مملكة حماة مكان أبيه وعلى جارى عادته ومستقرّ قاعدته . وركب من المدرسة المنصوريّة يوم الخميس ثانى شهر ربيع الآخر كعادة ما كان الملك عماد الدين . ولبس خلعة أطلس تمام وثلاث عصايب وفرش برقىّ وسنجق خليفتىّ ، ومشى خلفه الجمداريّة العادة ، وأخلع على الأمرا : الأمير سيف الدين ألماس أطلس تمام ، والأمير ركن الدين الأحمدىّ مثله ، والأمير علاء الدين أيدغمش مثله ، الأمير سيف الدين طقجى أمير سلاح مثله ، الأمير سيف الدين ألجاى الدوادار مثله ، الأمير سيف الدين تمر الجمدار مثله ، شجاع الدين عنبر المقدّم طرد كامل ، آقول مثله ، الأمير بدر الدين أمير مسعود كذلك ، شهاب الدين صاروجا كنجىّ ، عزّ الدين أيدمر دقماق طرد كامل ، جراباش أمير علم مثله ، سنقر الخازن مثله ، علاء الدين السعيدىّ أمير آخور كذلك ، لاجين الناصرىّ مصمت أزرق ، بكتاش النقيب كنجىّ أزرق ، قاشى النقيب قرضيّة : أزبك الفاخرىّ مثله ، قيران السلاّرىّ كنجىّ ، علىّ الدمشقى الجاويش بغلطاق ، المهتار عمر نقش ، محمد بن عبّاس كنجىّ أحمر ، الجمداريّة أربعة عشر طرد ، جمداريّة البقج ثلاثة طرد . الوشاقىّ مصمت ، السنجقدار مثله . وفى يوم السبت رابع ربيع الآخر عدّى مولانا السلطان عزّ نصره إلى برّ الجيزة بالأهرام ، وصاحب حماة لابس الخلعة فى الخدمة . ورجع يوم الثلاثا سابع ربيع الآخر ونزل بدار الأمير سيف الدين طقزتمر على البركة ، فإنّه فى الأصل مملوكهم . وقدم لمولانا السلطان فوصل بحسن عقله ودينه وخدمته إلى ما وصل ، أحسن الله إليه فى الدنيا والآخرة ، فإنّه مستحقّ لذلك . وسافر صاحب حماة الملك

---

(١٠) كذلك : كرلك (١٢) مصمت : كذا فى الأصل ، ولعل صوابه « مسمط »

(١٤) المهتار : المهتدار

ناصر الدين محمد بن الملك عماد الدين إسمعيل إلى بلاده ، يوم الأربعا ثامن ربيع الآخر ، ووصل إلى حماة ملكاً مستقلاً

وفيها توجّه الركاب الشريف السلطانىّ عزّ نصره إلى الحجاز الشريف وهى الحجّة الثالثة . وكان خروجه من الديار المصريّة يوم الخميس خامس عشر شهر شوّال وصحبته الآدُر العالية . وفى ركابه الشريف من الموالى الأمرا من يُذكر وهم : الأمير عزّ الدين أيدمر الخطيرىّ ، الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا ، الأمير سيف الدين الملك الجوكندار ، الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدىّ أمير جاندار ، الأمير سيف الدين بهادر المعزّىّ ، الأمير علم الدين سنجر الجاولى ، الأمير سيف الدين بكتمر الساقى ، الأمير سيف الدين طقز دمر ، الأمير علاء الدين أيدغمش أمير آخور ، الأمير سيف الدين قوصون ، الأمير سيف الدين صوصون ، الأمير سيف الدين بشتاك ، الأمير سيف الدين بهادر الناصرىّ ، الأمير سيف الدين طاير بغا ، الأمير سيف الدين طغاى تمر ، الأمير سيف الدين طغجى أمير سلاح ، الأمير سيف الدين أروم بغا أمير جاندار ، هؤلاء من المقدّمين الألوف الكبار . وأمّا الطبلخانات فهم : شهاب الدين أحمد بن بكتمر الساقى ، جركتمر بن بهادر ، طيدمر الساقى ، آقبغا الجاشنكير ، طقتمر الخازن ، طوغان الساقى ، بيبرس الجمــدار ، ملك ، بيبغا الشمسىّ ، بيغرا رأس نوبة ، قارىّ ، تمر الموسوىّ ، بيدمر البدرىّ ، طقبغا ، أيتمش الساقى ، أياز الساقى ، أنص السلحدار ، طيبغا المحمدىّ ، طيبغا المجدىّ ، جريك المهمندار ، قطز أمير آخور ، بيدر الجمدار ، أينبك ، أيدمر العمرىّ ، يحيى بن طايربغا ، نوروز ، كجك السيفىّ ، ياياق السلحدار ، أياق الجمدار ، أرس بغا ،

---

(١٥) الطبلخانات : الطبلخات (٢٠) أمير آخور : بالهامش

قطلقتمر السلحدار ، برلغىّ ، بكجا ، ساطلمش الجلالىّ ، بغاتمر ، محمد ابن جنكلى ، علىّ بن أيدغمش ، أولاجا ، آقسنقر ، قرا السيفىّ ، تمربغا العقيلىّ ، قمارى الحسنىّ ، علىّ بن الخطيرى . ومن أرباب الوظايف بالأبواب العالية : الحسنىّ أمير جاندار ، أمير مسعود بن خطير الحاجب ، وعزّ الدين دقماق أمير النقبا ، وصلاح الدين يوسف الدوادار ، بحكم أنّه كان توفّى الأمير سيف الدين ألجاى الدوادار رحمه الله فى هذه السنة ، قبل توجّه الركاب الشريف إلى الحجاز ، واستقرّ عوضه صلاح الدين المذكور المعروف بدوادار قبجق ، والذى توجّه صحبة الطلب السلطانىّ إلى الكرك المحروس طقتمر اليوسفىّ . وأمّا العشراوات المسافرون فى الركاب الشريف فهم : علىّ بن السعيدىّ أمير آخور ، وشهاب الدين صاروجا النقيب . آقسنقر الرومىّ ، أياجى الساقى ، سنقر الخازن ، قرلغ الساقى ، أحمد بن جنكلى ، أرغون العلائىّ ، أرغون الإسماعيلىّ ، بكا ، طغنجق ، محمد بن الخطيرىّ ، أحمد ابن أيدغمش ، طشبغا ، قلنجى . ومن نقبا المماليك خمسة نفر وهم : مقبل أيبك الحكيمىّ ، بكتوت الشيرازىّ ، سنقر تازى ، خالد بن دقماق . ومن نقبا الحلقة المنصورة ثمانية نفر وهم : قيران السلاّرىّ . محمد أخو صاروجا ، محمد القرشىّ ، محمد المعظّمىّ ، صلاح البشرىّ ، كندغدى القجقارىّ ، قطز بن ساطلمش ، أرسلان . ومن الجاويشيّة نفرين وهما : علىّ الدمشقىّ ، وفتح . ومن الطبرداريّة عشرة نفر

وأمّا الأمرا المقيمون بالديار المصريّة حسبما قرّر عليهم من البسط لقدوم الركاب الشريف وهم : الأمير جمال الدين آقوش الأشرفىّ نايب الكرك

---

(٣) الوظايف : الوضايف (٥) وعز الدين دقماق أمير النقبا بالهامش (١٤) تازى : دازى

ما بقى ذراع ، الأمير سيف الدين ألماس الحاجب ماية سبعة وستّين ذراعاً ، طقطمر الساقى مثله ، إيتمش المحمدىّ مثله ، آقبغا عبد الواحد مثله . طرغاى الجاشنكير مثله . بهادر البدرىّ ماية ذراع ، كوكاى أحد وسبعين ذراعاً ، بيبرس الأوحدىّ أربعة وستّين ذراعاً ، طقصبا الظاهرىّ سبعة وسبعين ذراعاً ، أزبك الجرمكىّ سبعة وستّين ، خاص ترك ماية ذراع ، بجاص سبعة وستّين ، سنقر المرزوقىّ مثله ، آقول الحاجب مثله ، آقسنقر السلحدار أربعة وثمانين ، قياتمر ستّة وسبعين ، بيغنجار سبعة وستّين ، أيدمر العمرىّ مثله . أروج أربعة وثمانين ، سنجر الخازن مثله ، علىّ بن النغاى مثله ، آلبرس بن أمير جاندار مثله ، أيدمر الكبكىّ مثله ، أرلان مثله ، أران أحد وسبعين ، قطلوبغا الطويل مثله ، أطوجى سبعة وستّين ، منكلى الفخرىّ أربعة وثمانين ، بلبان الحسنىّ سبعة وستّين ، جركتمر الناصرىّ مثله ، نوروز أربعة وثمانين ، قراجا التركمانى سبعة وستّين ، أياجى أربعة وثمانين ، طقتمر الأحمدىّ مثله ، طقتمر الصلاحىّ سبعة وستّين . سكدساس مثله . أبو بكر بن النايب مثله ، طيبغا الهاشمىّ أربعة وثمانين ، باوور سبعة وستّين ، عمر بن النايب مثله ، لاجين أميرآخور مثله ، أحمد الناصرىّ مثله ، علبك مثله ، بلبان السنانىّ أربعة وسبعين ، ايدق والى القلعة سبعة وستّين . الحاجّ قطز مثله ، قرا أخو ألماس سبعة وستّين ، طوغان أحد وسبعين ، بيبرس الماردانىّ سبعة وستّين ، محمد بن الأحمدىّ ستّة وستّين ، محمد بن جمق مثله ، علىّ بن سلاّر مثله ، ألاكز مثله ، جوهر بن الملك مثله ، تكلان

(٤ — ٥) سبعة وسبعين ذراعاً : بالهامش (١٣) سكدساس : كذا فى الأصل
(١٤ — ١٥) سبعة وستين : بالهامش (١٨) محمد بن الأحمدى ستة وستين : بالهامش
(١٩) جمق (السلوك ج ٢ ص ٣٠٩) : حمق

مثله ، يوسف الجاكىّ مثله ، عنبر المقدّم مثله ، ماجار مثله ، قشتمر والى الغربيّة خمسين ، خليل أخو طقصبا أربعة وثمانين ، محمد بن المحسنىّ والى القاهرة سبعة وستّين ، قيغلى والى البهنسا خمسين ، بهادر بن قرمان سبعة وستّين ، أيدمر السيفىّ خمسين ، عمر بن طقصوا ستّة وستّين ، أياز الدواداریّ خمسين ، أيدمر العلائى خمسين ، مبارك والى البحيرة خمسين ، خضر الكمالىّ والى أسيوط خمسين

أمّا سبب ذكر هؤلاء الأمرا وهذا البسط فله فوايد ، الواحدة حفظ أسما هؤلاء الموالى فى هذه الدولة القاهرة فى هذا التأريخ ، والأخرى حفظ ما على كلّ إقطاعٍ من إقطاعاتهم من مقرّر البسط ليحتاج إليه فى وقتٍ آخر إنشا الله تعالى ، لطول حياة مولانا السلطان ، ودوام أيّامه ومعاودته إلى الحجاز الشريف عدّةً أخر غير هؤلاء الثلاث الماضين . فإنّ هذا البسط قُرِّر على العبر . فإذا احتيج إليه كُشف من هذا التأريخ ، وكلّ من يُنقل من الموالى الأمرا على هذه الإقطاعات عرف ما كان عليه فى هذا التأريخ . فلذلك أثبتناه هاهنا ، ولله الحمد والمنّة

وكان هذا المهمّ الشريف ما يعجز الناقل أن يصف بعض بعض ما كان فيه ، وقد ذكر أرباب التواريخ رحمة الله عليهم فى تواريخهم مَن اهتمّ فى حججه من الملوك السالفة ، فنقلوا أشيا شتّى . ولو أدركوا واللهِ هذه الدولة القاهرة ، وشاهدوا هذه السنّة المباركة وما اهتمّ فيها مولانا السلطان ، لصغُر عندهم ما استكبروه ، وهزل فى أعينهم ما استسمنوه . ولو شرعتُ أذكر بعض محاسن ما اقتُرح فى هـــذه السفرة المباركة من آلات الحجّ المبرور ، وما عُمل من آلات السفر مثل الأكوار المقترحة التى

ما رأى الراءون وما شاهدت العيون بأحسن من اقتراحات الموالى الأمرا لذلك . وأمّا ما استصحبوا من الهجن الطيّارة والبخاتىّ الحسان والجمال العباديّة ، عليها المحامل بالأغشية التى يحار البصر فى معاينتهم لِما فيهم من الحلىّ والحلل والذهب والفضّة ﴿ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَامِ ﴾ والعربات المقترحة والشقادف اليمنيّة ، وما على جميع ذلك من الحلىّ المرصّع بالجواهر الثمينة والفصوص القليلات المثال ، لكان شرحٌ يطول اختصاره ، ولا نصل إلى بعض بعض مقداره . وكذلك لو ذكرت بعض إنعامات مولانا السلطان عزّ نصره على جميع مَن ذكرنا من الموالى الأمرا المتوجّهين فى ركابه الشريف ، وما فرّق عليهم من الهجن والجمال والأكوار المزركشة والسلاسل الذهب والفضّة ، ومن جميع ما يحتاجون إليه فى الطرقات والمفاوز ، لكنت خرجتُ عن شرط الاختصار ، ولو أطلت فى ذلك لكان غايتى إلى الاقتصار . هذا ما ظهر لمثلى وأمثالى من الناس ، خارجاً عمّا لا نصل إلى علم حقيقته . وهذا ملك قد خصّه الله تعالى بالنصر والتأييد ، وبلّغه جميع ما يقصد ويريد . لا زالت كتايب الرشد منصورة بعلوّ سعده ، ومقانب السعد ظافرة بسموّ مجده

وفى هذه الحجّة المباركة لعب الشيطان بعقول بعض مماليك مولانا السلطان. فلمّا كفروا هذه النعمة ، تبرّأ منهم حتى أوردهم موارد النقمة ، فهرب منهم جماعة ، ثمّ مُسكوا وأُحضروا ونفذ فيهم القضا ، ولم يغنهم تسحّبهم فى فسيح الفضا

وفى عودة الركاب الشريف توفّى الأمير سيف الدين بكتمر الساقى وولده أمير أحمد ، رحمهما الله تعالى

(١) رأى : رات (٣) معاينتهم : معاينهم (٤) السورة ٣ الآية ١٤ (٨) المتوجهين : المتوجهون (١١) إلى : الا (١٢) إلى : الا

وكان قد حضر رسل الملك أبى سعيد فى تاسع عشر شوّال ، وهو الشيخ إبراهيم بن سنقر الأشقر وصحبته خمسة نفر . وتوجّه صحبة الركاب الشريف إلى قصر سرياقوس . وأخلع عليه ، وتوجّه من هناك

ثمّ توجّه الركاب الشريف ، إلى الحجاز الشريف . وعاد مع سلامة الله وعونه ، مؤيّداً بالنصر والظفـــر ، على كلّ من طغى ولنعمته كفر

ذكر سنة ثلاث وثلاثين وسبعماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم

ما لخص من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أميرَ المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر سلطان الإسلام : دايم الأيّام ، نافذ الأحكام ، مالك رقاب الملوك الحكّام

والنوّاب بمصر والشام ، حسبما نذكر من الكلام : الأمير سيف الدين ألماس الحاجب إلى حين سُخط عليه ومُسك وأهلكه الله تعالى ، واستوْصلت جميع أمواله وذخايره ، حسبما يأتى من ذكر ذلك فى تأريخه إنشا الله تعالى . وقام بالأمر المقرّ البدرىّ أمير مسعود بن خطير أحسن قيام ، وكفّ أسباب المظالم عن ساير الأنام ، متّع الله بدوام أيّامه أيّام مولانا السلطان ، ما غرّدت الأطيار بألحانها على الأغصان . والمتفرّد بأمور الوزارة وساير أحوال الدولة ابن هلال الدولة فى هذه السنة إلى حين قُبض عليه فى السنة الآتية ، حسبما نذكر ذلك فى تأريخه ، إنشا الله تعالى

---

(١) أبى : ابو (١٠) أبو : ابى (١٤) واستوْصلت : واستاصلت

وفيها انتقل الأمير سيف الدين طينال من نيابة طرابلس إلى نيابة غزّة ، وعاد الأمير شهاب الدين قرطاى إلى طرابلس ، وباقى الأمرا النوّاب بحالهم

وفيها حضر رسول الملك أبى سعيد — وهو الحاجّ أحمد — يوم الجمعة ثالث عشر شهر ربيع الآخر. وكان الركاب الشريف على ناحية طنان فى الصيد المبارك ، فاستحضره هناك ، وقدّم هديّته ، وهى أكاديش ما مثلها ستّة ، مماليك ثمانية ، بخاتىّ قطارين ، فهود ثلاثة ، صندوق نشّاب فيه طومار حديد ، وجملة قماش عمل البلاد . فأخلع عليه أطلس كامل بكلوتة زركش وحياصة مجوهرة ، وولده كنجىّ كامل بحياصة ذهبٍ ، ورفاقه جميعهم ملوّن . وفى ذلك اليوم رحل الركاب الشريف مِن على طنان وعدّى من رملة منية السيرج ، ونزل الكوم الأحمر . ورجع الحاجّ أحمد الرسول إلى القاهرة ، ونزل دار الضيافة ، وسافر يوم الخميس عاشر جمادى الأولى

وفى يوم الاثنين سلخ الشهر حضر إلحاجّ طشتمر الرسول ، ونزل المهمنخاناه بالقلعة . وأخلع عليه طرد كامل وحياصة ذهبٍ ، ثم سافر

وفى يوم السبت عاشر ذى القعدة نزل الركاب إلى الميدان باللوق ، وكان ذلك أوّل ركوبه نصره الله فى ذلك العام

وفى يوم السبت مستهلّ ربيع الأول كان الابتدا فى هدم الأماكن التى قبال الجامع المعمور بذكر الله ، مثل خزاين بيت المال وخزاين السلاح والدور المجاورة لهما . وفى يوم الاثنين ثالث شعبان كان البدوّ فى هدم الإيوان

---

(٤) أبى : ابو (١٤) المهمنخاناه : المهمخاناه (١٩) ثالث شعبان : بالهامش

الأشرفى . واستمرّ الهدم والتراب إلى يوم السبت ثالث وعشرين ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وسبع ماية ، ورُسم بردم الجبّ الذى كان بالقلعة فرُدم

ذكر سنة أربع وثلاثين وسبع ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم . مبلغ الزيادة ستّة عشر ذراعاً وعشرين إصبعاً

ما لخص من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر سلطان الإسلام والمسلمين ، وقد ذلّت له رقاب المشركين ، وخضعت له الملوك الجبابرة من كلّ دين . والنوّاب بمصر والشام ، على ذلك النظام ، الذى ذكرناه فى ذلك العام

وقد كان السخط على ألماس الحاجب ، وقُبض عليه يوم الأربعا العشرين من شهر ذى الحجّة سنة ثلاث وثلاثين وسبع ماية ، واحتيط على بيته ، وحُملت أمواله ، ونزل فى حوطته ابن هلال الدولة . ولقد أُحصيت عدّة الحمّالين الذين على رءوسهم الأموال ، فكان عدّتهم أحداً وثمانين حمّالاً منهم خمسة وسبعين درهم نقرةٍ ، على رأس كلّ حمّال من الدراهم النقرة ثلاثين ألف درهم . فكان جملة ذلك ألفى ألف درهم وثلاث ماية ألف وتسعين ألف درهم . وبعدها ستّة حمّالين — طلعوا صحبة ابن هلال الدولة — ذهب عينٍ وزركش وغير ذلك . وكان هذا الرجل يقطع رءوس الأحيا

---

(٨) أبو : ابى (١٥) أحداً : احد (١٩) وزركش : وزراكش

والأموات ، ويحصّله من وجوه رديّة لا يمكن شرحها ، ويقنع بالقطعة اللحم المنتنة . وكان ظاهره مسلماً وباطنه بخلاف ذلك . وكان من الظلم والعسف والجور وعدم الإنصاف إلى أعلى نهاية . ومن جملة إسلامه الحسن أنّه وُجد فى إصطبله عدّة كبيرة من الخنازير ، وكذلك فى بلاده من إقطاعه يُربّوا ويُعتنى بأمرهم . وكان يبيعهم للتجّار الفرنج الواردين إلى الأبواب الشريفة بأغلى ثمنٍ . فلمّا بصّر الله تعالى المقام الشريف فى هذه الأحوال المنكرة ، أخذه أشدّ أخذٍ . وأراح المسلمين من جوره واعتماده . وقبض على بعض التراجمة الذى ذُكر عنه أنّه كان يسمسر له على بيع الخنازير للتجّار من الفرنج . فضربه ضرباً عظيماً حتى كاد يهلك . ثمّ أحاطت العلوم الشريفة أنّه كان مغصوباً على ذلك ، ولا كان يقدر على المخالفة ، فعفى عنه . . .

وأنعم مولانا السلطان عزّ نصره على المقرّ البدرىّ أمير مسعود بن خطير بمكانه . فعاد أمير حاجباً بإمرة ماية فارس وتقدمة ألف ، وأنعم الله تعالى على الإسلام بذلك . والحجّاب معه الأمير سيف الدين آقول المحمدىّ إلى حين انتقاله إلى دمشق المحروسة أمير حاجباً بها ، واستقرّ بالأبواب بقيّة هذه السنة المقرّ البدرىّ أمير مسعود أمير حاجباً ، أسبغ الله ظلّه ، والأمير سيف الدين جاريك حاجباً ، والأمير شرف الدين محمود أخو المقرّ البدرىّ أمير مسعود حاجباً ، والأمرا جانداريّة : الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدىّ ، والأمير سيف الدين أروم بغا ، والأمير سيف الدين بلبان الحسنى ،

---

(٢) مسلماً : مسلم (٣) أعلى : أغيا (١٠) فعفى عنه : بعد هاتين الكلمتين بياض لصفحة كاملة (١٥) أمير حاجباً : أمير حاجب

وفيها انفصل صلاح الدين يوسف دوادار قبجق من الدواداريّة ، وتوجّه إلى الشأم ، واستقرّ الأمير سيف الدين بغا ، والأمير سيف الدين طقتمر ، والأمير سيف الدين طاجار دواداريّة ، والمتحدّث فى أمور الوزارة بغير وزارة : ابن هلال الدولة إلى حين قُبض عليه فى شهر رجب . وأخذه الله بظلمه أخذ عزيز مقتدرٍ . وأخلع على الأمير سيف الدين ألاكز الناصرىّ متحدّثاً فى استخراج الأموال الديوانيّة . وأخلع على بدر الدين لؤلؤ الحلبىّ الذى كان قبل ذلك قد تحدّث فى دواوين حلب ، وأنعم عليه بشادّ دواوين حلب ، فقام فى ذلك أتمّ قيامٍ ، وحسّنه الله بالعين الشريفة السلطانيّة ، فأُحضر أوّلاً فى المصادرة . ثمّ أنعم عليه بالمباشرة فى استخلاص الأموال السلطانيّة بالأبواب العالية ، وأن يكون فى خدمة الأمير سيف الدين ألاكز الناصرىّ ، وتصدّق عليه بإمرة طبلخاناه ، وسُلّم إليهما ابن هلال الدولة وخالد المقدّم . وكان هذا خالد أيضاً أصله مقدّم بدار الولاية بالقاهرة . فتوصّل بتحيّل ابن هلال الدولة له حتى عاد مقدّم الدولة ، ومشى فيها أيشم مشىٍ ، وفعل من الفسق والنجس والتسلّط على الأموال والأنفس والثمرات ما لم يمكن شرحه ، وأنفق مع ابن هلال الدولة على كلّ نجسٍ

ولقد بلغنى ممّن أثق به أن كان نفقة هذا خالد فى بيته مرتّباً فى كلّ يومٍ ثلاث ماية درهم نقرةٍ ، وأنّ مقامه فى كلّ ليلةٍ ما يزيد عن الألف درهم ، أكثره من الناس مثل الضُمّان والمعاملين وغيرهم ، ولم تخلص منه مليحة بالديار المصريّة ، إلاّ مَن عصمها الله تعالى وصانها منه ، وأنّه كان ما يبخل على المليحة إذا سمع بها ، وتمنّعت منه أن يسيّر إليها الخمسين ديناراً مع قماشٍ بمثلها ، فتأتيه على كلّ حالٍ . وفعل من هذه القبايح ما يضيق هذا المجموع عن مجموع فعله . فربّما بُلّغت المسامع الشريفة بعض ذلك ،

فقبض عليه مع ابن هلال الدولة . وكذلك أقارب ابن هلال الدولة كانوا فى مشبهم أيشم مِن مشى خالد ، فمسكوا أيضاً

وقُبض على شخصٍ يسمّى بكتوت الصايغ ، كان مملوك حمى العبد مسطّر هذا التأريخ ، وكان له حديث طويل حتى التصق بابن هلال الدولة فى أيّام كريم الدين الكبير . فلمّا حصل ابن هلال الدولة على الخزانة السلطانيّة التى كانت خرجت مع كريم الدين حسبما ذكرنا ، أُودعت عند هذا بكتوت حتى انقطع خبرها ، ثمّ أُعطى منها نصيباً . وكذلك شخص يسمّى عبد الله البريدىّ ، أصله يُعرف بابن شديد السامرىّ ، فتوصّل حتّى عاد بريديًّا . ثمّ التصق ببهاء الدين أرسلان الدوادار . فلم يزل يسعى فى الأرض فساداً حتى توفّى الأمير بهاء الدين . ثمّ التصق بكريم الدين الكبير ، فلم يزل يسعى كذلك حتى توفّى كريم الدين . ثمّ التصق بالقاضى علاء الدين ، فلم يزل كذلك حتى توفّى علاء الدين . ثمّ التصق بالتاج إسحق ، فلم يزل ذلك دأبه حتى توفّى تاج الدين . كلّ ذلك بكعبه المبارك على مَن يلتصق به . ثمّ إنّه كان مع ابن هلال الدولة لمّا أخذ الخزانة السلطانيّة ، وأخذ نصيبه منها ، وتحيّل بمكره المنكر السامرىّ . ولم يُتعرّض إليه لمّا مُسك ابن هلال الدولة ، بحيلة يعجز عنها أبو محمد البطّال . وذلك أنّه كان بلغ المسامعَ الشريفة السلطانيّة خبر هذه الخزانة ، وكيف حصل عليها ابن هلال الدولة من قبل مسكه بسنةٍ كاملةٍ

وتحقّق ابن هلال الدولة أنّه معطوب ، فاتّفق مع هذا عبد الله البريدىّ ، وقال : تحيّل فى صلتك بالقاضى شرف الدين النشو ناظر الخاصّ

---

(٣) حمى : حموا (٧) يسمى : مكرر فى الأصل (٨) بريديًّا : بريدى (٩) أرسلان : وسلان

الشريف ، واجعل أنّك عدوّى وحُطّ علينا ، وأطلِعه على جميع مالى فى الظاهر مثل أملاك وغلال وخيول ومواشى ، الأشـيا التى لا يمكن إخفاؤها ، فتحصل لك بذلك السلامة ، وتكون واقفاً لنا ومقاتلاً معنا فى الباطن ، والظاهر أنّك متنصّح . فيقال « لو كان ثـمّ أموال باطنة كان هذا أطلعنا عليها » فيحصل لنا ولك الغرض . — فخلص بهذه الحيلة التى أدقّ من ذباب السيف ، وتوفّر جانب ابن هلال الدولة من عسف المستخرج . ولم يورد إلاّ ما كان له ظاهراً لا يمكن إخفايه . فكان جميع ما حُمل من جهته إلى آخر شهر صفر سنة خمس وثلاثين وسبع مائة ، ثلاث مائة ألف درهم أو تزيد قايلاً . وأمّا بكتوت الـ[ـصـ]ـايغ فأُبيع له ستّة وثلاثين ملكاً ، تشهد كتبهم بأربع مائة ألف وثمانين ألف درهم ، فأُبيعت بمائة ألف درهم وعشرين ألف درهم ، وكذلك فصوص ولؤلؤ ومصاغات لهم قيمة كبيرة . قال بكتوت : إن حسب ما عدمه فكان ثمانى مائة ألف درهم ، صحّ الحمل منها على مائتى ألف درهم ، والباقى راح توابل وفرط مبيوع . — وهذا شىء لم يُسمع بمثله . وتخلّص بعد ذلك بكتوت . واستقرّ ابن هلال الدولة وأقاربه وخالد المقدّم متعافين إلى هذا التاريخ ، والله أعلم بما يكون من أمرهم

وفيها توفّى عزّ الدين دقماق نقيب الجيوش المنصورة سادس شهر رجب الفرد . وأنعم على الأمير شهاب الدين صاروجا الفاخرىّ بإمرة نقابة الجيوش عوضاً عن عزّ الدين دقماق ، لمّا أخذه الله تعالى بعلمه فيه فى ثلاثة أيّام

وفيها توفّى جمال الدين يوسف أمير طبر ، رحمه الله

(٣) واقفاً : واقف ‖ ومقاتلا : ومقاتل (١١) وعشرين : وعشرون

وفى يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأوّل من هذه السنة المذكورة أُنعم على الأمير جمال الدين آقوش نايب الكرك بنيابة طرابلس ، عوضاً عن الأمير شهاب الدين قرطاى بحكم وفاته إلى رحمة الله تعالى ، واستقرّ كذلك . وكان المقام الشريف السلطانىّ لا عاد يقوم لأحدٍ من الأمرا فى المجلس إلاّ له . فلمّا توجّه المشار إليه إلى الشأم لم يقوم مولانا السلطان بعده لأحدٍ غيره

وفيها عُزل محمد بن المحسنىّ عن ولاية القاهرة ثانى يوم فى شعبان . وتولّى علاء الدين أيدكين الأزكشىّ البريدىّ مملوك الأمير بدر الدين محمد ابن الأزكشىّ نايب الرحبة كان المقدّم ذكره

وفيها بلغ المسامع الشريفة سوء اعتماد الولاة فى حقّ الرعيّة . فعُزل الجميع وصودروا وعُوّضوا بمن وقع الاختيار عليه . ونُفى من الولاة المعزولين بعد المصادرة ثلاثة نفر إلى الشأم وهم : عزّ الدين أيدمر الذى كان والى الولاة بالوجه البحرىّ ، وسيف الدين طوغان الشمسىّ الذى كان والى الأشمونين ، وسيف الدين قرشىّ الذى كان والى بلبيس . ومات من الولاة تحت العقوبة أياز الدواداريّ مملوك الواند وبه عُرف . وتخلّص الباقى بعد جهدٍ جهيدٍ ، كلّ ذلك لحسن نظر المقام الشريف السلطانىّ فى حقوق رعيّته ، لا زال ملكها وراعيها ، والله تعالى يشكر له نيّته الشريفة ويعظم له أجر مساعيها

وفى يوم الجمعة ثالث شهر شعبان فى جامع القلعة المحروسة ، والناس مجتمعون للصلاة وثب إنسان صفة عجمىّ ، وفى يده سكّين ، وقصد المقصورة السلطانيّة . فمُسك فى وقته ، وعُذّب بأنواع العذاب ، فلم يقرّ

بشى . فوُسّط وعلّق على باب زويلة . قلت : والله لو لم يكن لمولانا السلطان مِن مماليكه من يحرسه ويكلؤه ، لكان له من يحفظه ويرعاه ، من ملايكة الله بأمر الله ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ ٱللهِ ﴾

وفيها كان قدوم الأمير حسام الدين مهنّا بن عيسى مذعناً بالطاعة ، دايساً لبساط العدل ، فسبحان من أذلّ لمولانا السلطان رقاب الأمم ، من ملوك العرب والعجم . وكان وصوله إلى الأبواب الشريفة يوم الأحد أذان العصر ، العشرين من شهر ذى الحجّة سنة أربع وثلاثين وسبع ماية . وتوجّه مع سلامة الله ورضى الخواطر الشريفة عليه ، يوم الخميس عشيّة النهار الرابع والعشرين من ذى الحجّة المذكور ، وسنذكر بعد ذلك ما كان من إحسان مولانا السلطان إليه وصدقته عليه

ذكر سنة خمس وثلاثين وسبع ماية

النيل المبارك فى هذه السنة : الماء القديم . مبلغ الزيادة : ثمانية عشر ذراعاً وأحد عشر إصبعاً ، وانتهت الزيادة فى سنة ستّ وثلاثين وسبع ماية

ما لخص من الحوادث

الخليفة : الإمام المستكفى بالله أبو الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ومولانا السلطان الأعظم : الملك الناصر سلطان الإسلام . أدام الله أيّامه إلى آخر الأبد ، وعمّره فى الدنيا كعمرى لبيد ولُبَد

---

(٢) يكلؤه : يكلاه (٣ – ٤) السورة ١٣ الآية ١١ (٥ – ١١) وفيها . . . عليه : بالهامش (١٤) وانتهت . . . وسبع ماية : بالهامش (١٦) أبو : ابى

وأمير حاجب : الأمير بدر الدين أمير مسعود بن خطير ، أحسن الله
إليه ، وزاد فى إحسانه عليه ، وأخوه الأمير شرف الدين محمود حاجباً ،
٣ والأمير سيف الدين جاريك أيضاً ، وأمير النقبا : الأمير شهاب الدين
صاروجا ، والمتحدّث فى أمور الوزارة فى استخراج الأموال الديوانيّة :
الأمير سيف الدين ألاكز الناصرىّ ، وبدر الدين لؤلؤ بين يديه ، والأمير
٦ ركن الدين الأحمدىّ أمير جانداراً ، وكذلك الأمير سيف الدين أرم بغا ؛
والأمير سيف الدين بلبان الحسنىّ ، والأمير سيف الدين آقبغا عبد الواحد
أستاداراً ، وقد أُضيف إليه تقدمة المماليك السلطانيّة ، كرّمهم الله تعالى ،
٩ بحكم انفصال الطواشى عنبر السحرتى ، والناظر بالديوان المنصورىّ
بالجيوش المنصورة : القاضى مكين الدين بن قروينة

والنوّاب بالشأم : الأمير سيف الدين تنكز ملك الأمرا بدمشق
١٢ المحروسة ، وكان قد حضر إلى الأبواب العالية فى السنة الخالية ، يوم الخميس
ثامن عشر جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وسبع مائة . وطلع إلى القلعة
المحروسة والأمرا فى الموكب ، ودخل إلى بين يدى المواقف الشريفة قبل
١٥ دخول الأمرا . وأُخلع عليه فى ساعته أطلس تمام بطرز زركش ، وكلوتة
زركش ، وشاش خليفتىّ بأطراف زركش ، وحياصة ذهبٍ بثلاث
بيكاريات جوهر . وبعد الخدمة رُتّبت فى خدمته النقبا ، ودخل إلى
١٨ الآدُر الشريفة ابنته خوند ، أصان الله حجابها ، وحصل له من الفرح والسرور
ما لا يقع عليه قياس ، لصلتها بالمقام الشريف السلطانىّ عزّ نصره . ولم يزل
فى أنعم عيشٍ وأرغده ، وأهناه وأسعده ، حتى توجّه مع سلامة الله وعونه

---

(١٢) بعد الكلمة « الخالية » يوجد فى المخطوطة « يوم الأربعا تاسع شهر رجب »
مع ملاحظة وجود عدة خطوط فوق الكلمات المذكورة

إلى محلّ نيابته ، وذلك يوم الخميس ثالث شهر رجب الفرد سنة أربع وثلاثين وسبع ماية بعد الخوان . وخرج لتوديعه الأمير سيف الدين قوصون وجاريك الحاجب ، والمقرّ البدرىّ أمير مسعود ، وعزّ الدين دقماق . وكان مدّة الإقامة أربعة عشر يوماً

وأمّا بقيّة النوّاب : فالأمير علاء الدين ألطنبغا بحلب ، والأمير جمال الدين آقوش نايب الكرك بطرابلس ، والأمير سيف الدين الحاجّ أرقطاى بصفد ، والأمير سيف الدين طينال بغزّة

والملوك بالأقطار : مكّة شرّفها الله تعالى : صاحبها الأميرين رميثة وعطيفة ، وصاحب المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام : كبيش ابن منصور بن جمّاز بن شيحة ، وصاحب اليمن : الملك المجاهد علاء الدين بن الملك المؤيّد هزبر الدين داود ، وصاحب ماردين : الملك الصالح شمس الدين بن الملك المنصور بن الملك المظفّر ، وصاحب حماة : الملك ناصر الدين محمد بن الملك عماد الدين إسماعيل بن الأفضل نور الدين علىّ ، وصاحب العراقين إلى خراسان : الملك أبو سعيد ، ورسله فى كلّ وقتٍ واردة إلى الأبواب العالية حسبما ذكرناه ، وصحبتهم الهدايا والتحف من كلّ فنٍّ حسنٍ ، وصاحب بلاد بركة : الملك أزبك ، ورسله فى كلّ وقتٍ واصلة إلى الأبواب العالية بالهدايا والتحف والجوارى والمماليك وغير ذلك ، تقرّباً إلى الخواطر الشريفة السلطانيّة . وبقيّة ملوك التتار حسبما تقدّم من ذكرهم وأسماهم فى السنين المتقدّمة

وفى أوّل هذه السنة سخط مولانا السلطان على الدواوين وأمر بمسكهم ومصادرتهم . فمسكوا وصودروا وعوقبوا بأنواع العذاب ، والحمل وارد

(١ — ٢) سنة . . . وسبع ماية : بالهامش (١٧) والجوارى : والجوار

من جهتهم أوّلاً فأوّلاً إلى آخر سلخ شهر صفر من هذه السنة : وهو آخر ما وقف بنا الكلام ، فأثنينا عنان البريد ، ومن بعد ذلك يفعل الله فى ملكه ما يشا ، ويحكم فى خلقه ما يريد و ﴿ حَسْبُنَا ٱللهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾

ذكر ما تجدّد فى هذه السنة المباركة

فيها برزت المراسم الشريفة بهدم الجامع الذى أنشأه مولانا السلطان عزّ نصره بالقلعة المحروسة وأن يُجدّد بنايته . فهُدم جميع ما كان من داخله من الرواقات والمقصورة والمحراب ، وجُدّد بنايته ما لم ترا العيون أحسن منه . وأعلى قناطر الرواقات إعلاء شاهقاً ، وكذلك القبّة أعلاها حتى عادت فى ارتفاع . . . وأُحضر لهذا الجامع أعمدة عظيمة كانوا منسيّين بمدينة الأشمونين بالوجه القبلىّ من أعمال الديار المصريّة . وكانوا هذه الأعمدة فى البربا التى بمدينة الأشمونين من عهد الكهنة المقدّم ذكرهم فى هذا التأريخ فى الجزء الأوّل منه المسمّى « بالدرّة اليتيمة فى أخبار الأمم القديمة » وذكرنا أنّ بانى هذه البربا أحد الكهنة المصريّين ، وكان يسمّى أشمو الأشموىّ ، فعُرفت هذه المدينة به وخفّفت ، فقيل الأشمونين . وهؤلاء الأعمدة من صناعة شياطين الجانّ . وممّا يعجز عن كيفيّة عملهم البشرُ من الإنس ، وإنّما هؤلايك الكهنة يستعينوا بالأسما والطلسمات على استخدام المردة من الجانّ فى جميع أشغالهم وبناياتهم : وقد قيل : إنّ هؤلاء الأعمدة معجونة مسبوكة فى قوالب ، وذلك لكون أنّ الناس لم يروا لهم معدناً

---

(١) أولا فأولا : أول فأول (٣) السورة ٣ الآية ١٧٣ (٩) بعد « ارتفاع » بياض نصف سطر (١٨) معدناً : معدن

قد قُطع منه هذه الأعمدة الغريبة المثال ، فتوهّموا ذلك : — وهذا بعيد أن تكون أخلاطٌ بهذه الصلابة العظيمة ، وإنّما لعلّهم من معدنٍ داخل اللواحات من المدن القديمة التى ذكرناها فى ذلك الجزء . وكانوا تلك الأقوام يستعينوا بما قد ذُكر من استخدام المردة الجانّ فى نقلهم إلى أماكن يختاروها . وعلى الجملة فإنّ أشياء حارت فيها العقول ، نقلها مولانا السلطان بأسهل ما يكون ، وذلك أنّه نُدب من الأبواب الشريفة الأمير سيف الدين أروس بغا الناصرىّ مشدًّا بحمل هذه الأعمدة . وسُيّر فى خدمته المهندسين والعتّالين والحجّارين . وكُتب للولاة بالوجه القبلىّ وهم : والى أسيوط ومنفلوط ، ووالى الأشمونين ، ووالى البهنساوية بجمع الرجال من الأقاليم . وقُرّر على كلّ والٍ عدّة من هذه الأعمدة المذكورة ، وجرّهم إلى ساحل البحر الأعظم . ونُدب لهم المراكب الكبار الخشنة . وحُملوا فى أوايل جريان النيل المبارك ليأمنوا من الوجلات ، لثقل هذه الأعمدة . ولمّا حضروا إلى ساحل مصر انتدبت لجرّهم الولاة بمصر والقاهرة . وجمعوا لهم آلافاً من الناس استعانوا بهم . وكان لهم همّة عظيمة حتى حصلوا وأقيموا فى هذا الجامع السعيد الذى ادّخر به مولانا السلطان قصوراً عدّةً فى عرصات الجنان . وهذا ملك قد جمع الله تعالى له ملك الدنيا إلى ثواب الآخرة ، وعزّة النفس إلى بسطة العلم ونور الحكمة إلى نفاذ الحكم ؛ زاد الله سلطانه عزًّا وقهر ، وأدام أيّامه إلى آخر الدهر

(١٣) آلافاً : آلاف (١٥) قصوراً : قصور

ذكر عدّة ما استجدّ من الجوامع المعمورة بذكر الله تعالى في أيّام مولانا السلطان

قلت : قد اعتبرت منذ أوّل زمانٍ وإلى آخر وقتٍ ، لم أجد زماناً أكثر خيراً وأمناً وخصباً ، وإقامة منار الإسلام فى ساير الممالك الإسلاميّة من زمان مولانا السلطان . — وقد قيل : الأوطان حيث يعدل السلطان ، وعدل السلطان ، خير من خصب الزمان . — فكيف إذا اجتمعت جميع هذه الخلال فى أيّام مولانا السلطان ، زاد الله دولته شباباً ونموًّا ، كما زاده فى شرف الملك ارتقاءً وبقاءً وعلوًّا . فأمّا قول العبد : إنّه لم يكن فى زمانٍ أكثر خيراً وأمناً وخصباً من هذا الزمان ، فهذا لا يحتاج إلى دليلٍ ولا إلى برهان ، كونه بالمشاهدة والعيان ، يفهم ذلك كلّ من له اطّلاع ، وهو سالم الطباع ، ليس الهوج الرعاع . وها العبد يبيّن صحة دعواه ، ليوافق كلّ أحدٍ على غرضه وهواه ؛ فأقول : إنّ الناس أجمعوا من عهد الهجرة وإلى أيّام مولانا السلطان ، لا بدّ فى كلّ قرنٍ من سرورٍ وأنكادٍ تختصّ بذلك الزمان ، ولا بدّ فى ذلك من البيان

القرن الأوّل

أوّله من الهجرة النبويّة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، فأوّل الفتن فيه : ما حدث بعد وفاة سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من أمر الردّة فى خلافة الإمام أبى بكر رضى الله عنه ، وما كان أيضاً من أمر

---

(٤) خيراً وأمناً وخصباً : خير وأمن وخصب (٩) خيراً وأمناً وخصباً : خير وامن وخصب

مسيلمة الكذّاب وسجاح ، وحرب اليمامة ومقتل عثمان رضى الله عنه . ثمّ بعد ذلك ماكان من حرب الجمل فى خلافة علىّ بن أبى طالب ، كرّم الله وجهه ، وحرب صفّين ، وما كان من أخباره : وقد تقدّم ذكر جميع ذلك فى أجزا هذا التأريخ

القرن الثانى

أوّله ما كان من الفتن العظيمة بين الأمويّين والعبّاسيّين ، وقبله ما كان من قتل الإمام الحسين والخوارج الخارجة على الأمويّين فى ساير الأقطار شرقاً وغرباً ، وما كان من انقراض دولتهم وانتشا دولة بنى العبّاس . وفيه كان تتبّع قبور الأمويّين ونبشهم وإحراقهم بالنار ، ولم يسلم من ذلك غير قبرى معاوية رضى الله عنه ، وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

القرن الثالث

فيه كان ظهور العبيديّين خلفا مصر من المغرب وفتنتهم العظيمة ووقايعهم ، وظهور القرامطة الذين أخربوا الأرض وأهلكوا الحرث والنسل ، وما أظهروه من البدع العظيمة فى الدين ، وظهور الحسنين بالحجاز واليمن ، وظهور العلويّين بطبرستان ، وتوجّه القرامطة إلى مكّة شرّفها الله تعالى ، وقتلهم الحاجّ ، وأخذهم الحجر الأسود : وكان فى هذا القرن من الفتن والأحوال النكدة ما لا يحصى كثرةً

---

(١) ومقتل . . . عنه : بالهامش (٨) شرقاً وغرباً : شرق وغرب (١٠) قبرى معاوية : قبرين معوية (١٠ – ١١) وعمر ... عنه : بالهامش

القرن الرابع

لم يزل هـــذا القرن من أوّله إلى آخره فتناً وغلاءً وجوعاً وقحطاً وقتلاً ، واتّصال الفتن فيه من القرن الثالث . وفيه كان ظهور العجميّ وكسر الحجر الأسود ، ثمّ أُخذ وقتل . وفيه كان ظهور رجلٍ باليمامة وادّعى النبوّة ، وافتعل قرآناً بزعمه ، وقُتل بأرض حمص . وفيه كان ظهور الفرنج على المسلمين فى جميع البلاد . وفتحوا بيت المقدس بالسيف عنوةً ، وقتلوا جميع مَن كان فيه من المسلمين . وفيه استولوا أيضاً الفرنج على جزيرة الأندلس . ولم يبق للمسلمين منها غير مسافة أربعة أيّام . ولم تزل الناس فى أعظم الشدايد طول ذلك القرن

القرن الخامس

فيه أيضاً الفتن متّصلة من الفرنج ووصل زيتون إلى باب دمشق ، ونهب دارايا ، وقتلوا كلّ من كان فيه . وفيه كان غرقة دمشق . ووقع فى الشرق الغلا العظيم . وفيه اضمحلّت كلمة العبيديّين خلفا مصر والعبّاسيّين خلفا بغداد . وظهر كلمة نور الدين محمود بن زنكيّ بالشرق والشأم والموصل . واستولى على أكثر البلاد ، وكان بينه وبين الفرنج حروب ووقاع تشيب الأطفال . وما زال السيف فيه يغنّى والخيول ترقص والدم ينقط . وفيه ظهرت دولة بنى أيّوب . وكانت الفتن العظيمة بمصر بين شاور وأسد الدين شيركوه والإفرنج

القرن السادس

فيه كان ظهور التتار . وظهرت كلمة جكزخان وقتلهم العباد ، وخرابهم البلاد ، كما قد تقدّم من ذكر أفعالهم القبيحة . وفيه كان نزول الفرنج

(٢ – ٣) فتناً وغلاء وجوعاً وقحطاً وقتلا : فتن وغلا وجوع وقحط وقتل (١٨) شاور : شثاور

على ثغر دمياط ، وملكوا البلاد وأشرفوا على أخذ الديار المصريّة . وأراد الملك الكامل الهرب إلى اليمن ويدع الديار المصريّة للفرنج ، لولا ما أدرك الله تعالى الإســلام بلطفه وحسن عنايته . واستأسر للفرنسيس وعتقوه . وفيه كان قتْل البحريّة لابن أستاذهم الملك المعظّم توران شاه بن الملك الصالح ، حسبما ذكرنا من خبره . ولم يزل السيف يقطر الدما — كلّ ذلك بقضاءِ إله الأرض والسما ، الذى لا تتحرّك ذرّة إلاّ بإذنه — إلى سنة تسع وتسعين وستّ ماية . فكانت نوبة غازان بوادى الخزندار ، حسبما تقدّم من الأخبار . وكان ذلك فى أيّام تغلّب بيبرس وسلاّر . ولم يزل الأمر كذلك إلى أن أعلى الله تعالى كلمة مولانا السلطان . وإن كانت لم تزل عاليةً فى الآفاق ، أدام الله عزّ سلطانها إلى يوم العرض والتلاق ، الذى وإن أطنبنا فى وصف بعض مناقبه كان اللفظ قاصر ، سيّدنا ومولانا ومالك رقّنا السلطان الأعظم الملك الناصر . فانظر أيّها الفاضل بعين الإنصاف ، ودع الجدل والخلاف ، فهل رأيت مذ مكّنه الله من رقاب أعدايه المتمرّدين : مِن خللٍ وقع فى أمر هذا الدين ؟ أو من حادثٍ يشين زمانه ، أو من قحطٍ وجوعٍ وغلاءٍ حصل فى أوانه ، أو من خوف عدوٍّ نخشاه ؟ كلاّ والله ، ما كان هذا قطّ فى أيّام دولته وحاشاه ، فالحمد لله الذى خصّنا ، إذ جعلنا من أمّة نبيّه محمد صلّى الله عليه وسلّم ، وخلقنا وأحيانا فى أيّام دولة وليّه محمد السلطان الأعظم الملك الناصر ، والليث الكاسر ، لا زالت أيّامه جواهر قلايد أعناق الزمن ، يتقلّد منه بها فى عنقه المنن ، وأدام أيّامه ، ونصر أعلامه إلى يوم القيامة

---

(٣) الفرنسيس : الفرنسيس (١٥) وحاشاه : وحشاه (١٨) والليث : والليث

وأمّا قول العبد : إنّ فى أيّامه علا منار الإسلام ، وعزّت أمّة النبىّ عليه السلام ، فهذا أيضاً لا شك فيه ولا ريب ولا مِرا ، كما لا شكّ ولا ريب فى أمّ القرى . فممّا يؤيّد هذا المقال ، ما تجدّدت فى أيّام دولته المباركة من ﴿ بِيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ وهم عدّة

ذكر الجوامع المباركة

التى انتشت فى دولة مولانا السلطان عزّ نصره

جامع بمصر المحروسة بموردة التبن : أمر بإنشاه مولانا السلطان عزّ نصره . جامع بمشهد السيّدة نفيسة رضى الله عنها : أمر بإنشاه مولانا السلطان عزّ نصره . جامع بالقلعة المحروسة : أمر بإنشاه مولانا السلطان عزّ نصره ، ثمّ جدّده . جامع أنشاه علاء الدين طيبرس النقيب — رحمه الله — بشاطى النيل المبارك . جامع أنشاه القاضى فخر الدين ناظر الجيوش المنصورة — رحمه الله — بخصّ الكيّالة من بولاق . جامع أنشاه أيضاً القاضى فخر الدين المذكور — رحمه الله — بجزيرة الفيل من ضواحى القاهرة . جامع أنشاه أيضاً القاضى فخر الدين المذكور — رحمه الله — بجسر الأفرم بمصر المحروسة . جامع أنشاه أيضاً القاضى فخر الدين المذكور — رحمه الله — بجزيرة الروضة جزيرة المقياس . جامع أنشاه القاضى كريم الدين الكبير — رحمه الله — بالقرب من الميدان السلطانىّ . جامع أنشاه الأمير بدر الدين بن التركمانىّ بجوار داره بخطّ باب البحر من ضواحى القاهرة . جامع أنشاه أمير حسين

(٤ — ٥) السورة ٢٤ الآية ٣٦

ابن جندر — رحمه الله — بالحكر ظاهر باب سعادة من القاهرة . جامع أنشاه الأمير سيف الدين قوصون الناصرىّ بالشارع الأعظم بدار قتّال السبع . جامع أنشـــاه سيف الدين أُلماس الحاجب — رحمه الله — بالشارع الأعظم بالموازنيّين . جامع أمر بإنشاه فى هذا الوقت الأمير سيف الدين بشتاك الناصرىّ بقبو الكرمانىّ . جامع أنشاه الأمير سيف الدين الملك الجوكندار بالحسينيـّة من ضواحى القاهرة . جامع أنشاه الأمير جمال الدين آقوش نايب الكرك بالحسينيـّة من ضواحى القاهرة . جامع أنشاه الأمير مظفـّر الدين قيدان — رحمه الله — بجوار قناطر الوزّ من ضواحى القاهرة . جامع أنشاه علاء الدين مغلطاى أخو ألماس الحاجب بحارة البرقيـّة، سمّى جامع التوبة . جامع أمر بإنشاه فى هذا الوقت الأمير عزّ الدين أيدمر الخطيرىّ ببولاق بموردة البورىّ . جامع أنشاه الطواشى صواب الركنىّ ظاهر باب القرافة تحت القلعة المحروسة . جامع أنشاه الأمير المرحوم سيف الدين كراى المنصورىّ بالريدانيـّة من ضواحى القاهرة . جامع أنشاه سيف الدين كرجىّ النقيب بالحكر ببستان ابن قريش من ضواحى القاهرة . جامع جدّده ابن الحرّانىّ التاجر بالقرافة عند مأذنة الحريرىّ بدكاكين بدرٍ . جامع أنشاه فى أوّل دولة مولانا السلطان تاج الدين دولة شاه بكوم الريش من ضواحى القاهرة . جامع أنشاه ناصر الدين محمد أخو الأمير شهاب الدين صاروجا النقيب بأرض الطبّالة . جامع أنشاه شخص يسمّى ابن الصارم ببولاق مقابل بستان ألجاى . واستجدّت الخطبة بصلاة الجمعة بالمدرسة الصالحيّة ، وعنى بذلك الأمير

---

(١٦) دولة : دولات (١٨) جامع ... ألجاى : بالهامش

جمال الدين نايب الكرك المحروس . وأفتى بجواز ذلك وفسح فيه القاضى جلال الدين قاضى القضاة يومئذٍ بالديار المصريّة

فهؤلاء الجوامع المباركة المستجدّة فى أيّام دولة مولانا السلطان عزّ نصره بالديار المصريّة، بمصر والقاهرة وضواحيهما ، خارجاً عمّا تجدّدت فى ساير الأعمال المصريّة قبليّها وبحريّها ، لم نذكرها، وهم عدّة سبعة وعشرين خطبة ، تخطب باسمه وتدعو له، ويؤمّن الناس المصلّون بذلك ، وذلك خارجاً عن الخطب القديمة المستقرّة بالجوامع المتقدّمة بالديار المصريّة ، حرسها الله تعالى بدوام أيّام مولانا السلطان

ذكر المستجدّ أيضاً من الجوامع المباركة بالممالك الشاميّة

جامع أنشاه الأمير علم الدين سنجر الجاولى بالقدس الشريف لمّا كان نايباً بغزّة . جامع أنشاه أيضاً الأمير علم الدين الجاولى المذكور ، بلدّ من عمل الرملة لمّا كان بغزّة . جامع أنشاه أيضاً الأمير علم الدين الجاولى المذكور بالكنيسة من أراضى غزّة لمّا كان بها . جامع أنشاه شخص من أهل صفد يسمّى ابن أبى الخير بصفد المحروسة

والمستجدّ أيضاً بدمشق المحروسة

جامع أنشاه الأمير جمال الدين آقوش الأفرم بالصالحيّة لمّا كان نايباً بدمشق المحروسة . جامع أنشاه الأمير سيف الدين تنكز الناصرىّ على نهر بانياس بجوار القلعة المحروسة . جامع أنشاه القاضى كريم الدين رحمه الله

(٥) وعشرين : وعشرون (٦) ويؤمن : ويأمن || المصلون : المصليين

عند الصبيبات بظاهر دمشق المحروسة . جامع أنشاه القاضى شمس[1] الدين غبريال رحمه الله بباب شرقىّ لمّا كان ناظراً بالشأم . جامع أنشاه القاضى شمس الدين غبريال المذكور بالقابون ظاهر دمشق المحروسة

والمستجد أيضاً بطرابلس

جامع أنشاه الأمير شهاب الدين قرطاى، رحمه الله لمّا كان نايباً بطرابلس

جامع أنشاه بدر الدين بن العطّار رحمه الله أيضاً بطرابلس

ورسم مولانا السلطان آجره الله بعمارة جامعٍ بربض المرقب المحروس فعمر

فهؤلاء ما اتّصل علم العبد بهم ، ولعلّ استجدّ ويستجدّ ما يكون أكثر من هذه العدّة المذكورة

وأمّا الخوانق والرباطات والزوايا وكذلك المساجد فلا تحصى كثرةً ، وجميع هذه الأماكن مشحونة بالأيمّة والخطبا ، والفقها ، والمدرّسين والمحدّثين والطلبة ، والمؤذّنين والقوّام والفقرا والمساكين ، وكلٌّ من هؤلاء فله المقرّر من ساير ما يحتاج إليه ، ممّا أُوقف عليهم من البلاد والضياع والأملاك والحوانيت . ولهذه الأوقاف مباشرين وعمّال وغير ذلك . ولا بدّ لكلٍّ منهم من أولادٍ وعايلةٍ وأطفالٍ وغلمانٍ ودوابّ : والجميع يأكلون من إنعام الله عزّ وجلّ وإنعام مولانا السلطان عزّ نصره . فليس فيهم مِن روحٍ إلاّ وفيه الحسنة ، ويدعو بدوام هذه الأيّام التى كالأحلام ، أدام الله أيّام سلطانها إلى آخر الأبد ، وعمّره فى الدنيا كعمرى لبيد ولبد ، بمحمدٍ وآل محمد

---

(١) الصبيبات : القبيبات

ذكر تتمّة الحوادث

فيها توجّه سيف الدين ألطنبغا السلاّرىّ أحد مقدّمى الحلقة المنصورة إلى الحجاز الشريف على الهجن ، بسبب الصلح بين الأخوين الأمرا رميثة وعطيفة ملاّك مكّة ، شرّفها الله تعالى . وكان قبل ذلك قد حضر الأمير عطيفة مستجيراً بالأبواب الشريفة من أخيه رميثة . فرسم المقام الشريف بتوجّه ألطنبغا المذكور بالإنكار على رميثة . فلحقوه بحلالى يعقوب ، وأعادوه إلى مكّة . ودخل تحت الطاعة الشريفة السلطانيّة ، وحلف على الكعبة الشريفة أربعين يميناً أنّه طايع ممثّلٌ جميع ما يُرسم له به . وعاد ألطنبغا بنُسخ الأيمان . ثمّ بعد ذلك توجّه السيّد الشريف عطيفة إلى الحجاز الشريف صحبة الركب المبارك ، وبعد توجّه المحمل بعشرة أيّام . وكان قد توجّه ركب آخر من الديار المصريّة فى شهر رجب . وأدركوا صوم شهر رمضان بمكّة بمشاهدة الكعبة الشريفة . ووردت بعد ذلك كتبهم أنّهم فى أطيب عيشٍ وأهناه ، هنّاهم الله تعالى ورزقنا ما رزقهم ، بمحمدٍ وآل محمد

وفيها حضر الأمير سيف < الدين > تنكز نايب الشأم ، بسط الله < ظلّه > إلى الأبواب الشريفة ، بنيّة الزيارة ومشاهدة سيّد الملوك ، وملجأ كل غنىٍّ وصعلوك ، وحصل له من الإقبال والإنعام أضعاف ما جرت به عادته فى السنين المتقدّمة . ثمّ إنّه شفع فى ابن هلال الدولة ، فأجيب إلى ذلك ، وأُفرج عنه فى شهر رجب ، ورُسم له أن يلزم بيته

وكان قبل ذلك قد أُفرج عن خالدٍ المقدّم وأُخلع عليه، وأُعيد إلى تقدمة الولاية بالقاهرة المحروسة

---

(٨) طايع ممثل : طايعاً ممثلا

وفيها توجّه الركاب الشريف إلى صيد الوبر بناحية الإسكندريّة : وسيّر الأمير بدر الدين مسعود أمير حاجب لكشف أحوال الأمرا المعتقلين بالإسكندريّة ، فوجدهم فى أسوأ حالٍ ، فحنّنه الله تعالى عليهم لمّا بلغ المسامعَ الشريفة حالهم : فلمّا عاد مع سلامة الله إلى محلّ ملكه بالقلعة المحروسة رسم بالإفراج عنهم ، أفرج الله عنه كلّ كربٍ ، ونصره فى كلّ حربٍ . فكانوا عدة ثلاثة عشر نفر وهم : الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب ، والأمير سيف الدين تمر الساقى ، والأمير شمس الدين أمير غانم ابن أطلس خان ، والأمير سيف الدين طغلق ، والأمير سيف الدين قطلبك الوشاقى ، وكشلىّ ، وبيبرس العلمىّ ، ولاجين العمرى ، والشيخ علىّ السلاّرىّ ، وبلاط الجوكندار ، وأيدمر الحسامىّ المعروف باليونسىّ ، وبرلغىّ الصغير بن طومان ، وطشتمر أخو بتخاص . وكان وصولهم إلى القلعة المحروسة وخلاصهم يوم الاثنين رابع عشرين شهر رجب الفرد من هذه السنة المذكورة . فأنعم على ركن الدين بيبرس الحاجب بإمرة طبلخاناه بحلب المحروسة ، وتوجّه على خبز آقسنقر شادّ العماير كان، بمقتضى أنّه جرت منه أحوال أوجبت القبض عليه واعتقاله . وأنعم على الأمير سيف الدين تمر الساقى بإمرة طبلخاناه بدمشق المحروسة . وأمّا تغلق فإنّه لم يعش بعد الإفراج عنه ووصوله إلى أهله سوى ثمانية أيّام ، وتوفّى إلى رحمة الله تعالى . وباقى المذكورين منهم مَن أنعم عليه بإقطاعات بالشام المحروس ، ومنهم من استمرّ مواظب الخدمة الشريفة إلى آخر هذه السنة المذكورة

---

(٢) لكشف : كشف (٣) أسوأ : اسو

وفيها تغيّرت الخواطر الشريفة السلطانيّة على الأمير جمال الدين نايب الكرك لنقايص بدت منه ، تدلّ على أنّ الغالب كان على مزاجه السودا . فآل به ذلك إلى ما صار إليه . فكان كما قال الله تعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً ﴾ الآية . فقُبض عليه واعتُقل مدّةً بالشأم . ثمّ نُقل إلى الإسكندريّة بالاعتقال

وتوجّه الأمير سيف الدين طينال الحاجب من غزّة عايداً إلى طرابلس ، وأنعم على الأمير سيف الدين شركتمر الناصرىّ بنيابة غزّة ، واستقرّ الأمر كذلك إلى آخر هذه السنة

وفيها مُسك ابن هلال الدولة ،وعبد الله بن كريم الدين الكبير ،وولدى كريم الدين الناظر ، وهما أبوالفرج ورزق الله ، وأعيد الطلب على ولدى التاج إسحق ،وهما شمس الدين موسى وأخوه علم الدين . وكذلك طُلب بالحمل أمين الملك المعروف بقريميط المستوفى ، بعد أن كان قد أُعفوا هذه المدّة من حثّ الطلب . وسبب ذلك أنّه كان كاتبٌ يسمّى المهذّب أصله نصرانىّ ، ربّاه شخصٌ يُعرف بابن الحايك من أهل الإسكندريّة . وخدم هذا المهذّب عند كريم الدين الكبير مدّة أيّامه . وحصّل فى تلك الأيّام أموالاً جمّة . فلمّا مُسك كريم الدين فى تأريخ ما تقدّم ذكره خدم المهذّب المذكور بديوان الأمير المرحوم سيف الدين بكتمر الساقى . وكان هذا الأمير المذكور عبارةً عن مولانا السلطان ، وله من مولانا السلطان منزلة لم يكن وصلها أحدٌ من قبله ولا وصلها أحدٌ من بعده

حدّثنى هذا المهذّب ذات يومٍ وأنا عنده فى بيته لضرورةٍ كانت لى عنده ، وأجرينا ذكر التأريخ ، وذكرنا مَن سلف من الناس والأكابر من الأمرا

(٣-٤) السورة ١٦ الآية ١١٢ (٤) كانت : بالهامش (١١) وأخوه : واخاه
(١٩) أحد : احداً ‖ أحد : احداً

وغيرهم الذين كانوا خصيصين بتلك الملوك المتقدّمة . فقال المهذّب للمملوك: يا مولانا ورّخ عنّى ما أقوله لخدمتك عن المخدوم ، يعنى عن الأمير سيف الدين بكتمر : إنّنى منذ خدمته فى سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة وإلى هذا اليوم مُدّة عشر سنين ، ما خلا حسابى قطّ يوماً واحداً من إنعامٍ يتجدّد ، من مولانا السلطان للمخدوم من ساير الأنواع المستحسنة من إنعامات الملوك . — ثمّ رمى إلىّ حسابه ، فتصفّحتُه فإذا هو كما قال ، يشهد بإنعامٍ يتجدّد للأمير فى كلّ يومٍ ، تشهد بذلك مواجبه : إمّا ملك ، إمّا عقار ، إمّا ذهب ، إمّا قماش ، إمّا فرس ، إمّا طاير جارح ، وما أشبه ذلك . قال : وهذا خارج عن المقرّر له فى كلّ يومٍ مخفيتين طعام وأتباعها من حلوٍ أو مشروبٍ وفاكهةٍ . وثمّنّا هذه المخفيتين بألف وأربع ماية درهم ، نأخذها من الخزانة مشاهرةً . ثمّ إنّ مولانا السلطان عزّ نصره أطلق يد الأمير سيف الدين بكتمر المذكور فى جميع الممالك ، لا يُردّ له مرسوم فى ساير الممالك الإسلاميّة . فهل عندك فى التأريخ مَن وصل من ملكٍ من الملوك هذه المنزلة ؟ — يقول المهذّب هكذا . ثمّ إنّ هذا المهذّب استسلمه مولانا السلطان من تحت السيف ، واستمرّ فى خدمة الأمير سيف الدين بكتمر الساقى رحمه الله إلى أن توفّى فى طريق الحجاز ، حسبما تقدّم من ذلك . وحصّل المهذّب فى أيّامه وبعد موته من تركته باتّفاقه مع ابن هلال الدولة من الأموال والذخاير والأمتعة ما لا يقع عليه قياس . ثمّ خدم فى ديوان النجل الشريف السلطانىّ ، متّعه الله بطول حياة أصله الشريف الطاهر ، وجعله فرعاً باقياً باسقاً مثمراً زاهر . ثمّ انتقل إلى خدمة ديوان المقرّ الشريف السيفىّ بشتاك الناصرىّ ، فاستمرّ

---

(٤) يوماً واحداً : يوم واحد (٨) خارج : خارجاً

فيه إلى أن هلك فى شهر شعبان من هذه السنة . ونزل إليه القاضى شرف الدين النشو ناظر الخاصّات الشريفة السلطانيّة ، والأمير بدر الدين لؤلؤ شادّ الدواوين المعمورة ، فوجدوه ملقى على حصيرٍ ونطعٍ ، ولم يجدوا فى بيته شيئاً له قيمة . وكان المهذّب رجلاً مترهّباً ليس له زوجة ولا ولد . وتسحّبوا أهله وغلمانه وعبيده وتركوه على هذه الحالة المذكورة . وأُخرج ودُفن ، واستمرّ الحال كذلك إلى شهر ذى الحجّة من هذه السنة . فوقع أبوه وعمّه نصرانيّان ، فاعترفا بجملة كبيرة من الأموال . وأخرجوا عدّة دفاين من عدّة أماكن ، بها آلاف من ذهب عينٍ مختوم . ومن جملة ما وجدوه له فى كنيسة بحارة الروم بالقاهرة المحروسة ذهب كثير ، لم أُحرّر زينته ، وقماش ومتاع بجملة كبيرة . وفى الجملة دواة ومرملة مرصّعتان بفصوصٍ عظيمةِ القدر . ذُكر أن صاحب حماة كان أحضرها فى وقتٍ تقدمةً لمولانا السلطان . فأنعم بها مولانا السلطان عزّ نصره على الأمير سيف الدين بكتمر فى يومٍ من تلك الأيّام المذكورة بالإنعامات . فلمّا توفّى الأمير سيف الدين رحمه الله ، أخذها المهذّب فى جملة ما أخذ من تركته . فلمّا أحاطت العلوم الشريفة بما وُجد لهذا الكاتب من الأموال التى تخامر العقول ، تحقّق نصره الله أنّ هذا بعضه ما هو عند ابن هلال الدولة ، إذ كان هو الأصل وهذا المهذّب فرع منه ، وكذلك بقيّة الكتبة المذكورين ، فطُلبوا بذلك والحال مستمرّ فى حثّ الطلب عليهم إلى آخر هذا الشهر ، وهو شهر ذى الحجّة سلخ سنة خمس وثلاثين وسبعماية ، والله تعالى الولىّ المالك ، أعلم بما يتجدّد بعد ذلك

---

(٤) شيئاً : شىء || رجلا مترهباً : رجل مترهب (١٦) بعضه : بعضيه

وفيها تغيّرت الخواطر الشريفة السلطانيّة ، أعزّ الله أنصارها وضاعف اقتدارها على صاحب سيس ، لأمورٍ جرت منه عن غير اختياره : فبرزت المراسم الشريفة للأمير علاء الدين ألطنبغا نايب حلب المحروسة ، أن يتوجّه بالعساكر الحلبيّة ويعبر إلى سيس ويخرب ما يقدر عليه : فامتثل ذلك . ودخلت العساكر الحلبيّة صحبة الأمير علاء الدين النايب ، وصحبة الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب ، فإنّه كان وصل إلى حلب ، حسبما ذكرنا من خلاصه وإنعام مولانا السلطان عزّ نصره عليه بالإمرة فى حلب . ولمّا دخلت العساكر الحلبيّة فعلوا ما بيّض وجوههم عند الله تعالى وعند مولانا السلطان من قتْل الكفّار ، أصحاب الصليب والزنّار : وعجّل الله بأرواحهم إلى النار . واستأسروا خلقاً كثيراً ، وغنموا مغانم كبيرةً معجّلةً ، وأحرقوا زروعهم وسبوا ذراريهم : وخرجوا سالمين غانمين ؛ والحمد لله ربّ العالمين

والذى أقول :

إنّ هذا ملك لله به عناية : وله فيه إرادة : ما رام عزًّا إلاّ وصل إليه ، ولا شام جليلاً إلاّ قدّره الله عليه . فدانت له ساير الممالك ، وجزع لهيبته الملوك ، فكلٌّ من خوفه كالهالك . واقتنع المغل منه بالمسالمة : وهى بعفوه عن طلبها عارفة وعالمة ، وناهيك مِن قهر هذه الطايفة التى ما زالت ملوك الأرض من شرّها خايفة . فكيف حال غيرها من ملوك البسيطة ، إذ عزمته الشريفة بتأييد الله له بالقدرة عليهم محيطة ؟ ولا بدّ من لمعة نختم بها هذا التأريخ المبارك ، ممّا قيل من المنظوم فى مدحه . فعاد قايله لنا فى مدحه مشارك ، وإن كانت أوصافه جلّت أن يقوم لها نظماً ونثراً ، أو يحوى ذلك مَن ألّف لها شعراً < من الطويل > :

مليكٌ تسامى عدله وعطاؤه   وخاف لبأساه العدوّ المحارب
له سطوةٌ كالليث إن همّ همّةً   تراه بها يدنو لما هو طالب
وكالغيث يهمو منه مزنُ هباته   فتخجل من شحّ العطايا السحايب
قريب حجابٍ شامخٌ ذو مهابةٍ   له العجم دانت خشيةً والأعارب
هو الناصر المنصور بالرعب إذ غدا   وقد فرّ مَن قد خانه وهْو هارب
كذلك لمّا أن تجمّع جيشه   فكلٌّ غدا بالرعب نحوك طالب
فأنت الذى أضحيت حقًّا مظفّراً   وجاك بما تهوى المنَى والرغايب
وكنتَ السعيد الجدّ إذ عدت ظاهراً   وسُدّت على الأعداء منك المذاهب
فإنك أمسيت المعزّ لديننا   بك الشرع يسطو حيث ما هو ذاهب
وأيّدت بالتوفيق والنصر منحةً   من الله إذ ما زلتَ بالله غالب

ذكر سبب دخول سيس

السبب فى ذلك أنّه كان وفد إلى الأبواب الشريفة السلطانيّة ، أعلاها الله تعالى ، أحد أولاد قرمان ملوك الجبال بنيّة الحجّ . فحصل له من الصدقات العميمة السلطانيّة من الجبر والإقبال ماكان فوق أماه . وتوجّه إلى الحجاز الشريف وعاد ، وأعرض عليه الإقامة بالأبواب العالية ، وأن ينعم عليه بإمرةٍ كبيرةٍ فامتنع . وقال : ياخوند لا أطيق مفارقة الأهل والوطن ، ونحن يابنى قرمان حيث كنّا مماليك مولانا السلطان ، ولا نعيش إلاّ فى نعمته وتحت ظلّ سيفه الشريف : — فكُتب على يده مثال شريف إلى ساير النوّاب بالممالك الإسلاميّة الشاميّة بالوصيّة به . وكُتب إلى نايب حلب المحروسة أن يجهّز فى خدمته من عسكر حلب مَن يوصّله إلى مأمنه من بلاده . فامتُثل ذلك ، وسيّر صحبته أربعة أمرا ، منهم الأمير سيف الدين بشقاق رحمه الله ، والشهابىّ ،

وغيرهم فى عدّة مايتى فارس . فلمّا توسّطوا بلاد سيس لم يشعروا إلاّ بتقدير خمسماية فارس من كبار الأرمن ، تعرّضوا لهم بالطريق . وقالوا: لا نمكّن عدوّنا هذا يدوس أرضنا ويتخطّى رقابنا ، وإنّه ما هو مسلم مع المسلمين ولاتترىّ مع التتار ، ولا أرمنىّ مع الأرمن . وهو فى كلّ وقتٍ يتعرّض لأذيّتنا ويدوس بلادنا ، واتّفقنا معه عدّة طرقٍ ويخلف وينكث.— فقالوا لهم الأمرا الحلبيّين : هذا حضر من الأبواب العالية ، وهو تحت حرم السلطان الملك الناصر عزّ نصره . فلا تتعرّضوا له ! يكون ذلك سبباً لخراب بيوتكم . — وجرى كلام كثير آخره أنّهم استحلفوه أيماناً مغلّظةً بما اختاروه منه . فحلف لهم من تحت القهر . ولولا اختشوا من السطوات الشريفة كان الأمر بخلاف ذلك

وكان جميع ذلك عن غير رضى التكفور صاحب سيس . وإنّما هؤلاء كبار الأرمن غلبوا على رأيه ، حسبما ادّعى بعد ذلك . فلمّا وصّلوه إلى مأمنه من بلاده وعادوا الأمرا الحلبيّون ، تلقّاهم التكفور بنفسه واعتذر لهم ممّا فعلوه أصحابه ، وقدّم لهم تقادم حسنةً . فلمّا بلغ المسامعَ الشريفة ذلك رُسم بدخول العساكر الحلبيّة إلى سيس . فهذا كان السبب فى ذلك . ثمّ حضروا رسل الملك أبى سعيد ونايبه علىّ شاه ، وشفعوا فى صاحب سيس . فقبل مولانا السلطان شفاعتهم على عوايد إحسانه وعظيم امتنانه . ولولا ذلك لكان جعل ديارهم خراب ، وسكّانها البوم والغراب

---

(٥) لأذيتنا : لموديتا (١٦) أبى : ابو

ذكر عمارة قلعة جعبر فى هذا الوقت

وفيها كان ابتدا عمارة قلعة جعبر المقدّم ذكرها فى الجزء المختصّ بذكر ملوك بنى أيّوب رحمهم الله ، وذكرنا صاحبها جعبر الذى عُرفت به، وتنقّلها فى أيدى مـلاكها إلى حين خرابها إلى هذا التأريخ . فلمّا كان قدوم الأمير حسام الدين مهنّا بن عيسى إلى الأبواب العالية أشار ببنايها وعمارتها . فبرزت المراسم الشريفه بذلك . ونُدب لشادّ عمارتها الأمير علم الدين سنجر الحمصيّ الذى كان حضر من الشأم المحروس ، وجُعل والى الولاة بالوجه البحرىّ بالديار المصريّة . واهتمّ لعمارتها همّةً عظيمةً ، وتوجّه إليها من سائر الممالك الإسلاميّة بالأعمال الشاميّة عدّة كبيرة من الصنّاع البنّايين والحجّارين والمهندسين . وتوجّه المقرّ الأشرف السيفىّ تنكز ملك الأمرا بالشأم المحروس — بسط الله ظلّه — فى عدّة عشرة آلاف فارس من العساكر الشاميّة ، وقطع الفراة وضرب حلقة صيدٍ ، فصاد فى حلقةٍ واحدةٍ ألف غزال . ثمّ نزل على القلعة المذكورة ورتّب البنّايين بحضوره . وأقام فى سفرته أربعةً وعشرين يوماً . وجفلت منه جميع أهل تلك الديار من شحانى التتار والقراوولية وسكّان البلاد ، فسيّر إليهم وطيّب خواطرهم ، فرجع كلّ أحدٍ إلى وطنه واطمأنّت قلوبهم . ولم يتعرّض أحد من الجيوش الذين فى خدمته لشىءٍ تكون قيمته درهماً ولا أقلّ من ذلك ولا أكثر ، لما فى قلوبهم من عِظم هيبة المقرّ المشار إليه . وذلك أنّ العبد من طينة مولاه ، أيّد الله تعالى عزماته وأعانه على ما ولاّه . وهذا آخر ما تجدّد من حوادث سنة خمسٍ وثلاثين وسبعماية . وإلى هاهنا وقف بنا الكلام ، فى سيرة سيّد

---

(١٧) درهماً : درهم

ملوك الإسلام ، أدام الله أيّامه إلى آخر الدهر ، مؤيّدةً بالعزّ والقهر . آمين آمين آمين ، يا ربّ العالمين

من كلام الجنيد رحمه الله

قال : لا تطلبوا فى آخر الزمان أربعة ، فإنّكم تفقدونها ولا تجدونها : لا تطلبوا أن تتعلّموا من عالمٍ يعمل بعلمه ، فإنّكم لن تجدوه ، فتبقوا بلا علمٍ ، ولا تطلبوا أن تأكلوا طعاماً من غير شبهةٍ ، فإنّكم لن تجدوه ، فتبقوا بلا طعامٍ ، ولا تطلبوا أن تعملوا عملاً بلا رياءٍ ، فتبقوا بلا عملٍ ، ولا تطلبوا صديقاً بلا عيبٍ ، فتبقوا بلا صديقٍ

والعبد فقد اعترف أنّ هذا التأريخ بجميع أجزاه من سقط المتاع ، وحقيق به أن يباع ولا يبتاع ، وأنّ خطأه أكثر من صوابه ، فلا رادٌّ على عايب جوابه ، فرحم الله امرأً نظر فستر ، وأصلح ما يجده فيه من عور ، وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه ، من كلّ ما قلته وذكرته وقدرت عليه . وأقول < من الطويل > :

أسير الخطايا عند بابك واقف على وجلٍ من جفنه الدمع ذارف
يخاف ذنوباً ليس يخفاك غيبها ويرجوك فيها فهو راجٍ وخايف
ومن ذا الذى يرجو سواك ويتّقى ومالَك فى فصل القضاء مخالف
فياسيّدى لا تخزنى فى صحيفتى إذا نُشرت يوم الحساب الصحايف
وكن مؤنسى فى ظلمة القبر عند ما يصدّ ذوو القربى ويجفو المؤالف
لإن ضاق عنّى عفوك الواسع الذى أُرجّى لإسرافى فإنّى لتالف

---

(٦) طعاماً : طعام (١٨) ذوو : ذوى

ووافق الفراغ منه مستهلّ سنة ستّ وثلاثين وسبع ماية ، أحسن الله عاقبتها بمحمدٍ وآله ، والحمد لله وحده ، وصلّى الله على محمد نبيّه وعبده ، وعلى آله وأصحابه وسلّم ، وعظّم وكرّم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

الفهارس

فهرس الأعلام والأمم والطوائف

فهرس الأماكن

فهرس الاصطلاحات والكلمات

فهرس الشعراء والمؤلفين والكتب

استـــدراك

المرجو أن يتدارك القراء الأخطاء قبل البدء فى قراءة الكتاب

صـ	سـ	الخطأ	الصواب
١٣	١٣	يخص	لخص
١٤	٥	إيتمش	أيتمش
٢٠	١٢	نجم الدين	فخر الدين
٤٣	٦	إيغاى	إيلغازى
٤٣	١٣	ربان	زيان
٤٤	١	يخص	لخص
٤٦	٨	أنطاكيّة	أنطاكية
٥٧	٧	إيتامش	أيتامش
٥٧	٢٠	أنهم	إنهم
٦٤	٦	يخص	لخص
١٠٩	٩	يخص	لخص
١١٥	١٦	الورادة	الورّادة
١١٨	٩	يخص	لخص
١٣٠	١٢	يخص	لخص
١٤٦	٣	يخص	لخص
١٤٧	٦	يخص	لخص
١٤٨	١٦	البرك	اليزك
١٥٠	١٢	ضبرة	صبرة
١٥٥	٣	يخص	لخص
١٦٠	١٠	النشابي	النسابي
١٦١	٣	يخص	لخص
١٧٣	١٧	الستر	الشتر
١٨٣	٩	دينار	ديناراً
٢٠٥	١٩	المالك	المماليك
٢٠٦	١١	يخص	لخص
٢٠٨	١٧	الخليلى	بن الخليلى
٢١٠	١٢	يخص	لخص
٢٣٠	١٣	طبحوا	طيجوا
٢٣٨	٢٠	الأعز	الأعسر
٢٤٢	١٣	يخص	لخص
٢٥٥	١١	طبجوا	طيجوا
٢٦٤	٦	يخص	لخص
٢٦٧	٦	كحتا	كختا
٢٧٢	٨	اشتغل	اشتعل
٢٧٥	١٨	قبليقان	قبليقآن
٢٨٠	١٥	طير دار	طبر دار
٢٩٨	١٩	كلك	كباك
٢٩٩	١	شيخو	سنجر
٢٩٩	١٩	بلبك	بيلباك
٣٥١	١٦	إكدش	إكديش
٣٥٤	١٤	بلبك	بيليك
٣٥٤	١٥	بلبك	بيليك
٣٦٨	٢	إيتمش	أيتمش

Fälle, in denen statt des Konjunktivs der Indikativ oder statt des Subjunktivs der Konjunktiv verwendet wird; oder die Schreibung mancher, häufig türkischer Wörter mit s neben ṣ). Auch in die oft schwankende Orthographie der Namen haben wir nicht eingegriffen [1].

[1] Namensformen wie هلاوون und تمرجى (statt تموجين) bleiben also unverändert stehen. Lediglich einige türkische Personennamen, die in der Regel mit *madda* geschrieben werden, dieses Zeichen aber bei Ibn ad-Dawādārī nicht aufweisen, wurden damit versehen.

Da wir nach dem Autograph arbeiteten, hielten wir es für richtig, den Text so weit wie möglich in der Form zu publizieren, wie ihn die Handschrift bietet. Es versteht sich von selbst, dass damit nicht eine buchstabengetreue Imitation der Textgrundlage gemeint ist. Wer auf die minutiösesten Einzelheiten der Sprache Ibn ad-Dawādārīs erpicht ist, wird auch weiterhin zur Handschrift greifen müssen. Wir haben kleinere Versehen stillschweigend richtiggestellt und in allen anderen Fällen entsprechende Bemerkungen in den Apparat gesetzt.

So haben wir das *hamz* im Anlaut auch in den Fällen beigefügt, in denen es der Autor ausgelassen hat, und das sind die meisten. Nicht dagegen glaubten wir das *hamz* auch in anderen Fällen einsetzen zu dürfen, etwa da, wo es im Auslaut einfach fehlt oder wo es zu *yā'* erweicht worden ist. Hier haben wir uns strikte an den Gebrauch des Autors gehalten(1). So findet sich also ein und dasselbe Wort, ein und dieselbe Form, mitunter in grösster Nähe, das eine Mal mit, das andere Mal ohne *hamz* (z. B. شىء neben شى). Die Lautgruppe *ā'i* schreibt der Autor in der Regel sowohl ohne *hamz* als auch ohne die beiden *yā'*-Punkte. Wenn er in diesen Fällen aber überhaupt mitteilt, was er meint, dann sind es die beiden Punkte. Wir haben haben daher sein Schweigen zugunsten des *yā'* interpretiert. Der Gebrauch von *alif maksūra* und *alif mamdūda* geht völlig regellos durcheinander. Wir hielten uns daher für berechtigt, jeweils das übliche Schriftbild herzustellen(2). Beim Zahlwort sowie der Rektion des folgenden Nomens waltet in der Handschrift absolute Willkür ob. Wir haben daher stillschweigend die normalen Formen eingesetzt, wo sie nicht ohnehin vorhanden waren. Ebenso haben wir, wo es nötig war, das Wort *ibn* in die gebräuchliche Orthographie umgesetzt. —Weitergehende Änderungen haben wir dagegen regelmässig im Apparat vermerkt, etwa den in der Handschrift häufig nicht gekennzeichneten Objektsakkusativ, die Verwechslung von ض und ظ. Im übrigen haben wir uns nicht gescheut, ersichtlich fehlerhafte Formen und Schreibungen im Text stehen zu lassen, wenn zu vermuten ist, dass der Leser ohnehin versteht, was gemeint ist (etwa die vielen

(1) Von diesem Grundsatz wurde nur gelegentlich zur Vermeidung von Missverständnissen abgewichen, etwa bei den Namen بهاء الدين und علاء الدين.

(2) Natürlich nicht in Fällen wie لم يرا statt لم ير.

dieser Sprachform hat JOHANN FÜCK behandelt [1]. Einzelne Werke, besondere Literaturgattungen oder bestimmte Erscheinungen des Sprachgebrauchs sind des öfteren untersucht worden. Erst vor kurzem hat sich HANS WEHR mit einem Text aus der schönen Literatur befasst [2], der zwar viel älter als unsere Chronik ist, aber in sprachlicher Hinsicht weitgehende Parallelen aufweist. Auch ein historischer Text ist vor einiger Zeit in sprachlicher Hinsicht untersucht worden, nämlich die bereits erwähnte Mamlūken-Chronik ZETTERSTÉENS [3]. Dieser Gelehrte hat seiner Ausgabe eine ausführliche sprachliche Einleitung vorausgeschickt. Da sich so gründliche Vorarbeiten durch neue Feststellungen aus unserem Text kaum bereichern liessen, dürfen wir von einer näheren Beschreibung seiner sprachlichen Eigentümlichkeiten absehen.

Dagegen sind einige Worte über die Methode am Platze, der wir bei unserer Ausgabe gefolgt sind. Es kam uns in erster Linie darauf an, unsere Chronik für die historische Forschung zu erschliessen. Wir haben daher den in der Handschrift durchlaufenden Text in Absätze gegliedert und mit Interpunktionszeichen versehen [4]. Die Kapiteleinteilung des Autors haben wir beibehalten. Zwar wäre eine weitergehende Gliederung des Textes durch Zwischenüberschriften hin und wieder möglich gewesen, doch glaubten wir den Interessen des Lesers durch die Verwendung lebender Kolumnentitel besser zu dienen. Schliesslich haben wir dem Buch möglichst eingehende Indices beigegeben, in denen wir jeweils neben der Seitenzahl auch die Zeile vermerkt haben, in der das Stichwort vorkommt. Bei dem Verzeichnis der Termini und Wörter haben wir keine engen Grenzen gezogen.

[1] *Arabiya, Untersuchungen zur arabischen Sprach- und Stilgeschichte,* Abh. SAW 45, 1, Berlin 1950.

[2] In der Einleitung zu seiner Ausgabe *Das Buch der wunderbaren Erzählungen und seltsamen Geschichten,* Wiesbaden 1956.

[3] *Beiträge zur Geschichte der Mamlūkensultane,* S. 1-31, sowie die anschliessenden Anmerkungen, S. 34-118.

[4] Wir sind dabei den Grundsätzen gefolgt, die in der letzten Jahren in der *Bibliotheca Islamica* angewendet wurden.

stehen scheint. Die beiden Chronisten haben anscheinend in enger Verbindung miteinander gestanden. So teilt Ibn ad-Dawādārī eine Ḫuṭba mit (102 f.), die einer seiner Freunde (*baʿḍ al-aṣḥāb*) aus Anlass des Erdbebens im Jahre 702 gehalten habe. Es ist die gleiche Predigt, die sich in der Zetterstéen'schen Chronik (S. 127 f.) findet und die deren Verfasser als sein eigenes Werk bezeichnet. Anderseits bringt auch Zetterstéens Autor (S. 101-103) den soeben erwähnten Bericht al-Muġīrīs, für den nach Lage der Dinge doch Ibn ad-Dawādārī die Priorität besitzt. Die Frage, ob für den Anfang der Berichtszeit Ibn ad-Dawādārī oder jener andere Autor die grössere Originalität besitzt oder ob beide aus einer gemeinsamen dritten Quelle geschöpft haben, muss im Augenblick noch unbeantwortet bleiben; die ersten Jahre, über die Zetterstéens Autor berichtet, werden bei Ibn ad-Dawādārī nicht in dem vorliegenden Bande, sondern in dem achten Bande seiner Chronik behandelt.

Die Sprache unserer Chronik weicht, sowohl was den Wortschatz, den Wortgebrauch und die Grammatik, als auch was den Stil und die Orthographie angeht, in beträchtlichem Ausmass von dem klassischen Arabisch ab. Neben längeren Passagen in kunstvoller Reimprosa (*saǧʿ*) findet sich einfacher Berichtsstil, häufig durchsetzt mit Wörtern und Formen aus der Vulgärsprache. Durchweg ist der Text nachlässig niedergeschrieben; neben korrekten Formen fällt die grosse Zahl ganz offensichtlicher sprachlicher Verstösse auf. Diese Mischung aus sehr verschiedenen Elementen lässt sich nicht einfach mit dem Hinweis auf die geringe sprachliche Bildung des Verfassers abtun. Ein Mann, der eine umfangreiche Universalchronik und mehrere andere Werke schreibt, der offensichtlich mit zahlreichen Werken der klassischen und der nachklassischen Zeit vertraut ist und darüber hinaus ein unverkennbares Empfinden für sprachliche Besonderheiten hat [1], kann nicht als ungebildet gelten, auch nicht in sprachlicher Hinsicht.

Die Sprache Ibn ad-Dawādārīs ist uns vielmehr aus zahlreichen Werken bekannt, die in der Mamlūkenzeit besonders häufig, aber auch schon vorher nicht selten sind und sogar in die klassische Zeit zurückreichen. Die allgemeine Vorgeschichte

[1] Vgl. S. 201 : 8 und 204 : 6-7, wo der Chronist den genauen Wortlaut von Äusserungen der handelnden Personen wiedergibt.

vorzüglicher Gewährsleute stützen, die er meistens namentlich anführt. Als ein Beispiel für viele verweisen wir nur auf den Emir Ḥusām ad-Dīn al-Muġīrī, der 704 von einer Gesandtschaftsreise an den Ilchan-Hof zurückkehrte und in Gegenwart Ibn ad-Dawādārīs ausführlich über seine Erlebnisse berichtete (71-76, 129 f.). Aber er muss auch Zugang zu den Kanzleien gehabt haben, wie die im Wortlaut mitgeteilten Dokumente zeigen. Dass er anhand von Abschriften arbeitete, die er sich beschaffte, geht deutlich aus der Bemerkung hervor, er könne ein bestimmtes Sendschreiben des Chans der Goldenen Horde an den ägyptischen Sultan nicht im Wortlaut mitteilen, weil die Kopie, die er besessen habe, verloren gegangen sei (303). An anderer Stelle (160) verzichtet er auf die Wiedergabe eines amtlichen Dokuments, weil er keine Abschrift habe, seiner Chronik aber keine erdichteten Sachverhalte einverleiben wolle. Zahlreich sind schliesslich die Stellen, an denen er sich als Augen- bzw. Ohrenzeuge bezeichnet [1].

Wenn damit auch als erwiesen gelten kann, dass Ibn ad-Dawādārīs Bericht über den Sultan an-Nāṣir Muḥammad eine wertvolle historische Quelle darstellt, so überhebt das nicht der Notwendigkeit, die Stichhaltigkeit seiner Mitteilungen im einzelnen nachzuprüfen und sein Verhältnis zu anderen zeitgenössischen Autoren zu ermitteln, besonders hinsichtlich solcher Passagen, die anderswo ebenfalls zu finden sind. Wir beabsichtigen die dazu erforderlichen Untersuchungen im Zusammenhang mit dem vorausgehenden, dem achten Band der Chronik, mit dessen Bearbeitung wir begonnen haben, durch- bzw. weiterzuführen. Da auch jener Band die Mamlūken-Herrschaft behandelt, ist es sinnvoll, jene quellenkritische Betrachtung für den gesamten Bericht über die Mamlūken, also erst später, vorzunehmen.

An dieser Stelle mag immerhin vorausgeschickt werden, dass der Autor der von K. V. Zettersteen publizierten Mamlūken-Chronik [2], oder genauer der anonyme Verfasser von deren erstem Teil, unserem Autor besonders nahe zu

[1] Beispiele dafür : 153, 182, 183, 188, 227, 229, 257, 262.

[2] *Beiträge zur Geschichte der Mamlūkensultane in den Jahren* 690-741 *der Hiǧra nach arabischen Handschriften,* Leiden 1919.

grossen Umfangs abfasste, sondern auch die grosse Zahl der von ihm zitierten und benutzten Bücher [1]. Hinzu kommt aber noch, dass er ausser den beiden Fassungen seiner Chronik noch mehrere andere Schriften geschrieben hat. In dem vorliegenden Bande erwähnt er die drei folgenden : (1) *Aʿyān al-amṯāl wa-amṯāl al-aʿyān* (322, 336), (2) *Ḥadāʾiq al-aḥdāq wa-daqāʾiq al-ḥuḏḏāq* (205, 340) und (3) *ʿĀdāt as-sādāt sādāt al-ʿādāt fī manāqib aš-šaiḫ Abī s-Saʿādāt* (154). Dazu kommt noch ein im ersten Bande der Chronik [2] erwähntes Buch (4) *Maṭāliʿ al-anwār fī manāqib al-abrār*. Allerdings hat sich bisher nicht eines dieser Werke ermitteln lassen.

Es liegt auf der Hand, dass in einer Universalchronik, deren Quellen bekannt und grösstenteils erhalten sind, die Darstellung derjenigen Begebenheiten besonderes Interesse verdient, die der Chronist aus seinem eigenen Erleben oder nach den Berichten beteiligter Zeitgenossen kennt. Von Ibn ad-Dawādārīs Chronik ist das der neunte Band. Der Verfasser bezeichnet ihn selbst ausdrücklich als seine eigene Leistung [3], und auch schon Claude Cahen hat auf den Quellenwert dieses Bandes hingewiesen [4]. Das sind die Gründe, deretwegen wir uns an erster Stelle mit dem letzten Band des Werkes befasst und diesen zur Ausgabe vorbereitet haben.

Tatsächlich trägt der vorliegende Band auf weite Strecken deutlich das Gepräge eigenen Miterlebens oder sogar tätiger Anteilnahme an den Ereignissen. Diese Unmittelbarkeit tritt an denjenigen Stellen besonders deutlich hervor, die wir soeben für die Lebensschicksale des Autors angezogen haben. Sie zeigt sich aber auch an vielen anderen Stellen, etwa da, wo von den Beduinen die Rede ist, mit denen ja der Vater kraft seines Amtes viel zu tun hatte (z. B. 114). Auch sonst wird der Vater mit seinen reichen Erfahrungen in der mamlūkischen Verwaltung nicht selten zitiert. Daneben konnte sich der Chronist auf eine ganze Anzahl

[1] Siehe die oben S. 15 mitgeteilte Liste und den Index der Dichter, Autoren und Bücher, S. 503 ff.

[2] Handschrift Ayasofya Nr. 3073, S. 13.

[3] Ib. S. 1.

[4] REI 1936, S. 343.

Bis zum Ende seines Vaters sehen wir den Sohn immer wieder in dessen Begleitung. So nimmt er auch an der Übersiedlung von Kairo nach Damaskus teil und erwähnt, dass er sich 712 in Damaskus aufgehalten habe (257). Man wird also annehmen dürfen, dass er damals noch in jüngeren Jahren stand und vielleicht noch keinen eigenen Hausstand hatte. Immerhin muss er aber schon ein Amt gehabt haben; denn als der Vater in seinem Todesjahr mit einer Abordnung von Emiren ausgesandt wurde, um die kurz zuvor von den Mongolen belagerte Festung ar-Raḥba zu inspizieren (258, 260 f.), erklärt er ausdrücklich, er habe den Vater nur aus Anhänglichkeit (*min ṭarīq šafaqa*) begleitet; sein Lehen liege nämlich in Ägypten, und ein Kommando (*taǧrīd*) nach Syrien habe er nicht gehabt. Welches Amt das gewesen sein mag, entzieht sich unserer Kenntnis, doch dürfte es der militärischen Verwaltung angehört haben. Das entspräche der Laufbahn des Vaters und auch der Bezeichnung *mamlūk*, die Saif ad-Dīn mehrfach für sich verwendet (z. B. 200 : 4, 20; 202 : 4, 17). Auch der ihm 723 zuteil gewordene Auftrag, die Reise eines hohen Beamten durch Bereitstellung der Postpferde an den einzelnen Stationen des Reiseweges vorzubereiten (310), passt dazu.

Besonders eindrucksvoll ist die Rolle, die Ibn ad-Dawādārī bei dem kurzen Intermezzo der Herrschaft des Baibars al-Ǧāšnkīr spielt. Er wohnte der Versammlung bei, in der im Jahre 708 der Nachfolger für den zurückgetretenen Sulṭān an-Nāṣir Muḥammad gewählt wurde (157). Dann sehen wir ihn als Gewährsmann seines Vaters bei der Nachrichtenübermittlung von Kairo nach al-Karak, dem Exil des zurückgetretenen Sultans, ein gefährliches Spiel, das er auch dann nicht einstellt, als Baibars davon Wind erhalten und dem Vater einen sehr scharfen Drohbrief geschrieben hatte [1]. Später nimmt er mit seinem Vater im Auftrag an-Nāṣirs an der Fahndung nach dem gescheiterten Baibars teil (198), beschafft auf das Geheiss seines Vaters Proviant (200 ff.) und zieht eine Strecke Weges mit der Eskorte des gefangenen Baibars in Richtung Kairo, wobei er mit diesem einige Worte wechselt (203 f.).

Unser Autor muss ein sehr belesener und geistig interessierter Mensch gewesen sein. Dafür spricht nicht nur die Tatsache, dass er eine Universalchronik so

[1] Vgl. die gegenüber S. 17 abgebildete Probe aus der Handschrift und S. 177-179.

Diensten des auch sonst bekannten Emirs Saif ad-Dīn Balbān ar-Rūmī ad-Dawādār aṭ-Ṭāhirī gestanden und deshalb die Nisbe *ad-Dawādārī* erhalten [1]. Dass der Sohn tatsächlich von seinen Zeitgenossen *Ibn ad-Dawādārī* genannt wurde, erfahren wir aus dem Gedicht, dass ihm Ibn Dāniyāl im Jahre 704 anlässlich eines Jagderlebnisses widmete [2]. Er führte den Beinamen Saif ad-Dīn [3] und leitete seine Abstammung von den Selǧuqen her [4].

Ibn ad-Dawādārī gehörte einer in Kairo ansässigen Familie an (267) und wuchs dort in der Ḥārat al-Bāṭilīya auf (132). Seinem Vater begegnen wir in den Jahren 703 und 709 als *mutawallī* der Provinz aš-Šarqīya, der Wilāyat al-ʿurbān und einiger benachbarter Gebiete, eine Stellung, die er elf Jahre hindurch innehatte (117). Schon 710 suchte er um seine Entlassung nach, die ihm dank der Vermittlung einer der Gemahlinnen des Sultans auch gewährt wurde (209). Vor die Wahl zwischen einer weiteren Verwendung in Ägypten oder in Syrien gestellt, entscheidet er sich für Damaskus. Er siedelt mit seiner Familie dorthin über und erhält den Posten eines *mihmāndār,* wenig später dazu noch das Amt des *mušidd ad-dawāwīn* (213), das er aber wegen Differenzen mit seinem Vorgesetzten schon nach Jahresfrist niederlegte (117). Von da an bis zu seinem Tode war er nur noch *mihmāndār*. Mit der Versetzung nach Syrien wurde ihm das ostjordanische Dorf Ḥisfīn (im Ḥaurān) [5] zu Lehen (*iqṭāʿ*) übertragen (108 f., 228). Wegen seiner Zuverlässigkeit und Ehrlichkeit erhält er im Jahre 713 vom Hof in Kairo den Auftag, Ermittlungen gegen einen ungetreuen Wesir durchzuführen (267). In deren Verlauf fand er auf dem Weg nach der Festung ʿAǧlūn am 10. Raǧab bei einem Sturz mit dem Pferd den Tod. Er wurde in Adriʿat unweit der letzten Ruhestätte seiner Eltern beigesetzt. Trotz seiner hohen Ämter hatte er es nicht zu Reichtümern gebracht. Bei der Übersiedlung nach Damaskus musste er seine Habe verkaufen, um das Reisegeld zusammenzubringen, und in seinem Nachlass fand der Sohn 13.000 Dirham Schulden (117, 118).

[1] Vgl. die Abbildung des Titelblatts gegenüber S. 16.

[2] S. 122-124, wo der Name allerdings ابن الدويدارى geschrieben wird, vgl. oben S. 16[2].

[3] Siehe S. 202 und öfter.

[4] Zéki, *Mémoire*, S. 13.

[5] Vgl. Yāqūt, *Muʿǧam al-buldān,* Bd. II, Beirut 1965, S. 371.

gekommen sind, nämlich die unter Nr. 8, 9, 10 und 13 aufgeführten Titel (1).

Weder IBN AD-DAWĀDĀRĪ noch seine Chronik scheinen in die arabischen Bücherverzeichnisse und biographischen Werke damaliger oder späterer Zeiten Eingang gefunden zu haben. Unter den Geschichtschreibern haben wir lediglich bei AL-MAQRĪZĪ (2) und IBN IYĀS (3) ganz knappe Bemerkungen finden können, die sich vielleicht auf unseren Autor beziehen (4). Bekannt war sein Werk nach Ausweis einer signierten Benutzernotiz (5) dem Historiker IBN DUQMĀQ. Für die Lebensdaten IBN AD-DAWĀDĀRĪS sind wir jedenfalls auf die autobiographischen Bemerkungen angewiesen, die er in seinem Buch gelegentlich einfliessen lässt. Wir stellen hier zusammen, was sich dem vorliegenden Bande entnehmen liess.

Der Vater unseres Autors, Ǧamāl ad-Dīn (6) ʿAbdallāh, hatte seiner Zeit in den

(1) Das *Kitāb aš-šarīf Aḫī Muḥsin* wird auch in den *Ḫiṭaṭ* des MAQRĪZĪ und von AN-NUWAIRĪ erwähnt.

(2) Ob der *Sulūk* (ed. ZIYĀDA) II, S. 806, im Jahre 750, erwähnte Ibn ad-Dawādārī etwas mit dem unsrigen zu tun hat, ist nicht auszumachen. Übrigens hat eine der von ZIYĀDA benutzten Handschriften ebenfalls die in der vorliegenden Ausgabe, S. 123 (Zeile 6), verwendete Orthographie ابن الدويدارى.

(3) *Badāʾiʿ az-zuhūr wa-waqāʾiʿ ad-duhūr*, Bd I, Būlāq 1311, S. 173. Dort ist von der Chronik des Šaiḫ Saif ad-Dīn Abū Bakr b. Asad die Rede. Da ein Chronist dieses Namens sonst nicht bekannt ist, könnte es sich um Ibn ad-Dawādārī handeln. Freilich passt der Namensteil « ibn Asad » nicht; immerhin könnte es sich dabei aber um ein Schreiberversehen oder einen Druckfehler (etwa für « ibn ʿAbdallah » handeln).

(4) In modernen Arbeiten, abgesehen von den bereits erwähnten, wird die Chronik des Ibn ad-Dawādārī auch nicht häufig zitiert. ʿALĪ IBRĀHĪM ḤASAN führt sie zwar in der Bibliographie seiner *Dirāsāt fī taʾrīḫ al-mamālīk al-baḥrīya wa-fī ʿaṣr an-Nāṣir Muḥammad bi-waǧhin ḫāṣṣin* (Kairo ¹1944 und ²1948) auf, zitiert aber in den Anmerkungen nur den achten, eigentümlicherweise nicht den neunten Band. Diesen hat, soweit wir sehen, bisher nur ṢALĀḤ AD-DĪN AL-MUNAǦǦID, für seinen Aufsatz *Marsūm mamlūkī šarīf* in RAAD 33 (1958), S. 258-269, herangezogen, in dem das in vorliegender Ausgabe, S. 139-141, stehende Schriftstück veröffentlicht und besprochen wird. Frühere Bände der Chronik benutzte WILFERD MADELUNG in seiner Hamburger Dissertation, deren Veröffentlichung unter dem Titel *Fatimiden und Baḥrainqarmaṭen* in *Der Islam* im Gange ist, s. vorläufig Bd 34 (1959), S. 34-88.

(5) In der Handschrift Saray Ahmed III. Nr. 2932/VIII, S. 354 : *ṭālaʿahū wa-stafāda minhu Ibrāhīm ibn Duqmāq ʿafā llāhu ʿanhu.*

(6) Dieser *laqab* findet sich mehrfach, z. B. Seite 168 und 182 f.

wiederholen hier jene 13 Titel, die der Autor am Anfang seines Werkes aufführt:

(1) *Kitāb aš-šifā' fī mu'ǧizāt al-muṣṭafā* [1];
(2) *Ta'rīḫ al-Qāḍī Ibn Ḫallikān* [2];
(3) *ar-Rauḍ az-zāhir fī sīrat al-Malik aẓ-Ẓāhir* [3];
(4) *Ta'rīḫ Abī l-Muẓaffar ibn al-Ǧauzī* [4];
(5) *Kitāb ǧanā n-naḥl* [5];
(6) *Kitāb al-Qāḍī Ṣā'id ibn Ṣā'id al-Andalusī* [6];
(7) *Ta'rīḫ Ibn Zūlāq bi-Miṣr* [7];
(8) *al-Kitāb at-turkī fī aḫbār at-Tatār* [8];
(9) *Kitāb ḥall ar-rumūz fī 'ilm al-kunūz;*
(10) *Kitāb aš-šarīf Aḫī Muḥsin;*
(11) *al-Faiḥ al-qudsī fī sīrat Ṣalāḥ ad-Dīn* [9];
(12) *Ta'rīḫ Ibn Wāṣil al-Ḥamawī* [10];
(13) *Kitāb maṭāli' aš-šurūq fī banī Salǧūq.*

Wie diese Liste zeigt, hat Ibn ad-Dawādārī weitgehend aus bekannten Büchern geschöpft. Trotzdem waren ihm aber auch Quellen bekannt, die nicht auf uns

[1] Wohl identisch mit al-Qāḍī 'Iyāḍ b. Mūsā al-Yaḥṣabī, *aš-Šifā' bi-ta'rīf ḥuqūq al-muṣṭafā* vgl. Sarkis, *Mu'ǧam al-maṭbū'āt,* S. 1357.

[2] Gemeint ist wohl *Wafayāt al-a'yān.*

[3] S. die Teilausgabe dieses Werkes von Syedah Fatima Sadeque, *Baybars I of Egypt,* Dacca 1956.

[4] *al-Muntaẓam fī ta'rīḫ al-mulūk wal-umam,* vgl. den Teildruck Hyderabad 1357.

[5] Der vollständige Titel lautet bei Qalqašandī, *Ṣubḥ al-a'šā* II, S. 93, *Ǧanā l-maḥl wa-ǧanā n-naḥl,* in Bd XIV, S. 391, dagegen *Ḥayā l-maḥl wa-ǧanā n-naḥl;* die letztere Fassung des Titels findet sich auch bei 'Umar b. Ibrāhīm al-Ausī al-Anṣārī, *Tafrīǧ al-kurūb fī tadbīr al-urūb.* Handschrift Princeton (o. Nr.), fol. 4a.

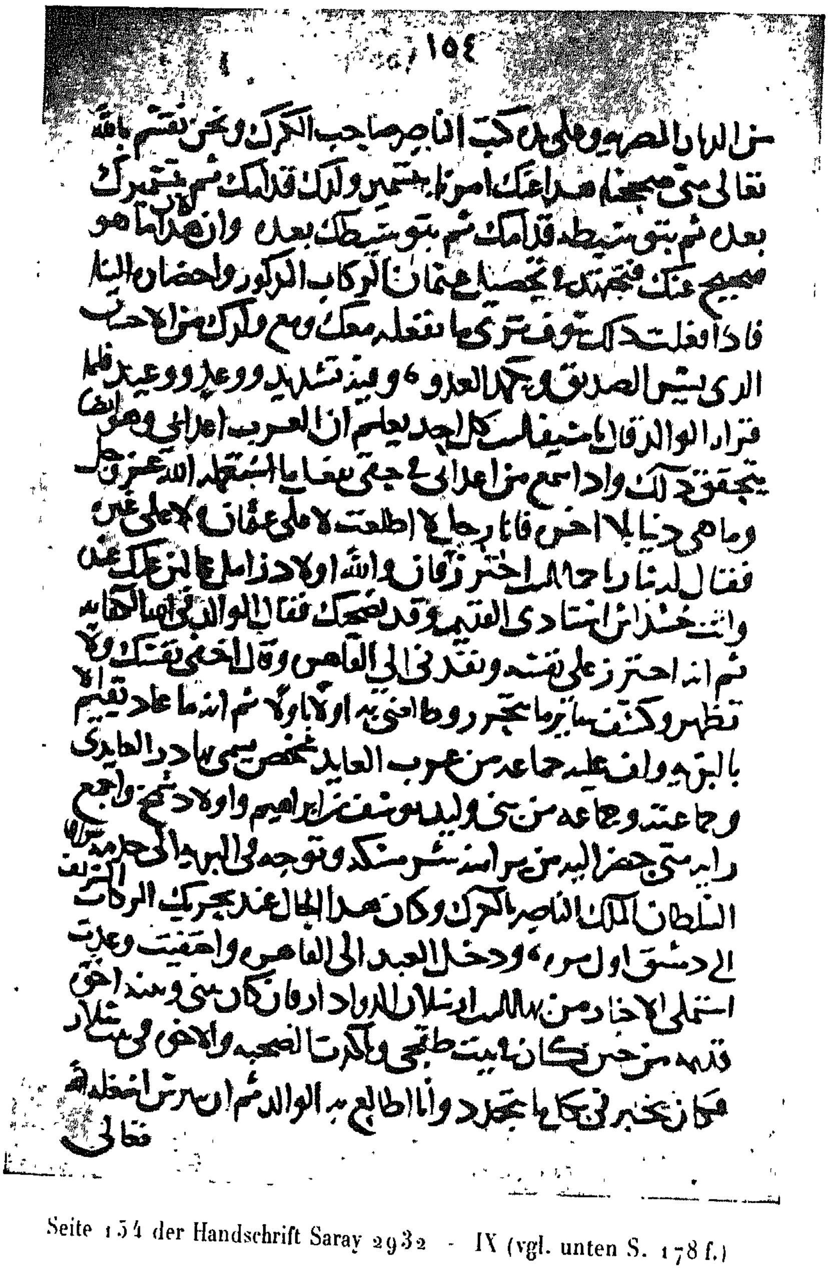
[6] Wohl die *Ṭabaqāt al-Umam* des GAL S I, S. 585, unter der Nisbe al-Qurṭubī aufgeführten Autors.

[7] Ibn Zūlāq al-Laiṯī, *Faḍā'il Miṣr wa-aḫbāruhā wa-ḫawāṣṣuhā,* s. GAL S I, S. 230.

[8] Die Handschrift ist an dieser Stelle undeutlich, die Lesung des letzten Wortes nicht ganz sicher.

[9] Es kann sich nur um das bekannte Werk des 'Imād ad-Dīn al-Kātib al-Iṣfahānī handeln, vgl. GAL I, S. 383 f., zum Titel Landberg, *ZMDG* 48, S. 166.

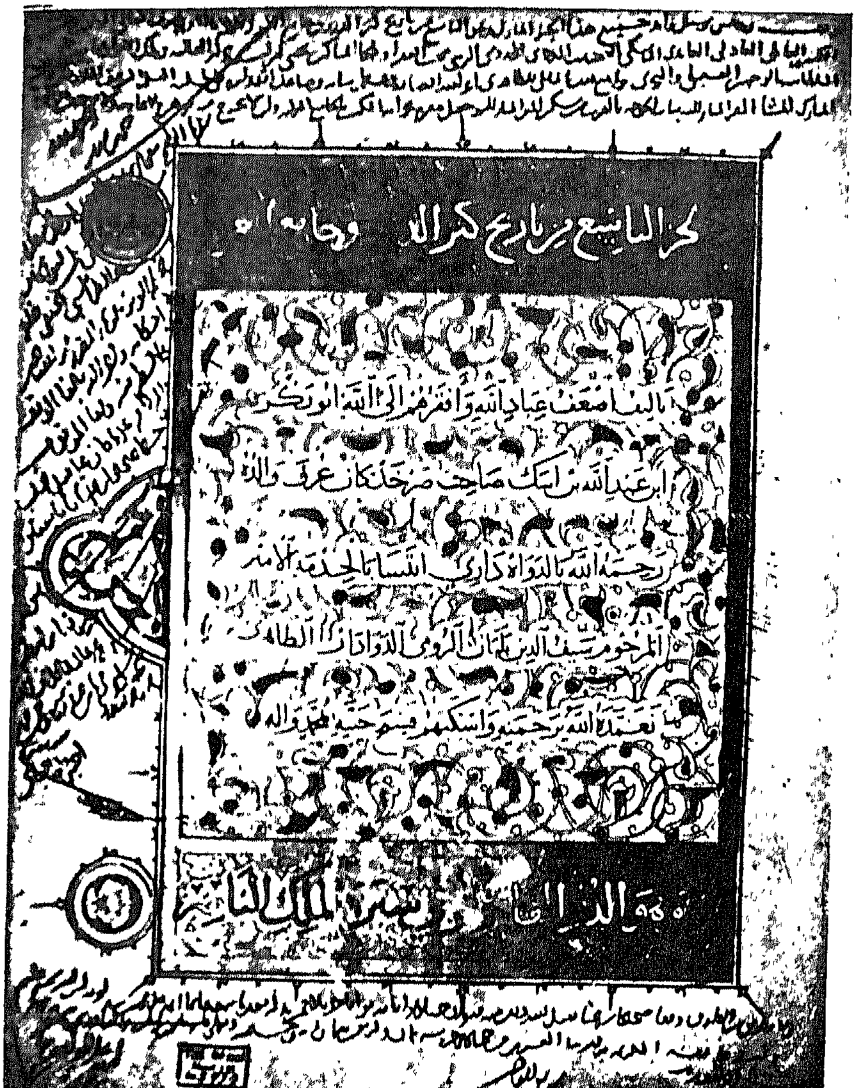
[10] *Mufarriǧ al-kurūb fī aḫbār banī Ayyūb,* s. die im Gange befindliche Ausgabe von Ǧamāl ad-Dīn aš-Šayyāl, Kairo, Bd I, 1953, Bd II, 1957, Bd III im Druck (März 1960).



١٥٤

من الديار المصرية وهلي بن كتب الناصر صاحب الكرك ونحن نقسم بالله
تعالى متى حبهنا صار عنك امر الا حتمين ولكن قدامك ثم تتميرك
بعد ثم بتوسيطه قدامك ثم بتوسيطك بعد وان هذا انما هو
صحيح عنك فتجتهد في تحصيل مثمان الركاب الركوب واحضار الينا
فاذا فعلت ذلك توفر ترى ما نفعله معك ووعد ولكن هذا الاحب
الذي يسر الصديق ويكمد العدو وفيه تشديد ووعد ووعيد فلما
قراه الوالد قال ما شيء الست كل احد يعلم ان العرب اعدائي وهم ايضا
يتحققون ذلك واذا سمع من اعدائي في حتى بعضا ما استحله الله عز وجل
وما هي دنيا بلا اخرى فانا رجل لا اطلعت لا على عثمان لا على غيره
فقال لنا راجح الملك احتز زمان والله اولاد زامل لا لين عليك عند
وانت خذان استادي القديم وقد تضحك فقال الوالد في انها الكفاية
ثم انه احترز على نفسه وتقدم لي الى القاهرة وقال اخفي نفسك ولا
تظهر وكتف ساير ما يجري وطالعني به اولا باولا ثم انه ما عاد يقيم
بالبرية واتف عليه جماعة من عرب العايد مخصص يسمى بادر العايدي
وجماعته وجماعة من بني وليد يوسف بن ابراهيم واولاده ثم واجمع
رايه متى حضر اليه من رايه شر مسكه وتوجه في البرية الى الكرك … مقام
السلطان الملك الناصر بالكرك وكان هذا الحال عند تحرك الركاب
الى دمشق اول مرة ودخل العبد الى القاهرة واختفيت وعدت
استملي الاخبار من … الرواد … نكان بيني وبينه اخو
فقيه من حرس كان في بيت طبجي واكثرت الصحبة والاخوة …
فكان يخبرني بكل ما يتجدد وانا اطالع به الوالد ثم ان … انفذه الله
تعالى

Seite 154 der Handschrift Saray 2932 - IX (vgl. unten S. 178 f.)



Titelblatt der Handschrift Saray 2932 — IX

ausserdem Mikrofilme im Handschriften-Institut der Arabischen Liga (*Maʿhad al-maḫṭūṭāt al-ʿarabīya bi-Ǧāmiʿat ad-duwal al-ʿarabīya*) [1] zu Kairo verwahrt.

Die auf den Verfasser zurückgehende Epitome *Durar at-tīǧān wa-ġurar tawārīḫ al-azmān* reicht bis zum Jahre 710, bricht also 26 Jahre früher ab als das Hauptwerk. Sie besteht aus einem Bande, von dem die Handschriften Al Damad Ibrahim Paşa 913 und Stadtbibliothek Alexandrien 3828 ǧ bekannt sind. Von beiden Handschriften befindet sich je ein Mikrofilm im Handschriften-Institut der Arabischen Liga [2] und je eine Photokopie in der ägyptischen Nationalbibliothek [3].

Wie die vorstehende Übersicht zeigt, haben wir es mit einer Universalchronik zu tun. Sie ist, wie der Autor in der Einleitung zu dem ersten Bande mitteilt [4], im Jahre 709 begonnen worden, und der Abschluss fällt nach dem Kolophon des neunten Bandes [5] in den Anfang des Jahres 936. Soweit der Autor sich nicht auf eigene Wahrnehmungen und Erlebnisse, mündliche Berichte Dritter, insbesondere älterer Zeitgenossen stützen konnte, war er natürlich auf schriftliche Quellen angewiesen. Tatsächlich teilt er ausdrücklich mit, dass er sich auf etliche 50 Quellen [6] stütze, wobei er auf seine diesbezüglichen Angaben verweist (*ḥasbamā ḏakartu min asmāʾihim*). Bei diesem Hinweis wird er in erster Linie an die Liste von Werken gedacht haben, die sich ohne nähere Erklärung auf Seite 1 des ersten Bandes befindet. Sie enthält allerdings nicht «einige fünfzig», sondern nur 13 Titel. Mithin wird er nicht jene Liste allein im Auge gehabt haben, sondern auch die zahlreichen, im Verlauf seines Werkes zitierten Bücher, wie wir sie für den neunten Band in einem besonderen Index zusammengestellt haben [7]. Wir

[1] Namlich die Filme Nr. 972 und 973, vgl. *Fihris al-maḫṭūṭāt al-muṣawwara,* Bd. II, 1, Nr. 314 (S. 217 f.).

[2] Nämlich die Filme 301 und 404, vgl. *Fihris al-maḫṭūṭāt al-muṣawwara* II, 2, Nr. 654 (S. 58).

[3] *Fihris al-kutub* IV, S. 179, Nr. 2605.

[4] Handschrift Ayasofya Nr. 3073, S. 8.

[5] S. 402 der vorliegenden Ausgabe.

[6] Handschrift Ayasofya Nr. 3073, S. 10.

[7] Siehe u. S. 503 ff. (*fihris aš-šuʿarāʾ wal-muʾallifīn wal-kutub*).

Band 8 : *Zahr al-murūǧ min qismat falak al-burūǧ*, al-musammā : *ad-Durra az-zakīya fī aḫbār daulat al-mulūk at-turkīya* (bis 698 H.); Handschrift vom 20. Ḏū l-Qaʿda 734, Saray Ahmed III. Nr. 2932/VIII, 177 Blatt;

Band 9 : *al-Ǧauhar al-anfas min qismat al-falak al-aṭlas*, al-musammā : *ad-Durr al-fāḫir fī sīrat al-Malik an-Nāṣir*; Handschrift von Anfang 736, Saray Ahmed III. Nr. 2932/IX, 171 Blatt.

Alle neun Bände sind 34,5×26,5 cm gross, der Schriftspiegel 26×19 cm, mit dunkelbrauner Tinte auf gelbbraunem, dickem Papier in Nasḫī geschrieben, die Überschriften rot, die Seite zu 21 Zeilen. Das Papier ist leicht wurmstichig, sonst gut erhalten. Die Bände tragen einen braunen Einband mit rotem Lederrücken und sind fest gebunden.

Sie enthalten zahlreiche Randglossen von der Hand des Verfassers. Die Bände 5 und 6 tragen Revisionsvermerke des Autors, nämlich *balaġa naẓaran wa-taḥrīran min al-muṣannif* bzw. *balaġa naẓaran min al-muṣannif ʿafā llāhu ʿanhu*. Der Kolophon des achten Bandes enthält den Vermerk *bi-ḫaṭṭi yadi wāḍiʿihī wa-muṣannifihī wa-ǧāmiʿihī wa-muʾallifihī aḍʿafi ʿubbādi llāhi wa-afqarihim ilā llāh Abū* (sic!) *ʿAbdallāhi ibn Aibak ṣāḥib Ṣarḫad kāna* etc.[1]. Die Bände 1, 2, 4, 5, 6 und 7 enthalten jeweils am Schluss ähnliche Vermerke; nur in den Bänden 3 und 9 fehlen sie. Da aber auch diese beiden Bände von der gleichen Hand geschrieben sind wie die übrigen, gehen sie ebenfalls auf den Autor zurück, und es steht fest, dass wir es mit dem vollständigen Autograph zu tun haben.

Von allen neun Bänden werden Photographien in der ägyptischen Nationalbibliothek (*Dār al-kutub al-miṣrīya*)[2] sowie von den Bänden 3, 6, 7, 8 und 9

[1] Die Vermutungen, bei den sogleich zu erwähnenden Handschriften der *Durar at-tīǧān* in der Sammlung Al Damad Ibrahim Paṣa 913 (Ahmed Zéki Bey, *Mémoire*, S. 13) oder Stadtbibliothek Alexandrien 3828 ǧ (F'uād Sayyid, *Fihris al-maḫṭūṭāt al-muṣawwara* II, 2, S. 58) handle es sich um Autographen, sind damit erledigt; diese beiden Codices weisen nämlich nicht nur untereinander sondern auch gegenüber dem Mufaṣṣal völlig unterschiedliche Schreiberhände auf, und in der zuerst genannten Handschrift ist sogar der Name des Schreibers, Yūsuf b. ʿUṯmān al-Ḥimyārī, ausdrücklich angegeben.

[2] *Fihris al-kutub* IV, S. 310, Nr. 2528.

einen Band bildet. Dementsprechend hat jeder Teil einen zweigliedrigen Titel, dessen erster Bestandteil sich auf eine der Himmelssphären bezieht, während der zweite auf den Inhalt zurückgeht. Da der Autor auf dem Titelblatt eines jeden Bandes nur das zweite Glied des jeweiligen Titels angibt, das erste dagegen fortlässt, wird man jenes zweite Glied ohne Frage als den Haupttitel betrachten dürfen. Wir lassen eine Übersicht über alle neun Bände hier folgen :

Band 1 : *Nuzhat al-baṣar min qismat falak al-qamar,* al-musammā : *ad-Durrat al-ʿulyā fī aḫbār badʾ ad-dunyā* (die Welt bis zu den Anfängen der Menschheit) ; Handschrift vom 23. Ḏū l-Ḥiǧǧa 732, Ayasofya Nr. 3073, 171 Blatt.

Band 2 : *Ġullat al-wārid min qismat falak ʿuṭārid,* al-musammā : *ad-Durra al-yatīma fī aḫbār al-umam al-qadīma* (die Menschheit vor Muḥammad) ; Handschrift von Mitte Rabīʿ II 733, Ayasofya Nr. 3074, 178 Blatt ;

Band 3 : *al-Mušarraf bil-qudra min qismat falak az-zuhra,* al-musammā : *ad-Durr aṯ-ṯamīn fī aḫbār sayyid al-mursalīn wal-ḫulafāʾ ar-rāšidīn ;* Handschrift vom 26. Ḏū l-Qaʿda 733, Saray Ahmed III. Nr. 2932/III, 166 Blatt ;

Band 4 : *Buġyat an-nafs min qismat falak aš-šams,* al-musammā : *ad-Durra as-samīya fī aḫbār ad-daula al-umawīya ;* Handschrift vom 17. Muḥarram 734, Ayasofya Nr. 3075 ;

Band 5 : *Allaḏī kullu samʿin nasīḫ min qismat falak al-mirrīḫ,* al-musammā : *ad-Durra as-sanīya fī aḫbār daulat al-ʿabbāsīya* (bis zu den Fatimiden) ; Handschrift vom 5. Rabīʿ II 734, Ayasofya Nr. 3076, 176 Blatt ;

Band 6 : *al-Fāʾiq ṣiḥāḥ al-ǧauharī min qismat falak al-muštarī,* al-musammā : *ad-Durra al-maḍīya fī aḫbār ad-daula al-fāṭimīya* (bis 555 H.) ; Handschrift vom 20. Ǧumādā II 734, Saray Ahmed III. Nr. 2932/VI, 165 Blatt ;

Band 7 : *Šuhd an-naḥl min qismat falak zuḥal,* al-musammā : *ad-Durr al-maṭlūb fī aḫbār mulūk daulat banī Ayyūb* (bis 648 H.) ; Handschrift vom 7. Šaʿbān 734, Saray Ahmed III. Nr. 2932/VII, 167 Blatt ;

EINLEITUNG

Die Chronik, deren Ausgabe der vorliegende Band einleitet, ist der Wissenschaft seit einem halben Jahrhundert bekannt. AHMED ZÉKI BEY (1) hat als erster auf die Bedeutung des Werkes, das uns in zwei Fassungen, einer ausführlichen und einer gekürzten, erhalten ist, aufmerksam gemacht und eine knappe Beschreibung davon geliefert. Ihm folgte KÖPRÜLÜZÂDE MEḤMED FU'ĀD (2) mit einer Bemerkung, in der auf den Wert des Buches für die Erforschung der türkischen Sagenwelt hingewiesen wird. Auf diese beiden Autoren stützte sich CARL BROCKELMANN (3) in seiner arabischen Literaturgeschichte. Seine Ausführungen sind allerdings nicht in allen Punkten stichhaltig. Wir stellen daher die wichtigsten Angaben hier noch einmal zusammen, obwohl sie im wesentlichen auch schon von CLAUDE CAHEN (4) mitgeteilt worden waren, der sich 1936 mit dem Werk befasst hatte.

Der Titel der vollständigen Fassung lautet *Kanz ad-durar wa-ǧāmiʿ al-ġurar,* derjenige der Epitome *Durar at-tīǧān wa-ġurar al-azmān.* Während uns der *muḫtaṣar* in zwei Handschriften erhalten ist, besitzen wir von dem *mufaṣṣal* nur eine einzige vollständige Handschrift, die allerdings von der Hand des Verfassers stammt. Da in der Ayasofya ein 60 Blatt starkes Fragment einer nach dem Autograph im Jahre 773 aus dem ersten Bande angefertigten Kopie vorhanden ist (Nr. 3077), muss immerhin mit der Möglichkeit weiterer Abschriften gerechnet werden.

Im Vorwort des ersten Bandes (5) sagt IBN AD-DAWĀDĀRĪ, er habe seine Chronik entsprechend den Himmelssphären in neun Teile eingeteilt, von denen jeder

(1) *Mémoires sur les moyens propres à déterminer en Égypte une renaissance des lettres arabes,* Le Caire 1910, S. 13-15.

(2) *Türk edebiyātında ilk mütesavvifler,* Istanbul 1918, S. 279-281.

(3) GAL, S II, S. 44.

(4) *Les chroniques arabes concernant la Syrie, l'Égypte et la Mésopotamie, de la conquête arabe à la conquête ottomane, dans les bibliothèques d'Istanbul,* REI 1936, Cahier IV, S. 343 f. Eine ganz knappe Beschreibung ist auch schon enthalten in *Fihris al-kutub al-ʿarabīya al-mauǧūda bid-Dār,* Bd IV, Kairo 1348—1929, S. 179 und 310.

(5) Handschrift Ayasofya Nr. 3073, S. 11.

führer, Herrn Professor Dr. Hans Wehr, die mir im Verein mit der Kulturabteilung des Bundesinnenministeriums und der Deutschen Forschungsgemeinschaft seit Jahresfrist die Fortsetzung der Arbeit in Kairo ermöglichen.

Kairo, den 1. Januar 1960.

Hans Robert ROEMER.

VORWORT

Die Abteilung Kairo des Deutschen Archäologischen Instituts hat alsbald nach ihrer Wiedereröffnung mit der Errichtung einer islamischen Sektion Ende 1956 ein Versprechen eingelöst, das schon drei Jahrzehnte zuvor gegeben worden war. Hand in Hand mit der Einrichtung einer Fachbibliothek gingen seither die Vorbereitungen für wissenschaftliche Veröffentlichungen dieser Sektion. Sie führten bereits im verflossenen Jahr zur Ausgabe des ersten Bandes einer islamwissenschaftlichen Abhandlungsreihe. Dieser schliesst sich nun eine arabische Textserie an, die mit dem vorliegenden Bande eröffnet wird.

Es ist mir eine angenehme Pflicht, an dieser Stelle meinen arabischen Freunden von Herzen zu danken, den Herren Professor Dr. Ḥusain al-Hamdānī, Rašād ʿAbd al-Muṭṭalib und Fuʾād Sayyid für bereitwillig erteilte Auskünfte, Herrn Muḥammad Abū l-Faḍl Ibrāhīm für die Durchsicht der Schlusskorrektur, Herrn Maḥmūd aṭ-Ṭanāḥī für seine unverdrossene Hilfe bei der letzten Durchsicht des Druckmanuskriptes und der Korrekturen, sowie besonders Herrn Dr. Ṣalāḥ ad-Dīn al-Munaǧǧid, der mich auf die Chronik Ibn ad-Dawādārīs aufmerksam gemacht und mir eine Photographie nach dem Film der Handschrift zur Verfügung gestellt hat, der in dem unter seiner Leitung stehenden Handschriften-Institut der Arabischen Liga verwahrt wird. Mein Dank gilt ferner meinen deutschen Kollegen, Herrn Professor Dr. Albert Dietrich und Frau Privatdozentin Dr. Susanne Diwald, die für mich in Istanbuler Handschriften Einsicht nahmen, Herrn Dr. Hans Ernst, der mich bei der Zusammenstellung der Indices unterstützte, sowie Herrn Bibliotheksrat Dr. Helmut Braun für Auskünfte aus deutschen Bibliotheken, vor allem aber dem Ersten Direktor des Deutschen Archäologischen Instituts in Kairo, Herrn Professor Dr. Hanns Stock, der die äusseren Voraussetzungen für meine Tätigkeit in Kairo und für die Entstehung dieser Reihe geschaffen hat, sowie der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft und ihrem Ersten Geschäfts-

INHALT

Druckerei der Lagnat at-ta'lif — Kairo

DIE CHRONIK
DES IBN AD-DAWĀDĀRĪ

NEUNTER TEIL

DER BERICHT ÜBER DEN SULTAN

AL-MALIK AN-NĀṢIR MUḤAMMAD IBN QALA'UN

HERAUSGEGEBEN VON

HANS ROBERT ROEMER

IN KOMMISSION EEI SAMI AL-KHANDJI KAIRO

1960

Deutsches Archäologisches Institut Kairo

Quellen zur Geschichte des Islamischen Ägyptens

BAND 1i

DIE CHRONIK DES IBN AD-DAWĀDĀRĪ, TEIL 9